دُرُّ الأَسْرَارِ

فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ بِالحُرُوفِ المُهْمَلَةِ

تأليف

مفتي الديار الشامية

محمود بن محمد نسيب بن حسين بن يحيى حمزة

الحسيني الحمزاوي الحنفي

المتوفى ١٣٠٥هـ

اعتنى به ووضع حواشيه

أسامة عبد العظيم

الجزء الثاني

سورة الكهف - سورة الناس



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

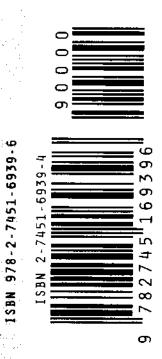
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **DURR AL-ʾASRĀR FĪ TAFSĪR AL-QURʾĀN BIL-ḤURŪF AL-MUHMALAH**		**در الأسرار في تفسير القرآن بالحروف المهملة**	**الكتاب** :
Classification:	Exegesis of the Qur'an	تفسير قرآن	**التصنيف** :
Author	: Al-mufti Maḥmūd ben Muḥammad Nasīb Al-Ḥusayni al-Ḥamzāwi	محمود بن محمد نسيب الحمزاوي	**المؤلف** :
		أسامة عبد العظيم	**المحقق** :
Editor	: Usāmah ʿAbdul-ʿAẓīm	دار الكتب العلميـــة - بيروت	**الناشر** :
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	1248 (جزءان)	**عدد الصفحات** :
Pages	: 1248 (2 volumes)	24 *17	**قياس الصفحات** :
Size	: 17* 24	2011	**سنة الطباعة** :
Year	: 2011	لبنـــان	**بلد الطباعة** :
Printed in	: Lebanon	الأولى (لونان)	**الطبعة** :
Edition	: 1st		



Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكهف

مكية، وآيها مائة وعشر آيات

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾(1) [آية: ١، ٦]:

﴿الْحَمْدُ﴾ هو سردِ المحامد المردود ورودها إلى عمل الطوع ﴿لِلهِ﴾ وهل المراد

---

(١) قال القرطبي: افتتح السورة تبارك وتعالى بحمده، وذكر نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم لما أنكروا عليه من ذلك فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ يعني محمدا، إنك رسول مني، أي تحقيق لما سألوا عنه من نبوتك. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّماً﴾ أي معتدلا لا اختلاف فيه. ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ﴾ أي عاجل عقوبته في الدنيا، وعذابا أليما في الآخرة، أي من عند ربك الذي بعثك رسولا. ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ أي دار الخلد لا يموتون فيها، الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال. ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً﴾ [الكهف: ٤] يعني قريشا في قولهم: إنا نعبد الملائكة وهي بنات الله. ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] أي لقولهم إن الملائكة بنات الله. ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِباً. فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ [الكهف: ٦] لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجوه منهم، أي لا تفعل. فال ابن هشام: ﴿بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ مهلك نفسك. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٤٨).

إعلام أهل الإسلام للإسلام له، أو لسلوك الأمم وحمدهم كما حمد أو كلاهما وهو الأولى ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾ كعدم سلوك كلامه على مسلك مؤداه المراد.

﴿قَيِّمًا﴾ حال مؤكد للحال الأول ﴿لِيُنْذِرَ﴾ الكلام المكرم أهل الإلحاد ﴿بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ الهاء لاسم الله، ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ هو دار المأوى والسرور السرمد، ﴿وَيُنْذِرَ﴾ مما عمَّ الحكم الأول ملاءهم ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ لهول مدعاهم.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ﴾ الأولى أموهم وسلكوا على مسالكهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ دعواهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ مُهلِك ﴿نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ لما ولّوا ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ الكلام المكرم ﴿أَسَفًا﴾ معمول له، والمراد: لحرصك على إسلامهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [آية: ٧، ٨]:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ﴾ مما له روح وسواه ﴿زِينَةً لَهَا﴾ ولأهلها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾ كأهل الحرص والأطماع وعكسهم.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ أملس لا كلاء ولا محصود.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن
رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن
كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ
مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾
وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ
ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾
وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ
بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى
ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ
أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا
أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ
فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ
ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ
كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ
كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا
تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن
يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ
لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا
يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ٩ - ٢٦]:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ هو المحل الواسع وسط كل علم ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اللوح المسطور وسطه أسماؤهم ووالدهم وما حصل لهم ﴿كَانُوا﴾ وحدهم ﴿مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ عدا سائر الدلائل لا.

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ لما أراد ملكهم إكراههم على الإلحاد ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾ أصلح ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ هدى.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ كلا راد سماعهم لكل كلام، والمراد: حلول كراهم ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾ أعوامًا ﴿عَدَدًا﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ مما حصل لهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم سطوع ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ عدًا واسم كأعلم وأكرم ﴿لِمَا﴾ حال أمدا ﴿لَبِثُوا أَمَدًا﴾ معمول ﴿أَحْصَى﴾.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ المؤسس على العلم لا على الأوهام ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ على وطاء ملكهم وأمرهم ركوعًا إلى ما هو كود وسواع، ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ وراء الحد.

﴿هَؤُلاءِ﴾ أول كلام ﴿قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا﴾ هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على ركوعهم لهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ دال ساطع ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ المراد: لا أحد.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ هو كلام أحد الرهط المسرود أمرهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ (ما) اسم موصول رده الواو على الهاء وهو لما هو كود وسواع ﴿إِلا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ مكسور الأول، ورواه راوٍ مكسور الوسط عكس الأول، والمراد: المأكل.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾[1] رواه راوٍ كصالح، وراوٍ كإدارك، والمراد:

(١) قال الرازي: قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ وفيه مباحث: البحث الأول: قرأ ابن عامر تَزْوَرُّ ساكنة الزاي المعجمة مشددة الراء مثل تحمر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي تزاور بالألف والتخفيف والباقون تزاور بالتشديد والألف والكل بمعنى واحد، والتزاور هو الميل والانحراف، ومنه زاره إذا مال إليه =

حولها ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ حسما ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ والمراد: عدم وصولها لهم أصلا، ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾ موسع ﴿مِنْهُ﴾ لموارد روح الهواء ﴿ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ دلائل ساطع حكمه ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ السالك مسالك الوصول ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لعدم أكل مماسهم لحومهم مع طول المدد ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ معمول لما أمامه لما حكى الحال ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ ممر محلهم ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ﴾ ورواه راوٍ مكرر لام وسطه ﴿رُعْبًا﴾ روعًا مالئًا صدرك، ورواه راوٍ محرك الوسط كالراء.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ رواه راوٍ مكسور الراء، وراوٍ كعدل، والمراد: دراهمكم ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ طرسوس ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى﴾ أحل ﴿طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ إلى حد الهلاك ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ المراد: أطلع الله ملأهم، وأهل الإسلام على أحوالهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ لعلم كل مطلع على أمرهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ هو أمر المعاد، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ﴾ معمول لما أدّى مؤدّى أطلع ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ أهل الإسلام وعكسهم ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر العمار حولهم، أو أمر ورودهم موارد الحمام، أو هاء عائد إلى مسلك ملأهم لما ادعى رهط حصول المعاد ورده سواهم ﴿فَقَالُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى

=

والزور الميل عن الصدق، وأما التشديد فأصله تتزاور سكنت التاء الثانية وأدغمت في الزاي، وأما التخفيف فهو تفاعل من الزور وأما تزور فهو من الإزورار. البحث الثاني: قوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ أي أنت أيها المخاطب ترى الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم وليس المراد أن من خوطب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو، ومعناه أنك لو رأيته على هذه الصورة. البحث الثالث: قوله: ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي جهة اليمين وأصله أن ذات صفة أقيمت مقام الموصوف لأنها تأنيث ذو في قولهم رجل ذو مال، وامرأة ذات مال، والتقدير كأنه قيل تزاور عن كهفهم جهة ذات اليمين. انظر تفسير الرازي (٢١/٤٤٤).

أَمْرِهِمْ﴾ وهم أهل الإسلام ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا﴾.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ المراد: رائمو الإطلاع على أمرهم وعددهم كم هم على عهد رسول الله صلى الله على روحه وسلم ادعى رهط هم ﴿ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ رهط ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وكلاهما رمى ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ لا دال له ولا مطلع لهم على ما حكوه وادعوه.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الواو لأهل الإسلام ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ولما حكاه الله، وما اومأ إلى رده كالأول دل على ادعاء مصحح ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ على حكم ما أطلعه مولاه وحكاه له، ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ الهاء للرهط الكرام المسرود أمرهم ﴿مِنْهُمْ﴾ الهاء للهود ﴿أَحَدًا﴾.

﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾ لما سأل أهل الحرم الرسول ردد الله له السلام إطلاعهم على أمر هؤلاء الرهط الكرام ووعدهم إعلامه لهم ﴿غَدًا﴾ وما سرد لهم ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ أوحاه مولاه له، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ المراد: الحكم المحرر، وهو ما صدره (إلا)، وهل المراد سرده موصولا أو ما دام المحل واحدا، وروى راوٍ: (ولو) إلى عام، وعدد العلماء الأعلام على سواه، ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾ أومأ إلى أمر الرهط الكرام ﴿رَشَدًا﴾ هدى إلى ما هو أدل على أمر الإرسال وسأل الله وأعطاه مولاه ما هو أدل وأسطع على أمر إرساله.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ على مصطلح أعداد الروم وسواهم ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ على مسلك أعداد أهل الإسلام ﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ﴾ علم ﴿السَّمَوَاتِ﴾ علم ﴿وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ﴾ الهاء لاسم الله ﴿وَأَسْمِعْ﴾ والمراد: ما أسمعه وأراه لما لا وصول لحس العالم إلى إدراكه ﴿مَا لَهُمْ﴾ الهاء لأهل السماء وما أمها ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ

مُلْتَحَدًا﴾ موئلا.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ لا لأمر أو علل سواه وهم معدمو أهل الإسلام، ﴿وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ المراد: عدم طموحهما إلى حلى أهل الأموال، ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ هو الكلام المكرم، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ إلحادًا وسالك طرد أهل العدم، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ لطرحه الهدى وراءه.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [آية: ٢٩]:

﴿وَقُلِ﴾ له ولرهطه كلام الله هو ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سرد مهدد لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ما حولها حائط أو سواه ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ عكر الدسم ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ لحره ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ هو، ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ هو على إحدى الوسائد وسرده، وراعى ما أعد لأهل دار السرور الدائم وإلا لا وسائد لهم على ما حرره العلماء الأعلام، ولعل وسائدهم مما هو آلام لهم ولم أره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [آية: ٣٠، ٣١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ﴾ اسم موصول حال محل هم ﴿أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام سرمد ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ المراد: صروحهم ﴿الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ عدد السوار ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ الحلل السماك والأول عكسها ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾ السرر ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ على الوسائد كما مر.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٣٢ - ٤٤]:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ لأهل الإلحاد مع أهل الإسلام ﴿مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأحَدِهِمَا﴾ وهو الملحد ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ محصودا كالحمص والحمراء.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾[1] أول كلام محموله ﴿آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ﴾ الهاء للأكل

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ أي كل واحدة من الجنتين، واختلف في لفظ "كلتا وكلا" هل هو مفرد أو مثنى؛ فقال أهل البصرة: هو مفرد؛ لأن كلا وكلتا في توكيد الاثنين نظير "كل" في المجموع، وهو اسم مفرد غير مثنى؛ فإذا ولي اسما ظاهرا كان في الرفع والنصب والخفض على حالة واحدة، تقول: رأيت كلا الرجلين وجاءني كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين؛ فإذا اتصل بمضمر قلبت الألف ياء في موضع الجر والنصب، تقول: رأيت كليهما ومررت بكليهما، كما تقول عليهما. وقال الفراء: هو مثنى، وهو مأخوذ من كل فخففت اللام =

﴿شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا﴾ وسطهما ﴿نَهَرًا﴾.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ ورواه راوٍ محرك الوسط كأوله، وراوٍ ما حرك وسطه ﴿فَقَالَ﴾ الملحد ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ المسلم ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ملأ ورهطا ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ مع المسلم، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ لإلحاده ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ لا هلاك لها أمدًا.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ لدى المعاد على دعواك ﴿لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ معادا ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ وهو أصل آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الأرحام ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ﴾ وعدلك ﴿رَجُلا لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿وَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ﴾ كما حكاه الرسول الأطهر صلى الله على روحه وسلم، وحاصل ما رووه هو كل أحد أعطاه الله أهلا أو مالا، ورآه وسرد ما حرر ما هو راء مكروها ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا﴾.

﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ المراد: أما حالا أو مآلا ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ هو ما ولده اصطكاك الركم ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ ملساء كالمرمر، ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ أو للرد رد محصل المصدر على الإرسال المار ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ﴾ للماء ﴿طَلَبًا﴾ مدر كالرده محله.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ ومحله على حكم مدار عسى المار، وأهلك ماله كله ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ سد ما ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ لعمارها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ هدم دعائمها، وصار الكرم على الدعائم، ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ﴾ ملأ ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ لدى هلاكها، ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ هو لحاله لدى هلاكها ﴿هُنَالِكَ﴾ لدى المعاد ﴿الْوَلايَةُ﴾ ورواه راوٍ محرك مكسور الواو وكلاهما للملك ﴿لِلهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ مآلا لأهل الإسلام، ورواه راوٍ محرك الوسط كأوله.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ

=

وزيدت الألف للتثنية. وكذلك كلتا للمؤنث، ولا يكونان إلا مضافين ولا يتكلم بواحد، ولو تكلم به لقيل: كل وكلت وكلان وكلتان. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/٤٠١).

ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [آية: ٤٥]:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ لملائك ﴿مَثَلَ﴾ معمول أول ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾ مكمل عامل المعمول الأول ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ المراد: لحلول الماء، وهو المطر ﴿نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ لما أرواه المطر إدهام وأسود كلاؤها ومحصودها، ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار الكلاء والمحصود ﴿هَشِيمًا﴾ مكسرًا ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [آية: ٤٦]:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الأولاد ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مددًا لا دوام لها وهلاكها عما أسرع حال ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ كل عمل صالح، أو المراد: الحمد لله ولا إله إلا الله وسواها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ما أمله كل أحد لدى الله.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [آية: ٤٧ - ٤٩]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح كأورد أو ادكر ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لله مع علو كماله، والمراد: محو إعلامها ورسومها، ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ الهاء للأمم كلهم ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ حال، والمراد: كل أمم رسول وحدهم حالهم كحال العسكر للورود على الملك للسلوك على أمره، والكلام لأهل المعاد كلهم ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ كلكم عار، والكلام للأولى ردوا أمر المعاد وحكموا على عدم حصوله ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا ﴿لَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ طروس الأعمال ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ هم كلّ مُلحدٍ ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ مروعهم ما حرر وسطه، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لدى إطلاعهم على سوء أعمالهم ﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾ مصدر ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا﴾ عدها وحررها، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ مسطورًا وسط طروسهم، ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [آية: ٥٠، ٥١]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح كادكر ﴿قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ ركوع سلام وإكرام ﴿فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ﴾ مرد ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ وما ركع لآدم ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ أولاده ورهطه ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أعداء والواو واو الحال ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ﴾ كل عاص ﴿بَدَلاً﴾ عدو آدم المطرود وأولاده ورهطه وإحلال السلوك على ما وسوسوه محل السلوك على أوامر الله ورسوله.

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ الهاء للمطرود وأولاده ﴿خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ هم كل موسوس ﴿عَضُدًا﴾ ردا ولم سلوككم على مسالك وسواسهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ [آية: ٥٢، ٥٣]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لمطروح كادكر ﴿يَقُولُ﴾ ورواه راوٍ على وروده لله مكلما مع علو كماله ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ ما هو كود وسواع ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ درأهم كل مكروه ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ المراد: وادٍ مهلك[1].

---

(١) قال الرازي: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ وفيه أبحاث البحث الأول قرأ حمزة =

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ علموا علمًا حاسمًا لكل وهم ﴿أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلا لسوها.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [آية: ٥٤، ٥٥]:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإنْسَانُ﴾ الملحد ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾ مراء محول كألم عمر ورأسًا.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ هم مُلحِدو أهل الحرم ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأوَّلِينَ﴾ المراد: ما ردهم عما هو سلوك على مسلك الإسلام وأوامر الله إلا ورودهم على موارد الأمم الأول، وهو الهلاك المعد لهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلا﴾ ساطعًا أمره وهم راؤه.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [آية: ٥٦]

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ﴾ أهل الإسلام، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ أهل الإلحاد، ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كسؤالهم الله مرسل أحد ولد آدم رسولا ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ الكلام المحرر ﴿وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾.

=

(نقول) بالنون عطفاً على قوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ لادَمَ وأَوْلِيَاء مِن دُونِي وَمَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلّينَ عَضُداً﴾ والباقون قرأوا بالياء البحث الثاني واذكر يوم نقول عطفاً على قوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ﴾ البحث الثالث المعنى واذكر لهم يا محمد أحوالهم وأحوال آلهتهم يوم القيامة إذ يقول الله لهم نَادُواْ شُرَكَائِيَ أي ادعوا من زعمتم أنهم شركاء لي حيث أهلتموهم للعبادة ادعوهم يشفعوا لكم وينصروكم والمراد بالشركاء الجن فدعوهم ولم يذكر تعالى في هذه الآية أنهم كيف دعوا الشركاء لأنه تعالى بين ذلك في آية أخرى وهو أنهم قالوا ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ (غافر ٤٧) ثم قال تعالى ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ أي لم يجيبوهم إلى ما دعوهم إليه ولم يدفعوا عنهم ضرراً وما أوصلوا إليهم نفعاً. انظر تفسير الرازي (١١٨/٢١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [آية: ٥٧ - ٥٩]:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ سوء أعماله إلحادًا وسواه، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ إكلالا ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ الهاء للكلام، والمراد: ما هم مدركوه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ما هم سامعوه، ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ مع الحال المسطر سردها.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ حالا ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ الهلاك ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو المعاد ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ المراد: أهلها كملأ عاد، ولوط ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ ألحدوا، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ رواه راوٍ لمهلكهم كمكرمهم، وهو عامل الإكرام، والمراد لإهلاكهم، وراوٍ على المصدر، والمراد لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ

صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [آية:٦٠، ٨٢]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو اذكر ﴿قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ﴾ سائرًا ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الواحد محل ملك كسرى، والواحد محل الروم ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ دهرًا ومددًا.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ موسى ردد الله له السلام ما سأله وهو لما رحلوا ما ادكره ﴿فَاتَّخَذَ﴾ السمك ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ مسلكا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ المحل المسطور ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ

﴿أَذْكُرَهُ﴾ حاصل المصدر معمول على مسلك وهم العامل المكرر لهاء العامل الأم، ﴿وَاتَّخَذَ﴾ السمك ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ لهما.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى عدم ادكار السمك ﴿مَا﴾ اسم موصول ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾ هو المرام لصدور عدم ادكار سمكه دالا على حصوله على المراد، ﴿فَارْتَدَّا﴾ عادا ﴿عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ إلى محلهما الأول ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ المراد: ما عمَّ الإرسال ﴿مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ لما سأل موسى ملاؤه إطلاعهم على أعلم الأمم وأطلعهم على ما حاصله هو هو، وما رد العلم إلى الله أوحى الله له واحدًا علم ومطلع على علم ما علمه موسى، وسأل الله الوصول له وهداه، وأورد لموسى علامًا دالا على حصول المسؤول، وهو عدم ادكار السمك ولما رواه.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ رواه راوٍ كأحد، وراوٍ كعسر ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ وكلم موسى ما حاصله موسى على علم علمه الله له ما علمه له، وهو على علم علمه الله له ما علمه لموسى ردد الله لهما السلام كما ورد مصححا ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي﴾ ورواه راوٍ مع المؤكد ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ لم حصل، ولم صار لعدم سلوكه على مسلك علمك ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ معللا لك أمره وماله.

﴿فَانْطَلَقَا﴾ كلاهما سائر على الساحل ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ طارحًا أحد ألواحها ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كحرك، وراوٍ كعلم وأهلها مسموك ﴿أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ كالإصر ما أدى كل رآء إلى الهكر ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ والمراد: سهل الأمر على رائم العلم وأوصلهما الملاح إلى الساحل.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا﴾ ما أدرك الحلم وأمسكه ﴿فَقَتَلَهُ﴾ لما طرحه وحسم رأسه ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ ورواه راوٍ مع عدم المد مكرر آلامه ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ رادًا له كل راءٍ وسامعٍ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾ ورواه راوٍ كلحد ﴿عُذْرًا﴾.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ آس العواصم ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ سألهم الطعام ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ مائلا ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ عمره أو عمد له عمودًا ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ﴾ ورواه راوٍ كاطلع ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾[(١)] لدى عودهم، أو المراد: أمامهم ﴿مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالح مرساها ومسراها ﴿غَصْبًا﴾ مصدر.

﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لأمر، وهو لو أدرك لألحد وولع والده وأمه حامل لهما على سلوكهما مسلكه ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كعدد ﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ صلاحًا، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ وحصل لهما ما أراده.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ﴾ مال، ﴿لَهُمَا وَكَانَ

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ استدل بهذا من قال: إن المسكين أحسن حالا من الفقير، وقد مضى هذا المعنى مستوفى من سورة "براءة". وقد وقيل: إنهم كانوا تجارا ولكن من حيث هم مسافرون عن قلة في لجة بحر، وبحال ضعف عن مدافعة خطب عبر عنهم بمساكين؛ إذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها، وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة أو خطب: مسكين. وقال كعب وغيره: كانت لعشرة إخوة من المساكين ورثوها من أبيهم خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر. وقيل: كانوا سبعة لكل واحد منهم زمانة ليست بالآخر. وقد ذكر النقاش أسماءهم؛ فأما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما؛ والثاني أعور، والثالث أعرج، والرابع آدر، والخامس محموما لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم؛ والخمسة الذين لا يطيقون العمل: أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون، وكان البحر الذي يعملون فيه ما بين فارس والروم؛ ذكره الثعلبي. وقرأت فرقة: ﴿لمساكين﴾ بتشديد السين، واختلف في ذلك فقيل: هم ملاحو السفينة، وذلك أن المساك هو الذي يمسك رجل السفينة، وكل الخدمة تصلح لإمساكه فسمي الجميع مساكين. وقالت فرقة: أراد بالمساكين دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك والأظهر قراءة ﴿مساكين﴾ بالتخفيف جمع مسكين، وأن معناها: إن السفينة لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق عليهم والله أعلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٣).

أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ورعاهما الله لصلاح والدهما حالا ومآلا ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ ملكا لصالحهما، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ مالهما ﴿رَحْمَةً﴾ معمول له عامله أراد ﴿مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ طوعًا ما حصل إلا لأمر إلهام الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [آية: ٨٣: ٩٨]:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ الواو للهود ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ ما هو رسول ولا أعم ﴿قُلْ سَأَتْلُو﴾ أسرد ﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ مما حصل له ﴿ذِكْرًا﴾.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ مسهلا له أمر مراحلها ومسالكها ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

سَبَبًا﴾ مسلكًا موصلا إلى مراده، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ مسلكا.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ المراد: محله ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وسطها حمأ، وهو الحال الأسود وحلولها وسطها حكم مؤسس على المرآى لا على أصل حالها، ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا﴾ إلهامًا ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ هؤلاء الملأ إهلاكًا ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أسرا.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ لإلحاده ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ إهلاكًا وإعدامًا، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ ورواه راوٍ محرك الوسط كأوله، والمراد: وروده على سوء الدار والهلاك الدائم.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ دار المأوى والسرور السرمد، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ كل سهلٍ لا عسرٍ معه، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ مسلكًا.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ المراد: محل أول طلوعها مما هو معمور ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ﴾ هم السود ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ لا عمارا ولا دروعا.

﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر كما سرد ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ عددًا وعساكر وسواها ﴿خُبْرًا﴾ علما، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ مسلكا.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ واحده: سد كصد وكمد اسم علم أو الأول لما سده الأمم وما كمد لما هو على أصله لا عمل ولد آدم ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ المراد: أمامهما ﴿قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا﴾ إما لعدم إدراكهم، وإما لعدم إدراك السامع كلامهم ومرامهم.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ ورواهما راوٍ مسهلا لهما، وكلاهما اسم ملأ ﴿مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ لعدوهم على الأموال ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ ورواه راوٍ كإمام، والمراد مآلا ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حدا دارئا وصولهم.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾ كالأموال والعساكر، والعدد والعدد ﴿خَيْرٌ﴾ مما هو لكم واعمل لكم السد لله ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أرومه ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ وحدًا محدودًا.

﴿آتُونِي زُبَرَ﴾ كسر ﴿الْحَدِيدِ﴾ كسروه كسرا كسرا لصلاحها إلى مدماك الحائط مع المدر وسواه ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ هما أعلا محسوم العلم ووسطهما

الممر، ورواه راوٍ محركا وسطه كأوله كعمر، وراوٍ ما حرك داله أصلا كمهر وحط الأكوار حوله ﴿قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ مهلاً طرح معمول العامل الأول وهو الأمر وأعمل ما أمه.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ علوا على أعلاه، ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ لسمكه.

﴿قَالَ هَذَا﴾ أومأ إلى السد أو عمله ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ المحدود لطلوعهم ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مدكوكا لا علو له، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ حاصلا.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [آية: ٩٩ - ١٠١]:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾(١) المراد: حال طلوعهم على الأمم ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ الهاء للأمم كلهم ﴿جَمْعًا﴾ إلى محل واحد، ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ هو الكلام المكرم، ﴿وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ كلما أراد الرسول ردد الله له السلام أسماعهم.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: الترك: حقيقته مفارقة شيء شيئاً كان بقربه، ويطلق مجازاً على جعل الشيء بحالة مخالفة لحالة سابقة تمثيلا لحال إلفائه على حالة، ثم تغييرها بحال من كان قرب شيء ثم ذهب عنه، وإنما يكون هذا المجاز مقيداً بحالة كان عليها مفعول تَرك، فيفيد أن ذلك آخر العهد، وذلك يستتبع أنه يدوم على ذلك الحال الذي تركه عليها بالقرينة. والجملة عطف على الجملة التي قبلها ابتداء من قوله (حتى إذا بلغ بين السدين)، فهذه الجملة لذكر صنع الله تعالى في هذه القصة الثالثة من قصص ذي القرنين إذ ألهمه دفع فساد ياجوج وماجوج، بمنزلة جملة ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب﴾ في القصة الأولى، وجملة ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾ فجاء أسلوب حكاية هذه القصص الثلاث على نسق واحد. انظر التحرير والتنوير (٤٠/١٦).

ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ [آية: ١٠٢ - ١٠٦]:

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ كالروح رسوله والملائك ﴿مِنْ دُونِي﴾ كلًّا مألوها ولا سؤال ولا ملام لهم كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وسواهم ﴿نُزُلا﴾ كالمحل المعد للوارد.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ كل عمل صالح مرَّ سُدَى لإلحادهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ دلائله كالكلام المكرم وسواه، ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أمر المعاد، ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ سؤددًا.

﴿ذَلِكَ﴾ الأمر المحرر، وهو ما أُعِدَّ لهم سُدَى وعدم السؤدد ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [آية: ١٠٧ - ١١٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسطها وأعلاها ﴿نُزُلا﴾ معدًّا لورودهم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا﴾ معدلا إلى سِواهَا.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ مآوه ﴿مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدوال على حكمه وأراد رسمها وحصرها محرر ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ولد آدم لم أدع حصر حكم الله ودلائله ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ مؤملا معاده لمولاه على صالح الأحوال، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ كما لو رأى حال العمل، والمراد: إصدار أعماله كلها لله لا لعلل أو مرام سواه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة مريم

مكية، وآيها ثمان وتسعون آية

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [آية: ١]:

﴿كهيعص﴾ الله أعلم ما المراد كسائر أوائل السور المار سردها.

﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝١١ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ۝١٥﴾[1] [آية: ٢ - ١٥]:

---

(١) قوله - تعالى - : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ﴾ خبر لمبتدأ محذوف. أي: المتلو عليك ذكر رحمة ربك عبده زكريا. ولفظ ﴿ذِكْرُ﴾ مصدر مضاف لمفعوله. ولفظ ﴿رَحْمَةِ﴾ مصدر مضاف =

=

لفاعله وهو ربك، و﴿عَبْدَهُ﴾ مفعول به للمصدر الذي هو رحمة. و﴿زَكَرِيَّآ﴾ هو واحد من أنبياء الله الكرام، وينتهي نسبه إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليه السلام - . والمعنى: هذا الذي نذكره لك يا محمد، هو جانب من قصة عبدنا زكريا، وطرف من مظاهر الرحمة التي اختصصناه بها، ومنحناه إياها. قوله: ﴿إِذْ نادى رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيّاً﴾ ظرف لرحمة ربك. والمراد بالنداء: الدعاء الذي تضرع به زكريا إلى ربه - عز وجل - . أي: هذا الذي قرأناه عليك يا محمد في أول هذه السورة، وذكرنا لك، هو جانب من رحمتنا لعبدنا زكريا. وقت أن نادانا وتضرع إلينا في خفاء وستر، ملتمسا منا الذرية الصالحة. وإنما أخفى زكريا دعاءه، لأن هذا الإخفاء فيه بعد عن الرياء، وقرب من الإخلاص، وقد أمر الله - تعالى - به في قوله: ﴿ادعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ المعتدين﴾ ويبدو أن هذا الدعاء قد تضرع به زكريا إلى ربه في أوقات تردده على مريم، واطلاعه على ما أعطاها الله - تعالى - من رزق وفير. ويشهد لذلك قوله - تعالى - : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المحراب وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يامريم أنى لَكِ هذا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ الله إِنَّ الله يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدعآء﴾ ثم بين - سبحانه - ما نادى به زكريا ربه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العظم مِنِّي...﴾ والوهن: الضعف. يقال: وهن الجسم يهن - من باب وعد - إذا ضعف. وخص العظم بالذكر، لأنه دعامة البدن، وعماد الجسم، وبه قوامه، فإذ ضعف كان غيره من أجزاء الجسم أضعف. وإفراد لفظ العظم لإرادة الجنس. ﴿واشتعل الرأس شَيْباً﴾ والمراد باشتعال الرأس شيبا: انتشار بياض الشيب فيه. والألف واللام في لفظ ﴿الرأس﴾ قاما مقام المضاف إليه. والمراد: واشتعل رأسي شيباً، وهذا يدل على تقدم السن، كما يشهد له قوله - تعالى - ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكبر عِتِيّاً﴾ وقوله - عز وجل - : ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الكبر..﴾ قال صاحب الكشاف: "شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر... باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزا ولم يضف إلى الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة...". وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ أي: ولم أكن فيما مضى من عمري مخيب الدعاء وإنما تعودت منك يا إلهي إجابة دعائي، وما دام الأمر كذلك فأجب دعائي في الزمان الآتي من عمري، كما أجبته في الزمان الماضي منه.

فأنت ترى أن زكريا - عليه السلام - قد أظهر في دعائه أسمى ألوان الأدب مع خالقه، حيث توسل إليه - سبحانه - بضعف بدنه، وبتقدم سنه، وبما عوده إياه من إجابة دعائه في الماضي. ثم حكى - سبحانه - بعض الأسباب الأخرى لإلحاح زكريا في الدعاء فقال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الموالي مِن وَرَآئِي وَكَانَتِ امرأتي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ..﴾. والموالي: جمع مولى، والمراد بهم هنا: عصبته وأبناء عمومته الذين يلون أمره بعد موته، وكان لا يثق فيهم لسوء سلوكهم. والعاقر: العقيم الذي لا يلد، ويطلق على الرجل والمرأة، يقال:

=

﴿ذِكْرُ﴾ محمول على مطروح وهو الأمر المسرود، أو ما أدّى مؤداه ﴿رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾.

﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ﴿رَبَّهُ نِدَاءً﴾ دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ سرًا وإسراره له إما لعدم إطلاع أحد على دعائه أو لعدم لوم أحد له على رومه الولد مع هرمه أو لهرمه صار كلامه ودعاؤه همسًا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ وهى ﴿مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ المراد: ما دعا الله وسأله أمرًا إلا وحصل مسؤله ومراده كما سأل.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أولاد عمه ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ وراء وروده موارد الحمام والمروع له عدم سلوكهم على مسلك لا إله إلا الله، ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ولدا ﴿يَرِثُنِي﴾ رواه راوٍ محركا، وراوٍ ما حركه ورده على الأمر الوارد مورد الدعاء، ﴿وَيَرِثُ﴾ محركا، ومع عدمها ومراده العلم والإرسال ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ولما ورد سؤاله مورد آماله دعاه الله.

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مُسَمًّى.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول، والمراد: حد العمر.

﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ والمراد: حصول ولد لكما مع حالكما وهرمك ووصولك حد العمر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ كإعطائك وسائط الوطء وإصلاح رحم أهلك، ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ دالا على الحمل ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ

=

أمراة عاقر، ورجل عاقر. أي: وإني - يا إلهي - قد خفت ما يفعله أقاربي ﴿مِن وَرَآئِي﴾ أي: من بعد موتي، من تضييع لأمور الدين، ومن عدم القيام بحقه ﴿وَكَانَتِ امرأتي عَاقِراً﴾ لا تلد قط في شبابها ولا في غير شبابها، ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ﴾ أي: من عندك ﴿وَلِيّاً﴾ أي: ولدا من صلبي، هذا الولد ﴿يَرِثُنِي﴾ في العلم والنبوة ﴿وَيَرِثُ﴾ أيضاً ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ابن إسحاق بن إبراهيم العلم والنبوة والصفات الحميدة ﴿واجعله﴾ يا رب ﴿رَضِيّاً﴾ أي: مرضيا عندك في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته. ففي هاتين الآيتين نرى زكريا يجتهد في الدعاء بأن يرزقه الله الولد، لا من أجل شهوة دنيوية، وإنما من أجل مصلحة الدين والخوف من تضييعه وتبديله والحرص على من يرثه في علمه ونبوته، ويكون مرضياً عنده - عز وجل - . انظر التفسير الميسر (١٧٧/٥).

سَوِيًّا﴾ المراد: مع عدم داء مؤد إلى عدم كلامك.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ المصلى ﴿فَأَوْحَى﴾ أوماً ﴿إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ لدى الأوائل والأصال، ولما صار حمله وولد وعمر أعوامًا دعاه مولاه.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ الموحى إلى موسى ﴿بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ ما عم الإرسال ﴿صَبِيًّا﴾ كهلا، ﴿وَحَنَانًا﴾ رحما للأمم ﴿مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً﴾ طهرًا ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ لا عصى الله ولا هم أصلا.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ لمولاه، ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ ما مسه المطرود ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ مما هو آلام اللحد ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ مما أعده الله لكل عاص كسوء الدار وسواها.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ

حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آية: ١٦ - ٣٦]:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم ﴿مَرْيَمَ إِذِ﴾ لما ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ وسط دارهم.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ لروم طهورها حال طهرها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ الملك الروح ردد الله له السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾ أمرد ﴿سَوِيًّا﴾ على أحلى الصور الملاح.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ومكمل العامل دل له أول الكلام ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا﴾ طاهرًا سالكًا على مسلك الصلاح، أو المرد مرسلا.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أملاكا ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ عهرًا.

﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكِ﴾ وهو حصول ولد لك لا والد له ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ لكل مسلم له، ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾.

﴿فَأَجَاءَهَا﴾ ورد لها ﴿الْمَخَاضُ﴾ هو ألم لدى طرح الحمل ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ حمل وصور وولد مع عدم مرور المدد أصلا كله حصل على الإسراع ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ الأمر وحصوله ﴿وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ﴾ اسم موصول ﴿تَحْتِهَا﴾ ولدها، أو الملك الروح ردد الله لهما السلام، وروى راوٍ الموصول والوصل على وروده عاملا ومعمولا مكسورًا ﴿أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ماء حسم مددًا وسال، أو أصله السرو وهو السؤدد، والمراد ولدها الروح.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[1] مع مرور مدد لا حمل لها ولا رأس ﴿تُسَاقِطْ﴾

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً فَكُلِي وَاشْرَبِي =

رواه راوٍ كَلامَسَ، وراوٍ كادَّارَكَ ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ وسألك ما أمر ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ إمساكا عما هو كلام ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ ولما راوه ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ هو أحد الصلاح وكلموها على المسلك المسطور لورعها، وصلاحها المعلوم لهم أولا، وهو أحد الطلاح لحملهم لها على العهر ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ

=

وَقَرِّي عَيْناً﴾ فيه مسائل:

الأولى - قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي﴾ أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع. والباء في قوله: ﴿بِجِذْعِ﴾ زائدة مؤكدة كما يقال: خذ بالزمام، وأعط بيدك قال الله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي فليمدد سببا. وقيل: المعنى وهزي إليك رطبا على جذع النخلة. ﴿وتُسَاقِطْ﴾ أي تتساقط فأدغم التاء في السين. وقرأ حمزة ﴿تساقط﴾ مخففا فحذف التي أدغمها غيره. وقرأ عاصم في رواية حفص ﴿تساقط﴾ بضم التاء مخففا وكسر القاف. وقرئ ﴿تتساقط﴾ بإظهار التاءين و﴿يساقط﴾ بالياء وإدغام التاء ﴿وتسقط﴾ ﴿يسقط﴾ و﴿تسقط﴾ و﴿يسقط﴾ بالتاء للنخلة وبالياء للجذع؛ فهذه تسع قراءات ذكرها الزمخشري رحمة الله تعالى عليه. ﴿رُطَباً﴾ نصب بالهز؛ أي إذا هزت الجذع هززت بهزه "رطبا جنيا" وعلى الجملة فـ"رطبا" يختلف نصبه بحسب معاني القراءات؛ فمرة يستند الفعل إلى الجذع، ومرة إلى الهز، ومرة إلى النخلة. "وجنيا" معناه قد طابت وصلحت للاجتناء، وهي من جنيت الثمرة. ويروى عن ابن مسعود - ولا يصح - أنه قرأ "تساقط عليك رطبا جنيا برنيا". وقال مجاهد: ﴿رُطَباً جَنِيّاً﴾ قال: كانت عجوة. وقال عباس بن الفضل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله: ﴿رُطَباً جَنِيّاً﴾ فقال: لم يذو. قال وتفسيره: لم يجف ولم ييبس ولم يبعد عن يدي مجتنيه؛ وهذا هو الصحيح. قال الفراء: الجني والمجني واحد يذهب إلى أنهما بمنزلة القتيل والمقتول والجريح والمجروح. وقال غير الفراء: الجني المقطوع من نخلة واحدة، والمأخوذ من مكان نشأته يريد بالجنى ما يجنى منها أي يقطع ويؤخذ. قال ابن عباس: كان جذعا نخرا فلما هزت نظرت إلى أعلى الجذع فإذا السعف قد طلع، ثم نظرت إلى الطلع قد خرج من بين السعف، ثم أخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا، ثم رطبا؛ كل ذلك في طرفة عين، فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينشدخ منه شيء. الثانية - استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوما؛ فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة لترى آية، وكانت الآية تكون بألا تهز. الثالثة - الأمر بتكليف الكسب الرزق سنة الله تعالى في عباده، وأن ذلك لا يقدح في التوكل، خلافا لما تقوله جهال المتزهدة؛ وقد تقدم هذا المعنى والخلاف فيه. وقد كانت قبل ذلك يأيتها، رزقها من غير تكسب كما قال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (٩٤/١١).

امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ المراد: ما أحدهما عاهر.

﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ ومرادها: اسألوه هو مكلمكم ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ وما عهد لأحد كلم ولدا وسط المهد.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ كلام الله الموحى له، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ سرد ما مر عهده وأراد ما هو حاصل حالا أو مآلا مسلك المعار المصرح، ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ كلامه ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ ورواه راوٍ على المصدر، وعامله هو داله، والمراد: كلامه هو المسلك العدل والهدى لا كما حكموا وادعوا هو ولد الله أو إله معه ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ادعى الهود سحره، وادعى ملاؤه ما حاصله هو ولد الله، وكلاهما ادعى ما لا أصل له.

﴿مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى﴾ أراد ﴿أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ رواه راوٍ على طرح محصل المصدر، وراوٍ على عدمه مسموكًا.

﴿وَإِنَّ﴾ ورواه راوٍ مكسورا أوله ﴿اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ المحرر والمسطور ﴿صِرَاطٌ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ موصل إلى دار السرور الدائم، أو إلى الله.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٍ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٣٧ - ٤٠]:

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ هل هو ولد الله أو إله معه أو هو هو حل وصعد إلى السماء ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاك ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وأهواله وهو المعاد.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ المراد: ما أسمعهم وآراءهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ لدى المعاد ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ أورده مورد الهاء ﴿الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ والمراد: صموا وعموا حالا عما هو هدى وما أسمعهم وأراهم له مآلا، وهو لدى المعاد لإطلاعهم على سوء مسالكهم وادعائهم ما لا أصل له على الله ورسوله.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ روعهم، والأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ لدى المعاد ﴿إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ على هلاكهم ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عما أعده الله لهم ﴿وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ مؤكد ﴿نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أولوا الأحلام وسواهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ وكل أحد معامل على عمله.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [آية: ٤١ - ٥٠]:

﴿وَاذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ مراده: ما هو كود، وسواع.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا﴾ مسلكًا ﴿سَوِيًّا﴾ سوى موصلا إلى الله.

﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ المراد: السلوك على مسالك وسواسه وهو الركوع لما سوى الله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ مطرودًا

معه.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ﴾ كلامًا مكروها، أو على أصله ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ دهرًا ومددًا طوالا.

﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ وعده حال عدم علمه رسم اسمه مع أعداء الله ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ مكرمًا حد الإكرام.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي﴾ ركوعًا له ﴿عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ ورحل إلى المحل المطهر ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ المال والأولاد، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ كمدح سائر الأمم والملل لهم على دور الدهور والأعصار.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٣]:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ ومكسور اللام المراد لله، وعلى سوى الكسر المراد طهره الله، ﴿ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا ﴾.

﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ﴾ اسم لعلم معلوم ﴿ الأَيْمَنِ ﴾لموسى، ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ لما أسمعه كلامه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾وحصل لسؤال موسى مولاه إرساله معه ردد الله لهما السلام.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [آية: ٥٤، ٥٥]:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ وعد واحدا ودام محله حولا مؤملا عوده وما حال إلى عود الموعود، ﴿وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ ملأه ﴿بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [آية: ٥٦، ٥٧]:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ علو السؤدد والكمال، أو إلى سادس سماء أو سواها، أو حلوله دار المأوى والسرور السرمد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ۝٥٨ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝٦٢﴾ [آية:٥٨، ٦٢]:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ المراد: الصاعد إلى سادس سماء، ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾. المراد: ولد ولده سام، وهو والد الرسل ردد الله له السلام، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ هو للسوء ما لو حرك وسطه ﴿أَضَاعُوا الصَّلاةَ﴾ كالهود، وكل مدع الولد للواحد الأحد، ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ هو واد وسط سوء الدار، ﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ﴾ المراد: موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾ وموعوده هو دار المأوى والسرور الدائم أو الأعم.

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ كل كلام لا محط ولا مدار له ﴿إِلا سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ المراد: على حال الدار الأولى، أو المراد: دوام وروده.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [آية: ٦٣، ٦٥]:

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ **ولما سأل رسول الله الروح ردد الله لهما السلام ما حاصله لم أمهل وما ورد أوحى الله له.**

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ **أمور دار المعاد،** ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ **أمور الدار الأولى،** ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ **أوله عصر الكلام إلى حلول دور الأعوام، والمراد له علم المحرر كله** ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ **أحدا مسمى الله لا.**

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [آية: ٦٦ - ٧٤]:

﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ﴾ **الراد لأمر المعاد** ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ **كما ادعى محمد.**

﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ **سوى العدم، والمعاد أسهل مما لا أصل له أصلا.**

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ **المراد: كل واحد مع موسوسه مسلسلا** ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ **على أحط كردوسهم.**

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ المراد: أعصاهم أو رؤساؤهم.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾[1] حلولا وسعرا، ورواه راوٍ مكسور الصاد.

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْكُمْ﴾ أحد ﴿إِلا وَارِدُهَا﴾ وأصلها وحالها أو وارد حولها ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ﴾ ورودهم ﴿حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ وعده وعدا عدم حصوله محال، أو المراد آلى على حصوله.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ رواه راوٍ كأعلى، وراوٍ كسمى ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الإلحاد ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ على أحط كردوسهم، وهو دال على ورود أهل الإسلام إلى ما حولها لا على حلولهم وسطها.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ حال، والمراد: كلام الله المكرم ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أهل الإسلام أم أهل الإلحاد ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ ورواه راوٍ كهمام، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ملما للكلام.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمم وأهل عصور ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾ مآلا، وكل وطاء ووعاء للدار ﴿وَرِئْيًا﴾ مرأى.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [آية: ٧٥، ٧٦]:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ كطول عمره وإمهاله ﴿حَتَّى إِذَا

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً﴾ أي أحق بدخول النار يقال صلى يصلى صليا ونحو مضى الشيء يمضي مضيا إذا ذهب وهوى يهوي هويا وقال الجوهري ويقال صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار وجح لحته يصلاها فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق قلت: أصليته بالألف وصليته تصلية وقرئ ﴿وَيُصَلَّى سَعِيراً﴾ ومن خفف فهو من قولهم: صلي فلان بالنار "بالكسر" يصلى صليا أحترق قال الله تعالى ﴿هُمْ أَوْلَى بِهَا صُلِيّاً﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣٥/١١).

رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ كالإهلاك والأسر، ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ المعاد وما حوى ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ ملأ أهل الإسلام أم هم.

﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ كل عمل صالح الحمد لله، ولا إله إلا الله وسواهما ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ لأهلها وعاملها.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [آية: ٧٨ - ٨٢]:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ هو العاص ولد وائل ﴿وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا﴾.

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أعمله ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ مؤكدا على ما ادعى وأمل.

﴿كَلا سَنَكْتُبُ﴾ المراد الأمر إلى المحرر وهو الملك ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ وهو المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ لدى المعاد ﴿فَرْدًا﴾ لا مال له ولا ولد.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ مُلْحِدوا الحرم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ ما هو كود وسواع ﴿آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ لدى الله.

﴿كَلا﴾ ردع ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ الواو لكل إله ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ المراد: ردهم لها ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أعداء لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [آية: ٨٣، ٨٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا﴾ المراد: سلط الله ﴿الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ وسوسوا لهم على سلوك مسالك الهلاك ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ رائما حلول هلاكهم؛

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ مدد أعمارهم ﴿عَدًّا﴾.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو ادكر ﴿نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ كل مؤمل آلاءه وإكرامه لهم.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ عدد وارد عراهم الأوام.

﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ وهو العمل الصالح، أو لا إله إلا الله ولا حول ولا مع إكمالها.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾ [آية:٨٨، ٩٥]:

﴿وَقَالُوا﴾ الهود، ومدعو الأهل والولد للواحد الحد وسواهم ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ كالأمر، وهو ما أدى إلى الهكر ﴿تَكَادُ﴾ ورواه راوٍ على ورود أوله لما هو معد كلامًا للمرء لا لعكسه ﴿السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾، وروى راوٍ أوله على وروده لما هو معد علاما لعكس المرء مكررا طاءه، والمراد: صدعها لما أدعوه، ﴿وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ إلا وهو مملوك له.

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ حصرهم وأحاطهم علما واحدا واحدا.

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ لا مال ولا رده له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ [آية: ٩٦ - ٩٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أهل السماء، وسواهم مواد لهم.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ الهاء لكلام الله المكرم ﴿بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ عدو ألد وهم أهل المراء.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أهل عصور وأمم ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ همسا، والمراد: كما حصل الهلاك والدمار لأولئك حاصل لهؤلاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة طه

مكية، وآيها مائة وخمس وثلاثون آية

﴿طه ۝١﴾ [آية: ١]:

﴿طه﴾ **الله أعلم ما مراده.**

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾[1] [آية: ٢ - ٨]:

(١) قال الرازي: قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾ ففيه مسائل:
المسألة الأولى: قال صاحب "الكشاف": إن جعلت طه تعديداً لأسماء الحروف فهذا ابتداء كلام وإن جعلتها اسماً للسورة احتمل أن يكون قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾ خبراً عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر أوقع موقع المضمر لأنها قرآن وأن يكون جواباً لها وهي قسم. المسألة الثانية: قرىء ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾. المسألة الثالثة: ذكروا في سبب نزول الآية وجوهاً: أحدها: قال مقاتل إن أبا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي والنضر بن الحارث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: إنك لتشقى حيث تركت دين آبائك فقال عليه السلام: "بل بعثت رحمة للعالمين" قالوا: بل أنت تشقى فأنزل الله تعالى / هذه الآية رداً عليهم وتعريفاً لمحمد صلى الله عليه وسلّم بأن دين الإسلام هو السلام وهذا القرآن هو السلام إلى نيل كل فوز والسبب في إدراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها. وثانيها: أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام: "أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً" أي ما أنزلناه لتهلك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة، وروي أيضاً أنه عليه السلام: "كان إذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام" وقال بعضهم كان يقوم على رجل واحدة، وقال بعضهم كان يسهر طول الليل فأراد بقوله:
=

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى﴾ كلالاً وكدًّا مطولا ركوعك وما ورد كلام الله وأوحاه لك.

﴿إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ مواعد الله أو المراد الأولى علم الله حصول الروع لهم لا لسواهم.

﴿تَنْزِيلا﴾ مصدر معمول لعامل مطروح ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ أوردهما ما عدا سائر العالم لورودها أساسا وأصلا للعوالم كلهم، وسرد الأولى أمام السماء لصددهم إلى الحس.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو أحد سرر الملك ﴿اسْتَوَى﴾ كما علم هو، أو المراد: الملك له وسواه أولى.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ لعل المراد الهواء وما حله، ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ المراد: ما وراء الحصحص.

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ حمدًا أو دعاء ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ هو ما ورد على الأرواح وما لا مرور له على الأرواح أصلا ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا

=

﴿لِتَشْقَى﴾ ذلك، قال القاضي هذا بعيد لأنه عليه السلام إن فعل شيئاً من ذلك فلا بد وأن يكون قد فعله بأمر الله تعالى، وإذا فعله بأمره فهو من باب السعادة فلا يجوز أن يقال له: ما أمرناك بذلك. وثالثها: قال بعضهم يحتمل أن يكون المراد لا تشق على نفسك ولا تعذبها بالأسف على كفر هؤلاء فإنا إنما أنزلنا عليك القرآن لتذكر به، فمن آمن وأصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك إلا البلاغ وهو كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ (الكهف: ٦) الآية، ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ (يونس: ٦٥). ورابعها: أنك لا تلام على كفر قومك كقوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم﴾ (الغاشية: ٢٢)، ﴿حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (الأنعام: ١٠٧) أي ليس عليك كفرهم إذا بلغت ولا تؤاخذ بذنبهم. وخامسها: أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان عليه السلام مقهوراً تحت ذل أعدائه فكأنه سبحانه قال له لا تظن أنك تبقى على هذه الحالة أبداً بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فإنا ما أنزلنا عليك مثل هذا القرآن لتبقى شقياً فيما بينهم بل تصير معظماً مكرماً. انظر تفسير الرازي (١٥/٢٢).

يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا
وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ
عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا
فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ
يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا
ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ
أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي
﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا
﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾
وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي
ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ
عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن
يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ
وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ
فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا
نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ
بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ

مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾

۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ

وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا
لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا
غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ
عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ
هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ
إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا
مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ
﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ
مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن
نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟
﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي

خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [آية: ٩ - ٩٧]:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ﴾ عرسه ﴿امْكُثُوا﴾ دوموا محلكم ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ عود مسعر ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ دالا على مسالك مصر.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي﴾ رواه راوٍ مكسور الأول، وعلى سوى الكسر رواه راوٍ.

﴿أَنَا﴾ مؤكد ﴿رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المطهر ﴿طُوًى﴾ معمول كواد على مسلك وهم العامل المكرر، ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ ولا أطلع أحدا على حصولها وصدورها ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ عملا صالحًا أو طالحًا؛ ﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ المراد عما هو إسلام لورودها وحصولها ﴿مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ راد الأمر لها ﴿فَتَرْدَى﴾ الردى كصدى هو الهلاك ورداه أهلكه، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[1].

---

(١) قال الرازي: علم أن قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ لفظتان فقوله وَمَا تِلْكَ إشارة إلى العصا وقوله بِيَمِينِكَ إشارة إلى اليد وفي هذا نكت إحداها أنه سبحانه لما أشار إليهما جعل كل واحدة منهما معجزاً قاهراً وبرهاناً باهراً ونقله من حد الجمادية إلى مقام الكرامة فإذا صار الجماد بالنظر الواحد حيواناً وصار الجسم الكثيف نورانياً لطيفاً ثم إنه تعالى ينظر كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى قلب العبد فأي عجب لو انقلب قلبه من موت العصيان إلى سعادة الطاعة ونور المعرفة وثانيها أن بالنظر الواحد صار الجماد ثعباناً يبتلع سحر السحرة فأي عجب لو صار القلب بمدد النظر الإلهي بحيث يبتلع سحر النفس الأمارة بالسوء وثالثها كانت العصا في يمين موسى عليه السلام فبسبب بركة يمينه انقلبت ثعباناً وبرهاناً وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن فإذا حصلت ليمين موسى عليه السلام هذه الكرامة والبركة فأي عجب لو انقلب قلب المؤمن =

=

بسبب إصبعي الرحمن من ظلمة المعصية إلى نور العبودية ثم ههنا سؤالات الأول قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ سؤال والسؤال إنما يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى محال فما الفائدة فيه والجواب فيه فوائد إحداها أن من أراد أن يظهر من الشيء الحقير شيئاً شريفاً فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم هذا ما هو فيقولون هذا هو الشيء الفلاني ثم إنه بعد إظهار صفته الفائقة فيه يقول لهم خذا منه كذا وكذا فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة كانقلابها حية وكضربه البحر حتى انفلق وفي الحجر حتى انفجر منه الماء عرضه أولا على موسى فكأنه قال له يا موسى هل تعرف حقيقة هذا الذي بيدك وأنه خشبة لا تضر ولا تنفع ثم إنه قلبه ثعباناً عظيماً فيكون بهذا الطريق قد نبه العقول على كمال قدرته ونهاية عظمته من حيث إنه أظهر هذه الآيات العظيمة من أهون الأشياء عنده فهذا هو الفائدة من قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ وثانيها أنه سبحانه لما أطلعه على تلك الأنوار المتصاعدة من الشجرة إلى السماء وأسمعه تسبيح الملائكة ثم أسمعه كلام نفسه ثم إنه مزج اللطف بالقهر فلاطفه أولا بقوله ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ ثم قهره بإيراد التكاليف الشاقة عليه وإلزامه علم المبدأ والوسط والمعاد ثم ختم كل ذلك بالتهديد العظيم تحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ ليعرف موسى عليه السلام أن يمينه هي التي فيها العصا أو لأنه لما تكلم معه أولا بكلام الإلهية وتحير موسى من الدهشة تكلم معه بكلام البشر إزالة لتلك الدهشة والحيرة والنكتة فيه أنه لما غلبت الدهشة على موسى في الحضرة أراد رب العزة إزالتها فسأله عن العصا وهو لا يقع الغلط فيه كذلك المؤمن إذا مات ووصل إلى حضرة ذي الجلال فالدهشة تغلبه والحياء يمنعه عن الكلام فيسألونه عن الأمر الذي لم يغلط فيه في الدنيا وهو التوحيد فإذا ذكره زالت الدهشة والوحشة عنه وثالثها أنه تعالى لما عرف موسى كمال الإلهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكر بعضها فعرفه الله تعالى أن فيها منافع أعظم مما ذكر تنبيهاً على أن العقول قاصرة عن معرفة صفات النبي الحاضر فلولا التوفيق والعصمة كيف يمكنهم الوصول إلى معرفة أجل الأشياء وأعظمها ورابعها فائدة هذا السؤال أن يقرر عنده أنه خشبة حتى إذا قلبها ثعباناً لا يخافها السؤال الثاني قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ خطاب من الله تعالى مع موسى عليه السلام بلا واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فيلزم أن يكون موسى أفضل من محمد الجواب من وجهين الأول أنه تعالى كما خاطب موسى فقد خاطب محمداً عليه السلام في قوله ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (النجم ١٠) إلا أن الفرق بينهما أن الذي ذكره مع موسى عليه السلام أفشاه الله إلى الخلق والذي ذكره مع محمد (صلى الله عليه وسلم) كان سراً لم يستأهل له أحد من الخلق والثاني إن كان موسى تكلم معه وهو (تكلم) مع موسى فأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) يخاطبون الله في كل يوم مرات على ما قال (صلى الله عليه وسلم) (المصلي يناجي ربه) والرب يتكلم مع آحاد أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة بالتسليم والتكريم والتكليم في قوله ﴿سَلامٌ قَوْلا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ (يس ٥٨) السؤال الثالث ما إعراب قوله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ الجواب

=

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ أو طار كطرد الهوام، وحمل المأكل وسواه.

﴿قَالَ أَلْقِهَا﴾ اطرحها ﴿يَا مُوسَى﴾.

﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ صل مسرع حد الإسراع.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ المراد: إلى حالها ﴿الأولَى﴾ عصا.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ على حال لألاء كالموم ﴿مِنْ غَيْرِ

=

قال صاحب (الكشاف) (تلك بيمينك) كقوله ﴿وَهَاذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ (هود ٧٢) في انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن يكون تلك اسماً موصولا وصلته بِيَمِينِكَ قال الزجاج معناه وما التي بيمينك قال الفراء معناه ما هذه التي في يمينك واعلم أنه سبحانه لما سأل موسى عليه السلام عن ذلك أجاب موسى عليه السلام بأربعة أشياء ثلاثة على التفصيل وواحد على الإجمال الأول قوله ﴿هيَ عَصَايَ﴾ قرأ ابن أبي إسحق (هي عصي) ومثلها (يا بشرى) قرأ الحسن (هي عصاي) بسكون الياء والنكث ههنا ثلاثة إحداها أنه قال هيَ عَصَايَ فذكر العصا ومن كان قلبه مشغولا بالعصا ومنافعها كيف يكون مستغرقاً في بحر معرفة الحق ولكن محمداً (صلى الله عليه وسلم) عرض عليه الجنة والنار فلم يلتفت إلى شيء ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم ١٧) ولما قيل له امدحنا قال (لا أحصي ثناء عليك) ثم نسي نفسه ونسي ثناءه فقال (أنت كما أثنيت على نفسك) وثانيها لما قال عَصَايَ قال الله سبحانه وتعالى أَلْقِهَا فلما ألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ليعرف أن كل ما سوى الله فالالتفات إليه شاغل وهو كالحية المهلكة لك ولهذا قال الخليل عليه السلام ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي الحديث (يجاء يوم القيامة بصاحب المال الذي لم يؤد زكاته ويؤتي بذلك المال على صورة شجاع أقرع) الحديث بتمامه وثالثها أنه قال هي عصاي فقد تم الجواب إلا أنه عليه السلام ذكر الوجوه الأخر لأنه كان يحب المكالمة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة إلى تحصيل هذا الغرض الثاني قوله ﴿أتوكأ﴾ والإتكاء واحد كالتوقي والإتقاء معناه اعتمد عليها إذا عييت أو وقفت على رأس القطيع أو عند الطفرة فجعل موسى عليه السلام نفسه متوكئاً على العصا وقال الله تعالى لمحمد (صلى الله عليه وسلم) (اتكىء على رحمتي) بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال ٦٤) وقال ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(المائدة ٦٧) فإن قيل أليس قوله ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقتضي كون محمد يتوكأ على المؤمنين قلنا قوله ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على الكاف في قوله ﴿حَسْبَكَ اللهُ﴾ والمعنى الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين الثالث قوله ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ أي أخبط بها فأضرب أغصان الشجر ليسقط ورقها على غنمي فتأكله وقال أهل اللغة هش على غنمه يهش بضم الهاء في المستقبل وهششت الرجل أهش بفتح الهاء في المستقبل وهش الرغيف يهش بكسر الهاء قاله ثعلب. انظر تفسير الرازي (٢٢/٢٢).

سُوءٍ﴾ داء ﴿آيَةً﴾ حال ﴿أُخْرَى﴾.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ الدلائل على إرسالك أحداها ﴿الْكُبْرَى﴾.

﴿اذْهَبْ﴾ رسولا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وملأه ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ عدا الحدود.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسعه لحمل أوامرك وإرسالك.

﴿وَيَسِّرْ﴾ سهل ﴿لِي أَمْرِي﴾.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ عسر كلام حصل له حال ما سعره، وهو محمول على الكواهل ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ لدى أداء أوامرك.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ ردًا ﴿مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾.

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ﴾ كلاهما، رواهما راوٍ على الأمر الوارد مورد الدعاء، ورواهما راوٍ على ورودهما لموسى ردد الله له السلام على حد أكرم أدع لك.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالما صالح الأمور وأصلحها.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ﴾ معلل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾ إلهامًا لما روعها إهلاك عدوك كل مولود ولد ﴿مَا يُوحَى﴾ والموحى لها هو.

﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ طرحًا ﴿فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ طم مصر ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ وصار كل راء مائلا لك، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ المراد: على كلاء لك.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ ومرادها الإطلاع على أمرك ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ محدود لك للإرسال، وهو عدد موعده أعوامًا ﴿يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ دلائل وإرسال، ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ المراد: عدم ألوهما ﴿فِي ذِكْرِي﴾.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ عدا حدوده ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ وحكم لعل عائد لهما لا لله علا اسمه لعلمه عدم إسلامه لهما.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ مسرعا إلى عمل مكروه ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾.

﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ كالئًا وردًا ﴿أَسْمَعُ﴾ كلامه، ﴿وَأَرَى﴾ عمله ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ﴾ ردعه لما حملهم عسر الأمور كالعمار والهد والحمل وسواها.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ دال على أمر الإرسال، ﴿وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ سلام الملائك أو السلام مما هو ألم ومكروه.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ وسارا ووصلا إلى محله وسردا له ما أمرهما مولاهما ولما سمعه.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ دعاه وحده لوروده أصلا ولا دلاله ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ المراد: أعطى كل واحد حدا حده عما سواه ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ الكل إلى صالحهم كالمأكل والماء والموطئ.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿الأولَى﴾ كأمم هود، وصالح، ولوط، وكلهم ادَّعوا كود وسواع إلها.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عِلْمُهَا﴾ علم ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ﴾ سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلا﴾ مسالك، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرًا؛ كمل كلام موسى لعدوه وكمله الله مكلما أهل الحرم، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ كحلو وعكسه، وأسود وأحمر وعكسه.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَاتٍ لأولِي النُّهَى﴾ الأحلام.

﴿مِنْهَا﴾ الهاء عائد إلى المهاد ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ المراد: آدم، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ لدى ورود حمامكم ورمسكم وسط اللحود، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ الهاء إلى عدو موسى ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ﴾ وادعى السحر، ﴿وَأَبَى﴾ ما وحد الله.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ كهدى، ورواه راوٍ مكسور أوله، والمراد وسطا.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ أهل مصر ﴿ضُحًى﴾.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ هم أهل سحره ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ الموعد.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ لما رآهم، ومع كل واحد مسد وعصا ﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كادعاء أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ رواه راوٍ على وروده كأكرم، وراوٍ على وروده كعلم، وكلاهما مؤداهما الهلاك ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ على الله.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ الكلام ﴿قَالُوا إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها ﴿هَذَانِ﴾ ورواه عمرو على الأصل أو اسم العامل الهاء مطروحا، وما أمه أول الكلام ومحمول ﴿لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ المراد: أهل مسلكهم أو مسلكهم أو رؤساؤهم وأهل السؤدد.

﴿فَأَجْمِعُوا﴾ كأكرم، والمراد: أحكامه، ورواه راوٍ مع الوصل، والمراد: اللم ﴿كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ حال، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك أولا، ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ عصاه ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾.

﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ راعه عدم سطوع أمر الإرسال، ووروده كالسحر على مسلك واحد ﴿قُلْنَا﴾ له ﴿لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ كل ساحر ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ وطرح موسى عصاه، وحصل كما وعده مولا.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ لله لا لسواه لما رأوا أمرا سوى السحر، وعلموا إرسال موسى، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

﴿قَالَ﴾ عدو موسى ﴿آمَنْتُمْ﴾ ورواه راوٍ مطروح ما هو للسؤال ﴿لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ معلمكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي﴾ على ﴿جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ مراده هو وإله موسى، أو هو وموسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أدوم.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على إرسال موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ الاسم الموصول رده الواو على الاسم الموصول وهو ما، أو الواو واو مؤل ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ عامل أو حاكم ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ علما وعملا، ﴿وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء مؤد مؤدى الأمر وهو كلام الله ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ كوروده موارد

حمامه وهو على إلحاده وسوء عمله ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ على حال سوى الألم والكدر الدائم، ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ الهاء لصروحها ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال وعاملها مؤدى ما أومأ وهو أولئك، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ كل مطهر.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ وروى راوٍ موصول الأول ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا﴾ المراد: إدراك عدوك، ﴿وَلا تَخْشَى﴾ هلاكًا وسط الماء.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ﴾ الطم ﴿مَا﴾ أمر هائل ﴿غَشِيَهُمْ﴾ والهاء لعسكره أوله ولهم ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ وما هداهم ودلهم على مسالك العمى والهلاك لا كما ادعى.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ دعاهم لما أهلك عدوهم أو الدعاء للأولى على عهد الرسول والمراد والدوهم ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ﴾ لحصول الكلام على موسى وإعطائه الأحكام، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ طائرٍ معلوم.

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ﴾ مكسور الحاء، ورواه راوٍ على وروده كطلع ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ﴾ مكسور اللام، ورواه راوٍ كالأول ﴿عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ إلى سوء الدار والهلاك الدائم.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ وحد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ دام على ما حرر إلى ورود حمامه.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ﴾[1] ما أسرع ورودك إلى الموعد وحدك ﴿يَا مُوسَى﴾.

﴿قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ على صدد له، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿وما أعجَلَكَ عن قومك يا موسى﴾ أي: ما حملك على العَجَلَة، وأيُّ شيء أعجلك منفردًا عن قومك، وقد أمرتك باستصحابهم، ولعل في إفرادك عنهم عدم اعتناء بهم؟ فأجاب عليه السلام بقول: ﴿هُمْ أُولاءِ على أثَرِي﴾ أي: هم هؤلاء قريبًا مني، فهُم معي، وإنما سبقتهم بخطا يسيرة، ظننت أنها لا تُخلُّ بالمعية، ولا تقدح في الاستصحاب، فإن ذلك مما لا يُعتد به فيما بين الرفقة. انظر البحر المديد (٤/٤٣٤).

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ كمد أحد الكمد.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ إعطاء للأحكام ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ المراد: ما طال الأمر ولأمر الموعد ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ هو دوامهم على ما أمرهم.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ محركًا أوله على سائر الأحوال ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا﴾ ورواه راوٍ على حمل كهمل ﴿أَوْزَارًا﴾ أحمالا ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ حلى ملأ عدو موسى ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ طرحًا إلى الاصلاء ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا﴾ لحمًا ودمًا ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ صداح مسموع ﴿فَقَالُوا﴾ هم لا مساس ورهطه ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ موسى إلهه، وسار رائما له.

﴿أَفَلا يَرَوْنَ﴾ عامل كلعل، واسمها الهاء مطروحًا ﴿لا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا﴾ ولا هو راد لهم سؤالا لو سألوه، ﴿وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ المراد: درأه ﴿وَلا نَفْعًا﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ عود موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

﴿قَالَ﴾ موسى لما عاد ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾.

﴿أَلا﴾ وصل لا مؤدى له ﴿تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.

﴿قَالَ يَابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المراد: لو سار وراء موسى لسار معه الأولى ما مالوا إلى عمل لا مساس، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ ما أمرك ومرامك الحامل لك على ما حصل.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ ورواه راوٍ على وروده إلى السامع ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ الملك الروح لما سلك وسط الطم أمام عدو موسى لسلوكه وراءه، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ طرحا وسط المصور، وصار له روح، ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ طول عمرك ﴿أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾ دعاء دعاه وأورده مورد أمر حكاه وحصل كما دعا، وصار كلما مسه أحد أو مس هو أحد أحم كلاهما معا، ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لدى عودك إلى الله ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام، ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ الهاء لرماده ﴿فِي﴾ هواء ﴿الْيَمِّ﴾ الطم ﴿نَسْفًا﴾ وعمل كما وعد.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [آية: ٩٨ - ١٠٤]:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وسع علمه كل ما صح علمه لا إلهكم المُدرَى إلى الهواء.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ الكلام إلى رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ هو الكلام المكرم.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ وما أسلم له ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ حِمْلا.

﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ الهاء للحمل ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلا﴾ حملهم.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ المراد: ما وراء الأولى، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ مع سواد صورهم، والمراد: على صور أعدى عدوهم وهم الروم.

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ سرًّا وهمسًا لهول ما عراهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إلا عَشْرًا﴾.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أعدلهم أراء أو أعمالا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إلا يَوْمًا﴾ واحدا، والحكم المسطور لهول ما هم رأوه.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [آية: ١٠٥ - ١١٠]:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ مآل أمرها ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ لمآلها كالرمل السائل وإرسال الأرواح لها ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ صرداحًا.

﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ محلا أحط، ﴿وَلا أَمْتًا﴾ محلا أعلا.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ إلى الحكم العدل ﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾ معدل لكل مدعو إلى سلوكه على سوى ما دعاه، ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا﴾ همس الوطء كوطء الرواحل.

﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ أحدًا ﴿إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ السعداء، ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا﴾ هو لا إله إلا الله.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمور دار معادهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أمور لدار الأولى إلى حلول دور الدهر، ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ما وصل علمهم، ولا أحاط أمور مآلهم وحالهم، أو ما أحاط علمهم ما علمه الله على عود الهاء إلى اسم الله، وعلى الأول عائد إلى الاسم الموصول.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [آية: ١١١ - ١١٤]:

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ وهو الله، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ إلحادًا.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ كالحط على ما عمل طالحا، ﴿وَلا هَضْمًا﴾ كالحط مما عمل صالحا.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ مكررا ما أوعده كل ملحد وعاص أوامره ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ كهلاك الأمم الأول لحصول ارعواء هؤلاء.

﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[1] عما ادعاه أهل الإلحاد، ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ﴾

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ لما عرف العباد عظيم نعمه، وإنزال القرآن نزه نفسه عن الأولاد والأنداد فقال: ﴿فَتَعَالَى اللهُ﴾ أي جل الله الملك الحق؛ أي ذو الحق. انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٥٠).

كدرسك له ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ إكمال الروح أداء ما أوحاه الله، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [آية: ١١٥ - ١٢٧]:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا﴾ المراد: ردعه ﴿إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ أكله ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد المسطور ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ المراد: ما صمم على الأمر، ولو صمم لادكر العهد المحرر.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لادكر مطروحا ﴿قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى﴾.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء ممدودا ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ كلالا حاصدا ودارسا وسواه، ولمسعى آدم على حواء أورده وسرده سواها؛ ﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾.

﴿وَأَنَّكَ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿لا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ لعدم حصولك على الماء، ﴿وَلا تَضْحَى﴾.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ أوصله وسواسه ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ

﴿الْخُلْدِ﴾ الدوام لأكل حملها، وهل هو السمراء أو سواها، ﴿وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ لا هلاك له.

﴿فَأَكَلا﴾ آدم وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ صار آدم وحواء كل واحد راصا على حصحص له ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ لما أكل الحمل المحرر، ﴿فَغَوَى﴾ عما أمل ورامه، وهو الدوام وعدم الهلاك كما وعده الموسوس وهو عدوه.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ لما عاد إلى مولاه مما حصل إمهالاً عمدا كما مر مصرحا، ﴿وَهَدَى﴾ هداه وألهمه الدوام على الدعاء.

﴿قَالَ اهْبِطَا﴾ الأمر لآدم وحواء مع ما حواه كلاهما وهو أولادها أو لآدم وعدوه المطرود ﴿مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ الأولاد لأولاد ﴿عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ رسول أو كلا موحى له ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ﴾ حالا، ﴿وَلا يَشْقَى﴾ مآلا لدى المعاد.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ وهو الهدى المحرر أو كلامه المكرم ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ورواه راوٍ كسكرى، والمراد: ما موسع له، أو المراد: ألم اللحد ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ على أصله، أو المراد: العمه، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾.

﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ لما أوهمها وما سلك مسلكها كالأعمى أعماه الله، ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ وسط سوء الدار.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ﴾ هو وروده إلى المعاد أعمى أو إلى سوء الدار ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ أدوم مما مر.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ

أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آية: ١٢٨ - ١٣٥]:

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾[1] الله أو رسوله أو الهدى المار أو مدلول ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال الهاء ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ الأحلام.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ لإمهال ما هو معد لهم إلى المعاد ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك وهو مدلولكم وما معها ﴿لِزَامًا﴾ أمرًا حاصلا لهم على كل حال ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ رده الواو على اسم العامل.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ محا حكمه أمر الكر وإعمال الحسام، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صل حامدًا له على هداك ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ الأولى، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ المراد: العصر، ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ صل أول المساء وما ورآها، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المراد: ما وراءها العصر ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ صل لعلك حاصل على مأملك كلها.

﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لحصوله وسائط هلاكهم، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ الإرسال والهدى أو ما أعده لك ﴿خَيْرٌ﴾ مما والاهم، ﴿وَأَبْقَى﴾ أدوم.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يريد أهل مكة؛ أي أفلم يتبين لهم خبر من أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إذا سافروا وخرجوا في التجارة طلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية، والقرون الخالية خاويه؛ أي أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم. وقرأ ابن عباس والسلمي وغيرهما ﴿نَهْدِ لَهُمْ﴾ بالنون وهي أبين. و﴿يَهْدِ﴾ بالياء مشكل لأجل الفاعل؛ فقال الكوفيون ﴿كَمْ﴾ الفاعل؛ النحاس: وهذا خطأ لأن "كم" استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها. وقال الزجاج المعنى أو لم يهد لهم الأم بإهلاكنا من أهلكنا. وحقيقة "يهد" على الهدى؛ فالفاعل هو الهدى تقديره أفلم يهد الهدى لهم. قال الزجاج: "كم" في موضع نصب ﴿أَهْلَكْنَا﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٦٠).

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ داوم ﴿عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ لك ولا لأهلك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمود أمرها ﴿لِلتَّقْوَى﴾ لأهلها.

﴿وَقَالُوا﴾ أهل الإلحاد ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ردد الله له السلام ﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ مما سألوه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأولَى﴾ الكلام الموحى إلى موسى وسواه كهلاك الأمم والأحكام، والحكم كلها حكاه الكلام المكرم.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ إرسال محمد رسوله صلى الله على روحه وسلم أو كلامه المكرم ﴿لَقَالُوا﴾ لدى المعاد ﴿رَبَّنَا لَوْلا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ أسرًا ﴿وَنَخْزَى﴾ حلولا وسط سوء الدار.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ﴾ مآل أمره ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ﴾ المسلك ﴿السَّوِيِّ﴾ العدل، ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ مما هو أسوء المسالك.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنبياء

مكية، وآيها مائة واثنتا عشرة آية

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ١ - ١٠]:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ كل ملحد ﴿حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عما أعد لهم ﴿مُعْرِضُونَ﴾[١].

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ قال عبد الله بن مسعود: الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول، وهن تلادي يريد من قديم ما كسب وحفظ من القرآن كالمال التلاد. وروي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فمر به آخر في يوم نزول هذه السورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ماذا نزل اليوم من القرآن؟ فقال الآخر: نزل ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ فنفض يده من البنيان، وقال: والله لا بنيت أبدا وقد اقترب الحساب. "اقترب" أي قرب الوقت للذي يحاسبون فيه على أعمالهم. ﴿لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: المراد بالناس هنا المشركون بدليل قوله تعالى: ﴿إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ =

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ إلمامه ووروده على أسماعهم ﴿إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ الكلام ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الاسم الموصول معمول على مسلك وهم العامل المكرر لواو (أسروا) ﴿هَلْ هَذَا﴾ محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ وما أورده سحر ولا أمر سواه ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ مع علمكم سحره.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ حاصلا ﴿فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما أسروه، ﴿الْعَلِيمُ﴾.

﴿بَلْ﴾ لهدر حكم السحر وسرد حكم سواه أولا كمال كلام وسرد كلام سواه ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ كعصا موسى، والدال على إرسال صالح ردد الله لهما السلام.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ لا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلا رِجَالا نُوحِي﴾ ورواه راوٍ مكسور الحاء أوله دالا على الله وكمال علاه ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لإملائك ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ علماء الكلام الموحى إلى موسى والروح ردد الله لهما السلام ﴿إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ الهاء للرسل كلهم ﴿جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾.

=

يَلْعَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾. وقيل: الناس عموم وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش؛ يدل على ذلك ما بعد من الآيات؛ ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله، وطابت نفسه بالتوبة، ولم يركن إلى الدنيا، فكأن ما كان لم يكن إذا ذهب، وكل آت قريب، والموت لا محالة آت؛ وموت كل إنسان قيام ساعته؛ والقيامة أيضا قريبة بالإضافة إلى ما مضى من الزمان، فما بقي من الدنيا أقل مما مضى. وقال الضحاك: معنى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ أي عذابهم يعني أهل مكة؛ من لأنهم استبطؤوا ما وعدوا به من العذاب تكذيبا، وكان قتلهم يوم بدر. النحاس ولا يجوز في الكلام اقترب حسابهم للناس؛ لئلا يتقدم مضمر على مظهر لا يجوز أن ينوي به التأخير. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ ابتداء وخبر. ويجوز النصب في غير القرآن على الحال. وفيه وجهان: أحدهما: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ يعني بالدنيا عن الآخرة. الثاني: عن التأهب للحساب وعما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الواو عند سيبويه بمعنى "إذ" وهي التي يسميها النحويون واو الحال؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٦٧).

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ هم كل مسلم لهم سالك على مسالكهم وأوامرهم، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ أهل الرد لدعواهم.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ هو الكلام المكرم ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [آية: ١١ - ١٥]:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ هو الكسر، والمراد: الإهلاك ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ إلحادًا، ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ محلهم.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ أدركوا الإهلاك إدراك المحسوس ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ إسراعًا وكلام الملائك لهم ﴿لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكًا لهم ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لما رأوا حلول الهلاك سدموا على عملوا سدما مردودا.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ محصود الصوارم ﴿خَامِدِينَ﴾ هلكى.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آية: ١٦ - ٢٤]:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ولدًا أو عرسا أو ما هو أعم ﴿لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ مما هو كالحور والملك ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ومكمل عمل العامل داله ما كمل لو أو هو حال محل ما.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الإلحاد ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أصله كسر الرأس المهلك، والمراد مطوره ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك، ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ الهلاك ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله مما لا أصل له كالولد والعرس.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكا ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ الملائك، وهو أول كلام محموله ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ المراد: عدم طرو الكلل على الملك.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ حال الواو.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ﴾ كالمرمر والرصاص وسواهما ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ الهلكى الأولى حلوا اللحود لا.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ﴾ لمراد سواؤه لا عدد معهم الله ﴿لَفَسَدَتَا﴾ إما لاطراد مرد أوامرها على محل واحد حال وأمها وهو محال أو لألوها كلها وهو محال ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ كادعائهم أحدا معه، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ دالا مصححا مدعاكم ﴿هَذَا﴾ أومأ إلى كلام الله المكرم ﴿ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ أهل الإسلام ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ كالموحى إلى موسى وسواه، والكل هدروا حكم أحد مع الواحد الأحد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ هو لا إله إلا الله ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عما هو موصل إلى الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [آية: ٢٥ - ٢٨]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي﴾ ورواه راوٍ مكسور الحاء على وروده لله مع علو كماله ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ملكا ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ﴾ الملائك ﴿عِبَادٌ﴾ له ﴿مُكْرَمُونَ﴾ لا أولاد كما ادعوا، ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما عملوه وما هم عاملوه، ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ حصولها له، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ كلهم رائع.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٢٩ - ٣٢]:

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الهاء للملائك أو ولد آدم وسواهم ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ سواء الله ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿أَوَلَمْ﴾ وراوٍ طرح الواو ﴿يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أما علموا ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ سدًّا لا مطر ولا كلأ لهما ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ مطرًا وكلأ وكل محصود، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾ له روح ﴿حَيٍّ﴾ والمراد: ماء المطر وسواه ﴿أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أطوادًا ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ الهاء للأطواد ﴿فِجَاجًا﴾ مسالك ﴿سُبُلا﴾ واسعا ممرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مهامهم ومصالحهم.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ إلى الحد المعلوم ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ الهاء للسماء، والمراد أحوالها الدوال على كمال علم سامكها ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [آية:٣٣]:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ كل واحد مما حرر ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ سراعا على سطحه كالعائم على سطح الماء.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٣٤، ٣٥]:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ الدوام ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ لا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ﴾ العُسْرى ﴿وَالْخَيْرِ﴾ السرّاء ﴿فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وكل وارد موارد عمله.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٣٦، ٣٧]:

﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾(1) واصما لها ومورد اعوارها، ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ لهم ﴿هُمْ﴾ مؤكد ﴿كَافِرُونَ﴾ ولما سألوا الرسول صلى الله على روحه وسلم حلول الهلاك أوحى الله له:

﴿خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾ وعود الهلاك حالا ومآلا لدى المعاد وأراهم صوارم أهل الإسلام وما حصل لهم ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ هو واصل لكم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية:٣٨، ٤١]:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد المعاد ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

---

(١) وقوله - تعالى - : ﴿أهذا الذي بَعَثَ الله رَسُولاً﴾ مقول لقول محذوف وعائد الموصول محذوف - أيضا - . أي: كلما وقعت أبصار أعدائك عليك - أيها الرسول الكريم - سخروا منك، واستنكروا نبوتك، وقالوا على سبيل الاستبعاد والتهكم: أهذا هو الإنسان الذي بعثه الله - تعالى - ليكون رسولا إلينا. وقولهم هذا الذي حكاه القرآن عنهم، يدل على أنهم بلغوا أقصى درجات الجهالة وسوء الأدب. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٦١/٦).

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ مكمل لو مطروح وهو لما سألوا الإسراع.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ سدرا لهولها ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا أمهال لهم.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾ ألم ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو الهلاك، وحكم هؤلاء كحكم أولئك.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٤٢، ٤٤]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾ حارسكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ لو أراد إهلاككم لا أحد ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ كلامه المكرم ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أمر للهدر، والمراد ألهم عاصم سوى المولى الواحد لا ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الواو لكل إله ادعوه ﴿نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ﴾ أهل الادعاء ﴿مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ آلاء ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ المراد: كل محل سلط الله رسوله وأهل الإسلام على أهله وولاهم أمره، ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لا.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [آية: ٤٥ - ٤٧]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ﴾ ورواه راوٍ كأكرم على وروده

للسامع، وهو الرسول ردد الله له السلام ومعموله الأول ﴿الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ مكمل لا سمع ﴿إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾.

﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أصلها إحدى الروائح ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكا لهم ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ العدل ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ وكسا لصالح عمل ما ولا حطا على طالح عمل ما ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ العمل أو العول ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ علمًا وعدلا وإحصاءً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [آية: ٤٨ - ٥٠]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ ما أحاط الهدى والحلال عما سواهما، ﴿وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾ ارعواء ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ المراد: أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾.

﴿وَهَذَا﴾ أومأ إلى الكلام المكرم ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [آية: ٥١ - ٧٣]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ **هُدَاهُ** ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ **موسى أو إدراكه الحلم** ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ **أحوالا وأطوارًا، وهل هو أهل أو لا.**

﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ **الصور، وهو ما كود وسواع** ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ قَالَ﴾ **لهم** ﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ﴾ **مالك** ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ﴾ **المسرود كله** ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ **كسرًا لها** ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ **حكاه سرا ولما ولوا عمد للصور كلها** ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ **كحطام، ورواه راوٍ مكسور الأول، والمراد كسرا كسرا** ﴿إِلا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ **حط المعول على كرده** ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ **لما عادوا، ورأوا الصور كلها كسرا كسرا** ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ **لا كلهم** ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ **واصما وملوما لهم** ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ **على ملأهم** ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ **على سكوعه، ولما وصل** ﴿قَالُوا أَأَنْتَ﴾ **ورواه راوٍ سهلا ما وراء الأولى مع المد وعدمه** ﴿فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ﴾ أوهمهم وأراد هو ﴿كَبِيرُهُمْ﴾ أول كلام ﴿هَذَا﴾ محموله ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ ردوا إلى عماهم وسوء مسلكهم وعادوا إلى المراء معه ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾ مرادهم لم أمرهم اسألوهم مع عدم ردهم سؤال السائل ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ﴾.

﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ عدم إدراكها وصلاحها لركوعكم لها.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ وسعروها ورموه وسطها ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ مكرا ومكروها ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ لما حصحص سلوكهم على مسلك العمى وسلوكه على الهدى وما وصلوا إلى ما أرادوه، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ على مسؤوله أو هو ولد الولد، ﴿وَكُلاً﴾ هو وولداه ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ رسلا أو كلا سلكوا على الصلاح والهدى.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ وحول راوٍ ما وراء الأولى إلى مولود كسرها ﴿يَهْدُونَ﴾ الأمم ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى الهدى، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ كل موحد لله.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [آية: ٧٤، ٧٥]:

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ ما عم الإرسال، أو حكما محركا، ﴿وَعِلْمًا﴾ علم الرسل، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ المراد: أهلها الأعمال ﴿الْخَبَائِثَ﴾ اللواط ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر ساءه عكس سره ﴿فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ

فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1][آية: ٧٦ - ٧٧]:

﴿وَنُوحًا﴾ معمول مطروح كأورد ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا الله وسأله هلاك ملأه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ لوط وعمه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ هو إهلاك الماء العالم وما سلم إلا هو والأولى معه.

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدوال على إرساله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن

---

(١) قوله تعالى ﴿إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ﴾ ففيه مسألتان: المسألة الأولى لا شبهة في أن المراد من هذا النداء دعاؤه على قومه بالعذاب ويؤكده حكاية الله تعالى عنه ذلك تارة على الإجمال وهو قوله ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ (القمر ١٠) وتارة على التفصيل وهو قوله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الارْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ (نوح ٢٦) ويدل عليه أيضاً أن الله تعالى أجابه بقوله ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهذا الجواب يدل على أن الإنجاء المذكور فيه كان هو المطلوب في السؤال فدل هذا على أن نداءه ودعاءه كان بأن ينجيه مما يلحقه من جهتهم من ضروب الأذى بالتكذيب والرد عليه وبأن ينصره عليهم وأن يهلكهم فلذلك قال بعده ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِئَايَاتِنَا﴾ المسألة الثانية أجمع المحققون على أن ذلك النداء كان بأمر الله تعالى لأنه لو لم يكن بأمره لم يؤمن أن يكون الصلاح أن لايجاب إليه فيصير ذلك سبباً لنقصان حال الأنبياء ولأن الإقدام على أمثال هذه المطالب لو لم يكن بالأمر لكان ذلك مبالغة في الإضرار وقال آخرون إنه عليه السلام لم يكن مأذوناً له في ذلك وقال أبو أمامة لم يتحسر أحد من خلق الله تعالى كحسرة آدم ونوح فحسرة آدم على قبول وسوسة إبليس وحسرة نوح على دعائه على قومه فأوحى الله تعالى إليه أن لا تتحسر فإن دعوتك وافقت قدري

أما قوله تعالى ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ فالمراد بالأهل ههنا أهل دينه وفي تفسير الكرب وجوه أحدها أنه العذاب النازل بالكفار وهو الغرق وهو قول أكثر المفسرين وثانيها أنه تكذيب قومه إياه. انظر تفسير الرازي (١٦٧/٢٢).

يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [آية: ٧٨ - ٨٢]:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ معمول لمطروح كأورد ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ كرم أو محصود سواه ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ سومًا للكرم أو المحصود المار، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ لحكم داود وولده، وأهل الدعوى، وحكم داود إعطاء السوائم لأهل الكرم وحكم ولده إعطاء الكرم إلى أهل السوائم وإعطاؤها إلى أهل الكرم ودرها وأولادها لهم إلى عود الكرم إلى حالها الأولى ولدى عودها رد الكرم إلى أهله والسوائم إلى أهلها.

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ وعاد داود إلى حكمه، ﴿وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا﴾ ما عم الإرسال ﴿وَعِلْمًا﴾ علم الأحكام.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ الله معه ﴿وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ الهاء لداود ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ هو عمل الدروع ﴿لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ لدى الكر ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ المراد: أهل الحرم الحرام ﴿شَاكِرُونَ﴾ الله على آلائه.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ ما أراد الإسراع وأمرها له ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ومما علمه إعطاء الآلاء لأهلها، وهو ولد داود ردد الله لهما السلام.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ كل طم لوصولهم إلى الدرر وسواها، وإعطائها له، ﴿وَيَعْمَلُونَ﴾ له ﴿عَمَلا دُونَ ذَلِكَ﴾ كعمار الكور وسواها، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ لعدم هدم ما عمروه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آية: ٨٣ - ٨٦]:

﴿وَأَيُّوبَ﴾ معمول لأورد مطروحا ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ﴿رَبَّهُ﴾ لما عدم ماله كله وهدم داره على أولاده وهلكوا ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ إما ولد له عددهم وعدد كعددهم أورد الله أرواحهم وولد له على عددهم ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ما أمرهم وعما ردعهم.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ سلك الرسل أو ما هو أعم ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لها وأهلها.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [آية: ٨٧، ٨٨]:

﴿وَذَا النُّونِ﴾ السمك السارط له ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ لملأه لما سئم لسكوعهم ومطر مع عدم ورود أمر الله له ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ المراد: حدس عدم صدور أمر الله على حصول مكروه له لمطوره ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ سواد المساء الدامس، وسواد الطم، وسواد وسط السمك ﴿أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ للمطور مع عدم الأمر.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ والكدر الحاصل له، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [آية: ٨٩، ٩٠]:

﴿وَزَكَرِيَّا﴾ معمول لمطروح كأورد ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ﴿رَبَّهُ﴾ ودعاؤه هو ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ المراد: واحدا لا ولد له، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاء، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ ولدا، ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ إصلاحا ﴿إِنَّهُمْ﴾ الهاه للمسرود أسماؤهم ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ وأملا لحصول المراحم ﴿وَرَهَبًا﴾ روع الحرد، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً

لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آية: ٩١]:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا﴾ المراد: الملك الروح ﴿فِيهَا﴾ الهاء لدرعها كما مرَّ ﴿مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ولد آدم والملك وسواهما وأمرا دالا على كمال المصور ولدا لا والد له.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [آية: ٩٢ - ١٠٠]:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[1] حال، والمراد: سالك الرسل كلهم لا إله إلا الله،

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ لما ذكر الأنبياء قال: هؤلاء كلهم مجتمعون على التوحيد؛ فالأمة هنا بمعنى الدين الذي هو الإسلام؛ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما. فأما المشركون فقد خالفوا الكل. ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ أي إلهكم وحدي. ﴿فاعبدونِي﴾ أي أفردوني بالعبادة. وقرأ عيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ورواها حسين عن أبي عمرو. الباقون ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بالنصب على القطع بمجيء النكرة بعد تمام الكلام؛ قال الفراء. الزجاج: انتصب ﴿أُمَّةً﴾ على الحال؛ أي في حال اجتماعها على الحق؛ أي هذه أمتكم ما دامت أمة واحدة واجتمعتم على التوحيد فإذا تفرقتم وخالفتم فليس من خالف الحق من جملة أهل الدين الحق؛ وهو كما تقول: فلان صديقي عفيفا أي ما دام عفيفا فإذا خالف العفة لم يكن صديقي. وأما الرفع فيجوز أن يكون على البدل من ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ أو على إضمار مبتدأ؛ أي إن هذه أمتكم، هذه أمة واحدة. أو يكون خبرا بعد خبر. ولو نصبت ﴿أمتكم﴾ على البدل من ﴿هذه﴾ لجاز ويكون "أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ" خبر "إن". انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٣٩).

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ الأولى ما سلكوا على مسالك الرسل والهدى ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ ووارِدو موارد أعمالهم.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ﴾ لمسعاه ﴿كَاتِبُونَ﴾ المراد: أمره ملك العمل وحارسه.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أراد: أهلها ﴿أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ إلى المراد ولا أصل، أو إلى الدار الأولى ولا وصل لا مؤدى له.

﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ﴾ ورواه راوٍ مكررًا ما أمام الحاء كسدد ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ المراد: سدهما، ﴿وَهُمْ﴾ أهل السد أو الأمم كلهم ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ محل عال ﴿يَنْسِلُونَ﴾ إسراعا.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ المعاد ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وكلامهم لما رأوا هول المعاد هو ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكًا لهم ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أومأ إلى المعاد ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لعدم الإسلام إلى الرسل.

﴿إِنَّكُمْ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (ما) لكل ما هو كود، وسواع، ولكل داع لهم إلى الركوع لسوى الله، كالمطرود عدو آدم وإردائه ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ المراد: الحلول وسطها.

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ﴾ الصور كود وسواع ﴿آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ﴾ الإله والمالوه ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ كالصعداء ﴿وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ﴾ أمرًا سارًا أو الأعم، ولما ادعى أهل الإلحاد ما حاصله الروح الرسول مألوه لملأ والملك مألوه لملأ، وهم واردو سوء الدار أوحى الله ردا لكلامهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا

فَعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آية: ١٠١ - ١٠٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ كالروح والملائك ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ هو أمر المطور إلى سوء الدار والهلاك السرمد، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ سرورا، وكلاهم لهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ الطومار أو الملك محرر الأعمال أو اسم محرر لرسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿لِلْكُتُبِ﴾ ورواه راوٍ على العدد ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ أصله العدم ﴿نُعِيدُهُ وَعْدًا﴾ مصدر معمول لمطروح، ومؤكد لحاصل الكلام المار ﴿عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأمر المحرر.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ ما أوحاه الله إلى داود ردد الله له السلام، أو هو كل كلام موحى إلى الرسل ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ اللوح ﴿أَنَّ الأَرْضَ﴾ دار السرور الدائم ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ كل صالح.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ الكلام المكرم ﴿لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ الأولى هممهم السلوك على أوامر مولاهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آية: ١٠٧ - ١١٢]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ كلهم، والكلام إلى الرسول الأكرم واحد سلك الرسل ردد الله له ولهم أكمل السلام ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لما هو موحى، والسؤال وارد مورد الأمر، والمراد: أسلموا.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما هو موحى ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾ إعلام المعارك ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ ورود الهلاك أو المعاد.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ مكرا لأهل الإسلام، وهو معاملكم على مكركم وسركم.

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ الهاء للإعلام المار ﴿فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ حلول أعماركم.

﴿قَالَ﴾ ورواه راوٍ كسأل ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ العدل هو هلاكهم وحصل المسؤول ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ مما لا أصل له كادعائكم ساحر وسواه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج

مكية إلا آيتين: وَمِنَ النَّاسِ [آية: ٣]

وآيها ثمان وسبعون آية

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾(١) [آية: ١، ٢]:

---

(١) قال القرطبي: الزلزلة شدة الحركة، ومنه قوله - تعالى - : ﴿... وَزُلْزِلُواْ حتى يَقُولَ الرسول والذين آمَنُواْ مَعَهُ متى نَصْرُ الله..﴾ وأصل الكلمة من زل فلان عن الموضع، أي: زال عنه وتحرك، وزلزل الله قدمه، أي: حركها وهذه اللفظة تستعمل في تهويل الشيء". وقال الآلوسي: "والزلزلة: التحريك الشديد، والإزعاج العنيف، بطريق التكرير، بحيث يزيل الأشياء من مقارها، ويخرجها من مراكزها. وإضافتها إلى الساعة، من إضافة المصدر إلى فاعله، لكن على سبيل المجاز في النسبة كما في قوله - تعالى - : ﴿بَلْ مَكْرُ الليل والنهار﴾ لأن المحرك حقيقة هو الله - تعالى - ، والمفعول الأرض أو الناس، أو من إضافته إلى المفعول، لكن على إجرائه مجرى المفعول به اتساعاً كما في قوله: "يا سارق الليلة أهل الدار..". والمعنى: يأيها الناس اتقوا ربكم اتقاء تاماً، بأن تصونوا أنفسكم عن كل ما لا يرضيه، وبأن تسارعوا إلى فعل ما يحبه، لأن ما يحدث في هذا الكون عند قيام الساعة، شيء عظيم، ترتجف لهوله القلوب، وتخشع له النفوس. وقال - سبحانه - : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ الساعة شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ بصيغة الإجمال والإبهام لهذا الشيء العظيم، لزيادة التهويل والتخويف. ثم فصل - سبحانه - هذا الشيء العظيم تفصيلا يزيد في وجل القلوب فقال: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ..﴾. والضمير في " ترونها"، يعود إلى الزلزلة لأنها هي المتحدث عنها والظرف " يوم " منصوب بالفعل تذهل، والرؤية بصرية لأنهم يرون ذلك بأعينهم. والذهول: الذهاب عن الأمر والانشغال عنه مع دهشة وحيرة وخوف، أي: أن هذه الزلزلة من مظاهر شدتها ورهبتها، أنكم ترون الأم بسببها تنسى وتترك وليدها الذي ألقمته ثديها. وكأنها لا تراه ولا تحس به من شدة الفزع. قال صاحب الكشاف: "فإن قلت: لم =

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ عام ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ واسلكوا كما أمركم ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ هائل، والعامل المؤكد مع معموله كالمعلل للأمر المار.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ المراد: أمهها له لهول ما هو حاصل، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ لروعها، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ روعًا ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ سكرًا ومداما ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ هالهم حلوله وكوّر أحلامهم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [آية: ٣، ٤]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ كدعوى الولد له وسواها ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ مراء ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ مارد أو عارٍ عما هو صلاح.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ على المارد ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ﴾ سلوكا مسالك وسواسه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ حاملا له على ما هو مؤد ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ سوء الدار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [آية: ٥]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ المراد: أصلكم ووالدكم، وهو آدم ﴿ثُمَّ﴾ صور أولاده ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ الماء المحدود إلى الرحم ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم كالطحال، ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ لحم ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ

=

قيل ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ دون مرضع؟ قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع: التي من شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه، وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ عن إرضاعها: أو عن الذي أرضعته وهو الطفل. انظر التفسير الميسر (٩٥/٦).

مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو مدد الحمل ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ الكمال إدراكا وأحلام، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ وما وصل إلى كمال أحواله، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ هرمًا وسوء إدراك ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ عائدا إلى حاله الأولى، ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾ لا كلأ لها كالرماد ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝﴾ [٦، ٧]:

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى الأطوار والأحوال المار سردها ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الدائم، والمراد كله دال على دوامه، ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آية: ٨ - ١٠]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى﴾ دال معه، ﴿وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ لوى كرده عما هو هدى مراء ﴿لِيُضِلَّ﴾ ورواه راوٍ كعدل ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هلاك وحصل له، ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝ ﴾ [آية: ١١ - ١٣]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ حاصل المراد لا على دوام؛ ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ صلاح حال كمال وولد ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ علل ولأواء ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ عاد إلى سوء مسلكه الأول، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ لطمور ما أمله ﴿وَالآخِرَةَ﴾ لعوده

إلى عماه ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ﴾ كود وسواع ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء المحرر ﴿هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ عما هو هدى.

﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ لو سلم حصوله له ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾ ما دعاه، ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ له هو.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [آية: ١٤ - ١٦]:

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ كإكرام كل طائع وإهلاك كل عاص.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ﴾ الهاء لمحمد رسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ مسد ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ داره على حد كل ما علاك سماء ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ عما هو موطئ له ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ عمله المسطور ﴿مَا يَغِيظُ﴾ ه.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الكلام المكرم ﴿آيَاتٍ﴾ دلائل ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ سواطع، ﴿وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ هداه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [آية: ١٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم الهود، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ رهط للهود، ﴿وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هو إحلال أهل الهدى دار السرور الدائم، وأهل العمى دار السوأى والهلاك السرمد، ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ عملوه ﴿شَهِيدٌ﴾ مطلع وعالم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [آية: ١٨]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ كلها ركوع لأمره وما أراد، ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ وهم أهل الإسلام، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ هم الأولى حادوا عما أمرهم وهو الإسلام، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللهُ﴾ ما أسعده ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ مسعد؛ ﴿إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ إكراما وسواه.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[1] [آية: ١٩ - ٢٢]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ خرج مسلم عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسما إن ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ إنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة. وبهذا الحديث ختم مسلم رحمه الله كتابه. وقال ابن عباس: "نزلت هذه الآيات الثلاث على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة في ثلاثة نفر من المؤمنين وثلاثة نفر كافرين"، وسماهم، كما ذكر أبو ذر. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إني لأول من يجثو للخصومة بين يدي الله يوم القيامة؛ يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه"؛ ذكره البخاري. وإلى هذا القول ذهب هلال بن يساف وعطاء بن يسار وغيرهما. وقال عكرمة: المراد بالخصمين الجنة والنار؛ اختصمتا فقالت النار: خلقني لعقوبته. وقالت الجنة خلقني لرحمته. قلت: وقد ورد بتخاصم الجنة والنار حديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احتجت الجنة والنار فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله تعالى لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها". خرجه البخاري ومسلم والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقال ابن عباس أيضا: "هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله منكم، وأقدم منكم كتابا، ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحق بالله منكم، آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل إليه من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا وتركتموه وكفرتم به حسدا؛ فكانت هذه خصومتهم"، وأنزلت فيهم =

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ أهل الإسلام والأولى، مرّ سردهم ﴿اخْتَصَمُوا﴾ أورد الواو حملا على المؤدى ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ مسلكه الموصل أهل الإسلام ادعوا مسلكهم هو المسلم وسواهم ادعى مسلكه هو المسلم، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الماء الحار.

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ دسم وسواه، ﴿وَالْجُلُودُ﴾ أدمهم.

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ﴾ واحدها السوط ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ لصك رؤوسهم.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ مدركهم ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ ردوا إلى محلهم صكا ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ كلام الملائك لهم لدى إصدارهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [آية: ٢٣، ٢٤]:

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ حول السرد الأول، وأورد العامل المؤكد أحماد الحال أهل الإسلام ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

=

هذه الآية. وهذا قول قتادة، والقول الأول أصح رواه البخاري عن حجاج بن منهال عن هشيم عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر، ومسلم عن عمرو بن زرارة عن هشيم، ورواه سليمان التيمي عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا يوم بدر ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ - إلى قوله - عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. وقرأ ابن كثير ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ بتشديد النون من ﴿هَذَانِ﴾. وتأول الفراء الخصمين على أنهما فريقان أهل دينين، وزعم أن الخصم الواحد المسلمون والآخر اليهود والنصارى، اختصموا في دين ربهم؛ قال: فقال: ﴿اخْتَصَمُوا﴾ لأنهم جمع، قال: ولو قال "اختصما" لجاز. قال النحاس: وهذا تأويل من لا دراية له بالحديث ولا بكتب أهل التفسير؛ لأن الحديث في هذه الآية مشهور، رواه سفيان الثوري وغيره عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسما إن هذه الآية نزلت في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. وهكذا روى أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس. وفيه قول رابع "أنهم المؤمنون كلهم والكافرون كلهم من أي ملة كانوا"؛ قاله مجاهد والحسن وعطاء بن أبي رباح وعاصم بن أبي النجود والكلبي. وهذا القول بالعموم يجمع المنزل فيهم وغيرهم. وقيل: نزلت في الخصومة في البعث والجزاء؛ إذ قال به قوم وأنكره قوم. انظر الجمع لأحكام القرآن (١٢/٢٦).

أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ المراد: كل سوار مرصع، ورواه راوٍ مردود على محل أساور وعامله، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هو لا إله إلا الله أو الحمد لله، ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ المحمود هو أو المحمود مآله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المراد: دوام الصد ما داموا لا حال ولا سواه، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المراد: الحرم الحرام ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ أهله، ﴿وَالْبَادِ﴾ كل طار، ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ إلحادا، وهو العدول عما هو مسلك العدل ﴿بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ

فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٢٦ - ٣٧]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح كأورد ﴿بَوَّأْنَا لإبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ محله لعماره لما درس وأرسل الله الأرواح حسرا على أصل أسه وأمره ﴿أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ مما هو كود وسواع ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المراد: كل مصل.

﴿وَأَذِّنْ﴾ ادع وأَعْلِم ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ وصعد علما وصاح كما أمر، ولما دعاهم أسمع الله الأول وسط الأرحام ﴿يَأْتُوكَ رِجَالا﴾ على سوى الرواحل، وكل حامل، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ﴾ مسلك ﴿عَمِيقٍ﴾ مطرح المراحل.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ حالا أو مآلا، ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ﴾ كالإهلال على الدماء ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ اللّاء أسالوا دماءها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ المراد: لحومها ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ هم أولو اللأواء.

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أعمال إحلال الإحرام كلها ﴿وَلْيُوفُوا﴾ رواه راوٍ كأوحى، وراوٍ كسمى ﴿نُذُورَهُمْ﴾ الدماء، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ مكمل الإحلال أو الوداع ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هو أول دار أسس.

﴿ذَلِكَ﴾ محمول على مطروح وهو الأمر ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ﴾ أحكامه، وسائر ما حرمه أو الحرم أو المصلى الحرام والمحل الحرام والعصر الحرام والمرء المحرم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ﴾ أكلا ﴿إلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ كما مر حكمه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾ ما هو ﴿مِنَ الأَوْثَانِ﴾ الصور كود وسواع، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ كله.

﴿حُنَفَاءَ﴾ كل مائل إلى المسلك الموصل ﴿لِلهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ كلاهما حال الواو ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ حدورا وامعاطا ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ سراعا ﴿أَوْ

تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ إطراحا لا سلام معه.

﴿ذَلِكَ﴾ محمول على مطروح وهو الأمر، ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ﴾ ما أهداه للحرم كإهدائه الكرائم ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾(١) كما لحمل سوى ما آلمها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو الإهلال على دمها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ محل حل دمها ومساله ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الحرم الحرام كله.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ محل إهلال على الدماء لله ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ حال مسال دمها، والمراد: سرد اسم الله علا اسمه وسما حمده، ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ كل طائع.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ روعًا ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ كدوائر الدهر، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾ على أكمل أحوالها وأداء، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿وَالْبُدْنَ﴾ الرواحل ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ إعلام المسلك الموصل له ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ كما مر حالا ومآلا ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا﴾ لدى مسال دمائها ﴿صَوَافَّ﴾ على عواملها كلها أو إلا أحداها، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ إلى مطرحها لورود حمامها حال الأكل ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ الأمر دال على الحال، ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ المعدم مع عدم السؤال ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ السائل، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على آلائه.

﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا﴾ كلاهما ما هو مطموح له ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ المطموح له هو عملكم الصالح ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قوله تعالى: ﴿لكم فيها منافع﴾ أي: لكم في هذه التجليات، إن عظمتموها وعرفتم الله فيها، منافع، ترعَوْن من أنوارها وتشربون من خمرة أسرارها، فتزدادوا معرفة وتكميلا، إلى أجل مسمى، وهو مقام التمكين، فحينئذ تواجهه أنوار المواجهة، فتكون الأنوار له، لا هو للأنوار، لأنه لله لا لشئ دونه، ﴿قُلِ الله ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. ثم محل هذه الأنوار إلى بيت الحضرة، فحينئذ يستغني بالله عن كل ما سواه. وقوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكًا﴾ أي: لكل عصر جعلنا تربية مخصوصة، والوصول واحد؛ ولذلك قال: ﴿فإلهكم إله واحد﴾. وقال القشيري: الشرائعُ مختلفةٌ فيما كان من المعاملات، متفقة فيما كان من جملة المعارف. ثم قال: ذكّرهم الله بأنه هو الذي أمرهم ويُثيبهم، ﴿فله أسلموا﴾: استَسلموا لحكمِه، من غير استكراهٍ من داخل القلب ولا من اللفظ. هـ. انظر البحر المديد (٤/٦٢١).

هَدَاكُمْ﴾ إلى معالم المسلك الموصل له (وما) للمصدر أو اسم موصول ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ أهل لا إله إلا الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [آية:٣٨، ٤١]:

﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صوائل الإلحاد وأهله ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ المراد: معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ أعداء الله ورسوله، والمراد لأهل الإسلام، وهو أول حكم ورد لأعمال الصوارم والمطور إلى المعارك، ﴿وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الحرم الحرام ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ مؤد إلى طردهم وإطراحهم ﴿إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ مسلطا رسوله، وأهل الإسلام على أعدائه ﴿لَهُدِّمَتْ﴾ ورأوا ما كرر داله ﴿صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾ للهود ﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ مصمما على إعلاء أوامره وصرد أحكامه ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ﴾ على إعلائهم ﴿عَزِيزٌ﴾ لا راد لمراده.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ إعلاء على عدوهم ﴿أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ مآلها إلى حكمه لدى المعاد.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [آية: ٤٣ - ٤٦]:

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ﴾ ملأ هود، ﴿وَثَمُودُ﴾ ملأ صالح، ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ المراد: إمهاله لهم إلى حلول أعمارهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ لأولئك هل ورد محله أم لا، وحكم هؤلاء كحكمهم.

﴿فَكَأَيِّنْ﴾ كم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ لهلاك أهلها، ورواه راوٍ للواحد ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ المراد: أهلها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ صار سطحها وسطها، وهدم كل حائط، ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ لهلاك أهلها، ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ سام عماره، ولا أهل له.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ لم صرع وأهلك هؤلاء، ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما حصل لهم؛ ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أورد الصدر مؤكدا.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [آية: ٤٧، ٤٨]:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾[1] عدم حلوله أمر محال ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ لطوله حد الطول، ورواه راوٍ لسوى السامع.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد: أهلها ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ المآل.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث، وهو قوله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]. وقيل: نزلت في أبي جهل بن هشام، وهو قوله: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]. ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾ أي في إنزال العذاب. قال الزجاج: استعجلوا العذاب فأعلمهم الله أنه لا يفوته شيء؛ وقد نزل بهم في الدنيا يوم بدر. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/٧٨).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [آية: ٤٩، ٥٠]:

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم ﴿إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو دار السرور السرمد.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٤]:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ الكلام ردًّا وراموا هدر أحكامه ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ الأولى سلكوا على مسالكهم حدس عدم إدراك الهلاك لهم، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ سوء الدار أو اسم لإحدى دركها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ أمره الله دعاء ملأ إلى المسلك الموحى له، ﴿وَلا نَبِيٍّ﴾ ما أمر إلى دعاء أحد إلى السلوك على مسلك ما أوحاه الله له ﴿إِلا إِذَا تَمَنَّى﴾ سرد كلام الله الموحى له ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ما سرده لملأه كلاما سوى الموحى ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ هدارا، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ رد لما أوحاه لرسله، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ كل مدع مع الله سواه، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو هدى.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم أهل الإسلام ﴿أَنَّهُ﴾ كلام الله ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المسلك

الموصل والمسلم.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [آية: ٥٥ - ٥٩]:

﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ الهاء لكلام الله، والمراد: لما أورده المطرود حال سرد الرسول له وأهدر الله حكمه ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ حلول أعمارهم وورود حمامهم ﴿بَغْتَةً﴾ دهمًا مع عدم علم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ما هو مولد لهم صلاح أمر إصلاح، أو هو المعاد.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ﴾ وحده ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإسلام، وأهل الإلحاد ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا﴾ وسط الكر ﴿أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو مأكول دار السرور الدائم وآلاؤها ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلا يَرْضَوْنَهُ﴾ هو دار السرور السرمد، ﴿وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٦٠ - ٦٢]:

﴿ذَلِكَ﴾ محمول على مطروح وهو الأمر ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ كر على أعداء الله وسط الحرم كما كروا هم على أهل الإسلام وسطه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾

طردا وإطراحا ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لهم كرهم على الأعداء وسط الحرم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء أهل الإسلام ﴿بَصِيرٌ﴾ راء أعمالهم وأحوالهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الدائم، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ كل مدعو لهم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه إلها ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ المعدوم أو الهالك، ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل العوالم ﴿الْكَبِيرُ﴾ لا إله معه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [آية: ٦٣، ٦٤]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ المراد: العلم ﴿أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرًا ﴿فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ لحصول الكلأ وكل محصود ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ لإحلاله الأمطار وإطلاعه الكلأ وكل محصود، ﴿خَبِيرٌ﴾ مطلع على سرائر العالم حال عدم حلول المطر.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكًا ومملوكًا ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ عما سواه ﴿الْحَمِيدُ﴾ الحامد لكل موال له أو هو أهل الحمد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [آية: ٦٥، ٦٦]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ المراد: العلم ﴿أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ﴾[1] كالحمر وسواها للأحمال وما عداها، ﴿وَالْفُلْكَ﴾ رده الواو على ما أورد على اسم العامل المؤكد

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ يريد البهائم التي تركب ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه قال الزجاج كراهة أن تقع وقال غيره لئلا تقع ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فيما سخر لهم وفيما حبس عنهم من وقوع السماء عليهم وهو الذي أحياكم بعد أن كنتم نظفا ميتة ثم يميتكم عند آجالكم ثم يحييكم للبعث والحساب إن الإنسان يعني المشرك لكفور لنعم الله إذ لم يوحده. انظر زاد المسير (٥/٤٤٨).

﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ لحمل ولد آدم وأحمالها ﴿بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾ لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِهِ﴾ ولولا إمساكه لها لحصل لها الإمعاط وهلك العالم ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لما سهل لهم مسالك الدلائل أو لما أمسكها.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ وسط الأرحام ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ لدى حلول أعماركم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ كل ملحد ﴿لَكَفُورٌ﴾ لآلاء مولاه لما ما وحده.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٦٧ - ٦٩]:

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ ورواه راوٍ مكسور الوسط ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ سالكوه ﴿فَلا يُنَازِعُنَّكَ﴾ سائر أهل الملل، أو المراد: عدم سماع الرسول صلى الله على روحه وسلم كلامهم ﴿فِي الأَمْرِ﴾ أمر مسلك الإسلام أوامر أكل لحوم الهلكى مع عدم إمرار الحد على كردها لحسم رؤوسها، ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى مسالك الإسلام، أو إلى لا إله إلا الله ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ مسلك سوى.

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ وحصحص الأمر معك ﴿فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو مراؤكم على ما لا أساس له والحكم المسطور محا مؤدا ورود أعمال الحسام أوامر المعارك.

﴿اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ وهو مأمل كل أحد على عمله أهل الإسلام وسواهم.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٧٠، ٧٢]:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ العلم المسطور ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ سهل.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ دالا على حله وهو ما كود وسواع ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ حاكم على وروده إلها ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ إلحادًا ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ مصحح لأمر سلوكهم أو راد ما أعده الله لهم على سوء عملهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ اللاء حواها الكلام المكرم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ سواطع الدلائل على أحكام الله وما أسسه للأمم ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ لها كالكره وعدم السرور.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ سطوًا وصولا ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ﴾ ما هو أكره لكم ﴿مِنْ ذَلِكُمُ﴾ الكلام المكرم المسرود لكم هو ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ دار حلول ومآل ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [آية:٧٣، ٧٤]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ المراد: أهل الحرم لا كلهم ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ هو ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ المراد: ركوعهم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه، وهو ما كود وسواع ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ واحده مع الهاء ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا﴾ كلهم ﴿لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما طلوهم كالمسك وماء الورد وما حكمه كحكمه ﴿لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ والمراد: ساووا صورًا لا عمل ولا حراك لها أصلا مع إله سالك، وسار أمره ومراده إلى سائر العوالم ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ الراكع لهؤلاء الصور، ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ المركوع له وهو الصور.

﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما علموه ولا أدركوا علوه لما ساووه مع صور واهٍ أمرها ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ كاهر لا مكهور.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٧٥، ٧٦]:

﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ولد آدم رسلا ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ مدرك وعالم كل الأمور ومما أدركه وعلمه دعواهم ما حاصله ركوعهم للصور وسائل إلى الوصول إلى الله علا اسمه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما عملوه ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ وما هم عاملوه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [آية: ٧٧، ٧٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ صلوا، والمراد: الدوام ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحده ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كوصل الأرحام ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ﴾ لله أعداءه ﴿حَقَّ﴾ مصدر عكس محله وصار أولا ﴿جِهَادِهِ﴾ كطرح الوسع ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ لإعلاء أحكامه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ سهل لكم الأمور لدى مس الحال كأكل الصوم لأهل العلل والعمد إلى الحصحص لدى عدم الماء وسواهما ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ معمول لعامل مطروح، وهو العامل الوارد على ما حاكاه سواه كما لو حكى حاك أحمد كالأسد، والمراد: وسع لكم كما وسع على والد الرسل ردد الله له السلام والموسع هو مسلكه الموحى له، أو المراد: اعملوا عمله واسلكوا ما سلكه وسماه الله والدهم لما هو والد الرسل ردد الله لهم السلام ووالد الرسل كوالد الأمم كلهم ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ المراد أولا حال عدم ورود كلام الله الموحى إلى محمد رسوله ردد الله لروحه السلام لما أسس الحرم ودعا إلى الله، وحكى الله دعاءه لمحمد كما مر أولا ﴿وَفِي هَذَا﴾ المومأ له هو كلام الله الموحى لمحمد ردد الله له السلام ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ اللام المعلل مع معموله معمول

لسماكم والرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ لدى المعاد لما أدَّاه لكم وهو أحكام ما أوحى الله له ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لما أداه لهم رسلهم مما أوحاه الله لهم، وهو مؤسس على إعلام محمد صلى الله على روحه وسلم أهل الإسلام وهو معصوم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كما هو الأحرى لكل معلم عدل، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ حرصًا على أوامره لدى سائر أموركم ﴿هُوَ مَوْلاكُمْ﴾ مولى أموركم ومعل لكل على أعدائكم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو لا عدل له سواه ولا ردء له علا اسمه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المؤمنون

مكية، وآيها مائة وثماني عشرة آية

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[1][آية: ١ - ١١]:

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ أي: فازوا بكل مطلوب، ونالوا كل مرغوب، فالفلاح: الفوز بالمرام والنجاة من المكاره والآلام، وقيل: البقاء في الخير على الأبد، وقد تقتضي ثبوت أمر متوقع، فهي هنا لإفادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل، وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة؛ وهي الإخبار بثبوت الفلاح لهم، فخُوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه. والإيمان في اللغة: التصديق بالقلب، والمؤمن: المصدِّق لِما جاء به الشرع، مع الإذعان بالقلب، وإلا.. فكم من كافر صدّق بالحق ولم يذعن، تكبُّراً وعناداً، فكل من نطق بالشهادتين، مواطئاً لسانُه قلبَه فهو مؤمن شرعاً، قال عليه الصلاة والسلام:" لَمَّا خَلَقَ الله الجَنَّةَ، قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤمنُون - ثلاثاً - أنا حرامٌ على كلِّ بخيل مُرائي"؛ لأنه بالرياء أبطل العبادات الدينية، وليس له أعمال صافية.

ثم وصف أهل الإيمان بست صفات، فقال: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾: خاضعون بالقلب ساكنون بالجوارح، وقيل: الخشوع في الصلاة: جمع الهمة، والإعراض عما سواها، وعلامته: ألا يجاوز بصرُه مصلاه، وألا يلتفت ولا يعبث. وعن أبي الدرداء: (هو إخلاص المقال، وإعظام المقام، واليقين التام، وجمع الاهتمام). وأضيفت الصلاة إلى المصلين؛ لانتفاع المصلِّي بها وحده، وهي عُدَّته وذخيرته، وأما المُصلَّى له فَغَني عنها. انظر البحر المديد (٣/٥).

﴿قَدْ﴾ مؤكد لحصول المأمول مع عدم عدمه عكس لما ﴿أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حصلوا على آمالهم، وروى راوٍ الدال محركا ووصل ما أمها، وراوٍ أمام الحاء واو العدد على حد أكلوك الأسود.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ مهالوا مواعد الله علا اسمه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ المراد الأعم كلاما وسواه ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدوها ومعطوها كما أمر الله، وأعلم رسوله، وهو عمل مال عكس الأول.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عما حرم الله.

﴿إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ عرس أحدهم، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ المراد: الإماء لا على العموم وأورد ما هو لسوى المدرك لورود الملك له أصلا ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى﴾ رامَ وعمدَ ما ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ المحدود لهم، وهو العرس والإماء ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الأولى كمل عدوهم إلى وراء ما أحل الله لهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المراد: الأعم للمالك أو المملوك ﴿رَاعُونَ﴾ كلأ لها وإصلاحا.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿يُحَافِظُونَ﴾ كما لو صلوها أداء.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ لا سواهم.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو محل أعلا دار السرور السرمد ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دال مصرح على أمر المعاد.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [آية: ١١ - ١٦]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ هو آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ ما سل ومحص مما هو كدر ﴿مِنْ طِينٍ﴾ المراد: مسلول مما حرر.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ الهاء لآدم على طرح الولد، والمراد أولاده ﴿نُطْفَةً﴾ ماء ولد آدم

﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرحم.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دمًا أحمر ما هو سائل ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ وصار الدم المسطور لحما ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ﴾ وكلاهما رواه ولد عامر، وسواه على الواحد لا العدد، وراوٍ على العدد لأولهما ﴿لَحْمًا﴾ مما هو دم أحمر، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ لحلوله روحه ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ﴾ علا اسمه وحكمه ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أعلاهم واسما كل مصور لورود ما صوره سواه، ولا روح ولا حس له ولا إدراك، وما صوره هو علا اسمه مدرك حساس له روح.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ صائر كلكم إلى السام لا محال.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ لوروده كل عامل على عمله طائع أو عاص.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [آية: ١٧ - ٢٠]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ عدد السماء وسماها كما سماها لسمو كل سماء على سماء، أو المراد: مسالك للأملاك، أو لما هو كعطارد ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ الأولى علاهم السماء ﴿غَافِلِينَ﴾ ما أهمل أمرها علا اسمه، وهو كالئ العالم إمساكا للسماء، ولو حصل الإهمال وعدم الإمساك لها لمح مرآى لحدر السماء على العالم وهلك كلهم(١).

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ كل ما علا ﴿مَاءً﴾ المراد: ما عم المطر وسواه ﴿بِقَدَرٍ﴾ هو الكم المعطل صلاح العالم على حصوله، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ يعني السموات السبع قال الزجاج كل واحدة طريقة وقال ابن قتيبة إنما سميت طرائق بالتطارق لأن بعضها فوق بعض يقال طارقت الشيء إذا جعلت بعضه فوق بعض قوله تعالى ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها ما غفلنا عنهم إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب والثاني ما كنا تاركين لهم بغير رزق فأنزلنا المطر والثالث لم نغفل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم. انظر زاد المسير (٥/٤٦٥).

إصعادًا لمحله الأول أو إلماما وإصدارًا أو محوًا له كله ﴿لَقَادِرُونَ﴾ وهلاك العالم أمر حاصل لا محال لو أصعد المولى الماء إلى محله الأول ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ الهاء للماء ﴿جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ سردهما علا اسمه مكرمهما على سواهما ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ كالسمراء والكلا وكل محصود.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ طود موسى ردد الله له السلام، وروى راوٍ الاسم الممدود مكسور الأول، وراوٍ كأسماء ﴿تَنْبُتُ﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كأكل ﴿بِالدُّهْنِ﴾ عامل الكسر وصل على الأول ومعد على ورود العامل كأكل ﴿وَصِبْغٍ﴾ إدام، ورواه راوٍ ككرام ﴿لِلآكِلِينَ﴾ كل أكل.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [آية: ٢١، ٢٢]:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأنْعَامِ﴾ الرواحل وسواها ﴿لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ﴾ رواه راوٍ كأرْوَى، وراوٍ كرمى ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَعَلَيْهَا﴾ المراد: الرواحل ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٣ - ٢٨]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه علا اسمه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدًى له ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ اسم ما ولكم هو المحمول وما واسمها، والمحمول معلل للأمر إماما وهو وحدوه، وروى راوٍ ما أم الهاء مكسور الراء ﴿أَفَلا

تَتَّقُونَ﴾ المراد: حول آلائه لو عصوه ووحدوا سواه وحلول الألم على رؤوسهم.

﴿فَقَالَ الْمَلأُ﴾ رؤساؤهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ لعوامهم ﴿مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ سؤددا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ إرسال رسول ﴿لأَنْزَلَ مَلائِكَةً﴾ رسلا لكم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ المومأ له إماما دعاهم له والد سام ردد الله له السلام وهو أمره لهم وحدوا الله أو إرساله ﴿فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ ولولاها ما دعا إلى واحد أو ما ادعى الإرسال ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾ أمهلوه ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ إلى عوده عما ادَّعاه، أو إلى حلول عمره.

﴿قَالَ﴾ والد سام ردد الله له السلام لما رأى عدم إسلامهم وحسم أمله ﴿رَبِّ انْصُرْنِي﴾ أهلكهم أو رام حلول ما أوعدهم الله على عدم إسلامهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مرأى مولاه وكلئه له ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمره له ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ وهو هلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ سطع ماؤه، وهو وسم ورود الهلاك ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ احمل وورد سلك هو وسلك هو سواه معدى لواحد، وعلى المعدى ما حكاه الله علا اسمه وهو ما سلككم ﴿مِنْ كُلٍّ﴾ ورواه راوٍ على الكسر وحده ﴿زَوْجَيْنِ﴾ كالطائر والأسد والحمار وسواها، وعلى الأول هو معمول لا سلك كمعمول سلككم ﴿اثْنَيْنِ﴾ مؤكد، ﴿وَأَهْلَكَ﴾ عرسك وأولادك وكل ولد معه عرسه، أو المراد: وأهلك كل مسلم معك ﴿إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ هلاكًا، وهم كل ملحد مع أحد أولاده وعرسه، ﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كدعائك لهم ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ لا محال لإلحادهم وعدم إسلامهم.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ومما حصل لهم وهو إهلاكهم.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾

أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [آية: ٢٩ - ٤٣]:

﴿وَقُلْ﴾ لدى مرساها ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلا﴾ رواه راوٍ كمطلع مكسور الوسط، والمراد محلا، ورواٍ ككرم وهو مصدر أو اسم محل ﴿مُبَارَكًا﴾ المصدر أو المحل ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ محلا أو مصدرا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور، وهو أمر والد سام ردد الله له السلام وإهلاك ملأه أهل الإلحاد ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل لأهل الأحلام ﴿وَإِنْ﴾ أصلها المؤكد واسمها الهاء مطروح عائد إلى الأمر أو ما أدى مؤاده ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ حال ملأ والد سام ردد الله له السلام لدى إرساله لهم لعلم حالهم علم سطوع.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ هم عاد أو ملأ صالح ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ﴾ هو هود أو صالح ﴿أَنِ﴾ للحل ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ حاصل الكلام حل لمؤدى أرسل المار ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ ما أوعد الله كل عاص أمره ورسله.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ أمر المعاد أو دار السرور السرمد ودار الكدر الدائم ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ المراد: حصولهم على الآلاء ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أموالا وأولادًا ﴿مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ وسمًا وحالا ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ دل على عائده عائد الأكل المار.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ مردود إلى اسم الله علا اسمه لوروده أولا ﴿لَخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾[1] لا لحم لها ﴿أَنَّكُمْ﴾ مؤكد للمؤكد

---

(١) قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ =

الأول واسمه وأورده لما طال الكلام ﴿مُخْرَجُونَ﴾ مما هو لحد لكم أو مما هو حال عدم إلى عكسه، وهو محمول اسم مؤكد الأول.

﴿هَيْهَاتَ﴾ طال حصول ما وعدكم وورده ﴿هَيْهَاتَ﴾ مؤكد للأول أو مؤاداهما إطراح الأمر المسطور ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ اللام الوارد على ما وصل مؤكد لا مؤدى له، والمراد: ما وعدكم وهو أمر المعاد.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ لا معاد وراءها ﴿نَمُوتُ﴾ لدى ورود الحمام ﴿وَنَحْيَا﴾ لدى دسر الأرحام للأولاد ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ما وراء المطور مرد.

﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الرسول، وهو هود، أو صالح على ما مر ﴿إِلا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ لما ادعى الإرسال، ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الرسول المار اسمه ﴿رَبِّ انْصُرْنِي﴾ على هؤلاء وأهلكهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله علا اسمه ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ ما وصل مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ على عدم إسلامهم حال ورود هلاكهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ الألم أو الهلاك، أو صاح الروح ردد الله له السلام على الملأ وأهلكهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ الحمام أو الوعد الصادر لا محال أو عدل الله علا اسمه ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ ما حمله كل واد ورماه أو الكلأ صادمه الحر وكمده ﴿فَبُعْدًا﴾ مصدر مورد الدعاء ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأولى ردوا دعوى الرسل سلموها.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أمما ﴿آخَرِينَ﴾ أمم صالح، ولوط، وسواهم ردد الله لهم السلام.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ الحد المحدود لهلاكها أو عصر

=

أي مبعوثون من قبوركم. و﴿أنّ﴾ الأولى في موضع نصب بوقوع ﴿يَعِدُكُمْ﴾ عليها، والثانية بدل منها؛ هذا مذهب سيبويه. والمعنى: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم. قال الفراء: وفي قراءة عبد الله ﴿أيعدكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاماً أنكم مخرجون﴾؛ وهو كقولك: أظن إن خرجت أنك نادم. وذهب الفراء والجرمي وأبو العباس المبرد إلى أن الثانية مكررة للتوكيد، لما طال الكلام كان تكريرها حسنا. وقال الأخفش: المعنى أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما يحدث إخراجكم؛ ف ﴿أنّ﴾ الثانية في موضع رفع بفعل مضمر؛ كما تقول: اليوم القتال، فالمعنى اليوم يحدث القتال. وقال أبو إسحاق: ويجوز ﴿أيعدكم إنكم إذا مِتم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون﴾؛ لأن معنى ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ أيقول إنكم.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢٢/١٢).

حمامها ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عما حد لهم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٤٤]:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ ممدودا كرحمى وصرعى ومده كمدها، وأوله حل محل الواو، والمراد: كل عصر واحدا، ورواه والد عمرو مطروح المد على وروده مصدرا حالا وأماله ولد عامر ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً﴾ وروى راوٍ أول واحد الأمم مسهلا إلى حول الواو

﴿رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ المراد: إهلاكا ودمارًا ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ سمرا للعوالم حكوها ﴿فَبُعْدًا﴾ مصدر ورد مورد الدعاء على كل ملحد ﴿لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [آية: ٤٥ - ٤٨]:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ الدلائل على إرسالها المار سردها ﴿وَسُلْطَانٍ﴾ دال على الإرسال ﴿مُبِينٍ﴾ ساطع أمره، ولعله هو العصا ووحدها سردا لورودها أو دلائل موسى ردد الله له السلام وآمالها.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عما دعاهم له كلاهما، وهو الإسلام لله علا اسمه ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ أهل كهرٍ لسلوكهم على سوى العدل.

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ أورده واحد لورود حكمه كالمصدر ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ المراد: أطاعوا أمرهم كالروع لهم ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ وسط الطم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ۝٥٦﴾ [آية: ٤٩ - ٥٦]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الموحَى له ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ الهاء عائد إلى ملأ موسى الأولى دعاهم لما هلك عدوه وسط الطم لا على العموم لهلاك عدوه أولا ﴿يَهْتَدُونَ﴾ إلى أحكام الله علا اسمه وأوامره.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ لوروده ولدا ولا والد له وحملها له ولا ماس لها، وحكم الولد وهو الروح ردد الله له السلام وأمه سواء، وللأمر المحرر ما أم أمه وما عددها، ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ محل عال وهو المصلى المطهر أو مصر، أو ما رووا عماره إلى سام ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مسوى حصحصها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء سار راكد مدرك لكل راء حسا إدراكا ساطعا.

﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ كل حلال أحل الله لهم أكله ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ هو السلوك على مسلك أوامر الله علا اسمه ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ المراد وهو معامل كل أحد على عمله، (وَ) اعملوا؛ (إِنَّ هَذِهِ) الهاء عائد إلى مسالك الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ المراد: مللكم أو ملائكم وعدوكم ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ سلوك واحد لعوده إلى أمر واحد، وهو لا إله إلا الله وواحد الأمم معمول على الحال، وروى راوٍ العامل المؤكد مكسور الأول، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ راعوا ما آمركم.

﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ الواو عائد لأمم الرسل ردد الله لهم السلام، والمراد كل سلك مسلكا سوى المراد ملأ ركع لسواع ورهط ركعوا للصور سواه ﴿أَمْرَهُمْ﴾ أمر المسلك الموحده الله ورسله لهم، وهو معمول لعامل كسر مطروح ﴿زُبُرًا﴾ حال الواو أوامرهم، والمراد: كل واحد سلك مسلكا كأمم موسى وأمم الروح ردد الله لهما السلام، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كل مُدَّعٍ مسلكه هو الهدى ومع عماه هو مسرور.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ دعهم والهاء للمحد أم رحم ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ عماهم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ إلى ورود حمامهم أو إهلاكهم.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ إمداد ﴿مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ مصرح لما حواه الاسم الموصول وهو ما لا محموله والمحمول هو ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ إكرامًا لهم لا

﴿بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لا إدراك محصل الإمداد المحرر له هو لإمهالهم إلى العصر المحدود لهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[1][آية:٥٧، ٦١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ هول ما أعده لكل عاص ﴿مُشْفِقُونَ﴾ رائعهم أمره.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كلامه المكرم الموحى لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لمدلولها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه سرا وعكسه.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ معطو أهل العدم ﴿مَا آتَوْا﴾ ما أعطوهم أموالا أو صالح أعمال ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ رائعهم رد الله علا اسمه لها ﴿أَنَّهُمْ﴾ هو على طرح اللام عامل الكسر أمام العامل المؤكد ﴿إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معاملهم على كل

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي: من عذابه خائفون حذرون، ﴿والذين هم بآيات ربهم﴾ المنصوبة والمُنَزَّلة، (يؤمنون) بتصديق مدلولها، وبكتب الله كلها، لا يُفرقون بين كتبه، كالذين تقطعوا أمرهم بينهم - وهم أهل الكتاب وغيرهم، ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ شركاً جلياً ولا خفياً، بخلاف مشركي العرب والعجم. ﴿والذين يؤتون ما آتَوْا﴾ أي: يعطون ما أعطوا من الزكوات والصدقات. وقرئ: ﴿يأتُونَ مَا أَتَوا﴾ بالقصر، أي: يفعلون من الطاعات، ﴿وقلوبهم وَجِلةٌ﴾: خائفة ألا تُقبل منهم؛ لتقصيرهم؛ بأن لا يقع على الوجه اللائق، فيُؤخذوا به ويُحرموا ثوابه؛ لأنهم ﴿إلى ربهم راجعون﴾ فيعاتبهم، أو من مرجعهم إليه، وهو يعلم ما يحيق عليهم، والمصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر، في حَيّزِ صِلاتِهَا من الأوصاف الأربعة، لا عن طوائف، كل واحدة منها متصفة بواحد من الأوصاف المذكورة، كأنه قيل: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون، وبآيات ربهم يؤمنون... إلخ. وإنما كرر الموصول؛ إيذاناً باستقلال كل واحد من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حِيالها، وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها، وخبر "إنّ": ﴿أولئك يسارعون﴾، أشار إليهم بالجمع اعتبار اتصافهم بتلك النعوت، مع أنَّ الموصول واقع على الجمع. انظر البحر المديد (٣٦/٥).

عمل صالح أو طالح.

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ وعملها روما لحصولهم على ما أعد الله ووعد كرما لعاملها ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ هاء لها عائد إلى الأعمال المار حكمها أو إلى دار السرور أو وهم لصالح الأعمال ﴿سَابِقُونَ﴾ لعلم الله علا اسمه عملهم.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [آية: ٦٢ - ٦٧]:

﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ كحل الأكل للصائم مع عدم الوسع وسواه، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ هو اللوح المكلؤ المسطر وسطه أعمال ولد آدم كلهم أو لوح كل واحد وحده المحرر له الملك الموكل للعمل الصالح أو عكسه ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ﴾ أهل الأعمال سائرها ﴿لا يُظْلَمُونَ﴾ كالحط مما هو عمل صالح أو على ما هو طالح.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ الهاء لأهل الإلحاد ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ عمى مكور ومصد لها ﴿مِنْ﴾ إدراك ﴿هَذَا﴾ كلام الله الموحى لرسوله محمد ردد الله له السلام أو اللوح المار حكمه ﴿وَلَهُمْ﴾ المراد لأهل العمى والإلحاد ﴿أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ وراء الأعمال المار حكمها لأهل الإسلام ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ ووارد وسوء مواردها.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ أهل الآلاء ورؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ حسام محمد رسوله صلى الله على روحه وسلم ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ صاحوا روما للمدد والكلام لهم.

﴿لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ﴾ العامل المؤكد وما أمه معلل لعدم رومهم المدد ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾ كلام الله المكرم ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ عودا إلى ورائكم لا سماع ولا عمل ولا إدراك.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عما هو الهدى، وهو الإسلام لرسوله محمد أدام الله له السلام ولا كرام ﴿بِهِ﴾ الهاء للحرم الحرام ﴿سَامِرًا﴾ حال، وهو مصدر، والمراد: ملأ كلهم حاك،

وراوٍ حول الحرم ما حواه الكلام المكرم سمرا ﴿تَهْجُرُونَ﴾ ورواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كسدد، وحاصل الكل هو على الأول حسمهم لأحكامه، وكأكرم وسدد ردهم لها مع اللوم لكلام الله ولرسوله ردد الله له السلام وللوصم لهما.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [آية: ٦٨ - ٧٢]:

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ كلام الله المكرم لسطوع مدلوله وهداه وروده دالا لإرسال محمد رسول الله ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾ كالرسل والكلام الموحى إلى الأمم المار عهدها الأولى أسلموا لما ورد لهم وأطاعوه ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ محمدًا صلى الله روحه وسلم مع كمال علمه ولا معلم له إلى سواه مما هو دال على إرساله ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ ما ادعاه، ولا رد إلا لدعوى الأمر المحال لدى أهل الأحلام ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ﴾ الهاء للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿جِنَّةٌ﴾ هوس وسعر مع علمهم كمال علمه وحلمه ودهائه، ﴿بَلْ جَاءَهُمْ﴾ رسولهم محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ كلام الله المكرم، وهو حاوٍ لا إله إلا الله ومسالك الإسلام كلها.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ كلام الله علا اسمه ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ وأكد وأطد ما ادعوه وهو العدل والردء مع الواحد الأحد ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لعدم دوام الملك وصلاح أمره إلا لحاكم واحد كما مر ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ كلام الله وهو حاوٍ لسؤددهم ومدح أهل الإسلام على العموم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ عطاء ومآلا على أدائك أحكام الإسلام لهم ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ عطاء، ورواه ولد عامر على عدم المد كالأول، وراوٍ مدهما معا كمعاد ﴿خَيْرٌ﴾ لدوامه وعطاؤهم لو صح ما دام لك، وهو محمول ما أدى مؤدى العطاء ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ إكرم كل معطٍ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ

ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آية: ٧٣ - ٧٧]:

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مسلك عدل وهو السلام.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ أمر المعاد وأحواله ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ المسلك العدل معمول أمه عامله وهو ﴿لَنَاكِبُونَ﴾ والمراد: كلهم عادل وحائد عما هو العدل والمسلك المسلم.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ ألم المحل الحاصل لهم لما دعا على أهل أم رحم رسول الله صلى الله على روحه وسلم ودام المحل على الحرم أعواما كأعوام محل مصر لما رأى ملكها ما رآه وأولها له الرسول مأول الأحلام ردد الله له السلام ﴿لَلَجُّوا﴾ داموا أو وصلوا إلى وراء الحد سكوعا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ العمه للصدر كالعمى للمراى، وكل حائر أعمه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ حد الحسام لدى المعارك والأسر ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ما طأطأوا رؤوسهم ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ روعا ومردوا على سوء أطوارهم سمودًا ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إلى الله علا اسمه دعاء، والمراد: ما أطوارهم الدعاء إلى مولاهم لدى المكاره.

﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ المراد: أعوام المحل الممار حكمها، أو هو الإهلاك والأسر والمحل للأول ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ حاسموا ما لهم ومطامعهم عما هو وصول إلى الآلاء والمراحم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [آية: ٧٨ - ٨٣]:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ صور ﴿لَكُمُ السَّمْعَ﴾ الأسماع، ﴿وَالأَبْصَارَ﴾ للحس،

﴿وَالأَفْئِدَةَ﴾ لإدراك مصالح أولادكم ومعادكم ﴿قَلِيلا مَا﴾ وصل مؤكد ﴿تَشْكُرُونَ﴾ مولاكم على ما أولاكم لعدم ردكم الحواس إلى ما صورها له، وهو ما حلله لها لا ما حرمه.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ صوركم وأصلكم العدم ﴿فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لدى المعاد.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي﴾ إرسالا للروح للحمل وسط الرحم ﴿وَيُمِيتُ﴾ إصدارًا لها لدى حلول الأعمار وورود الحمام، ﴿وَلَهُ﴾ لأمره لا لعلل سواه ﴿اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ سوادا وعكسه وطولا وعكسه ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ كمال حكمه علا اسمه، وهو مورد الكل، ومصدرها لا رده له ولا عدل معه وما أمر المعاد وإصدار الأمم إلا أحدها.

﴿بَلْ قَالُوا﴾ ملحدو أم رحم ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ﴾ والدوهم وكل سالك مسلكهم ﴿قَالُوا﴾ الواو للأول ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لا وهموا وحكموا أو المصدر مع العدم مصور مع الأصل.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾ أمر المعاد ﴿مِنْ قَبْلُ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الوعد المسطر وهو معادهم ﴿إِلا أَسَاطِيرُ﴾ عددًا سطور أم راءه هاء أو عدد أسطار الوارد عدد السطر ﴿الأَوَّلِينَ﴾ المراد: ما لا أصل له.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [آية: ٨٤ - ٩٢]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ ولد آدم، وكل ما له روح ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مصورها ومالكها ﴿سَيَقُولُونَ لِلهِ﴾ لحكم سالم الأحلام له علا اسمه ﴿قُلْ

﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ وكرر راوٍ أوله على الأصل، والمراد: أدركوا ما حاصله هو الإله المصور لكم ولهؤلاء الآكام والهوام، وأصلها كلها العدم لو أعادها مع الأصل المحسوس هو أسهل مما هو لا أصل له(١).

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلهِ﴾ روى والد عمرو وسواه اسم الله علا اسمه مع عدم لام الكسر على سرد السؤال.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ ما أعده لكم على ركوعكم لسواه.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ﴾ حام وحارس لكل ما سواه ﴿وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ لا حارس له ولا حام ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أهل علم وإدراك.

﴿سَيَقُولُونَ لِلهِ﴾ رواه والد عمرو مع عدم اللام كأول.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ مع سطوع الأمر ودلائله.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ هو لا إله إلا الله ووعد أمر المعاد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لما حاولوهما وردوهما.

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ علا اسمه لا حاكى أحدا ولا حاكاه أحد ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ مساهم حكما وملكا ﴿إِذًا﴾ لو ساهمه إله كما ادعوا ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾

---

(١) قال الرازي: اعلم أنه يمكن أن يكون المقصود من هذه الآيات الرد على منكري الإعادة وأن يكون المقصود الرد على عبدة الأوثان وذلك لأن القوم كانوا مقرين بالله تعالى فقالوا نعبد الأصنام لتقربنا إلى الله زلفى ثم إنه سبحانه احتج عليهم بأمور ثلاثة أحدها قوله ﴿قُل لِّمَنِ الارْضُ وَمَن فِيهَا﴾ ووجه الاستدلال به على الإعادة أنه تعالى لما كان خلقاً للأرض ولمن فيها من الأحياء وخالقاً لحياتهم وقدرتهم وغيرها فوجب أن يكون قادراً على أن يعيدهم بعد أن أفناهم ووجه الاستدلال به على نفي عبادة عبادة الأوثان من حيث إن عبادة من خلقكم وخلق الأرض وكل ما فيها من النعم هي الواجبة دون عبادة ما لا يضر ولا ينفع وقوله ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ معناه الترغيب في التدبر ليعلموا بطلان ما هم عليه وثانيها قوله ﴿مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ووجه الاستدلال على الأمرين كما تقدم وإنما قال ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ تنبيهاً﴾ على أن اتقاء عذاب الله لا يحصل إلا بترك عبادة الأوثان والاعتراف بجواز الإعادة وثالثها قوله تعالى ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وإعلم أنه سبحانه لما ذكر الأرض أولا والسماء ثانياً عمم الحكم ههنا فقال من بيده ملكوت كل شيء ويدخل في الملكوت الملك والملك على سبيل المبالغة وقوله ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يقال أجرت فلاناً على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحداً. انظر تفسير الرازي (٢٣/ ١٠١).

صار كل إله واحد ملكه وحاكم أممه ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ سما أحدهم على مساهمه كملوك ولد آدم دال الأمر إلى عدم دوام صلاح العالم لما مر مرارا ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ه مما حرر وهو المساهم والولد.

﴿عَالِمِ﴾ محمول على هو مطروح، ورواه ولد عامر ووالد عمرو مكسورا ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [آية: ٩٣ - ٩٦]:

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا﴾ ما وصل مؤكد لا مؤدى له ﴿تُرِيَنِّي﴾ معمول ما أمه ما ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ ه، وهو حلول الألم لهم والهلاك أو حلول الألم لدى دار المعاد.

﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ معهم وأهلك لهلاكهم.

﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ وعدم حلوله إما لإطلاع المولى على حصول إسلام أحدهم أو أولادهم، وإما إكراما لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم لحلوله معهم ووسطهم.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ المراحم والمكارم والحلم ﴿السَّيِّئَةَ﴾ عملهم المكروه لك والأمر المسطور ورد حال عدم ورود حكم الحسام ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ الرسول محمدا لا أصل له كادعائهم السحر له وسواه.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا

ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٩٧ - ١١١]:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ وساوسهم ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ كحومهم حوله حالا ما ﴿حَتَّى﴾ لأول الكلام ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى محله وسط دار الكدر الدائم ومحله وسط دار السرور السرمد لو أسلم ﴿قَالَ﴾ لما أطلع على الأمر ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ إلى الدار الأولى.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ هو لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿فِيمَا﴾ ما موصول، والمراد الدار ﴿تَرَكْتُ﴾ وراح العمر سُدى، ﴿كَلَّا﴾ للردع والرد لما أراد، وهو عوده إلى الدار الأولى، والمراد: لا عود ﴿إِنَّهَا﴾ الهاء لرومه العود والرد ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ على كل حال ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حائل وصاد عما أرادوا وهو العود ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ هو المعاد، والمراد: لا عود أصلا.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الأولى أو ما أمها ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ عواصم عما أعد لهم، وهل عم الحكم المحرر أهل الإسلام الأولى هم رحم رسول الله صلى الله على روحه وسلم أم لا، واللائح عدم عمومه لهم إكراما للرسول الأكرم ردد الله له السلام لما رواه الحاكم وصححه، وهو وعد الله رسوله عدم حلول الألم لدى المعاد على إله ما وحدوا لله علا اسمه وأسلموا لرسوله، وورد سأل رسول الله صلى على روحه وسلم الله عدم حلول أهله دار الآلام وأعطاه مولاه ما سأل، وكل ما ورد رادا على الحكم المحرر محمول على سوى رحمه ردد الله له السلام أو على سوى الموحد ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ الرحم عكس حال الدار الأولى لدلهم.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ المراد: أولو العمل الصالح ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أهل الإسعاد الكامل.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ الأولى لا عمل صالحا لهم وهم أهل الإلحاد ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ محمول على (أولئك) أم محمولا وهو الاسم الموصول.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ وكلام الحال لهم أو على أصله.

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ وعدا لما أعد لكم على عدم الإسلام ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ مكسور الأول ورواه راو ممدودا وكلاهما مصدر ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عما هو مسلك الهدى ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ الهاء لدار الكدر والدرك ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى ما صادم أمرك ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ لهم مالك ﴿اخْسَئُوا﴾ اطرحوا أو صه ﴿فِيهَا﴾ دار السوأى ﴿وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ كلاما عائدا إلى حسر الألم، والمراد: حسم أطماعهم وآمالهم عما أرادوا.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء للأمر ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ هم أهل الإسلام ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ لدوامكم على وصمهم ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ دار السرور السرمد ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على وصمكم لهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ العامل واسمه ومحموله سد مسد معمول العامل المؤكد الوارد محمولا له، ورواه راوٍ مكسور أعلى أول الكلام ومحموله ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ كلهم واصل إلى مرامه ومراده.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [آية: ١١٢ - ١١٨]:

﴿قَالَ﴾ الله أو الملك المأمور لسؤالهم، ورواه راوٍ على الأمر، وهو إما للملك أو لأحد رؤسائهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ مع الأرواح ولدى عودكم للحودكم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ عدوها كما عدوها لمرورها سرورًا لما رأوا ما رأوا مما أعد الله لهم أو لمطورها والماطر كالمعدوم ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ هم الأملاك الأولى عدوا أعمار الأمم وأحصوا أعمالهم.

﴿قَالَ﴾ الله أو الملك كما مر، ورواه راوٍ على الأمر والمأمور هو الملك أو أحد الرؤساء ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ طول مدد حلولكم وسط دار الدرك.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾(١) لهوًا لا لحكم ما لا هو للإرصاد والحمل على الأوامر لورودكم على أعمالكم صالحها وطالحها، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ لا، ورواه راوٍ للمعلوم ﴿فَتَعَالَى اللهُ﴾ عما هو لهو ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ مالك الملك كله وما سواه مملوك له ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ الحو لكل ما سواه ﴿الْكَرِيمِ﴾.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ راكعًا له وحده أو مع الله ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ حاصل لا مع اسمها ومحمولها ورد وسمًا حاسرًا لا مؤدى له ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ وهو معامله على سوء عمله ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ أهل الإسلام ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أولاهم وأرحمهم.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الأنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ [القيامة: ٣٦] يريد كالبهائم مهملا لغير فائدة. قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي: إن الله تعالى خلق الخلق عبيدا ليعبدوه، فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على تركها، فإن عبدوه فهم اليوم له عبيد أحرار كرام من رق الدنيا، ملوك في دار الإسلام؛ وإن رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد أباق سقاط لئام، وغدا أعداء في السجون بين أطباق النيران. و﴿عَبَثاً﴾ نصب على الحال عند سيبويه وقطرب. وقال أبو عبيدة: هو نصب على المصدر أو لأنه مفعول له. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥٦/١٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النور

مدنية، وآيها أربع وستون آية

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾[1] [آية: ١]:

﴿سُورَةٌ﴾ محمول لأول كلام مطروح أو هو أول كلام مطروح المحمول ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ وكرر والد عمرو وسواه راءه، ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ساطع أمرها ودلائلها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ورواه راوٍ مكررا ما أم أو له، وراوٍ على طرح ما حاكى الأول.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي

---

(١) قال القرطبي: مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر. وكتب عمر رضي الله عنه إلى أهل الكوفة: "علموا نساءكم سورة النور". وقالت عائشة رضي الله عنها: "لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل". ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قرئ بتخفيف الراء؛ أي فرضنا عليكم وعلى من بعدكم ما فيها من الأحكام. وبالتشديد: أي أنزلنا فيها فرائض مختلفة. وقرأ أبو عمرو: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ بالتشديد أي قطعناها في الإنزال نجما نجما. والفرض القطع، ومنه فرضة القوس. وفرائض الميراث وفرض النفقة. وعنه أيضا ﴿فَرَضْنَاهَا﴾ فصلناها وبيناها. وقيل: هو على التكثير؛ لكثرة ما فيها من الفرائض. والسورة في اللغة اسم للمنزلة الشريفة؛ ولذلك سميت السورة من القرآن سورة. وقد مضى في مقدمة الكتاب القول فيها. وقرئ ﴿سُورَةٌ﴾ بالرفع على أنها مبتدأ وخبرها ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾؛ قاله أبو عبيدة والأخفش. وقال الزجاج والفراء والمبرد: ﴿سُورَةٌ﴾ بالرفع لأنها خبر الابتداء؛ لأنها نكرة ولا يبتدأ بالنكرة في كل موضع، أي هذه سورة. ويحتمل أن يكون قوله ﴿سُورَةٌ﴾ ابتداء وما بعدها صفة لها أخرجتها عن حد النكرة المحضة فحسن الابتداء لذلك، ويكون الخبر في قوله ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾. وقرئ "سورةً" بالنصب، على تقدير أنزلنا سورة أنزلناها. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥٨/١٢).

دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [آية: ٢، ٣]:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ المراد: مما ورد لكم حكمهما والٍ موصول، وهو أول كلام محموله ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ والحكم لكل مسلم مدرك حر، ولو له أهل ولها واطئ صححه حكم الله رموهما إلى هلاكهما كما مر حكمه، ﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ المراد: حكمه وأعمال حدوده ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ هو المعاد، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ﴾ عدد ما ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿الزَّانِي﴾ المراد: كل أحد صار أمر عهره معلوما وحد له ﴿لا يَنْكِحُ إِلا زَانِيَةً﴾ لو رام عرسا له ﴿أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ وهو الأولى والأحرى لأهل العهر، ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ الحكم المسطور ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أهل الورع والصلاح وحكم حرم المحرر هل هو عام أو لرهط معلوم، والأولى أولى ومحا حكمه الأمر العام لما حوى العواهر وسواها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [آية: ٤ - ١٠]:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على العهر ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ المراد: كل واحد ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ أصلا طول عمرهم ﴿أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الأولى عول على عدم صلاحهم وسوء حالهم سوى الاسم

الموصول الآم لا لا وهو.

﴿إلا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عما رموا أهل الصلاح ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم سوء عملهم ﴿رَحِيمٌ﴾ لإلهامهم العود إلى مولاهم.

﴿وَالَّذِينَ﴾ هو هلال رأى واحد مع عرسه على وطائه ﴿يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ عهرا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾ على دعواهم ﴿إلا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ أول كلام مطروح المحمول ﴿أَرْبَعُ﴾ معمول على المصدر ﴿شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لما ادعى عهر عرسه، ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَيَدْرَأُ﴾ هو دال المحمول المطروح ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ حد العهر ﴿أَنْ تَشْهَدَ﴾ عرسه ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَالْخَامِسَةَ﴾ أول كلام محموله ﴿أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وروى راوٍ العامل المؤكد كلم وما أمه مكسور الوسط، واسم الله مسموك الهاء.

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ لعاملكم على سوء عملكم حالا لا مآلا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا

وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ١١ - ٢٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾(١) سرد ما لا أصل له على أم أهل الإسلام، عرس الرسول ردد الله له السلام ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ مسطح، وولد سلول، ومساعدوهما ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ الكلام مع الرسول وأهله ووالدها ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لما أكرم الله رسوله، وطهر أهله عما وصمها اللؤماء مما لا أصل له وأوعد الأولى سارعوا إلى أمره المكروه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ على كل ساع ﴿مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ معامل على سوء عمله، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ وهو ولد سلول، أو هو وسواه ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ حال كالطرد لولد سلول، وعمى مسطح ومساعدهما، أو مالا لدى المعاد وهو دار

---

(١) الإفك: اسم يدل على كذب لا شبهة فيه فهو بهتان يفجأ الناس. وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو قلب الشيء، ومنه سمي أهل سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم قرى قوم لوط أصحاب المؤتفكة لأن قراهم ائتفكت، أي قُلبت وخسف بها فصار أعلاها أسفلها فكان الإخبار عن الشيء بخلاف حالته الواقعية قلباً له عن حقيقته فسمي إفكاً. انظر التحرير والتنوير (١٨/ ١٦٩).

الكدر والكمد الدائم.

﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ وحسموا كلامهم عما هو مؤد إلى كدر رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كما هو حال أهل الإسلام والصلاح.

﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿جَاءُوا﴾ الواو للرهط المحرر ﴿عَلَيْهِ﴾ الهاء لما ادعوه وحكوه ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ﴾ لدى حكمه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ إمهاله له لحصولهم على العود لمولاهم عما سلكوه مما صادم أوامره، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ محو سوء أعمالهم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ على أسرع الأحوال ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ المراد: ما سلكوه ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو دار الدرك والألم السرمد.

﴿إِذْ﴾ معمول لمسكم، أو لما الاسم الموصول وهو ما ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ طرح أوله أو ما حاكاه ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ المراد: رووه وحكوه مسلسلا ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا﴾ كلاما ﴿لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ سهلا لا لوم ولا ملام ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ أمره.

﴿وَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ كما هو حال أهل الصلاح ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ﴾ لا أصل له ﴿عَظِيمٌ﴾ مؤد إلى كدر رسول الله ردد الله له السلام.

﴿يَعِظُكُمُ اللهُ﴾ كارها ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ ما داموا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ دوموا على عدم العود للأمر المحرر وما حاكاه.

﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الدلائل على مسالك الصلاح أمرا وردعا، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ عالم الأحوال كلها، ﴿حَكِيمٌ﴾ محل أمره وردعه محله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ كلامها لها أصل وأساس أو لا ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ الحد، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ دار الدرك والألم الدائم ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ ما حوى صدر كل أحد ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ إلا الأمر المدرك للحس.

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ كرره لهول أمره ﴿وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ مكمل لولا داله المكمل الأول والمراد لمسكم الألم المهول.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ مسالك وساوسه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ الهاء عائد إلى السالك على مسالك الموسوس، وهو كالمعلل

للردع ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ العوراء، وكل مكروه لدى الرسل الكرام ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما حاد عما حده الله ورسوله.

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لما سهل لكل عاص مسالك الهود، وأسس الحدود مواح لسوء الأعمال ﴿مَا زَكَا﴾ المراد: ما طهر ولا صلح ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ دهر الداهر ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ حاملا له على الهود ومطهره ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لكلامكم ﴿عَلِيمٌ﴾ مطلع على ما حواه صدركم، وأوحى الله لرسوله ردد الله له السلام لما آلى الإمام الأول والد عرس الرسول الأكرم على عدم إكرام مسطح، وهو رحمة ومعدم.

﴿وَلا يَأْتَلِ﴾ كوالله أو مصدره الألو ﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ ورعًا وصلاحًا ﴿وَالسَّعَةِ﴾ أموالا ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ كمسطح، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عما صدر ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مع حكمه المسلط على كل العوالم، ولما سردها الرسول ردد الله له السلام للأمام الأول عاد إلى إكرام مسطح.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ عهرا ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ﴾ عما هو عهر لعدم وروده على الصدور ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إسلاما لله ورسوله ﴿لُعِنُوا﴾ طرودا عما هو محط المراحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لما أداه مؤدى لهم ﴿تَشْهَدُ﴾ وروى راوٍ أوله كأمام هاء ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو لدى المعاد ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ العادل ﴿الْمُبِينُ﴾ الساطع أمر عدله.

﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ العواهر ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ كل عاهر ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ أولو العهر ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ العواهر، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ أهل الطهر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ كل طاهر، ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ أولو الطهر ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ أهل الطهر كالرسل الكرام ردد الله لهم السلام وحرمهم أهل الطهر ﴿أُولَئِكَ﴾ المراد: الرسول المطهر صلى الله على روحه وسلم وأهله وحاملها على رحلها ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لدى حلولهم دار المأوى والسرور الدائم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ

عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1][آية: ٢٧ - ٢٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ كما لو سلم وسأل أهل الدار هل أحل داركم أم لا على ما حكاه الرسول

(١) ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات، أن امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتى على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل على وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزل قوله - تعالى - : ﴿ياأيها الذين آمَنُواْ لا تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُواْ﴾. فقال أبو بكر - رضي الله عنه - يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام، ليس فيها ساكن، فأنزل الله - تعالى - : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾.

والمراد بالبيوت في قوله - تعالى - : ﴿لا تَدْخُلُواْ بُيُوتاً...﴾ البيوت المسكونة من أصحابها، بدليل قوله - سبحانه - بعد ذلك، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾. وقوله - تعالى - : ﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾، من الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف، فهو من آنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا، ومنه قوله - تعالى - ﴿فَلَمَّا قضى مُوسَى الأجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطور نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امكثوا إني آنَسْتُ نَاراً..﴾ أي: قال لأهله إني رأيت ناراً. ويصح أن يكون من الاستئناس الذي هو ضد الاستيحاش، لأن الذي يقرع الباب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا، فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له أهل البيت في الدخول، زالت وحشته، ودخل وهو مرتاح النفس. وعلى هذا المعنى يكون الكلام من باب المجاز، حيث أطلق اللازم وهو الاستئناس، وأريد الملزوم وهو الإذن في الدخول. والمعنى: يا من آمنتم بالله - تعالى - حق الإيمان، لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها، والتي هي مسكونة لسواكم " حتى تستأنسوا"، أي: حتى تعلموا أن صاحب البيت قد أذن لكم، ورضيت نفسه بدخولكم " وتسلموا على أهلها " أي: وتسلموا السلام الشرعي على أهل هذه البيوت الساكنين فيها. وعبر - سبحانه - عن الاستئذان في الدخول بالاستئناس، لأنه يوحي بأن القادم قد استأنس بمن يريد الدخول عليهم وهم قد أنسوا به، واستعدوا لاستقباله، فهو يدخل عليهم بعد ذلك وهم متهيئون لحسن لقائه. فإذا ما صاحب كل ذلك التسليم عليهم. كان حسن اللقاء أتم وأكمل. انظر التفسير الوسيط (١٨/٧).

الأكرم صلى الله على روحه وسلم ولو أحلوا له الحلول حل وإلا عاد ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ المراد: سؤالكم أهل الدار، وأوحى الله لكم الحكم المسطور ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ حملا لكم على ما هو الأصلح لحالكم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ رادا لسلامكم وسؤالكم ﴿فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ المراد: إلى وصول ملاكها وإحلالهم لكم حلولها ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ﴾ لدى السؤال ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ الأمر لعدم الإلحاح على أهل الدار ﴿هُوَ﴾ العود وعدم الإلحاح ﴿أَزْكَى﴾ أطهر ﴿لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ مطلع على الملح وسواه، والسالك مسلك أوامره، ومعامل كل أحد على عمله.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ هو كل محل أعد للأحمال والحمر والرواحل وسواها كرى أو لله ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ هو كرد الحرور والسموم والحر وعكسه ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أوعد كل مطلع على عوار أهل دار.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٣٠، ٣١]:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿أَبْصَارِهِمْ﴾ عما حرمه الله ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إلا على ما أهل الله لهم كالعرس والأماء ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَى﴾ أطهر أو أولى وأحرى ﴿لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ عالم ومطلع على أعمال سائر حواسهم وما حواه صدرهم وما حركه هممهم وما حاولوه وراموه.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ الأمر كالأول لرسوله الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَغْضُضْنَ مِنْ﴾ وصل كالأول ﴿أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما حرم الله، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما هو عهر، ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالسوار ومحالها ﴿إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ كما لو لاح لسوى المحرم سوارها لدى روم أمرها على الأول أو ما حل مرآه، وحكى حله الرسول ردد الله له السلام، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كرره لسرد المحارم وراء إلا وهو ﴿إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾ وحكم الأعمام وأولاد والد الأم كحكمهم، ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أهل الإسلام وإلا لا ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ عم كل مملوك إماء أو لا وحل لهم كلهم مرأى السرر إلى الكردوس، ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ محال أكل الطعام أو هم كل هرم وممسوح الأولى لا همم لهم إلى الوطء ﴿غَيْرِ﴾ ورواه ولد عامر معمولا على الحال ﴿أُولِي الإِرْبَةِ﴾ الأولى لهم الهمم إلى أمر الوطء ﴿مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لعدم إدراكهم الحلم وعدم اطلاعهم على أمر الوطء، وحكم هؤلاء كحكم المحرم سوى الواطء، ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ مما صار كلمحكم سوى المحارم لكم، وسائر ما حرم الله على العموم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [آية: ٣٢ - ٣٤]:

﴿وَأَنْكِحُوا﴾ الأمر للمولى والولد وما حكمه كحكمهم ﴿الأيَامَى مِنْكُمْ﴾ هو الواحد لا عرس له والعرس لا واطئ لها حرًا أو مملوكا، ولما ردع الله علا اسمه عما هو مؤد إلى العهر أمر الأمر المسطور الموصل مع المسلك الحلال إلى حصول الولد

﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ أهل الإسلام ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا﴾ الواو للأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه ولا حد لآلائه ﴿عَلِيمٌ﴾ ومطلع على أحوال العلم وسعًا وعدمًا.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أموالا للمهر والمأكل عما هو عهر ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إلى حصول مال للمهر والمأكل وسواه، ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ كمملوكه حر لو أدى لمولاه دراهم معلوما عددها حالا أو إلى مدد للعموم ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ إماء أو عكسها ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الأمر لوسط أحواله ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاح أداء الأموال، ﴿وَآتُوهُمْ﴾ الأمر لكل مولى عامل مملوكه على الحكم المسطور وإعطاؤهم لهم كالحط مما حرروه ﴿مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ العهر ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ صلاح الحال وعامل أراد لا مؤدى له لوروده معموله محلا للإكراه ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ﴾ مال ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو لا دوام له، ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للعواهر كرها أو للمكره لو عاد وهاد إلى الله والأولى أولى لما رواه ولد مسعود.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أحكامها وحدودها، ورواها ولد عامر وسواه على الكسر، ﴿وَمَثَلا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وكلاما مسرودا محاك لأحوال الأمم الأولى مروا أولا كآدم روح الله ردد له السلام، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ هم الحاصل لهم الروح لا سواهم.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آية: ٣٥ - ٣٨]:

﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١] المراد: ملمعهما ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ ما حكاه وسط

---

(١) قال الرازي: هل يجوز إطلاق لفظ النور على الله قال الله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ وأما الأخبار فروى أنه قيل لعبد الله بن عمر نقل عنك أنك تقول الشقي من شقي في بطن أمه فقال سمعت رسول الله يقول إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور شيء فقد اهتدى ومن أخطأ فقد ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله تعالى واعلم أن القول بان الله تعالى هو هذا النور أو من جنسه قول باطل ويدل عليه وجوه الأول أن النور إما أن يكون جسما أو كيفية في جسم والجسم محدث فكيفياته أيضا محدثة وجل الإله عن أن يكون محدثا الثاني أن النور تضاده الظلمة والإله منزه عن أن يكون له ضد الثالث أن النور يزول ويحصل له أفول والله منزه عن الأفول والزوال وأما قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فجوابه أن هذه الآية من المتشابهات والدليل عليه ما ذكرناه من الدلائل العقلية وأيضا فإنه تعالى قال عقيب هذه الآية ﴿مثل نوره﴾ النور فأضاف النور إلى نفسه إضافة الملك إلى مالكه فهذا يدل على أنه في ذاته ليس بنور بل هو خالق النور بقي أن يقال فما المقتضي لحسن إطلاق لفظ النور عليه فنقول فيه وجوه الأول قرأ بعضهم لله نور السموات والأرض وعلى هذه القراءة فالشبهة زائلة والثاني أنه سبحانه منور الأنوار ومبدعها وخالقها فلهذا التأويل حسن إطلاق النور عليه والثالث أن بحكمته حصلت مصالح العالم وانتظمت مهمات الدنيا والآخرة ومن كان ناظما للمصالح وساعيا في الخيرات فقد يسمى بالنور يقال فلان نور هذه البلد إذا كان موصوفا بالصفة المذكورة والرابع أنه هو الذي تفضل على عباده بالإيمان والهداية والمعرفة وهذه الصفات من جنس الأنوار ويدل عليه القرآن والأخبار أما القرآن فقوله تعالى في آخر الآية ﴿نور على نور يهدي الله﴾ من يشاء النور وأما الأخبار فكثيرة الخبر الأول ما روى أبو أمامة الباهلي عن النبي أنه قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله الخبر الثاني عن أنس بن مالك عن النبي أنه قال هل تدرون أي الناس أكيس قالوا الله ورسوله أعلم قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قالوا يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود فإذا دخل النور في القلب انفسح واتسع للاستعداد قبل نزول الموت الخبر الثالث عن ابن مسعود قال تلا النبي قوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ الزمر فقلت يا رسول الله كيف يشرح الله صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقلت ما علامة ذلك يا رسول الله قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت الخبر الرابع عن أنس رضي الله عنه قال بينما رسول الله يمشي في طريق إذ لقيه حارثة فقال رسول الله كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت والله مؤمنا حقا فقال عليه الصلاة والسلام انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يتعاوون فيها فقال عليه الصلاة والسلام عرفت فالزم ثم
=

صدور أهل الإسلام ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ أحد كوى الحائط ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ لامع، والدر اللؤلؤ، ورواه والد عمرو وسواه مكسور الدال ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ المراد: محلها وسط معمور المحال لا حر ولا عكسه أو محلها على سطح صحراء أو على أعلا محل ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ﴾ هو هدى الله لأهل الإسلام ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ﴾ للإسلام ومسالكه ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ حسا لحصول كمال الإدراك، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أحاط علمه علا اسمه المحسوس وسواه.

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ معمول للعامل وراء اسمه، والمراد كل مصلى ﴿أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أعمارا أو علو سؤدد ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ على العموم، رواه راوٍ للمعلوم وولد عامر لسواه ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾.

=

قال رسول الله من سره أن ينظر إلى رجل نور الله الإيمان في قلبه فلينظر إلى هذا ثم قال يا رسول الله ادع لي بالشهادة فدعا له فنودي بعد ذلك يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب فاستشهد في سبيل الله الخبر الخامس عن ابن عباس رضي الله عنه قال بينما أنا جالس عند النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ سمع صوتا من فوقه فرفع رأسه إلى السماء فقال إن هذا الباب من السماء قد فتح وما فتح قط فنزل منه ملك فقال يا محمد أبشر بنورين لم يؤتهما أحد من قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة الخبر السابع عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي كان يقول اللهم بك نصبح وبك نمسي وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور اللهم اجعلني من أفضل عبادك عندك حظا ونصيبا في كل خير تقسمه اليوم من نور تهدي به أو رحمة تنشرها أو رزق تبسطه أو ضر تكشفه أو بلاء تدفعه أو سوء ترفعه أو فتنة تصرفها الخبر الثامن عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي أنه سئل عن أهل الجنة فقال أهل الجنة شعث رؤسهم وسخة ثيابهم لو قسم نور أحدهم على أهل الأرض لوسعهم الخبر التاسع عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حاجة أحدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره على أهل الأرض لوسعهم الخبر العاشر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله إن الله عز وجل يقول نوري هداي ولا إله إلا الله كلمتي فمن قالها أدخلته حصني ومن أدخلته حصني فقد أمن الخبر الحادي عشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي كان يدعو أعوذ بكلمات الله التامة وبنوره الذي أشرقت له الأرض وأضاءت به الظلمات من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن درك الشقاء وشر قد سبق الخبر الثاني عشر عن النبي أنه كان يقول اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا والحديث مشهور. انظر تفسير الرازي (١/١٠٥).

﴿رِجَالٌ﴾ لو العامل وراء اسمه للمعلوم كما رواه الأول هو معموله، وعلى ما رواه ولد عامر لمدلوله مطروحا على السؤال ﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ مع صلاح حالهم المحرر ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ لهول الأمر وروع الهلاك.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ اللام مع معمولها المصدر معلول للعامل وراء لا وهو إلا لهاء المار ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ هو دار الآلاء والسرور السرمد ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إكراما ما وعده على أعمالهم ولا أدركوه حصرا، ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ عطاء واسعا لا حصر له.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [آية:٣٩، ٤٠]:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أحوالهم على عكس أحوال أولئك ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ ما لألأ على سطح الصحراء لدى الحر كالماء ﴿بِقِيعَةٍ﴾ صحراء ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ وما هو ماء ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ مما وهمه ﴿وَوَجَدَ اللهَ﴾ المراد: ما أعده الله له على سوء عمله ﴿عِنْدَهُ﴾ الهاء عائد للعمل ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ عامله على عمله ﴿وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿أَوْ﴾ أعمالهم ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ ماؤه طام ﴿يَغْشَاهُ﴾ الهاء للطم ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ واحد على واحد وعدد على عدد ﴿مِنْ فَوْقِهِ﴾ الهاء لأمواه الطم اعلاها واسمها ﴿سَحَابٌ﴾ أعمى لألأ الهلال وعطارد والسهى ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ اسحم الماء على الطم وما علاه واسحم الركام ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ الهاء عائد لراء ما ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ للسواد الحاصل ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا﴾ هدى ﴿فَمَا لَهُ مِنْ﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له ﴿نُورٍ﴾ لا هدى وسوى الله علا اسمه.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ

صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [آية: ٤١، ٤٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ كلهم مصلى وداع وموحد له كلاما أو دال حال ﴿وَالطَّيْرُ﴾ عدد الطائر ﴿صَافَّاتٍ﴾ حال وهو المد وسط الهواء ﴿كُلٌّ﴾ المراد: كل واحد مما عمه الاسم الموصول وما حواه ال ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ الله علا اسمه ﴿صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ كلاما وعملا لأهل الإدراك والأحلام ودلائل أحوال لسواهم كالطائر والأسد وسواهما.

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ المحل والحال ملك ومملوك ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ معاد الكل.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٤٣، ٤٤]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي﴾ هو للرواحل الحداء لها ﴿سَحَابًا﴾ حاصل المراد هو الإرسال ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ موصل عدد احاده واحد إلى واحد ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ واحدا على واحد ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ هو المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام على حد كل ما علاك سماء ﴿مِنْ﴾ ما هو ك ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ الهاء للسماء، والمراد الركام ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ عامل الكسر حاسر لما عماه الأطواد ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ الهاء لدر الماء والهواء ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا﴾ لآلئ ﴿بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ مرأى كل راء.

﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ المراد: أحوالها كالطول وعكسه والسواد وعكسه والحر وعكسه أو مع ما حرر حلول كل واحد محل ما وراءه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر مرده ﴿لَعِبْرَةً﴾ إحدى الدلائل ﴿لأولِي الأَبْصَارِ﴾ أهل الإدراك.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ

رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آية:٤٥، ٤٦]:

﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ هو الماء الوارد إلى الرحم، ولا حصر لورود أحد الهوام ولا ماء ولا رحم أصلا ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالصل، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كولد آدم والطائر، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالأسد والحمار والهر؛ ﴿يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ مما حرر وعهد، ومما لا عهد له لدى العالم، ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ كلها دلائل لكم على الواحد الأحد ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو الإسلام الموصل إلى دار السلام، ولما داعى ولد وائل ولد عم رسول الله وهو الكرار، وأراد ولد عم الرسول إسماع دعواه لرسول الله صلى الله على روحه وسلم ورد ولد وائل ما رامه ولد عم الرسول أوحى الله لرسوله ردد الله له السلام.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [آية:٤٧، ٥٠]:

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الواو لأهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ حكمهما ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الكلام والدعوى راد الحكم الله ورسوله ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الحاصل إسلامهم كلاما وصدرا وعلما وعملا.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ﴾ حكمه وما أوحاه لرسله ﴿وَرَسُولِهِ﴾ الحاكم كما حكم الله وأمره ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ لعلمهم عدم حكم الرسول لهم لسلوكهم على سوى مسلك العدل ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ الحكم ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ﴾ الهاء عائد إلى الحكم أو إلى الرسول ﴿مُذْعِنِينَ﴾ سراعا لعلمهم حصول الحكم لهم ﴿أَفِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ إلحاد ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ ووهموا عدم حكمك كما أمرك الله ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ أم راعهم عدم عدل الله ورسوله لا ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٥١، ٥٢]:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ المراد: الكلام الأولى والأحرى لحال أهل الإسلام المعهود كمال إسلامهم وصلاح حالهم ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لحكم الله ورسوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أمرهما وحكمهما ﴿وَيَخْشَ اللهَ﴾ على ما صدر، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ معامل كالمصحح ولولاها لكسر ما أمه الهاء ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ المراد: لهم دار السلام.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٥٣، ٥٤]:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ مكرا للعدو ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُلْ﴾ لهم ﴿لا تُقْسِمُوا﴾ على ما لا أصل له ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ معلوم أمرها أولى مما هو موهوم ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ كلامكم كلام طائع وعملكم عاص وسرائركم وما حواه صدركم معلوم لمولاكم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ مطروح الأول ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ على الرسول محمد ردد الله له السلام ﴿مَا حُمِّلَ﴾ هو أمر الإرسال وأداؤه لهم ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ هو السلوك على ما أمركم، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أداء الإرسال الساطع أمره.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ [آية:٥٥ - ٥٧]:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ محل أهل الإلحاد مملكهم ما حواه أعداؤهم ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ للمعلوم وسواه ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وملكهم مصر وسواه وهم الهود، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ هو الإسلام كعلوه على سائر الملل سواه ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ العدو ﴿أَمْنًا﴾ لهم، وحصل كله كما وعد الله علا اسمه ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ حال الاسم الموصل أو أول كلام مؤسس على سؤال مطروح ﴿لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ حال الواو، ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الوعد المسطور ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الكامل سكوعهم.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ سلوكًا على سائر أوامره ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أمل حلولكم دوائر مراحم أرحم الرحماء.

﴿لا تَحْسَبَنَّ﴾ رووه للسامع وسواه، وعلى كل هو الرسول الأكرم صلى اللهم على روحه وسلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله إدراكا وإهلاكا ﴿فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المعاد والمأوى دار الدرك[1].

---

(١) قوله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد بالنصرة. وقراءة العامة ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء خطابا. وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو حيوة ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، بمعنى لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين الله في الأرض، لأن الحسبان يتعدى إلى مفعولين. وهذا قول الزجاج. وقال الفراء وأبو علي: يجوز أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم؛ أي لا يحسبن محمد الذين كفروا معجزين الأرض. ف ﴿الَّذِينَ﴾ مفعول أول، و﴿مُعْجِزِينَ﴾ مفعول ثان. وعلى القول الأول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿أنفسهم﴾ مفعول أول، وهو محذوف مراد ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مفعول ثان. قال النحاس: وما علمت أحدا من أهل العربية بصريا ولا كوفيا إلا وهو يخطئ قراءة حمزة؛ فمنهم من يقول: هي لحن؛ لأنه لم يأت إلا بمفعول واحد ليحسبن. وممن =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٩)﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لما كمل الكلام على حكم المملوك العائد إلى الله عاد إلى إكمال حكمه العائد إلى مالكه، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ﴾ وكلها محال طرح الرداء والكساء وروم الواحد أهله ووطاءه ﴿ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ محمول على أول كلام مطروح أو معمول على وهم العامل المكرر لما حاكاه أول الكلام ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ﴾ الهاء لكل مملوك لهم وللأحرار الأولى ما أدركوا الحلم ﴿جُنَاحٌ﴾ ردع وملام ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ سوى المحال المحرر حكمها ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ لمصالحكم ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وحاصل أول الكلام ومحموله مؤكد للأول ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الأحكام ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ مطلع على أموركم وأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ محل أوامره محلها.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ﴾ الكلام للأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ على الحكم المار ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهم الأحرار الأولى أدركوا الحلم ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أحكامه ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرره مؤكد للحكم الأول.

=

قال هذا أبو حاتم. وقال الفراء: هو ضعيف؛ وأجازه على ضعفه، على أنه يحذف المفعول الأول، وقد بيناه. قال النحاس: وسمعت علي بن سليمان يقول في هذه القراءة: يكون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في موضع نصب. قال: ويكون المعنى ولا يحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في الأرض. قلت: وهذا موافق لما قاله الفراء وأبو علي؛ لأن الفاعل هناك النبي صلى الله عليه وسلم. وفي هذا القول الكافر. و﴿مُعْجِزِينَ﴾ معناه فائتين. وقد تقدم. ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٠١).

﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۢ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [آية:٦٠]:

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ عما هو دم وحمل للهرم ﴿اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ للهرم الحاصل وعدم الطامع ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ كالرداء وما حاكاه ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ ساطع أمرها ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ كعدم طرح الرداء وما حاكاه ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٦١]:

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ ردع وملام، والحكم المحرر رد لما وهمه الأصحاء، وهو عدم الأكل مع هؤلاء، ﴿وَلا﴾ ردع ولا ملام ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ المراد: دور أولادكم ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ كدار مملوكه أو ما وكلوا على كلئه ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وكله لو علم الأكل سرور المأكول طعامه وإلا لا، أو علم السرور لأهل الود وأكل طعام المحارم حلال علم السرور أو لا، أو الحكم المسطور ورد أول الإسلام ومحا الله حكمه ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ كل أحد وحده ورد ردا لما حرموا الطعام لدى عدم المؤاكل ورائم الأكل لو حصل معه مؤاكل حل له الأكل وإلا لا، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ مما مر سرده ﴿فَسَلِّمُوا

عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ المراد: سلموا على أهلها الأولى هم محارمكم أو أهلكم أو أولادكم، أو المراد: لو حل دارا لا أهل لها سلم على روحه، وعلى كل مملوك لله صالح وراد سلامه الأملاك كما ورد وحكاه الرسول الأكرم ردد الله له السلام ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الأحكام والمعالم وكرره مؤكدا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ صلاح أمركم.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [آية: ٦٢]:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ المراد: أهل الكمال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ مصمما صدرهم وكلامهم على الإسلام ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ مع الرسول ردد الله له السلام ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كما لو صلوا معه أو كروا على عدوهم ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لأمر ما ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ لكمال إسلامهم وحرصهم على أوامر مولاهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ﴾ الكلام للرسول ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ومهامهم ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ المراد: الأمر موكول لك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾[1] [آية: ٦٣، ٦٤]:

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿لا تجعلوا دُعاءَ الرسولِ بينكم كدُعَاءِ بعضِكم بعضاً﴾ أي: إذا احتاج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم لأمر جامع، فدعَاكم، فلا تتفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً، ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الراعي؛ لأن أمره - عليه الصلاة والسلام - وشأنه ليس كشأنكم: أو: لا تجعلوا دعاء =

﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ كما لو صاحوا له ودعوه آمحمد آأحمد كدعاء واحدهم لأحدهم، والمراد: ادعوه رسول الله وهو الأحرى والأولى لكرمه على مولاه وسموه علاه صلى الله على روحه وسلم، أو المراد: دعاء الرسول إلى مصلى أو مكر، والمراد: إسراعهم لأمره وما رامه وعدم إهمال دعائه ردد الله له السلام كإهمال دعاء أحدهم لواحدهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ كمطورهم ورسول الله وسط المصلى، أو حال الكر على الأعداء ﴿لِوَاذًا﴾ وراء أحد أو معه، وهو معمول على الحال للواو ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أمر الله أو الرسول، وكلاهما واحد ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأواء حالا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لدى المعاد مآلا.

﴿أَلا إِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ علمًا مؤكدًا، والمراد: هو معاملكم على عملكم الصالح والطالح، (وَ) عالم (يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) الهاء لله علا اسمه ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأعمال صالحها وطالحها وسواها.

=

الرسول على أحد، كدعاء بعضكم على بعضاً، فإنَّ غضبه عليه ليس كغضبكم؛ لأن غضبه غضب الله، ودعاءه مستجاب. وهذا يناسب ما قبله من جهة التحذير عن ترك الاستئذان، فإنَّ من رجع بغير استئذان معرض لغضبه - عليه الصلاة والسلام - ودعائه عليه. أو: لا تجعلوا نداءه صلى الله عليه وسلم كنداء بعضكم بعضاً؛ كندائه باسمه، ورفع الصوت عليه، وندائه من وراء الحُجرات، ولكن بلَقَبه المعظم؛ يا رسول الله، يا نبي الله، مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت. قال القشيري: أي: عَظِّموه في الخطاب، واحفظوا حرمته وخدمته في الأدب، وعانقوا طاعته على مراعاة الهيبة والتوقير. هـ. فالإضافة، على الأولَيْن: للفاعل، وعلى الثالث؛ للمفعول، لكنه بعيد من المناسبة لما قبله ولما بعده في قوله: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون﴾ أي: يخرجون قليلا قليلا على خِفْيَةٍ منكم، ﴿لِوَاذاً﴾ أي: ملاوذين، بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج، أو يلوذ بمن يخرج بالإذن؛ إراءة أنه من أتباعه. أو مصدر، أي: يلوذون لواذاً. واللواذ: الملاوذة، وهي التعلق بالغير، وهو أن يلوذ هذا بهذا في أمر، أي: يتسللون عن الجماعة؛ خفية، على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض. انظر البحر المديد (١٦٢/٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان

مكية، وآيها سبع وسبعون آية

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾[1] [آية: ١ - ٣]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ اختلف في معناه؛ فقال الفراء: هو في العربية و"تقدس" واحد، وهما للعظمة. وقال الزجاج: ﴿تبارك﴾ تفاعل من البركة. قال: ومعنى البركة الكثرة من كل ذي خير. وقيل: ﴿تبارك﴾ تعالى. وقيل: تعالى عطاؤه، أي زاد وكثر. وقيل: المعنى دام وثبت إنعامه. قال النحاس: وهذا أولاها في اللغة والاشتقاق؛ من برك الشيء إذا ثبت؛ ومنه برك الجمل والطير على الماء، أي دام وثبت. فأما القول الأول فمخلط؛ لأن التقديس إنما هو من الطهارة وليس من ذا في شيء. قال الثعلبي: ويقال تبارك الله، ولا يقال متبارك ولا مبارك؛ لأنه ينتهي في أسمائه وصفاته إلى حيث ورد التوقيف. قلت: قد ذكر بعض العلماء في أسمائه الحسنى "المبارك" وذكرناه أيضا في كتابنا. فإن كان وقع اتفاق على أنه لا يقال فيسلم للإجماع. وإن كان وقع فيه اختلاف فكثير من الأسماء اختلف في عده؛ كالدهر وغيره. وقد نبهنا على ذلك هنالك، والحمد لله. و﴿الفرقان﴾ القرآن. وقيل: إنه اسم لكل منزل؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. وفي تسميته فرقانا وجهان: أحدهما: لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر. الثاني: لأن فيه بيان ما شرع من حلال وحرام؛ حكاه النقاش. ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ يريد محمدا صلى الله عليه وسلم. ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ اسم "يكون" مضمر يعود على ﴿عبده﴾ وهو أولى لأنه أقرب إليه. ويجوز أن يكون يعود على ﴿الفرقان﴾. وقرأ عبد الله بن الزبير: ﴿عَلَى عِبَادِهِ﴾. ويقال: أنذر إذا خوف؛ وقد تقدم في أول "البقرة". والنذير: =

﴿تَبَارَكَ﴾ علا وسمَا ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ كلام الله المكرم ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﴿لِيَكُونَ﴾ كلامه أو محمد رسوله ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ المرسل لهم الرسول ﴿نَذِيرًا﴾ مروعهم مما صادم أمر مولاهم.

﴿الَّذِي﴾ معمول على وهم عود عامل الاسم الموصول الأول، أو معمول على المدح ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكًا ومملوكًا ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما ادعاه أهل العمى المرسل لهم الروح ردد الله له السلام ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما ادعاه أهل الركوع إلى الصور كود وسواع ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ سواه وأهله لما أراده له.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ الهاء لله علا اسمه، والمراد سواه ﴿آلِهَةً﴾ صورا ﴿لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ المركوع لهم هو مصورهم، ﴿وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ رده أو أراده أحد لهم ﴿وَلا نَفْعًا﴾ لوهم أو لو أدراك وأرادوه ﴿وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ لأحد، والمراد: مالك هؤلاء هو الإله وما سواه مملوك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ما ﴿هَذَا﴾ أرادوا كلام الله المكرم ﴿إِلا إِفْكٌ﴾ كلام لا أصل له ولا هو كلام الله كما ادعاه محمد ردد الله له السلام ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد ﴿وَأَعَانَهُ﴾ الهاء للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَيْهِ﴾ على الكلام المسطور ﴿قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ كعداس وسواه أطلعوه على ما صدر وحصل للأمم الأول وهو سطره مع ما

=

المحذر من الهلاك. الجوهري: والنذير المنذر، والنذير الإنذار. والمراد بـ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ هنا الإنس والجن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان رسولا إليهما، ونذيرا لهما، وأنه خاتم الأنبياء، ولم يكن غيره عام الرسالة إلا نوح فإنه عم برسالته جميع الإنس بعد الطوفان، لأنه بدأ به الخلق. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/١).

علمه وادعاه لله ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا﴾ لادعائهم ما حاصله كلام الله علا اسمه هو كلام لعداس أو سواه ﴿وَزُورًا﴾ على الرسول لما وهموه هو المؤسس لكلام وادعاؤه لله لا أصل له.

﴿وَقَالُوا﴾ وادعوا سوى ما حرر وهو ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما سطره الأمم الأول ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ حررها له محرر سواه ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ مكررا لها أمورًا على سمعه.

﴿قُلْ﴾ لهم ردا لدعواهم ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما لا وصل للعلم له كحلول المطر وما حل الأرحام وورود الحمام ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ لكل موحد ﴿رَحِيمًا﴾ لحالهم.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [آية: ٧ - ١٠]:

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ مرادهم مع ادعائه الإرسال هو ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كأكل ولد آدم كلهم ﴿وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ وأحواله كلها كأحوال ولد آدم ومرادهم لو صح ما ادعاه وهو الإرسال لعاكس حاله أحوالهم ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ مسلما له لكل دعوى ادعاها.

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ مال واسع مؤد إلى عدم مسعاه ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ محل حاو للكلأ والسمراء والأمواه وسواها ﴿يَأْكُلُ﴾ ورواه راوٍ على وروده للمكلم ومعه سواه ﴿مِنْهَا﴾ كما لسائر أهل الوسع والأموال ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ المراد: أهل الإلحاد لأهل الإسلام ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا﴾ سحره سواه وآمال حلمه وإدراكه أوله سحر وهو واحد اللها، أو هو ممر الروح، ومرادهم أحد ولد آدم لا ملك.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ حاولوا لك أحوالا لا أصل لها كحصول المال، وحلول الملك معه والمسحور ﴿فَضَلُّوا﴾ عما هو هدى وما هو موصل إلى إدراك درر

العوالم وهم الرسل ردد الله لهم السلام ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا﴾ مسلكا إلى رد أمر إرسالك أو إلى الهدى.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ مما أوردوه لك كالأموال وسواها ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أمواهها ﴿وَيَجْعَلْ﴾ رد الواو على محل مكمل العامل، ورواه ولد عامر وسواه مسموكا ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ وهل هو وعد لدى المعاد مآلا أو للحال، كلاهما رواه أهل العلم.

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [آية: ١١ - ١٦]:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ وما أدركوا إلا حطام الدار الأولى وما لا دوام له وعموا عما هو دائم وهو أمر المعاد ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾ أمر المعاد ﴿سَعِيرًا﴾.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ المراد: حصل مرآهم لها ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ حد وصول المرآى ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ أو لأملاكها ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾ حال للمحل وراءه ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ الكدر حاصل معه والروح والسرور مع وسع المحل كما هو معلوم ومحسوس لكل أحد ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ هو أحكام وكاء الكوع مع الكود ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أراد وراموا الهلاك ووروده وكلام الأملاك لهم.

﴿لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا ﴿وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ على عدد الآلام لكم.

﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ ما أوعده الله أهل العمى، وهو دار الدرك والأهوال المار سردها ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ كما علم الله حلولهم وسطها أو كما سطر حلولهم وسط اللوح، أو على حكم ما وعدهم لحصول وعده كما وعد ﴿جَزَاءً﴾ على إسلامهم وأعمالهم ﴿وَمَصِيرًا﴾ معادًا ومردًا.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ الآلاء اللَّاء وصل إدراكهم لها على سلوك همم للكامل

والأكمل وعلوها ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مراد حصولها، وهو إما للواو أو الهاء ﴿كَانَ﴾ اسمها إما عائد للاسم الموصول وهو ما أو لمصدر وعد المار، ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً﴾ والسائل هو الموعد أو الأملاك.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[1] [آية: ١٧ - ١٩]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أن قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ راجع إلى قوله ﴿وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءالِهَةً﴾ (الفرقان ٣) ثم ههنا مسائل
المسألة الأولى يَحْشُرُهُمْ فنقول كلاهما بالنون والياء وقرىء نَحْشِرُهُمْ بكسر الشين المسألة الثانية ظاهر قوله ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ أنها الأصنام وظاهر قوله فَيَقُولُ ﴿أَءنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي﴾ أنه من عبد من الأحياء كالملائكة والمسيح وغيرهما لأن الإضلال وخلافه منهم يصح فلأجل هذا اختلفوا فمن الناس من حمله على الأوثان فإن قيل لهم الوثن جماد فكيف خاطبه الله تعالى وكيف قدر على الجواب فعند ذلك ذكروا وجهين أحدهما أن الله تعالى يخلق فيهم الحياة فعند ذلك يخاطبهم فيردون الجواب وثانيها أن يكون ذلك الكلام لا بالقول اللساني بل على سبيل لسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح الموات وكلام الأيدي والأرجل وكما قيل سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً وأما الأكثرون فزعموا أن المراد هو الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام قالوا ويتأكد هذا القول بقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاء إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ (سبأ ٤٠) وإذا قيل لهم لفظة (ما) لا تستعمل في العقلاء أجابوا عنه من وجهين الأول لا نسلم أن كلمة (ما) لما لا يعقل بدليل أنهم قالوا (من) لما لا يعقل والثاني أريد به الوصف كأنه قيل (ومعبودهم) وقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا﴾ (الشمس ٥) ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (لكافرون ٣) لا يستقيم إلا على أحد هذين الوجهين وكيف كان فالسؤال ساقط المسألة الثالثة حاصل الكلام أن الله تعالى يحشر المعبودين ثم يقول لهم أأنتم أوقعتم عبادي في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم قالت المعتزلة وفيه كسر بين لقول من يقول إن الله يضل عباده في الحقيقة لأنه لو كان الأمر كذلك لكان الجواب الصحيح أن يقولوا إلهنا ههنا قسم ثالث غيرهما هو الحق وهو أنك أنت أضلتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا إضلالهم إلى أنفسهم علمنا أن الله تعالى لا يضل أحداً من عباده فإن قيل لا نسلم أن المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه فإنهم قالوا ﴿وَلاكِن مَّتَّعْتَهُمْ
=

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ الله علا اسمه، ورواه راوٍ على وروده لعلو كمال المكلم كما لو كلم ومعه سواه ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد: سواه كالروح والأملاك ردد الله لهم السلام وسائر الصور كود وسواع ﴿فَيَقُولُ﴾ الله علا اسمه، ورواه ولد عامر على وروده للمكلم كما لو كلم ومعه سواه ﴿أَأَنْتُمْ﴾ السؤال لسطوع أمر الرد على الركع لسوى الله ممهدا لحصول الكدر لهم ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ﴾ لسوء آرائهم وعدم إدراكهم مسلك الهدى وردهم دعوى الرسل ﴿ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ المسلك الموصل إلى الله.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ المراد سواك ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد للعدم لا مؤدى له سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أحدهم لوروده معصوما كالرسل والملك واحدهم لعدم صلاحه لأمر ما كالصور لعدم الحس والإدراك ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ آلاء وإكراما وطول عمر ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ لآلائك أو كلامك المكرم، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى وواحده كهالك.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ رد المركوع لهم دعوى الركع ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ وهو ادعائكم لهم أحكام الإله أو ادعائكم ردهم لكم إلى مسالك العمى ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ ورواه راوٍ إلى السامع ﴿صَرْفًا﴾ ردا لما أعده الله لكم على سوء عملكم وإلحادكم ﴿وَلا نَصْرًا﴾ ردء على الرد المسطور ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ ركوعا إلى سوى الله علا اسمه والكلام عام لسائر الأمم ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ هو دار الدرك وسوء المرد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [آية:٢٠]:

=

وَءابَاءهُمْ حَتَّى نَسُواْ الذّكْرَ﴾ وهذا تصريح بأن ضلالهم إنما حصل لأجل ما فعل الله بهم وهو أنه سبحانه وتعالى متعهم وآباءهم بنعيم الدنيا قلنا لو كان الأمر كذلك لكان يلزمهم أن يصير الله محجوباً في يد أولئك المعبودين ومعلوم أنه ليس الغرض ذلك بل الغرض أن يصير الكافر محجوجاً مفحماً ملزماً هذا تمام تقرير المعتزلة في الآية أجاب أصحابنا بأن القدرة على الضلال إن لم تصلح للاهتداء فالإضلال من الله تعالى وإن صلحت له لم تترجح مصدريتها للإضلال على مصدريتها للاهتداء إلا لمرجح من الله تعالى وعند لذلك يعود السؤال وأما ظاهر هذه الآية فهو وإن كان لهم لكنه معارض بسائر الظواهر المطابقة لقولنا. انظر تفسير الرازي (٥٤/٢٤).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا﴾ رسلا ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ وحكمك وحكمهم واحد ولامهم ملاؤهم كما لامك ملاؤك على أكل الطعام وسواه، والكلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ كأهل الأموال لأهل العدم والأصحاء لأهل العلل والداء والأمراء والرؤساء لكل صعلوك والعلماء لعكسهم والرسل الكرام للعوالم، والكل حساد للأول على ما أكرمهم مولاهم ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على سماعكم المكروه سؤال وارد مورد الأمر ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ مطلعا على أحوال المسلم أمره لمولاه مع سماعه المكروه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [آية:٢١، ٢٤]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لردهم أمر المعاد ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ﴾ رسلا أو مع محمد دوال على إرساله ردد الله لهم السلام ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ آمرًا اسلموا لمحمد وهو رسول ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ لما أرادوا ما أراده ردد الله له السلام وهو رسول معصوم مكمل وما وصل له ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ أورد لهم.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ﴾ هم أملاك الألم ﴿لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ولأهل الإسلام السرور الكامل والمراحم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الواو لأهل الإلحاد أو للأملاك ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ كلام هم حاكوه لدى ورود عدو أو أمر مكروه، وحاصله الدعاء إلى الله لرده، وعلى حمله للأملاك المراد: حراما محرما على أهل الإلحاد الحلول لدار السلام أو السرور.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ صالح كوصل الرحم وإطعام الطعام ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً﴾ هو العفار الساطع وسط الهواء ﴿مَنْثُورًا﴾ لا رَكمَ له أمد الدهر والإعصار لإعطاء المولى لهم على أعمالهم الآلاء حالا لا مآلا لدى المعاد ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلا﴾ هو حلول الدار حال الحر، والمراد: محل أهل الإسلام وهو دار السلام محل السرور، ومحل أولئك، وهو دار الدرك والألم محل الكدر السرمد.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولاً ﴾ [آية:٢٥، ٢٩]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لا ورد مطروح ﴿تَشَقَّقُ﴾ وروى ولد عامر وسواه ما أمه الوسط كالوسط ﴿السَّمَاءُ﴾ كل سماء ﴿بِالْغَمَامِ﴾ المراد: معه لا وحدها ﴿وَنُزِّلَ﴾ كوحد ولسوى المعلوم، ورواه راوٍ كأكرم على وروده للمكلم كما لو كلم ومعه سواه ﴿الْمَلائِكَةُ﴾ وسط الركام ومعهم طروس أعمال الأمم ﴿تَنْزِيلا﴾ مصدر مؤكد لعامله.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ ولو هو المالك على كل حال لهلاك الملاك كلهم ما عدا الواحد الأحد إعطاء للمالك صورا حكم المالك أصلا، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ لا على أهل الإسلام.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾ هو للعموم أو لواحد معلوم ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ سدمًا على ما مرَّ وصدر ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿سَبِيلا﴾ مسلكا إلى الهدى.

﴿يَا وَيْلَتَى﴾ ورواه راوٍ على أصله، ومؤداه كمؤدى وأهلكاه ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا﴾ المراد: كل اسم صالح للعلم أو احد معلوم كما مر حكم أل ﴿خَلِيلا﴾.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ هو لا إله إلا الله، وسماع كلام الرسول أوامره وروادعه، أو هو كلام الله المكرم ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ﴾ الملحد ﴿خَذُولا﴾ والاه وأوصله إلى الهلاك ولما هلك لوسواسه حاد ومطر.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [آية: ٣٠، ٣١]:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ سماعا.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ هو كلام الله، والمراد كما لك أعداء ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ

الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك إلى مسلك كهرهم، ﴿وَنَصِيرًا﴾ لك على أعدائك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [آية: ٣٢ - ٣٤]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كما ورد الكلام الموحى لموسى وداوود والروح ردد الله لهم السلام ورد الله ما أوردوه مما لا طائل له لما أوحى لرسوله ﴿كَذَلِكَ﴾ ورد لك ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ ولولاه لما وسعه صدرك إلا مع العسر ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾ على مهلٍ لعدم عسر إدراكه وحرسه.

﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ سؤال وارد لطموس مدعاك ﴿إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الهادم لما أسسوه وسألوه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ مؤدى ومراما مما سألوه وأدلَّ على إرسالك.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾[1] الاسم الموصل محمول على هم مطروح، أو أول كلام ومحموله ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ مسلكا وواردا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ أي: يُحشرون كائنين على وجوههم، يُسبحون عليها، ويجرون إلى جهنم. وقيل: مقلوبين؛ وجوههم إلى قفاهم، وأرجلُهم فوق، ﴿أولئك شرُّ مكاناً﴾ أي: مكانة ومنزلة، أو: مسكناً ومنزلا، ﴿وأضلُّ سبيلا﴾؛ وأخطأ طريقاً. ونزلت الآية لَمَّا قالوا: إن أصحاب محمد شر خلق الله وأضل الناس طريقاً. وقيل: المعنى: إن حاملكم على هذه السؤالات اعتقادُكُمَ أن محمداً ضال، ومكانه حقير، ولو نظرتم إلى ما يؤول إليه أمركم، لعلمتم أنكم شر منه مكاناً، وأضل سبيلا. والله تعالى أعلم. الإشارة: تثبيت القلوب على الإيمان، وتربية اليقين، يكون بصحبة الأبرار ورؤية العارفين الكبار، والترقي في معاريج التوحيد، إلى أن يفضي إلى مقام العيان، يكون بعقد الصحبة مع أهل التربية، وخدمتهم وتعظيمهم، حتى يوصلوه إلى ربه. ومن شأنهم أن الله يدافع عنهم، ويجيب من سألهم تشغيباً، فيلهمهم الجواب، فضلا منه، فلا يُسألون عن شيء إلا جاءهم بالحق وأحسن تفسيراً، ثم هدد من صغَّرهم وحقَّر شأنهم بقوله: ﴿الذين يُحشرون...﴾ الآية. والله تعالى أعلم. انظر البحر المديد (١٢٨/٥).

كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [آية: ٣٥ - ٣٩]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ رداً على إعلاء أوامر الله وإحكام أحكامه.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ عدو موسى وملاؤه أهل مصر ﴿بِآيَاتِنَا﴾ كالعصا وسواها ومطر موسى وردؤه ردد الله لهما السلام إلى أعدائهما كما أمر الله ووردوا دعواهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ المراد: أهلكلهم الله إهلاكا.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ لما ردوا دعوى الرسول المحرر وهو رسولهم صاروا كما لو ردوا مدعى الرسل كلهم لدعوى سائر الرصد الأمم إلى أصل واحد وهو لا إله إلا الله ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مآلا لدى المعاد سوى اللم الأول.

(وَ) أورد لهم (عَادًا) هم ملأ هود، ﴿وَثَمُودَ﴾ ورواه راوٍ كأحمد، وهؤلاء هم ملأ صالح، ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ ملأ ركع للصور كود وسواع داروا حول الرس وأهلكهم الله، أو هم ملأ دسوا رسولهم وسط الرس ولما هلك دمرهم الله ﴿وَقُرُونًا﴾ أمما سواهم أهل إعصار ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ملأ هود، وصالح، وأهل الرس ﴿كَثِيرًا﴾ ما أحصى عددها إلا الله.

﴿وَكُلا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ﴾ ولاح لهم الدلائل، ولما أصروا على سوء عملهم أهلكوا كما حكى الله علا اسمه وهو ﴿وَكُلا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أهلكهم الله إهلاكا.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [آية: ٤٠ - ٤٢]:

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ ملحدو أم رحم، والمراد: مروا مرارا ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ سدوم محل رؤساء ملأ لوط ﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ لما لاط أهلها وأهلكهم الله كلهم ﴿أَفَلَمْ

يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ لدى مرار مرورهم على رسومها ﴿بَلْ كَانُوا﴾ ملحدا أم رحم ﴿لا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ عودًا لدى المعاد كما هو أمل أهل الإسلام.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ الكلام للرسول محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إلا هُزُوًا﴾ وكلامهم ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولا﴾ على دعواه.

﴿إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد مطروح اسمه وهو الهاء ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ على الركوع لها والإمساك لأمرها، ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ المعد لهم لدى المعاد ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾ واردًا ومسلكا أهم أم أهل الإسلام، والمراد: ولو أمهلهم الله ما أهملهم.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٤٣، ٤٤]:

﴿أَرَأَيْتَ﴾ احك والسؤال للأمة ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أطاع هواه ﴿أَفَأَنْتَ﴾ السؤال للرد ﴿تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا﴾ كالئًا له عما هو سلوك على مسلك هواه لا.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ كلامك لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ﴾ لعدم إدراكهم دلائل الإرسال ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾ لإدراكها ما هو الصالح لها وهؤلاء لا إدراك لهم لصالحهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٤٥ - ٥٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ حال مرور سواد المد لهم إلى الطلوع ﴿وَلَوْ

شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ دائما أمدا ما هو حائل لطلوعها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ الهاء لمعمول مد ﴿دَلِيلا﴾ ولولاها ما علم ولا أدركه الحس ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ الهاء عائد لمعمول مد الممدود ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ كطلوعها، ولما أورد مد، والمراد: أسار أورد وراءه عكسه، أو المراد سهلا، وحصوله لدى حلول أمر العالم وأعمارها كلها.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ كلا ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ حاسما للأعمال ومراحا للعوالم، ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ لروم المأكل وسائر المصالح.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿بُشْرًا﴾ كسعر، ورواه راوٍ كصلح، وراوٍ أوله الموحده، وراوٍ كعصر ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ المراد: أمام المطر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ اسم لكل ما علا وهو الركام ﴿مَاءً﴾ مطرا ﴿طَهُورًا﴾ مطهرا.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ لعدم الكلأ والمحصود ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ الهاء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ كالرواحل والحمل والحمر وسؤالها ﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ أولاد آدم ﴿كَثِيرًا﴾ كأهل المدر.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الهاء للمطر ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ آلاء الله، ورواه راوٍ كأكل ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾ عدم الحمد على آلاء المولى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ رسولا مروعا أهلها سواك، ولعلو سؤدد محمد صلى الله على روحه وسلم أرسله الله إلى سائر الأمم أهل الأمصار وأهل المدر ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ مائلا إلى هواهم، ولعله ردع للرسول محمد ردد الله له السلام، والمراد: ردع أهل الإسلام ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ الهاء لكلام الله المكرم ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لعلو مكر العلم والدلائل على مكر الحسام.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [آية: ٥٣ - ٥٥]:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما مرصوصا واحد إلى واحد ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ حاسم حر الأوام، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ملح كل الملح ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ رادًا ورادعا لحصولهما طما وماء واحدا، ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ حدا محدودا.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ هو الماء الوارد على الأرحام لدى الوطء ﴿بَشَرًا﴾

ولد آدم ﴿فَجَعَلَهُ﴾ إما ﴿نَسَبًا﴾ وهو الواطئ (وَ) إما (صِهْرًا) وهو الأهل والعرس ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الماء الوارد على الأرحام مساوٍ آحاده والمولود الحاصل معاكس إعداده.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ الواو لكل عادل وملحد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مَا لا يَنْفَعُهُمْ﴾ لو ركعوا له، ﴿وَلا يَضُرُّهُمْ﴾ لو حادوا وما ركعوا للصور ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ كل عادل وملحد ﴿عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ مساعدا للوسواس عدم آدم وأولاده على الإلحاد والعدل.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [آية: ٥٦، ٥٧]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا مُبَشِّرًا﴾ لأهل الإسلام، ﴿وَنَذِيرًا﴾ مردعا أهل العدل والإلحاد ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ الهاء لأداء أمر الإرسال ﴿مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿أَجْرٍ﴾ مال وعطاء ﴿إلا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾ المراد: لا أسألكم عطاء على أداء أوامر الله لكم إلا عملا صالحا موصلكم إلى الله، أو المراد إلا إعطاء مال لأهل العدم، أو للأرحام، أو ما حاكاهما لا له ردد الله له السلام.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾(١) هو الدائم العطاء وما سواه هالك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ اعل كماله عما هو وصم واحمده أمد العمر على آلائه ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ﴾ معمول أمام العامل، وهو ما أدى مؤدى مطلعا ﴿عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ مطلعا وعالما، وما على الرسل لو أسلم الأمم أو ألحدوا.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ تقدم معنى التوكل في ﴿آل عمران﴾ وهذه السورة وأنه اعتماد القلب على الله تعالى في كل الأمور، وأن الأسباب وسائط أمر بها من غير اعتماد عليها. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي نزه الله تعالى عما يصفه هؤلاء الكفار به من الشركاء. والتسبيح التنزيه، وقد تقدم. وقيل: ﴿وَسَبِّحْ﴾ أي وصل له؛ وتسمى الصلاة تسبيحا. ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾ أي عليما فيجازيهم بها. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦٢/١٣).

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ مدد كـ ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ولو أراد حصول العالم كله على أسرع حال لحصل ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ ملك ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو واحد سرر الملك ووحد سرده لملك سواه ملك الأولى أو الله أعلم ما المراد ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ﴾ الأمر لكل أحد أراد السؤال ﴿بِهِ﴾ الهاء لله علا اسمه، والمراد: السؤال عما هو الأولى والأحرى لكمال الإله الواحد الأحد أو للسؤال عما حرر، وهو أمر السماء وأحوال حصولها ﴿خَبِيرًا﴾ عالمًا له الإطلاع والعلم الكامل، وهو الله علا اسمه أو هو الملك الروح ردد الله له السلام.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [آية: ٦٠ - ٦٢]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ هم ملحدو أهل الحرم الحرام ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ ووحدوه ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ سألوا وأوردوا ما لعدم سماعهم ورود الاسم المحرر لله ووهموا مسمى سوى الله ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع والآمر على كل هو محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ الأمر المحرر ﴿نُفُورًا﴾ عما هو الهدى.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ علا وسما كماله ﴿جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ كالحمل والأسد والدلو، أعدها الله لحلول عطارد وما حكمه كحكمه، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ الهاء للسماء ﴿سِرَاجًا﴾ محا لألاؤه وطلوعه سواد المساء، ورواه راوٍ كسعر للعدد ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ حل كل محل الأول ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ ورواه راوٍ على وروده كأكل ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ وحمدا لمولاه على ما أولاه.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ

لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [آية: ٦٣ - ٧٧]:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ أول كلام محموله أولئك ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ لا سمودًا ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ وكلموهم كلامًا كرهوه ﴿قَالُوا سَلامًا﴾ كلموهم كلام سداد مسلما عما هو حرام أو مكروه.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ طول المساء وهو عدد، أو مصدر سرى مسرى العدد.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لدى دعائهم مع عملهم الصالح المسطور ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ دائما لا حول له؛ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ على أحد ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾ هو إعطاء الأموال وإهلاكها على ما حرم الله ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ كعدم إعطاء السهم المحدود كما أمر الله ﴿وَكَانَ﴾ إعطاؤهم الأوال ﴿بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ وسطا وعدلا.

﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ حرم إهلاكها ﴿إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الإلحاد والإهلاك والعهر أحدها أو كلها ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ هو ما أعده الله للعامل على العمل السوء.

﴿يُضَاعَفْ﴾ ورواه راوٍ كسدد ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ﴾ ورواه ولد عامر

مطموح الدال كالأول ﴿فِيهِ مُهَانًا﴾ حال.

﴿إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المار سردها ﴿حَسَنَاتٍ﴾ لدى المعاد كإلهامهم الهود إلى الله، ومحو سوء أعمالهم، أو المراد: إلهامهم سلوك الوارد الموصل إلى الهدى، ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وهو على ما هو.

﴿وَمَنْ تَابَ﴾ مما أساء سوى المار حكمهم ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ سدم على ما صدر وعاد إلى مولاه ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾ عائد إلى الله عودا ومعامله على صالح عمله.

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ الكلام السوء والعوراء ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ كالأولى ما سمعوه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كلامه المكرم ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ المراد: ما مر حكمها على أسماعهم وإدراكهم إلا وعوها وسلكوا على وارد أمرها وردعها.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ ورواه والد عمرو وسواه على الواحد لا العدد ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أهل صلاح، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ وحده لوروده مصدر الأصل، والمراد: أهل علم وعمل.

﴿أُولَئِكَ﴾ ها هو المحمول ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ هو أحد أسماء دار السلام أو اسم لا على محل وسطها ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على مر الأوامر وحلو صالح العمل، ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ ورواه راوٍ على ورود أصله كسمى ﴿فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ والمسلم هم الملاك.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا حمام ولا طموح ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ لهم.

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم والمأمور محمد ردد الله له السلام ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾ لدى اللأواء ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ رسوله المكرم وكلامه المكرم، وحاصل الكلام: لولا دعاؤكم مولاكم لما حسر اللأواء لعدم إسلامكم لرسوله وكلامه، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ ما أعده الله لكم على عدم الإسلام ﴿لِزَامًا﴾ معكم لا حول له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء

مكية إلا ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ [آية: ٢٢٤ - ٢٢٧]، وآيها مائتان وسبع وعشرون آية

﴿طسٓمٓ ۝١﴾[1] [آية: ١]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿طسم﴾ قرأ الأعمش ويحيى وأبو بكر والمفضل وحمزة والكسائي وخلف: بإمالة الطاء مشبعا في هذه السورة وفي أختيها. وقرأ نافع وأبو جعفر وشيبة والزهري: بين اللفظين؛ واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. وقرأ الباقون بالفتح مشبعا. قال الثعلبي: وهي كلها لغات فصيحة. وقد مضى في ﴿طه﴾ قول النحاس في هذا. قال النحاس: وقرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم والكسائي: ﴿طسم﴾ بإدغام النون في الميم، والفراء يقول بإخفاء النون. وقرأ الأعمش: وحمزة: ﴿طسين ميم﴾ بإظهار النون. قال النحاس: للنون الساكنة والتنوين أربعة أقسام عند سيبويه: يبينان عند حروف الحلق، ويدغمان عند الراء واللام والميم والواو والياء، ويقلبان ميما عند الباء ويكونان من الخياشيم؛ أي لا يبينان؛ فعلى هذه الأربعة الأقسام التي نصها سيبويه لا تجوز هذه القراءة؛ لأنه ليس ها هنا حرف من حروف الحلق فتبين النون عنده، ولكن في ذلك وجيه: وهو أن حروف المعجم حكمها أن يوقف عليها، فإذا وقف عليها تبينت النون. قال الثعلبي: الإدغام اختيار أبي عبيد وأبي حاتم قياسا على كل القرآن، وإنما أظهرها أولئك للتبيين والتمكين، وأدغمها هؤلاء لمجاورتها حروف الفم. قال النحاس: وحكى أبو إسحاق في كتابه "فيما يجرى وفيما لا يجرى" أنه يجوز أن يقال: ﴿طسين ميم﴾ بفتح النون وضم الميم، كما يقال هذا معدي كرب. وقال أبو حاتم: قرأ خالد: ﴿طسين ميم﴾. ابن عباس: ﴿طسم﴾ قسم وهو اسم من أسماء الله تعالى، والمقسم عليه: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾. وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن أقسم الله به. مجاهد: هو اسم السورة؛ ويحسن افتتاح السورة. =

﴿طسم﴾ مر الكلام على أوائل السور مرارا والأصح: الله أعلم ما المراد.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [آية: ٢ - ٤]:

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿الْمُبِينِ﴾ اللامع أمر هداه ولألاؤه.

﴿لَعَلَّكَ﴾ الكلام لمحمد ردد الله له السلام ﴿بَاخِعٌ﴾ مهلك ﴿نَفْسَكَ﴾ لـ ﴿أَلا يَكُونُوا﴾ الواو لأهل الحرم الحرام ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ والمصدر المحصل معمول للام، وهو لعدم إسلامهم أو روع عدم الإسلام.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ أمرًا مروعًا رادًا لهم إلى الإسلام على كل حال ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ لما ورد أولو الأحلام موسومًا لها عددها كموسومه.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [آية: ٥، ٦]:

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ كلام الله ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ وروده على الرسول لا كلام الله كما هو معلوم ﴿إِلا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ حالا كحلول الحسام على رؤوسهم والهلاك أو مآلا لدى المعاد، وهو ما أعده لهم على عملهم ﴿أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ المراد: كلام الله هو أم لا.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ﴾ وأحوالها ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ كالسمراء والسمسم والكلأ ﴿كَرِيمٍ﴾ محمود أكله وطعمه وروحه ومرآه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ ودلائل على كمال حكم واحد أحد لا إله إلا هو ﴿وَمَا كَانَ

=

الربيع: حساب مدة قوم. وقيل: قارعة تحل بقوم. ﴿طسم﴾ و﴿طس﴾ واحد. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/٨٧).

﴿أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لعدم رسم إسلامهم وسط اللوح، ولو رسم وعلمه الله لسلموا إلى رسوله وكلامه وأسلموا.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ كاهر لا مكهور ﴿الرَّحِيمُ﴾ عم رحمه العوالم كل طائع وعاص، أو لأهل الإسلام والهدى.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ

ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [آية:١٠ - ٦٨]:

أورد لهم ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ رسولا لهم.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو معهم ﴿أَلا يَتَّقُونَ﴾ الله ولا هم موحدوه.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ لعدم إسلامهم، ﴿وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ إلى أداء أمر الإرسال ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ المراد: مساعدا معه.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ هو إهلاكه لأحدهم وهو وسط مصر ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ المراد: ولما اؤد أوامرك لا المروع له هو حصول الهلاك أو الورود على موارد الحمام.

﴿قَالَ﴾ الله علا اسمه ﴿كَلا﴾ ما هم مهلكوك ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ موسى ومساعده وعدوهما ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ سامعو ما هو حاصل.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وحد الرسول لوروده مصدر الأصل وإلا كلاهما رسول ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿قَالَ﴾ عدو موسى لما وصل هو ومساعده وأوصلاه ما أمرهما الله لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ عصر لسدك حلم امك، ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ عددها كعدد أصل موعده سوى ما أكمله، ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿الَّتِي فَعَلْتَ﴾ أراد: إهلاك الواحد المار ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أراد: آلاءه وإكرامه له.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ المراد: حصل ما حصل وهو لا عالم ولا رسول.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علما وحكما محركا، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى أحد الأمم.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وصاروا كلهم كالمملوك لك لا، ومحصل المصدر مع مصدره محمول على أول كلام مطروح.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لما رأى عدم ارعواء موسى عما ادعاه وأراد هدر مدعاه ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ممَّ هو ولما رام ما لا وصول إلى إدراكه أصلا حاوله موسى ردد الله له السلام ورده إلى ما هو مدرك.

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أهل علم أدركوا المراد والكلام ووحدوه.

﴿قَالَ﴾ عدو موسى ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ هم رؤساء ملأه ﴿أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾ عدم وأم كلامه للسؤال الوارد الدال على عدم علمه مع ادعائه الإرسال السؤال على مواد آلهه وما هو، وهو أورد الرسوم.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ عدل موسى ردد الله له السلام إلى ما هو أدل إلى المدعى وأسرع إلى إدراك السامع.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وسماه رسولا سلوكا على ادعاء موسى لها

﴿لَمَجْنُونٌ﴾ لسؤاله أمرا وسلوك المسئول، وهو موسى على أمر سواه.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لو لكم حلم وإدراك أدركوا لا رد لسؤالكم إلا الرد المحرر.

﴿قَالَ﴾ لموسى لما هدم موسى ردد الله له السلام ما أورده ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ المعهود حالهم لك، وعدل إلى الكلام المحرر هددا لموسى ردد الله له السلام رأى عدم ارعوائه عما ادعاه.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ دال على أمر إرسال والواو للحال، ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ كالموم لها لمع ولألاء الهواء إلى السماء.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ماهر محصل لعلوم السحر كلها ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ المراد: عدم الحكم على أمرهما وأصرهما ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ لأهل علم السحر ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ أمالها ولد عامر، ووالد عمرو، ورواه ساحر ، ﴿عَلِيمٍ﴾ سام سحره سحر موسى.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ سؤال صدره هل، والمراد الأمر؛ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ على سحر موسى وعمله ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور الوسط ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ حكى حاك وعده لهم هو ورودهم على داره أمام كل أحد ومطورهم وراء الكل.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ المراد: أمرهم موسى لما سألوه طرح سحره وعصاه ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا﴾ لدى طرحها ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾[1] رواه راوٍ كسدد، وراوٍ كعلم، وكلاهما

(١) قال الرازي: قوله: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هي تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ فالمراد من قوله: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم (ويزورونه) فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى، (بالتمويه على الناظرين أو إفكهم) وسمى تلك الأشياء إفكاً مبالغة.
=

مؤداه الأكل المسرع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما موهوه مما لا أصل له.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ لما رأوا العصا وعملها، وعلموا عدم السحر سلموا لموسى ردد الله له السلام ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ﴾ ورواه روح وسواه مع السؤال لهم ﴿لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ﴾ الهاء لموسى ردد الله له السلام ﴿لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ علمكم أمرا ودسا أمرا أو وادعكم واسر لكم الأمر الحاصل ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مآل امركم وما هو حاصل لكم، وهو؛ ﴿لأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قَالُوا لا ضَيْرَ﴾ هو كما لو طرح وسطه وكرر راؤه وحاصله لا سوء ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ وراء حلول الحمام ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ المراد: عودهم لمولاهم لدى المعاد.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ مرادهم الأمل لا الطمع على أصله ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا﴾ المصدر معمول للام كسر مطروح أمام العامل ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أول مسلم لموسى ردد الله له السلام أو أول مسلم عصرهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ لما مر أعوام وهو داع لهم إلى الإسلام وما أسلم له أحد سوى الأول ﴿أَنْ﴾ للحل ﴿أَسْرِ﴾ وروى راوٍ أوله موصولا، وسرى وأسرى واحد، والمراد: سر كما رواه راو ﴿بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ وراءكم عدو موسى ورهطه، وهو معطل أمر الأمراء ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ لما علم سراهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ للعساكر وراءهم وكلامهم ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ سدسهم كره، وحكمهم المحرر لمحا لعسكرهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ ورواه راوٍ ممدودًا وراء الحاء، والمراد: مدركو الأمور أو كاملو السلاح أصحا ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ الهاء لعدو موسى وملأه ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾ لهم وسط مصر ﴿وَعُيُونٍ﴾ حاور ماؤها وسط الدور، ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال لهم وسماها كما سماها لعدم أدائهم سهمها كما حكم الله ورسله، ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ للأمراء والرؤساء.

﴿كَذَلِكَ﴾ محمول على أول كلام مطروح هو الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لما هلك عدو موسى وملاؤه والهاء لأموالهم ومحالهم وسط مصر ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ﴾ المراد: أدركوهم على حد المرأى ﴿مُشْرِقِينَ﴾ حال الطلوع ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ رأى

=

انظر تفسير الرازي: (٢٤/٥٠).

هؤلاء أولئك ورأى أولئك هؤلاء ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ مدركهم عدوهم ولا عددهم كعددهم ولا عددهم كعددهم.

﴿قَالَ﴾ موسى ردد الله له السلام لملأه ﴿كَلا﴾ ما هم مدركوكم ولا مهلكوكم؛ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ كالئ ومعل لكم على عدوكم ﴿سَيَهْدِينِ﴾ مسالك السلام.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ وسارع موسى أكمل الله له السلام إلى عمل ما أمره مولاه ﴿فَانْفَلَقَ﴾ مصدوعا على عدد أممهم كما مر ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كعلم عال.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ المراد: الوصول إلى الصدد ﴿ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ عدو موسى وعساكره، وسلكوا وراء موسى ردد الله له السلام والأولى معد مسالكهم وسط الطم، ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ووصلوا إلى ساحل الماء على حالهم المحرر حكمها.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ عدو موسى وعسكره كلهم لسد الماء المسالك اللاء صدعها موسى وسط الماء.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إهلاك هؤلاء المسطور ﴿لآيَةً﴾ للأمم وملأهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الهاء لأهل مصر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ كاهر لا مكهور، ومما هو كهر إهلاكه لأهل الإلحاد والمسطور أمرهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ عم رحمه أهل الإسلام وسواهم، سلم موسى وملاءه وأمهل إهلاك عدوهم.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ

صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [آية: ٦٩ - ١٠٤]:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ المراد: ملحدو الحرم الحرام ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صورا ﴿فَنَظَلُّ﴾ المراد الدوام ﴿لَهَا عَاكِفِينَ﴾ ركعا حولها.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ طرح ووصل، والمراد: سماع دعائهم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾.

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ كم حال عدم ركوعكم لهم.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ لما رأوا لا رد لسؤاله إلا وصم مألوههم حاولوه وعادوا إلى سلوكهم مسالك أصولهم.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُم تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ﴾[1] الأولى مروا أمامكم

---

(١) أي: قال لهم إبراهيم على سبيل الإنكار والتأنيب: أفرأيتم وشاهدتم هذه الأصنام التي عبدتموها أنتم وآباؤكم الأقدمون من دون الله - تعالى - إنها عدو لى لأن عبادتها باطلة لكن الله - تعالى - رب العالمين هو وليى وصاحب الفضل على في الدنيا والآخرة، فلذا أعبده وحده. فقوله ﴿إلا رَبَّ العالمين﴾. استثناء منقطع من ضمير ﴿إِنَّهُمْ﴾. قال صاحب الكشاف: وإنما قال: ﴿عَدُوٌّ لي﴾ تصويرا للمسألة في نفسه، على معنى: أنى فكرت في أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة الذي الخير كله منه، وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسها أولا، وبنى عليها تدبير أمره، لينظروا فيقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، ليكون أدعى لهم إلى القبول. ولو قال: فإنهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة، ولأنه دخل =

وصاروا لكم كالإمام.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ ولكل راكع لهم وحكاه له، وما كلمهم عدو لكم لما هو أدعى إلى السلوك على مسالك الهدى ووحد العدو لوروده مصدر الأصل ﴿إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ المراد: كل مألوه لهم عدو لهدى لله علا اسمه وطرح إلا مما عمه الاسم الموصول، وهو ما طرح موصول أو محسوم، وصلح لوروده موصولا لركوع أحد أصولهم إلى الله علا اسمه وسما حمده.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى مسالك الهدى والاسم الموصول إما واسم لما أم إلا أو أول كلام.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ رد الواو اسما موصولا على اسم موصول، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ لدى حلول العمر ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ أومأ والد الرسل ردد الله له السلام إلى حصول المعاد.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أؤمل ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ أورده معلما الدعاء للأمم وهو معصوم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ لدى المعاد.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ كمال العلم والعمل، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أهل الصلاح الكامل وهم الرسل الكرام، والمراد: حلوله معهم دار السلام.

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ حمدا ومدحا ﴿فِي الآخِرِينَ﴾ الأمم الأولى هم وراءه إلى حلول دور العالم، ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَاغْفِرْ لأَبِي﴾ المراد: ألهمه العود لك، ودعاؤه المحرر حصل حال عدم علمه عدم إسلام والده ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ مسالك الهدى.

=

في باب من التعريض، وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح، لأنه يتأمل فيه، فربما قاده التأمل إلى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي - رحمه الله - : أن رجلا واجهه بشيء، فقال: لو كنتُ بحيث أنت، لاحتجتُ إلى الأدب... وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحِجْر فقال: ما هو بيتي ولا بيتكم. ثم حكى القرآن الكريم، ما وصف به إبراهيم خالقه من صفات كريمة تليق بجلاله - سبحانه - فقال: ﴿الذي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي: أخلص عبادتي لرب العالمين، الذي أوجدني بقدرته، والذي يهديني وحده إلى ما يصلح شأني في دنياي وفي آخرتي. انظر التفسير الميسر(٨/٨٨).

﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الواو للأمم كلهم؛ ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ﴾ ملاكه ﴿وَلا بَنُونَ﴾ ولدهم وأصولهم ﴿إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مما هو إلحاد، وهم كل مسلم لله ورسله.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ صددا ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ هم كل موحد لله ومسلم لرسله.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ هم أهل الإلحاد، والمراد: كلا أهلها راء لهما أمامه ومطلع على أحوالها ألاء أو إلا ما وهو لدى ورود الأمم للإطلاع على أعمالهم، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد سواه كالصور ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ ردا لما اعد الله لكم ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ حدا عما هو حاصل لهم معكم لحلولهم مع كل مألوه لهم وسط سوء الدار.

﴿فَكُبْكِبُوا﴾ طرحوا ورموا وهووا إلى الدرك ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ المراد: الإله والمألوه، ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ ملاؤه وعسكره، أو كل سالك على وسواسه والحمل على الأول أولى ﴿أَجْمَعُونَ﴾ مؤكد لملأ عدو آدم.

﴿قَالُوا﴾ الواو لكل راكع لسوى الله ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع كل مألوه لهم كالصور ﴿تَاللهِ إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا ﴿كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ عمى ساطع أمره.

﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ركوعًا لكم مع صلاحكم له، ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ﴾ هم ملاء عدو آدم المطرود، أو المراد: والدوهم الأولى سلكوا مسالكهم.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ رسل أو أملاك كرام ردد الله لهم اسما السلام كما لأهل الإسلام، ﴿وَلا صَدِيقٍ﴾ ودود ﴿حَمِيمٍ﴾ مهمه أمرهم.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ عودا إلى الدار الأولى، ولو لروم ما لا وصول وحصول له ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أومأ إلى الحكم المسطور أمر والد الرسل وملأه ردد الله له أكمل السلام ﴿لآيَةً﴾ دالا على كمال علم الرسول المحر ردد الله له السلام وسوء حال كل راكع إلى الصور، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ الهاء عائد لملأ الرسول المسطور ﴿مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ لإمهاله أهل الإلحاد وعدم إسراعه لإهلاكهم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي

لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [آية: ١٠٥ - ١١٢]:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ لما ردوا دعوى رسولهم صاروا كراد دعوى سائر الرسل ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ملأ لا لوالد أو أم أو المراد الاعم، وهو الأولى ﴿نُوحٌ﴾ ووالده الأعلى ووالدهم واحد ﴿أَلا تَتَّقُونَ﴾ الله وحده.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أداء أمر الإرسال، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ اسلكوا على ما أمركم وهو لا إله إلا الله، وراعوا أوامره وروادعه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء إلى الله وأمر الإرسال ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مال أو عطاء وعامل الكسر للوصل ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ العطاء المأمول على الدعاء لكم ﴿إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا على سواه، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ﴾ كرر الأمر مؤكدا ﴿وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ﴾ ورواه راوٍ على وروده كأسماع، وهو على ما رواه أول كلام محموله ﴿الأَرْذَلُونَ﴾ الأولى لا سؤدد ولا مال لهم.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هل إسلامهم حصل لله ولرسوله أو لطمع مال ومأكل وسؤدد وسواها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلا عَلَى رَبِّي﴾ هو المطلع على سرائرهم والمعامل لهم على أعمالهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لو لكم علم وإدراك لما صار إسلام هؤلاء رادًّا وصادًّا لإسلامكم.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مؤسس على ما أوهمه كلامهم وسؤالهم وهو روم طرده للأولى اسلموا له ﴿إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وأهل الأموال والسؤدد وعكسهم لدى الرسل

على حد سواء.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ كلامًا أو حصى.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ المراد: احكم حكما.

﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مما هو حال على أهل الإلحاد أو مما راموه هم، ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء ولد آدم وطائرًا وسواهما كالحمار، والأسد، والهر وسواهما، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ وهم ملأ والد سام ردد الله له السلام.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ معلوم أمرها وحكمها الاطلاع والعلوم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ [آية: ١٢٣ - ١٤٠]:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ هم ملأ هود، وعاد اسم والدهم الأعلى ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ملأ لأم ووالد ﴿هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أمر الإرسال وما أوحاه الله؛ ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما آمركم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على دعائكم إلى الله والسلوك على مسلك أوامره ﴿مِنْ﴾

وصل مؤكد ﴿أَجْرٍ﴾ مال أو عطاء ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]وهو العطاء الدائم.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ محل عال ﴿آيَةً﴾ عمارًا علما لأهل المرور أو محال للحمام أو مروحا للهوهم ﴿تَعْبَثُونَ﴾ حال، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء عمارها محكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ حاول أحدكم سوطا أو حساما ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ لا رحم لكم، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ﴾ ودعوا هؤلاء الأعمال المكروه مآلها ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما ادعوكم له.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ كرر الأمر مؤسسا على حكمه عدد الآلاء ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ حالا ومآلا، والمراد: لو داموا على إصرارهم وعدم سلوكهم على ما أمرهم.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ مرادهم لا ارعواء لهم عما هم سالكوه أصلا.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ أومأوا إلى ما روعهم حلوله ﴿إِلا خُلُقُ﴾ كسهم ﴿الأَوَّلِينَ﴾ ومرادهم إلا ادعاء ادعاه الأمم الأول، وهو لا أصل، له ورواه عاصم، وولد عامر كعمر، وأومأوا إلى ما هم سالكوه، والمراد: سلوكهم هو سلوك الأمم أمامهم وهو الحكم على عدم حصول المعاد، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أصلا لعدم المعاد.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ ودمرهم الصرصر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر حكمه ﴿لآيَةً﴾ وردعا لكل سالك على مسالكهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الكاهر لكل معاد، ﴿الرَّحِيمُ﴾ لعدم إسراع الهلاك لأهل الإلحاد ولا داع ولا هاد.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: تصدير القصص بتكذيب الرسل والأمر بالطاعة؛ للدلالة على أن مبنى البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحق، والطاعة فيما يقرب المدعو إلى الثواب، ويُبعده من العقاب، وأنَّ الأنبياء - عليهم السلام - مُجْمِعون على ذلك، وإن اختلفوا في فروع الشرائع، المختلفة باختلاف الأزمنة والأعصار، وأنهم منزهون عن المطامع الدنيئة، والأغراض الدنيوية بالكلية. انظر البحر المديد (٥/٢٧٣).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ [آية: ١٤١ - ١٥٩]:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ هم ملأ صالح ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ملأ ﴿صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أمر الإرسال والدعاء، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما أمركم وادعوكم له.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء والأمر المحرر سردهما ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَجْرٍ﴾ مال أو عطاء ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا على أحد سواه.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَهُنَا﴾ طوى الاسم الموصول الآلاء وعددها هو ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ مكسر وما ود للحمل.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ على ما رواه والد عمرو وسواه، ورواه راوٍ ممدودا واحده كعالم، والمراد: مع السرور، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما أمركم، ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ هم كل ساع وراء ما حد له سواء عاد لمال أو لحكم، ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ عاصوا أوامر مولاهم، ﴿وَلا يُصْلِحُونَ﴾ سلوكا على ما أمرهم.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الأولى سحروا وساء حلمهم وإدراكهم أو

الأولى لهم سحر وهو ممر الروح وسط الصدر وما أمه كالمؤكد له وهو ﴿مَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ دال مصحح لأمر إرسالك ومدعاك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ مصححا لدعوى الإرسال ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ لما راموها ودعا الله وأسرها الله لهم حكم سؤالهم ومرامهم ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ سهم ماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ راعوا موردكم وموردها.

﴿وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لهول ما هو حاصل لكم.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ العامل أحدهم ولما أمروه صار كلهم عاملا، ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ على سوء عملهم وأمرهم له وعلموا حلول ما أوعدهم ولولاه ما سدموا.

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ كما أوعدهم رسولهم وأهلكوا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ ردعا للأمم وراءهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أومأ الحكم المحرر إلى عدم حلول ما أوعدهم رسولهم لو أسلم له العدد الوارد اسما للعامل.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [آية: ١٦٠ - ١٧٥]:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ردهم دعوى رسول واحد وهو لوط ردد الله له السلام كردهم دعوى سائر الرسل كما مر مرار ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ملأ لآلام أو والد ﴿لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ الله.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أمر الإرسال، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على

ما أمركم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء إلى الله وأمر الإرسال ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَجْرٍ﴾ مال ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا على سواه هو المأمول عطاؤه وآلاؤه.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾ وحدكم سوى سائر الأمم ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أو المراد وحدهم لا سواهم، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ الحلال إلى الحرام، وكل ساع وراء ما حد الله ورسوله له عادٍ.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾ عما هو دعوى الإرسال أو عما هو ردع لهم عما هم سالكوه ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ طردا إلى محل سوى مصرهم.

﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ الأعداء ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ المراد: سوء مآل أعمالهم.

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أهل داره والأولى حوله وعلى مسلكه ﴿إِلا عَجُوزًا﴾ عرسه ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ مع الأولى هلكوا أو داموا وسط محلهم وما مطروا مع لوط ردد الله له السلام.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴾ الدمار والهلاك واحد ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ سوى المطر المعهود أو حصى أمطر على أحاد لهم لا على كلهم وأهلكهم، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرهم المحرر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ ردعا للأمم وراءهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ما صدره ما هو كالمعلل لدمارهم وإهلاكهم، وإمطار الحصى وأومأ الحكم المحرر إلى عدم إهلاكهم لو أسلم العدد الوارد اسما للعامل وراء الاسم الموصل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ

مُفۡسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ [آية: ١٧٦ - ١٩١]:

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ﴾(١) رواه راوٍ مطروح الأول وحرك اللام كما حرك ما طرحه، وهو اسم لكل محل ولد الإملود كمحل الحور وما حاكاه، والمراد: محل معلوم لوروده مورد المعهود ﴿الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على الأحكام وأداء الأوامر، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ سلوكا على ما أمركم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ الهاء لأمر الإرسال ودعائهم للسلوك على أوامر الله المعلوم سردا ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَجْرٍ﴾ عطاء ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا على أحد سواه.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ اكملوه، ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ هو كل ما أعد لعلم الأرطال والدراهم ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ العدل، ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ مما لهم، ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد أدى مؤدى العامل.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي: الغيضة التي تنبت الشجر، والمراد بها: غيضة بقرب مدين، يسكنها طائفة منهم، وكانوا ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام، وكان أجنبياً منهم، ولذلك قيل: ﴿إذ قال لهم شُعيبٌ﴾ ولم يقل: أخوهم، بخلاف مدين، فإنه منهم، ولذلك قال: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ [الأعراف: ٨٥ وهود: ٨٤ والعنكبوت: ٣٦] وقيل: الأيكة: الشجر الملتف، وكان شجرهم المقل، وهو الدوم. قال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أمتين؛ أصحاب الأيكة وأصحاب مدين. فأهلك الله أصحابَ الأيكة بالظُلة، وأما أهل مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا. وقرئ: "لَيْكَةِ"؛ بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام، وإنما كتبت هنا وفي " ص " باللام؛ اتباعاً للفظ. انظر البحر المديد (٥/٢٨٢).

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ الأمم ﴿الأوَّلِينَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الأولى سحروا ورَكَّ إدراكهم أو الأولى لهم سحر وهو الرئه ﴿وَمَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروح عائد إلى الأمر ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ولا أصل لدعواك الإرسال.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ رواه راوٍ كعلم، وراوٍ كسلع مكسور الأول ومحرك الوسط ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ ومرادهم أحد أوراد السماء كسدسها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المراد: وهو معاملكم على أعمالكم، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ركام مد أعلاهم وراء صراعهم وأمطر الركام المحرر مطرا لاعهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [آية: ١٩٢ - ١٩٧]:

﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء عائد إلى ما حكاه الله لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم، وهو ما حصل لأمم الرسل الكرام المحرر سردها أو عائد إلى كلام الله المكرم الموحى ردد الله أكمل السلام ﴿لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ﴾.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ الكلام لمحمد رسوله ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ عما هو مؤد إلى الألم وهو إما عمل أولا.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ عامل الكسر مع معموله معمول إلى الإلمام عامل الروح أو معمول لما هو أمامه وهو المحلى، والمراد: ورود محمد صلى الله على روحه وسلم أحد الرسل الكرام الأولى كلامهم السمحاء، وهم هود، وصالح، والملهم والده إلى حسم رأسه لما أراه الله حلما وعد له مولاه ورسوله الأمم الأولى علاهم ركام مد أعلاهم وراء الحر، وأمطروا مطرا علاهم ومحمد ردد الله لهم أكمل السلام.

﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء للكلام المكرم الموحى إلى محمد أكمل الله له السلام ﴿لَفِي زُبُرِ﴾ طروس ﴿الأوَّلِينَ﴾ كالكلام الموحى إلى موسى، والكلام الموحى إلى الروح أكمل الله لهما السلام.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ﴾ لأهل الحرم الحرام أهل الإلحاد ﴿آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ علماؤهم الأولى أسلموا لمحمد ردد الله له السلام كولد سلام وسواه، والمراد: علم هؤلاء العلماء دال مصحح لإرسال محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [آية: ١٩٨ - ٢٠٧]:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لعدم إدراكهم مؤداه وحكم كلمه وأحكامه.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ المراد: الإحلال، والهاء عائد إلى رد دعوى الإرسال وعدم الإسلام للرسل المار أو إلى الإلحاد وداله ما صدره ما ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ هم ملحدو الحرم الحرام.

﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ ما هو مؤد إلى الإسلام ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ حالا ومآلا لدى المعاد ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ حال عدم إدراكهم وروده.

﴿فَيَقُولُوا﴾ لدى حلوله ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ ورد سؤالهم حاصله لا.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ لعلهم سألوا إمطار الألم أو وروده.

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ المراد: اعلم واحك ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ أعواما ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

﴿مَا﴾ للسؤال أو كلا ﴿أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ ما هو راد الما، ولا هو مسهله.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ [آية: ٢٠٨، ٢٠٩]:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ رسل رادعو أهلها وساردو لهم الدلائل، ﴿ذِكْرَى﴾ لهم معمول على المصدر أو على العله، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ كإهلاك مع عدم

إرسال، أو المراد: إهلاك ملأ أطاعوا.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [آية: ٢١٠ - ٢١٣]:

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ الهاء لكلام الله المكرم ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ كما ادعى أهل الإلحاد، ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ ما هو صالح ﴿لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الأملاك ﴿لَمَعْزُولُونَ فَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ المراد: لو صح سلوك رسوله المعصوم صلى الله على روحه وسلم على المسلك المسطور وسلوكه أمر محال.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [آية: ٢١٤، ٢١٦]:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ أمر لرسوله محمد ردد الله له أكمل السلام وأطاع أمر مولاه، وروعهم ما أعده الله لكل عاص كما رواه محمد ومسلم.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هم أهل لا إله إلا الله ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ الواو للأولى دعاهم وروعهم ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ما للمصدر، والمراد: عملكم وهو الركوع لسوى الله علا حمده.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [آية: ٢١٧ - ٢٢٠]

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ سلم أمورك كلها له ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الركوع، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ مع كل مصل.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعائك وكلامك، ﴿الْعَلِيمُ﴾ والمطلع على ما حواه صدرك.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [آية: ٢٢١ - ٢٢٧]:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ الكلام لأهل الحرم الحرام ﴿عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ﴾ طرح ما كأوله ﴿الشَّيَاطِينُ﴾.

﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ مدع ما لا أصل له ﴿أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ المراد: ما سمعوه على ورود السمع للمسموع ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ لأدائهم له على سوى ما سمعوه.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الأولى مالوا إلى كلامهم ورووه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾[1] للكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾ وصولا إلى ما وراء الحد مما هو مدح أو عوار، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ كل ما وعدوه أو أوعدوه لا أصل له.

﴿إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا﴾ لأهل الإسلام لما عاورهم أهل الإلحاد ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ لما أسمعهم العوار أهل الإلحاد وما هم أهله والواو لأهل الإسلام، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم مسمعو العوار لأهل الإسلام وسواهم على العموم ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾ عود ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ هم عائدوه لدى ورودهم موارد الحمام.

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يقول: في كل لغو يخوضون، ولا يتبعون سنن الحق؛ لأن من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت، ولم يكن هائما يذهب على وجهه لا يبالي ما قال. نزلت في عبدالله بن الزبعرى ومسافع بن عبد مناف وأمية بن أبي الصلت. ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ يقول: أكثرهم يكذبون؛ أي يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه. وقيل: إنها نزلت في أبي عزة الجمحي. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥١/١٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل

مكية، وآيها خمس وتسعون آية

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿طس﴾ الله أعلم ما المراد على الأصح ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ﴾ هو اللوح أو الكلام المكرم ﴿مُبِينٍ﴾.

﴿هُدًى﴾ المراد: هاد مما هو عمى، ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هدى وما أمه كلاهما حال، والعامل مؤدى ما أومأ وراء طس.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ على أكمل أحوالها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ علموها علما حاسما وهم طار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ وأحالوا أمر المعاد ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ ومال هواهم لها ورأوا الطلاح صلاحا ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ كلهم صائر والعمه للصدر كالعمى للمرآى.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ الحسام والأسر حالا ﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ لحلولهم الدرك، ومحل الكدر السرمد.

﴿وَإِنَّكَ﴾ الكلام لمحمد ردد الله له أكمل السلام ﴿لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ عالم ما حصل وما هو حاصل وهو الله علا اسمه.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾[1] [آية: ٧ - ١٤]:

---

(١) قال صاحب الكشاف: "فإن قلت: - قوله - تعالى - : هنا ﴿سَآتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ مع قوله - تعالى - في سورة القصص ﴿لعلي آتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ كالمتدافعين. لأن أحدهما ترج، والآخر تيقن. قلت: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه: سأفعل كذا، وسيكون كذا، مع تجويزه الخيبة. فإن قلت: كيف جاء بسين التسويف - هنا -؟ قلت: عدة لأهله أنه يأتيهم وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة. فإن قلت: فلم جاء بأو دون الواو؟ قلت: بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار، ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده...".

ثم بين - سبحانه - ما حدث لموسى عندما اقترب من النار فقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النار وَمَنْ حَوْلَهَا..﴾ و﴿أَن﴾ هنا مفسرة، لما في النداء من معنى القول. وقوله: ﴿بُورِكَ﴾ من البركة، بمعنى ثبوت الخير وكثرته. والخير هنا يتمثل في تكليم الله - تعالى - لنبيه موسى. وفي ندائه له. وتشريفه برسالته، وتأييده بالمعجزات. والمراد بمن في النار: من هو قريب منها، وهو موسى - عليه السلام - . والمراد بمن حولها: الملائكة الحاضرون لهذا النداء، أو الأماكن المجاورة لها. أي: فلما وصل موسى - عليه السلام - إلى القرب من مكان النار، نودي موسى من قبل الله - عز وجل - على سبيل التكريم والتحية: أن قُدس وطهر واختير للرسالة من هو بالقرب منها وهو موسى - عليه السلام - ومن حولها من الملائكة، أو الأماكن القريبة منها. قال الآلوسي: "قوله: ﴿مَن فِي النار وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ذهب جماعة إلى أن في الكلام مضافا مقدراً في موضعين. أي: من في مكان النار، ومن حول مكانها قالوا: ومكانها البقعة التي حصلت فيها، وهي البقعة المباركة، المذكورة في قوله - تعالى - : ﴿فَلَمَّآ أَتَاهَا﴾ أي: النار - ﴿نُودِيَ مِن =

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح وهو أورد ﴿قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ﴾ عرسه وهو سائر إلى مصر ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ هو علم مسالك مصر ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ كرأس عود أو سواها مما هو هاد إلى المسالك، أو للاصطلاء كما دل له ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ وصل إلى ما رآه ﴿نُودِيَ أَنْ﴾ للحل أو أصلها العامل المؤكد أو للمصدر ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ هو موسى ردد الله له السلام ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هم الأملاك أو الموصول الأول هم الأملاك وحولها موسى، ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ﴾ اسم مصدر مؤداه الله معرى عما هو سوء ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ للأمر وللحال ﴿أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ أمر وعمل ما أمر ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ حراكا ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ صلى مسرع ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ما عاد روعا ودال روعه دعاء الله له.

﴿يَا مُوسَى لا تَخَفْ﴾ عصاك ﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ المراد: أحدا سوى الله علا اسمه.

﴿إِلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ المراد: عاد إلى الله عم حصل ﴿بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ﴾ له ما حصل ﴿رَحِيمٌ﴾.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ الادعاء ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ درعك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ داء مرسلا ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ سواها أو معها ومر عددها وسردها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ عامله عامل الأول وهو مرسلا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ معلل للإرسال.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ لامعا حكمها، ساطعا أمرها ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

=

شَاطِيءِ الوادي الأيمن فِي البقعة المباركة مِنَ الشجرة..﴾ وقيل: من في النار: موسى - عليه السلام - ، ومن حولها: الملائكة الحاضرون... وقيل الأول الملائكة، والثاني موسى، واستغنى بعضهم عن تقدير المضاف بجعل الظرفية مجازاً عن القرب التام... وأيا ما كان فالمراد بذلك بشارة موسى - عليه السلام -". وقال الشوكاني: "ومذهب المفسرين أن المراد بالنار - هنا - النور". وقوله - تعالى - : ﴿وَسُبْحَانَ الله رَبِّ العالمين﴾ من تتمة النداء، وخبر منه - تعالى - لموسى بالتنزيه. لئلا يتوهم من سماع كلامه - تعالى - التشبيه بما للبشر من كلام. انظر التفسير الميسر (١٠١/٨).

﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ ردوها وما سلموا لها ولا أسلموا ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ الواو للحال، حاصل المراد: ردوها مع علمهم لها العلم الكامل ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ سمودا عما أورده موسى ردد الله له السلام ﴿فَانْظُرْ﴾ الأمر لمحمد أكمل الله له السلام ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ مآل أمرهم هو إهلاكهم وسط الطم حالا ودار الدرك مآلا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ

قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ١٥ - ٤٤]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ولده ﴿عِلْمًا﴾ هو علم الأحكام ﴿وَقَالا﴾ حمدا لمولاهما ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾ علما ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سوى أهل العلم أو الأولى ما علموا علمهما.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ علما وما عم الإرسال أو ملكا ﴿وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ المراد: إدراك ما أراده الطائر ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أعطاه الله الملوك وأهل ما عم الإرسال ﴿إِنَّ هَذَا﴾ العطاء المحرر ﴿لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ الساطع لدى كل أحد.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ المراد: إصرارهم مأمومه وساروا معا ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ لما ورد عساكر ولد داود على الواد المحرر ﴿يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا﴾ الآمر ملك المأمور ﴿مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ الحطم والكسر واحد ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ المراد: مع عدم إدراكهم إهلاكهم لكم ولو أحسوا أو أدركوا لما أهلكوكم.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ المراد: الإلهام ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أحدها العلم ومما علمه إدراكه همسها ﴿وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ إكمالا للحمد وروما لدوام الآلاء ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ دار السلام ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ كله ورام الهدهد وما رآه ﴿فَقَالَ مَا لِي لا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ المراد: أهو مع الطائر وما لاح ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ولما صحح عدم حلوله مع الطائر آلى مهددا وأوعد ﴿لأعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ كأصره مع حمام أو طائر سوى الهدهد ﴿أَوْ لأذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ دال ساطع أمره على عدم حلوله مع الطائر.

﴿فَمَكَثَ﴾ رواه راوٍ ككرم، ورواه عاصم كطلع ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ﴾ المراد: الهدهد لما ورد على ولد داود ردد الله لهما السلام ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ اطلع على أمر ما علمه ولد داود، ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ اسم والدهم الأعلى ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ مصحح.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ واسمها معلوم ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ صالح للملوك كالسلاح والعدد وسواهما ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ أحد سرر الملك ﴿عَظِيمٌ﴾ عال أو المراد مكلل، وراوٍ سواه.

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ركوعهم المحرر وسواه ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهدى ﴿فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ إلى مسلك المسطور.

﴿أَلا يَسْجُدُوا للهِ﴾ أصل إلا العامل المحصل للمصدر وأمها لا للوصل، ورواه راوٍ إلا كعلى وما أمها أمر وأوله للدعاء والمدعو مطروح ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ ما هو مطر أو كلأ ومحصود، وهو مصدر كالعلم للمعلوم ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ما حواه صدرهم وما حواه كلامهم؛ ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿قَالَ﴾ المراد: ولد داود ردد الله لهما السلام للهدهد ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وأمره الرود ولما دلهم الهدهد على الماء ورواهم وصلوا حرر له ولد داود صكا حاصله أمام اسم الله السلام على الأولى سلكوا مسالك الهدى لا علو على محرره وردوا كلكم مسلم ومهره وسلمه للهدهد وأمره.

﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ﴾ اطرحه وارمه ﴿إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ردًا لسؤال الصك وما حواه ومطر الهدهد كما أمره، ولما وصل إلى محلهم رماه لها وحولها عسكرها ولما طرحه لها، وحصل اطلاعها على ما حواه الصك.

﴿قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ كرمه لما حواه أو لكرم مرسله ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ الهاء لما حرر وسطه ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ لعلهم سألوها ما حواه الصك واسم مرسله.

﴿قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ المراد: أوردوا آراءكم ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ حسما له وحكما ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ إلا مع علمكم واطلاعكم ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ﴾ عددا وعددا ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ لدى المعارك والمكر، ﴿وَالأَمْرُ﴾ موكول ﴿إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ صلحًا أو مكرًا ومرادهم السلوك على أمرها.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾[1] المراد: حلولهم مصرا مع أعمال

---

(١) قال القرطبي: في هذه الآية مسائل: الأولى - قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ الملأ أشراف القوم وقد مضى في سورة ﴿البقرة﴾ القول فيه. قال ابن عباس: كان معها ألف قيل. وقيل: اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف. والقيل الملك دون الملك الأعظم. لأخذت في حسن الأدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها، وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر يعرض، ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ فكيف في هذه النازلة الكبرى. فراجعها الملأ بما يقر عينها، من إعلامهم إياها بالقوة والبأس، ثم سلموا الأمر إلى نظرها؛ وهذه محاورة حسنة من الجميع. قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا هم أهل مشورتها، كل رجل منهم على عشرة آلاف. الثانية - في هذه الآية دليل على صحة المشاورة. وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] في إما استعانة بالآراء، وإما مداراة للأولياء. وقد مدح الله تعالى الفضلاء بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب؛ فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم، وإمضائهم على الطاعة لها، بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، =

الحسام لا مع الصلح والسلام ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ لمطور أموالهم وهدم دارهم وأسرهم، ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ الواو عائد إلى مرسل الصك، وهو ولد داود وملاؤه.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ المراد: مرسلوها لعلمها حال المرسل له، وهو ولد داود هل هو ملك أو مما عم الرسول حرصًا على ما أهداه رسلها له أوردا له.

﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ رسلها ومعه المهدى ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ الكلام لرسولها

=

وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجدهم كان ذلك عونا لعدوهم عليهم، وإن لم تختبر ما عندهم، وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، ودخيلة في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم؛ ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس: كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتد ضم فخذيه فحبسه بقوته.

الثالثة - قوله تعالى: ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ سلموا الأمر إلى نظرها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة؛ فلما فعلوا ذلك أخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها. وفي هذا الكلام خوف على قومها، وحيطة واستعظام لأمر سليمان عليه السلام. ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قيل: هو من قول بلقيس تأكيدا للمعنى الذي أرادته. وقال ابن عباس: هو من قول الله عز وجل معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته بذلك ومخبرا به. وقال وهب: لما قرأت عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله، فقالت: ما هذا؟ ! فقال بعض القوم: ما نظن هذا إلا عفريتا عظيما من الجن يقتدر به هذا الملك على ما يريده؛ فسكتوه. وقال الآخر: أراهم ثلاثة من العفاريت؛ فسكتوه؛ فقال شاب قد علم: يا سيدة الملوك! إن سليمان ملك قد أعطاه ملك السماء ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة إلا بدأ فيها بتسمية إلهه، والله اسم مليك السماء، والرحمن الرحيم نعوته؛ فعندها قالت: ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ فقالوا: ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ﴾ في القتال ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قوة في الحرب واللقاء ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ ردوا أمرهم إليها لما جربوا على رأيها من البركة ﴿فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ف ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور، فصدق الله قولها. ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن الأنباري: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ هذا وقف تام؛ فقال الله عز وجل تحقيقا لقولها: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وشبيه به في سورة ﴿الأعراف﴾ ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٩ - ١١٠] تم الكلام، فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠]. وقال ابن شجرة. هو قول بلقيس، فالوقف ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٩٥).

وملأه أو للرسول ومرسله ﴿فَمَا آتَانِيَ اللهُ﴾ وهو الملك وما عم الإرسال ﴿خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

﴿ارْجِعْ﴾ الأمر للرسول ﴿إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ﴾ عساكر ﴿لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ ما هم حاملو مكرها، ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ الهاء عائد لمصرهم المار اسمها وهو اسم والدهم الأعلى كما مر ﴿أَذِلَّةً﴾ لطمور أموالهم ودارهم، ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أسراء.

﴿قَالَ﴾ ولد داود ﴿يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وإلا لما حل له إلا مع سؤالها وأمرها.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ هو المارد الألد ﴿مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ محلك المرصود للأحكام ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ أراد: على حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ على ما حواه مرصعا كالدر والألماس وسواهما.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ﴾ هو الروح ردد الله له السلام، أو ملك سواه، أو أحد أمراء ولد داود المعلوم اسمه لكل أحد ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الوارد للرسل أو اللوح أو اسم الله الأكرم ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الكلام لولد داود ردد الله له السلام أو للمارد الألد ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا﴾ حاصلا وهادئا ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾ أومأ إلى الورود ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ علم سطوع لعلمه علا اسمه ما حواه الصدر والسطر ﴿أَأَشْكُرُ﴾ آلاءه وأحمده ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ ها ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لحصول دوام الآلاء له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ ما أولاه مولاه ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ معط آلاء الحامد وسواه.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ حولوه إلى سوى حاله الأول ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾ إلى عمله ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ﴾ إلى علمه، أو إلى الإسلام، وأراد المحك لإدراكها.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وما حصل رد سؤالهم لها هو هو لكمال إدراكها ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ كلام ولد داود وملأه أو كلامها ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾ الهاء عائد على ورودها لو حمل الكلام على وروده لولد داود وملأه وعائد على الحال لو حمل الكلام لها ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَصَدَّهَا﴾ عما هو إسلام أو ركوع لله ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد: سواه ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ورواه راوٍ العامل المؤكد على وروده للمصدر.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ كل محل عال عماره على عماد أولا، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماء راكدًا أو وسطه السمك وسواه ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ للحلول وسطه

ووصولها إلى ولد داود ردد الله لهما السلام، وهو على واحد السرر صدر الصرح ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ ودعاها إلى الإسلام.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ المراد: لركوعها إلى سواه؛ ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأهلها ولد داود وأرسلها إلى محل ملكها على حالها ومطر ملكها مع مطور ملكه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [آية: ٤٥ - ٥٣]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ ملأ لآلام ووالد ﴿صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ أهل إسلام، وأهل إلحاد ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ صالح لأهل الإلحاد ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ حل ما أوعدهم وهددهم على عدم إسلامهم ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ عودهم إلى مولاهم وهودهم عما صدر ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ المراد: حالا وحال صدور الألم هودهم مردود.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ وهم أهل الإسلام ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ المراد المعلل لحلول الألم وهو عملهم السوء ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ محرر ومرسوم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ لأواء وسراء لعلم حالكم علم سطوع.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾ حالهم دائما

الطلاح لا الصلح.

﴿قَالُوا﴾ المراد: أحدهم لأحدهم ﴿تَقَاسَمُوا﴾ آلوا أمر ﴿بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ الهاء عائد على صالح رسولهم ردد الله له السلام، وحاصل المراد: إهلاكهم له مع أهله أهل الإسلام الأولى حوله مساء ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ الأولى لهم ولاء دمه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ﴾ كمعطى ومطلع ومسمع ﴿أَهْلِهِ﴾ والمراد: عدم علمهم مهلكه، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ لما وحدوا الهاء، وحكموا على مهلك أهله وحده وهم على ما أسسوا رآوا مهلكه ومهلك أهله.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ أصروا على المكروه لرسولهم وأهله وما أدركوا آمالهم، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ المراد: عاملهم الله على مكرهم وما أصروا لرسولهم وأهلكهم ودمرهم ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا﴾ رواه راوٍ مكسور الأول على وروده أول كلام أو محمول على مطروح، ورواه راو على وروده محصل المصدر ومحله كمحل اسم العامل عكس الكامل ﴿دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لما صاح الروح ردد الله له السلام وأهلكهم.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ لا عمار لها حال عاملها مؤدى ما أومأ ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ ألحدوا وما للمصدر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ هم الحاصل لهم الردع والارعواء لا لسواهم.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صالحا وأهل الإسلام له معه ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الإلحاد.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [آية: ٥٤ - ٥٨]:

﴿وَلُوطًا﴾ معمول لعامل مطروح وهو أورد ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواط ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ كلكم مطلع على اللائط والملوط وراء لهما.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ اللاء محل وأهل الوطء ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ مآل أموركم وسوء عملكم.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ﴾ أهل ﴿لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ عما هو لوط.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أهل الحلول وسط الآلام.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ مطرهم المحرر

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آية: ٥٩ - ٦٦]:

﴿قُلِ﴾ أمر لمحمد رسوله صلى الله على روحه وسلم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك أهل الإلحاد وعلم أحوالهم، ﴿وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ هم ﴿ءَاللَّهُ﴾ ورواه راوٍ مسهلا ما أم أولاهما مع المد وعدمه كما مر حكمه مرارا، وراوٍ على حالهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكل طائع وراكع له ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده للسامع وهم أهل أم رحم، والمراد آالله أحرى للركوع أم هؤلاء الصور.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أصول العالم ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام ﴿مَاءً﴾ مطرًا على حد كل ما علاك سماء ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ﴾ كل محل محوط كالكرم المسور ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ ملاح ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ﴾ رواه راوٍ على حالهما، وراوٍ مسهلا ما أم الأولى مع المد وعدمه ﴿مَعَ اللهِ﴾ رد له لا إله إلا هو إله واحد ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عما هو هدى، وهو لا إله إلا الله إلى ما هو عمى وهو ركوعهم إلى الصور.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا﴾ هو عكس المائد ﴿وَجَعَلَ خِلالَهَا﴾ وسطها ﴿أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ أطوارا ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الملح وعكسه ﴿حَاجِزًا﴾ حدًا لا واحد مسائط لواحد ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ الهدى.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المراد: أهل الكدر واللأواء لا كل مكدر مع لمح الأحاد ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ ما ساء العالم والعموم أولى للمح عد الآلاء ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ لا إله إلا هو ﴿قَلِيلا مَا﴾ وصل مؤكد ما أمه ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ورواه راوٍ للسماع.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ إلى مرامكم ومأمكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حال عمى المسالك مساء وعكسه ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ كرسل عدد واحده كرسول ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أمام المطر ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ لا ﴿تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه كالصور.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ وسط الأرحام وأصله الماء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ لدى المعاد وعدم إسلامهم لأمر المعاد مردود رده الدال الحاسم ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ مطرا ﴿وَالأَرْضِ﴾ كلأ ومحصودا ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ مصور لما حرر وعد لا إله إلا معه ﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد رسوله ردد الله له أكمل السلام ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ ما هو دال على مدعاكم وصححوه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ومدعاهم عدد الإله وأوحى الله لرسوله لما سألوه حد عصر ورود الساعة.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ هم الأملاك ﴿وَالأَرْضِ﴾ وهم ولد آدم وسواهم ﴿الْغَيْبَ إِلا اللهُ﴾ هو عالمه وحده وحسم إلا ما أمها وهو اسم الله علا حمده عما لا علم له، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ كسواهم والواو لأهل الإلحاد ﴿أَيَّانَ﴾ عصر ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ما هم عالمو عصر معادهم.

﴿بَلِ﴾ هل ﴿ادَّارَكَ﴾ كأكرم حصل، ورواه راوٍ ادارك مكررا داله ﴿عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ والمراد: ما حصل علمهم أمر المعاد وهم سألوا عصر وروده ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ لعدم الدال لها لدى آرائهم ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ ما هم محصلون دلائلها ولا هم مدركوها لعمه صدورهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آية: ٦٧ - ٧٠]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ردا لحصول أمر المعاد ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ مما هو لحود ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ على عهد رسلهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ﴾ الكلام لا أصل له عددا سطوره ﴿الأَوَّلِينَ﴾ الأمم الأول.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأولى ردوا أمر المعاد وما أسلموا لرسلهم ومال أمرهم هو هلاكهم.

﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على ردهم دعواك ﴿وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ حكم أورده الله وسلى رسوله محمدا ردد الله له أكمل السلام لما ردوا دعواه المعاد.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [آية ٧١ - ٧٤]:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ هو ورود الهلاك لهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ لهم، والأمر للرسول الأكرم ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ﴾ كعلم، وحاصل المراد: عسى وصوله وحصوله مسرعا ﴿لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ حلوله ووروده وعسى، ولعل كالمحسوم أمره لدى الملوك، وعلى السلوك المحرر سرى ما وعد الله وأوعد، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ لإمهاله كل عاص ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ ما هم حامدوه على آلائه اللاء لا حصر لها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما طواه صدر كل أحد ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ كلاما على رسوله وهو معاملهم

على سوء أعمالهم.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ٧٥ - ٨١]:

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1] هو اللوح أو علمه ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأولى أدركوا عصر محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كأحوال دار السلام ودار الدرك وسواهما.

﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى﴾ مما هو عمى ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لحصول الارعواء لهم لا لسؤالهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كسواهم لدى المعاد ﴿بِحُكْمِهِ﴾ عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ لا راد لما حكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ محل أحكامه وعصرها.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ المسلك الساطع الموصل إلى الله ولك العلو على أعدائك أهل الإلحاد ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ المراد: وحال أهل الإلحاد كحال الأولى إدراكهم الحمام أو الصم لعدم إدراك حواسهم دعاءك، ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع

---

(١) ﴿وما من غائبةٍ في السماء والأرض﴾ أي: من خافية فيهما ﴿إلا في كتاب مبين﴾ في اللوح المحفوظ. يُسمى الشيء الذي يخفى ويعيب غائبة وخافية. والتاء فيهما كالتاء في العاقبة والعافية. ونظائرهما، وهي أسماء غير صفات. ويجوز أن يكونا صفتين، وتاؤهما للمبالغة، كالرواية. كأنه قال: وما من شيء شديد الغيوبة إلا وقد علمه الله، وأحاط به، وأثبته في اللوح المحفوظ. ومن جملة ذلك: تعجيل عقوبتهم، ولكن لكل شيء أجل معلوم، لا يتأخر عنه ولا يتقدم. ولولا ذلك لعَجَّل لهم ما استعجلوه. والمُبين: الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة: أو: مبين لما فيه من تفاصيل المقدورات. والله تعالى أعلم. انظر البحر المديد(٣٥٩/٥).

إدراك وارعواء ﴿إلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية: ٨٢ - ٨٦]:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ الأمر الموعود وروده ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً﴾ وموردها الحرم الحرام كما ورد ﴿مِنَ الأرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ مورده الكلام أو الكلم كما رواه راوٍ كأكرم ﴿أَنَّ﴾ مكسور، ورواه راوٍ على المصدر ﴿النَّاسَ﴾ المراد: ملحدوا الحرم ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ ورودها المسطور، أو المراد كلام الله ﴿لا يُوقِنُونَ﴾ إسلاما لها.

﴿وَ﴾ أوردهم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ ملأ وهو لدى المعاد ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ والمراد: رؤساؤهم ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ المراد: أصر أو لهم عكسه ورد إلى أولهم ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا﴾ محل الاطلاع على أعمال الأمم ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ الرسل ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ الواو واو الحال ﴿أَمَّا﴾ أم وما للسؤال ﴿ذَا﴾ اسم موصول ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما آمركم.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حل ما أوعدهم لردهم دعوى الرسل ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ ألحدوا ﴿فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ﴾ لعمهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ المراد: للكرى كسواهم، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لروم المصالح ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل على الواحد الأحد ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سردهم لحصول الارعواء لهم لا لسواهم.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا

وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ٨٧ - ٩٣]:

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، المعلوم أو المراد الصور محركا ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ المراد: هالهم هولاً مؤدى إلى ورود الحمام ﴿إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ هم الملك الروح، وملك المطر، وملك الصور، وملك الحمام، أو أهل الإسلام الأولى أهلكوا ووسط المعارك، أو المراد موسى ردد الله له السلام، أو الحور، ولعل المراد الأعم ﴿وَكُلٌّ﴾ كلهم ﴿أَتَوْهُ﴾ كساموه، ورواه راوٍ كرموه ﴿دَاخِرِينَ﴾.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ محلها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ المطر حال حلوله، ﴿صُنْعَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد ﴿الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أحكمه وسواه ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ورواه راوٍ للسامع، والواو عائد إلى الأمم طائع وعاص، والمراد: عالم أحوالهم ومعامل كل أحد على عمله صالح أو طالح.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ لا إله إلا الله لدى المعاد ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ﴾ هول ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ورواه راوٍ على الحسم ﴿آمِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الإلحاد ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ وسؤال الأملاك لهم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهل حكمه حكم ما قل لهم.

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾[1] أم رحم ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ لا طائر مصاد

---

(١) ﴿إنما أُمرتُ أن أعبدَ ربَّ هذه البلدة﴾ أي: مكة، أي: إنما أمرني ربي أن أعبده، وأستغرق أوقاتي في مراقبته ومشاهدته، غير مبالٍ بكم، ضللتم أم رشِدتم، وما عليّ إلا البلاغ، وقد بلغتكم وأنذرتكم. وتخصيص مكة بالإضافة لتفخيم شأنها وإجلال مكانها، ﴿الذي حَرَّمها﴾ أي: جعلها حرماً آمناً، يأمن الملتجأ إليها، ولا يختلى خلاها، ولا يعضد شوكها، ولا ينفّر صيدها. والتعرض لبيان تحريمه إياها تشريف لها بعد تشريف، وتعظيم إثر تعظيم، مع مافيه من الإشعار بعلة الأمر بعبادة ربها، وأنهم مُكلفون بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَاذَا الْبَيْتِ الَّذِيا أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤]. ومن الإشارة إلى غاية شناعة ما فعلوا فيها، ألا =

ولا دم مسال وسواهما مما حرم ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ أسرا وملكا، والمراد: سوى المعدوم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أهل الدوام على الإسلام.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْءَانَ﴾ دعاء للأمم إلى السلوك على مسلك أوامره ورواعه ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ وسلك مسالكه ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لعود صالح أعماله لها ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ وما ارعوى ﴿فَقُلْ﴾ مروعا له ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ وما على الرسول إلا الدعاء، والحكم المحرر محا حكمه أمر المعارك وأعمال الحسام على رؤوس أهل الإلحاد واللئام.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على آلاء لا حصر لها ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ كالإهلاك والأسر لهم ﴿فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع، وحاصل المراد هو معاملكم على أعمالكم.

=

يُرى أنهم مع كونها محرمة أن تنتهك حرمتها، ويلحد فيها بإثم، قد استمروا فيها على تعاطي أفجر الفجور، وأشنع الإلحاد، حيث تركوا عبادة ربها، ونصبوا الأوثان، وعكفوا على عبادتها، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون. قاله أبو السعود. ثم قال تعالى: ﴿وله كلُّ شيء﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً، من غير ان يشاركه أحد في شيء من ذلك، تحقيقاً للحق، وتنبيهاً على إن إفراد مكة بالإضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف، مع عموم الربوبية لجميع الموجودات. ﴿وأُمرتُ أن أكون من المسلمين﴾ المنقادين له، الثابتين على ما كنا عليه، من ملة الإسلام والتوحيد. الذين أسلموا وجوهم له تعالى، وانقادوا إليه بالكلية. انظر البحر المديد (٥/٣٧٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القصص

مكية، وآيها ثمان وثمانون آية

﴿طسٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾[1] [آية: ١ - ٦]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أن قوله تعالى ﴿طسم﴾ كسائر الفواتح وقد تقدم القول فيها وتِلْكَ إشارة إلى آيات السورة ﴿والْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ هو إما اللوح وإما الكتاب الذي وعد الله إنزاله على محمد (صلى الله عليه وسلم) فبين أن آيات هذه السورة هي آيات ذلك الكتاب ووصفه بأنه مبين لأنه بين فيه الحلال والحرام أو لأنه بين بفصاحته أنه من كلام الله دون كلام العباد أو لأنه يبين صدق نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أو لأنه يبين خبر الأولين والآخرين أو لأنه يبين كيفية التخلص عن شبهات أهل الضلال أما قوله تعالى ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي على لسان جبريل عليه السلام لأنه كان يتلو على محمد حتى يحفظه وقوله ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ فهو مفعول ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ (المؤمنون ٢٠) وقوله ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه وجهان أحدهما أنه تعالى قد أراد بذلك من لا يؤمن أيضاً لكنه خص المؤمنين بالذكر لأنهم قبلوا وانتفعوا فهو كقوله ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢) والثاني يحتمل أنه تعالى علم أن الصلاح في تلاوته هو إيمانهم وتكون إرادته لمن لا يؤمن كالتبع قوله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا في الارْضِ﴾ قرئ فرعون بضم الفاء وكسرها والكسر أحسن وهو كالقسطاس والقسطاس عَلا استكبر وتجبر وتعظم وبغى والمراد به قوة الملك والعلو في الأرض يعني أرض مملكته ثم فصل الله تعالى بعض ذلك بقوله ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾ أي فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم مخالفته أو يشيع بعضهم بعضاً في استخدامه أو أصنافاً في استخدامه أو فرقاً =

﴿طسم﴾ الله أعلم ما المراد على الأسلم ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ الموامئ للحاصل ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هم أهل الإدراك لا سواهم.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا﴾ سمد ﴿فِي الأَرْضِ﴾ مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾ أهل مصر ﴿شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ حاصل العامل مع معموله إما وسم لما أم أهلها أو هو حال لعدو موسى أو أول كلام ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ لما أعلموه، وهو مطور ملكه لولد مولود ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لإهلاكه وإعدامه الأولاد وسواه.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ عدد إمام، والمراد للمسلك الموصل إلى الله ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لملك عدو موسى وملأه.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ مصر وما مهمله السام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ وهو مطور ملكهم وهلاكهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [آية: ٧، ٨]:

=

مختلفة قد أغرى بينهم العداوة ليكونوا له أطوع أو المراد ما فسره بقوله ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ أي يستخدمهم ﴿يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا﴾ فهذا هو المراد بالشيع قوله يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ تلك الطائفة بنو إسرائيل وفي سبب ذبح الأبناء وجوه أحدها أن كاهناً قال له يولد مولود في بني إسرائيل في ليلة كذا يذهب ملكك على يده فولد تلك الليلة اثنا عشر غلاماً فقتلهم وعند أكثر المفسرين بقي هذا العذاب في بني إسرائيل سنين كثيرة قال وهب قتل القبط في طلب موسى عليه السلام تسعين ألفاً من بني إسرائيل قال بعضهم في هذا دليل على حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل وهذا السؤال قد يذكر في تزييف علم الأحكام من علم النجوم ونظيره ما يقوله نفاة التكليف إن كان زيد في علم الله وفي قضائه من السعداء فلا حاجة إلى الطاعة وإن كان من الأشقياء فلا فائدة في الطاعة وأيضاً فهذا السؤال لو صح لبطل علم التعبير ومنفعته وأيضاً فجواب المنجم أن النجوم دلت على أنه يولد ولد لو لم يقتل لصار كذا وكذا وعلى هذا التقدير لا يكون السعي في قتله عبثاً. انظر تفسير الرازي (١٩٣/٢).

﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ المراد: الإلهام أو حال الكرى ﴿إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ وهو المولود المحرر لما ولد ﴿أَنْ﴾ للحل ﴿أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ طم مصر ﴿وَلا تَخَافِي﴾ هلاكه وسط الماء، ﴿وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ اللام لام المال ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ رواه راوٍ محركا كمسد، وراوٍ كعسر ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ كلهم عاص أوردهم الله موارد أعمالهم.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾ [آية: ٧ - ١١]:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾ لما أراد إهلاك موسى ردد الله له السلام هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ﴾ الكلام لعدو موسى وملأه ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وأطاعوها وعدلوا عما هموا، ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ مآل أمرهم معه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾ لما وصلها علم وصوله إلى عدوه ﴿فَارِغًا﴾ مما سوى ولدها موسى ردد الله له السلام ﴿إِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها مطروح ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأولى سلموا لوعد الله ومكمل لولا داله كاد وما أمها.

﴿وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ المراد روم رسمه والاطلاع على أحواله ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ محل ما هو صدد محلهم ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٤﴾ [آية: ١٢ - ١٤]:

﴿وَحَرَّمْنَا﴾ المراد: العصم والحد ﴿عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ أولا عصر إلا علم

ولا اطلاع لامه على حاله، وصار كلما أوردوه على حلم اللسد ردها وكرهها ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ السادا وسواه ﴿وَهُمْ لَهُ﴾ الهاء عائد إلى موسى ردد الله له السلام أو إلى الملك كادعائها عود الهاء له لما سألوها ﴿نَاصِحُونَ﴾.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ﴾ كما حصل الوعد لها إلهاما ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ لدى وصولها إلى ولدها ﴿وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ العلم علم مرأى وسطوع ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ الهاء للأمم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ حصول ما وعد الله وأوعد علما حاسما لكل وهم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو وصول عمره إلى أعوام عددها عدد موعده ﴿وَاسْتَوَى﴾ وصل إلى عمر الإرسال، وهو كموعده مع ما أكمله ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ المراد: علم الحكماء والعلماء، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما حصل لموسى وأمه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٥ - ١٩]:

﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مصرا وسواها ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أول المساء، أو لدى الحر والدلوك ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ الأولى داموا على مسلكه ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أراد: إكراه الأول على حمل العود إلى مطها طعام عدو موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ ورام موسى مساعدا له ﴿عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ ولما ورد موسى كلم العدو ما حاصله دعه، وحاوره العدو أدعه وأحملك ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ وروى راوٍ محل الواو لاما وهو الصك على الصدر ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾

أهلكه وما مراده إهلاكه ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ لولد آدم ﴿مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿قَالَ﴾ موسى سادما على ما حصل لا على مسلك العمد ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ للهائد أعماله دائما وأمدا.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا﴾ العامل المسلط على ما المصدر، وهو عامل مؤل كوالله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أراد آلاء مولاه لما هاد ومحا الله عمله الصادر ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ رداء ومساعدا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أحوال أهل الهالك وما هو حاصل له ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ لما دعاه أمس ورامه رداء ومساعدا على عدوه وأهلكه موسى ردد الله له السلام. ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ لموسى ولرائمه ردا ومساعدا وهو الداع ﴿قَالَ﴾ الداع المحرر لما سماه موسى كما سماه وهاله إهلاك موسى له ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ﴾ مهلكا أحاد ولد آدم عدوا ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ولما سمع عدوها ما حكاه مع موسى أوصله لأهل الهالك وعال الأمر ووصل إلى عدوه ملك مصر وملأه، وعولوا على إهلاك موسى ردد الله له السلام، وورد مسلم آل عدوه وهو ولد عم ملك مصر، وأوصل لموسى ما أراده عدوه وملاؤه كما حكى الله.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ

مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [آية: ٢٠ - ٢٨]:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ **مسرعًا مهرولا** ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ **الهاء للمصر المحرر** ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ **إدراكهم له وإمساكه** ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ **هم ملأ عدوه.**

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ **أَمَّ ورام** ﴿تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ **إحدى السواد، وهو اسم ولد والد الرسل ردد الله لهما السلام** ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ **المسلك لوسط لعدم علمه مسالكها، وأرسل الله له ملكا سار معه وأوصله لها.**

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ **المراد: وصل إلى رسها** ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ **سوى إلامه** ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ **المراد: الردع لردعهما ما لهما روع الحلول مع سواه** ﴿قَالَ﴾ **موسى لهما** ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ **ما حالكما وأمركما** ﴿قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ﴾ **كأكرم، ورواه والد عمرو، وولد عامر كطلع** ﴿الرِّعَاءُ﴾ **عدد راع وصدورهم أو إصدارهم رواحهم كلهم إلى محالهم،** ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ **هم هرم ورحم موسى حالهما ومطر إلى رس الله سوى الأول.**

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ **طعام آآكله** ﴿فَقِيرٌ﴾ **سائل، ولما علم والدهما ما أسدى موسى ردد الله لهما السلام أمر أحداهما دعاءه.**

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ **سمكا لكم درعها على رأسها** ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ **ولعل موسى ردد الله له السلام أسرع إلى الرواح معها لما سمع هرم والدها لا طمعا لمأكل أو مطعم.**

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ﴾ **موسى** ﴿عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ **حكى له ما حصل كله إلى وروده**

إلى الماء ﴿قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لعدم وصول عدو موسى إلى محلهم.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ المرسله ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ للمرعى ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ ولما رأى والدها كلامها محله.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ أعوام ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ إكمالها ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأولى موعودهم حاصل لا محال وعهدهم مراعى ومكلؤ.

﴿قَالَ﴾ موسى ردد الله لهما السلام ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى العهد المسطور ﴿أَيَّمَا﴾ ما وصل لا مؤدى له ﴿الأَجَلَيْنِ﴾ مع الإكمال وعدمه ﴿قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ المراد: لو لم أكمل أطولهما ﴿وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ موسى ووالد عرسه ﴿وَكِيلٌ﴾ كالئ ومطلع وكمل الأهول، وأعطاه صهره عصا آدم وعودها أس دار السلام.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ

رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آية: ٢٩ - ٤٢]:

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾ لعل أطولهما كما هو المأمول ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ أمَّا مصر ﴿آنَسَ﴾ رأى على المدى ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم علم ﴿نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ ودال على مسالك مصر ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ كرأس عود أو سواها مما هو هاد إلى المسالك أو للاصطلاء كما دل له ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأيْمَنِ﴾ لموسى ردد الله لهما السلام وهو المدعو للداع ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ معمول لما أدى مؤدى الدعاء كالعامل والمعمول الأول وهو ما أمه الواد ﴿أَنْ﴾ للحل لا أصلها العامل المؤكد ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ﴾ كالأولى ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ المراد: ارمها ورماها ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ حراكا ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ صل مسرع ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولى روعا ودال روعه دعاء الله له وهو ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ﴾ عصاك ﴿إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾.

﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾ الإدماء ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ درعا ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ على عكس حالها الأول وهو الإدمه ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ داء، والمراد: داء السأم المعلوم.

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾[1] رواه راوٍ كوله المصدر، ورواوٍ كعدل، وراوٍ كرمح، وحاصل المراد مع الكل: الروع ﴿فَذَانِكَ﴾ المراد كلاهما، وهما العصا، والمسلوك وسط الدرع ﴿بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ مرسلا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والإرسال إلى الأولى كهؤلاء أولى وأحرى، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.

﴿وَأَخِي﴾ أول كلام ﴿هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ حاصل هو وما أمه محمول أول الكلام المار ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ ورواه راوٍ كمدى، والمراد مساعدا ﴿يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله علا حمده وعدا ووعده حاصل كما لو أوعد ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ علوا على أعدائكما، أو دالا لمدعاكما ﴿فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ وصول سوء أصلا ﴿بِآيَاتِنَا﴾ معمول لعامل أمر مطروح وهو أمطرا ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ على أعدائكما.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ ساطع أمرها ودلائلها ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ أومأوا إلى ما أورده موسى ردد الله له السلام كالعصا وسواها ﴿إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ على الله لا

---

(١) قال القرطبي: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ ﴿وَمِنَ﴾ متعلقة بـ ﴿وَلَّى﴾ أي ولى مدبرا من الرهب وقرأ حفص والسلمي وعيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق: ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ بفتح الراء وإسكان الهاء وقرأ ابن عامر والكوفيون إلا حفص بضم الراء وجزم الهاء الباقون بفتح الراء والهاء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ وكلها لغات وهو بمعنى الخوف والمعنى إذا هالك أمر يدك وشعاعها فأدخلها في جيبك وارددها إليه تعد كما كانت وقيل: أمره الله أن يضم يده إلي صدره فيذهب عنه خوف الحية عن مجاهد وغيره ورواه الضحاك عن ابن عباس؛ قال فقال ابن عباس: ليس من أحد يدخله رعب بعد موسى عليه السلام، ثم يدخل يده فيضعها على صدره إلا ذهب عنه الرعب ويحكى عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: أن كاتبا كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر، فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر: خذ قلمك وأضمم إليك جناحك، وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي، وقيل: المعنى أضمم يدك إلي صدرك ليذهب الله ما في صدرك من الخوف وكان موسى يرتعد خوفا إما من آل فرعون وإما من الثعبان وضم الجناح هو السكون؛ كقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ يريد الرفق وكذلك قوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أرفق بهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٨٤).

دال إرسال، ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ السحر أو ادعائه الإرسال ﴿فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ المراد: على عصرهم.

﴿وَقَالَ﴾ وطرح راوٍ الواو ﴿مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ الهاء عائد له علا اسمه ﴿وَمَنْ﴾ رد الواو اسم موصول على اسم موصول مكسور المحل ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ المراد: المحمود مآلها ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ هم أهل الإلحاد.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ له العلو والسمو الكامل ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ أراه وأعلم ما هو ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ﴾ الهاء لموسى ردد الله له السلام ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ المراد: لادعائه الإرسال لآله سواه.

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وما هم أهل للسمود ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه، والمراد: لدى المعاد.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحا ﴿فِي الْيَمِّ﴾ الطم الملح؛ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ مآل أمر ﴿الظَّالِمِينَ﴾ لما صاروا إلى الهلاك.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ رؤساء أهل الإلحاد ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ لدعائهم إلى الإلحاد وادعاء إله سوى الله لا إله إلا هو ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾ لرد ألم أو حصول سلام لهم.

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ طردا عما هو رحم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أهل الإطراح عما أعده الله لأهل لا إله إلا الله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [آية: ٤٣ - ٥٠]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الموحى له ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى﴾ كملأ والد حام، وملأ عاد وسواهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال الموحى لموسى، ﴿وَهُدًى﴾ لكل سالك على مسلكه ﴿وَرَحْمَةً﴾ لكل مسلم له ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ الكلام للرسول الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِجَانِبِ﴾ الطور أو الواد أو المحل ﴿الْغَرْبِيِّ﴾ لموسى ردد الله له السلام لما كلمه الله علا حمده ﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾ المراد: ما أوحاه الله ﴿إِلَى مُوسَى الأمْرَ﴾ الإرسال إلى عدوه وملأه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على ما أوحاه الله له.

﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ أمما وراء موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ طال عمرهم وأمهوا العهود اللاِ عهدها الله إلى موسى لطول المدد والأعمار، ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ مأكدا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ والد عرس موسى وملاؤه ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ محمولا أم محمولا ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ـك رسولا، ولك ما حصل للأمم الأول.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ العلم المعلوم ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى لإعطائه الكلام المكرم الموحى له ﴿وَلَكِنْ﴾ أرسلك الله ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم أهل أم رحم والحرم الحرام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مما هو إلحاد وسواه ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ومكمل لولا الأولى هو لما حصل إرسالك رسولا لهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ هو رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ كالعصا وسواها ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ

مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ الواو للأولى حالهم كحالهم وهم أهل الإلحاد على عصر موسى ردد الله له السلام ﴿قَالُوا﴾ ادعى أهل عصر موسى السحر له ما ادعاه أهل عصر محمد أكمل الله لهما السلام والواو على ما حرر لأهل الإلحاد على عصر موسى، ولأهل الإلحاد الأولى على عصر محمد ﴿سِحْرَانِ﴾ موسى ومحمد، ورواه راو على المصدر، والمراد: ما أوحاه الله لموسى، وما أوحاه الله لمحمد وهو كلامه المكرم ﴿تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ موسى، ومحمد، وما أوحاه الله لهما وهو كلامه المكرم ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم الحرام والأمر لمحمد ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ مما أوحاه الله لموسى، ومحمد أكمل الله لهما السلام ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعاءك وهو روم ما هو أهدى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾ المراد: لا أحد ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ هم أهل الإلحاد لادعائهم محل الأحد الصمد سواه.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٧]:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ هو كلام الله المكرم الموحى لرسوله محمد أكمل الله له السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ الهاء للكلام المكرم ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أوحاه الله لما أسلم رهط الهود ولد سلام وسواه وسواهم

﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ لإطلاعهم أولا على دال وروده وسط ما أوحاه الله لموسى والروح ردد الله لهما السلام.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ لإسلامهم لموسى أو الروح، ولمحمد صلى الله على كلهم وسلم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على مر العمل أو على ما حملهم أعداء الله ورسول ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ والدسع والدسر واحد ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ الطاعه ﴿السَّيِّئَةَ﴾ عكسها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ المراد: عار أهل الإلحاد وإسماعهم الكلام المكروه لهم ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ كرما، ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام موادع أو داع ﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ لأورادهم ولا كلامهم مراد لهم.

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ المراد عالم ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أوحاه الله لرسوله لما حرص على إسلام عمه والد الأسد الكرار لما ورد عمه المسطور على موارد حمامه.

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ﴾ هو الطرد مع الإسراع ﴿مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ رد لما ادعوه ﴿يُجْبَى﴾ مؤدى مصدره الحمل، وروى أو أوله لعكس المرء ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾ لهم ﴿مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ولو علموا لما راعهم طرد الملأ حولهم لهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها على مسلك المرسل المطروح ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ حالهم كحال هؤلاء دمرهم الله وهدم دارهم ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلا﴾ لأهل المرور والمطور ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ لعدم أعمار إحد دارهم أو حوله محلهم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أهلها لدى سلوكهم على مسالك الطلاح وسوء العمال ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أصلها وهو المصر، ولكل مصر أعمال ﴿رَسُولا يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ **لردهم دعوى الرسل وإلحادهم وسمودهم.**

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [آية: ٦٠]:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ **عائد إلى أحوال الدار الأولى** ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ **مدد أعماركم،** ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ **هو ما أعده لأهل الصلاح** ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ **رواه راوٍ للسامع، وراوٍ لسواه.**

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٦١ - ٦٤]:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾[1] **هو دار السلام** ﴿فَهُوَ لاقِيهِ﴾ **مدركه على كل حال** ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ **طول عمره مع الآلام والأكدار** ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ **للسؤال، ولدار الدرك والكدر السرمد وهو الملحد، والأول المسلم.**

---

(١) ﴿أفمن وعدناه وعداً حسنا﴾، وهو الجنة؛ إذ لا شيء أحسن منها، حيث اشتملت على النظر لوجه الله العظيم، ولأنها دائمة، ولذا سميت الحسنى، ﴿فهو﴾: أي: الوعد الحسن ﴿لاقيه﴾ ومدركه، لا محالة، لامتناع الخلف في وعده تعالى، ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ الذي هو مشوب بالكدر والمتاعب،، مستعْقب بالفناء والانقطاع، ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضَرين﴾ للحساب والعقاب، أو: من الذين أحضروا النار.

والآية نزلت في المؤمن والكافر، أو: في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل - لعنه الله - ، ومعنى الفاء الأولى: أنه لَمَّا ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقّبه بقوله: ﴿أفمن وعدناه﴾ أي: أبعد هذا التفاوت الجلي نُسَوي بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة؟ والفاء الثانية للتسبيب، لأنه لقاء الموعود مسبب عن الوعد. و" ثم ": لتراخي حال الإحضار عن حال التمتع. ومن قرأ: "ثم هْو"؛ بالسكون، شبه المنفصل بالمتصل، كما قيل في عَضد - بسكون الضاد - . انظر البحر المديد (٥/٤٢٦).

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ هو ملأ دار السلام، ودار الكدر والدرك، والمراد: رؤساء أهل الإلحاد ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ﴾ هم ﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم طرح عائد الاسم الموصول وهؤلاء أول كلام محموله ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ المراد: هم سولوا ووسوسوا لهم لا أكرهوهم ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ مما سلكوه وهو هواهم ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ما ألهوا إلا أهواءهم.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ وهم الصور والدمى ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ ومكمل لو هو؛ لما رواه لدى المعاد.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [آية: ٦٥ - ٧٥]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لأورد مطروح ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ مردود رده الواو على الأول.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ﴾ حاروا لما هم محاوروه ﴿يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لعمههم.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ عما هو إلحاد وادعاء مع الله سواه كود وسواع ﴿وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ سلك على مسلك أوامر مولاه كالإسلام والعمل ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الأولى حصولا آمالهم حكم مرامهم وعسى للحصول كما هو مسلك الكرام والأمراء والملوك.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ لا حكم على علاه ولا حاكم ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ على الواحد الأحد ﴿سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ مصدره كالأسرار مؤدى ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما أسره صدرهم وما حواه كلامهم معلوم لله كلاهما.

﴿وَهُوَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى﴾ الدار الأولى، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ دار السلام والسرور السرمد، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ الصارم الصارد، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد.

﴿قُلْ﴾ لأهل أم رحم والأمر لمحمد أكمل الله له السلام ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائما ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ على دعواكم ﴿يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ﴾ المراد: سماع إدراك للحكم على عدم إله سواه.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ هو والأول حاصل مؤداه الأعلام ﴿إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ دائما ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ على مدعاكم ﴿يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ مما هو كد وكلال ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ سوء مسلككم.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ الأول للأول وما أمه لما أمه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاكم مع مرورها ودورهما.

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿نَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كرره لوروده أساسا لما أمه وهو.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ على مسالكهم وأحوالهم وأعمالهم وهو رسولهم ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ادعائكم إله مع الله وصححوا دعواكم ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلهِ﴾ لا إله معه ولا ردء له ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وهو ادعاؤم إلها معه.

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٧٦ - ٨٤]:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ولد عمه أو رحمه وأسلم لموسى ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ سمودا وعلوا ووسع مال ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ الأموال ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ المراد: ما لو حملها ملأ لا كلهم وأمالهم حملها ﴿إِذْ﴾ معمول لأورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ هم أهل الإسلام ﴿لا تَفْرَحْ﴾ للمال المعطى لك سرور علو وسمود ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

﴿وَابْتَغِ﴾ رم ﴿فِيمَا آتَاكَ اللهُ﴾ وهو وسع المال ﴿الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ والعمل لها ﴿وَلا

تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ كعدم عملك لدار معادك أصلا، ﴿وَأَحْسِنْ﴾ إعطاء للمعدم والسائل ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ سلوكا على ما صادم أوامر مولاك ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المراد: هو معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ الهاء عائد للمال ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ وهو أعلم أهل عصره سوى موسى وولد أمه ردد الله لهما السلام ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الأول ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال، والمراد: هو عالم إهلاك الله الأمم الأول كما سمعه وعلمه والله مهلكه كما أهلكهم، أورد لادعائه العلم، والمراد ولو هو عالما كما ادعى لأدرك محال الهلاك ورد مصارع هلكه ﴿وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال إعلام أو أصلا لعدائهم ووصولهم إلى وراء الحدود واطلاع مولاهم على سوء أعمالهم وإلحادهم.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ مع ملأه كلهم كامل العدد والحلى والحلل على حلى واحد ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ لما رأوهم ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ﴾ سهم ﴿عَظِيمٍ﴾ كامل عددا وحلى وأمولا وحللا.

﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وعلموا ما وعد الله أهل الصلاح مآلا ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ﴾ وهو دار السلام لدى المعاد ﴿خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مما أعطاه الله وُلِدَ عم موسى حالا، ﴿وَلا يُلَقَّاهَا﴾ الهاء عائد إلى دار السلام وهو مؤدى ما وراءه اسم إله ﴿إِلا الصَّابِرُونَ﴾ على كل عمل صالح وعما هو طالح.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ كردهم هلاكه وردع مصارع حمامه، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ مما أراده الله.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ محله ﴿بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ﴾ موسع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ المراد: موسع العطاء على واحد وحاصره على واحد ﴿لَوْلا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ﴾ رووه للمعلوم وسواه ﴿بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لآلاء الله.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ دار السلام، والسرور الدائم على الدوام ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾ كسمود أو كهر ﴿وَلا فَسَادًا﴾ كعمل معاص، ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمود مآلها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عمل المحارم أو ما أوعد الله أهل الطلاح على عملهم، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [آية: ٨٥ - ٨٨]:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾(1) أوحاه وأصدره ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ أم رحم ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ﴾ اسم موصول معمول لعامل مطروح لا اسم داله أعلم أو أدى أعلم مؤدى عالم، ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ كلام الله المكرم، والمراد: رده لك إلى أم رحم كإعطائك الكلام المكرم، وكلاهما حاصل لا على أمل ﴿إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ

---

(١) قال الرازي: ﴿إِنَّ الذي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾ (القصص: ٨٥) أي قدر، ثم إن السورة لا يمكن فرضها لأنها قد دخلت في الوجود وتحصيل الحاصل محال، فوجب أن يكون المراد وفرضنا ما بين فيها، وإنما قال ذلك لأن أكثر ما في هذه السورة من باب الأحكام والحدود فلذلك عقبها بهذا الكلام، وأما قراءة التشديد فقال الفراء: التشديد للمبالغة والتكثير، أما المبالغة فمن حيث إنها حدود وأحكام فلا بد من المبالغة في إيجابها ليحصل الانقياد لقبولها، وأما التكثير فلوجهين: أحدهما: أن الله تعالى بين فيها أحكاماً مختلفة والثاني: أنه سبحانه وتعالى أوجبها على كل المكلفين إلى آخر الدهر، أما قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا﴾ ففيه وجوه: أحدها: أنه سبحانه ذكر في أول السورة أنواعاً من الأحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ إشارة إلى الأحكام التي بينها أولا ثم قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا﴾ إشارة إلى ما بين من دلائل التوحيد، والذي يؤكد هذا التأويل قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فإن الأحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكيرها. أما دلائل التوحيد فقد كانت كالمعلومة لهم لظهورها فأمروا بتذكيرها. وثانيها: قال أبو مسلم يجوز أن تكون الآيات البينات ما ذكر فيها من الحدود والشرائع كقوله: ﴿رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (آل عمران: ٤١) سأل ربه أن يفرض عليه عملا وثالثها: قال القاضي إن السورة كما اشتملت على عمل الواجبات فقد اشتملت على كثير من المباحثات بأن بينها الله تعالى، ولما كان بيانه سبحانه لها مفصلا وصف الآيات بأنها بينات. انظر تفسير الرازي (٣١٨/٢٣).

فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ ردأ ومساعدا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾

على ما دعوك له وهو السلوك على مسالكهم وإلحادهم.

﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ﴾ أصله وراء الدال وأومأ أم داله مكرر طرح أولهما لعمل لا والواو لعدم الحركه ﴿عَنْ آيَاتِ اللهِ﴾ العمل على مسالكها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ﴾ الأمم ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى الركوع لمولاك والسلوك على مسالك أوامره وروادعه ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مساعدا لهم على ما راموه.

﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ولو سأل سائل ما حاصله رسول الله صلى الله على روحه وسلم معصوم عما هو سلوك على هؤلاء المسالك، وعدم صدور ما حرر أمر حاصل حسما رد سؤاله المحرر ردع الله لرسوله ما هو إلا لحسم أطماع الإلحاد عما هو سلوك على مسالكهم لا لردع رسوله المعصوم عليه السلام سطر ﴿لا إِلَهَ إلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ﴾ المراد: إلا هو وأورد الورد واراد الكل ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ الصارد الصارم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت

تسع وستون آية مكية

﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ② وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ③ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[1][آية: ١ - ٤]:

---

(١) سورة العنكبوت من السور التي افتتحت ببعض حروف التهجى ﴿الم﴾، ويبلغ عدد السور التي افتتحت بحروف التهجى، تسعاً وعشرين سورة. وقد سبق أن قلنا: لعل أقرب الأقوال إلى الصواب، أن هذه الحروف المقطعة قد وردت في افتتاح بعض السور، على سبيل الإيقاظ والتنبيه، للذين تحداهم القرآن الكريم، فكأن الله - تعالى - يقول لأولئك العارضين في أن القرآن من عند الله: هاكم القرآن ترونه مؤلفا من كلام هو من جنس ما تؤلفون منه كلامهم، ومنظوما من حروف هي من جنس الحروف الهجائية التي تنظمون منها حروفكم، فإن كنتم في شك من كونه منزلا من عند الله، فهاتوا مثله، وادعوا من شئتم من الخلق لكي يعاونكم في ذلك.. والاستفهام في قوله - سبحانه - : ﴿أَحَسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ للإنكار و﴿حسب﴾ من الحسبان بمعنى الظن. وقوله: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ من الفتن، بمعنى الاختبار والامتحان. يقال: فتنت الذهب بالنار، أي: أدخلته فيها لتعلم الجيد منه من الخبيث. وجملة " أن يتركوا " سدت مسد مفعولي حسب، وجملة " أن يقولوا " في موضع نصب، على معنى: لأن يقولوا، وهي متعلقة بقوله: ﴿يتركوا﴾. وجملة " وهم لا يفتنون " في موضع الحال من ضمير " يتركوا". والمعنى: أظن الناس أن يتركوا بدون امتحان، واختبار، وابتلاء، وبدون نزول المصائب بهم، لأنهم نطقوا بكلمة الإيمان؟ إن ظنهم باطل، ووهم فاسد، لأن الإيمان ليس كلمة تقال باللسان فقط، بل هو عقيدة تكلف صاحبها الكثير من ألوان الابتلاء والاختبار، عن طريق التعرض لفقد الأموال والأنفس والثمرات، حتى يتميز قوي الإيمان من ضعيفه. قال القرطبي: والمراد بالناس قوم من المؤمنين كابن ربيعة، والوليد بن الوليد... فكانت صدورهم تضيق بذلك، وربما استنكروا أن يمكن الله الكفار من المؤمنين. قال مجاهد وغيره: فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة أن هذه هي سيرة الله في عباده، اختبار للمؤمنين وفتنة.

=

﴿الم﴾ الله أعلم ما مراده على الأسلم المصحح.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ لعلم أحوالهم وما أسره صدرهم إسلاما أو إلحادا.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ المراد: علم السطوع لكل أحد وإلا هو عالم كل عصر أسرارهم وما طواه صدرهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ حال ادعاء الإسلام.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الإلحاد وكل ما حرمه الله ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ المراد: ما هم وارد وموارد أعمالهم لا هم واردوها ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم المسطور.

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [آية: ٥ - ٧]:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ﴾ دار السلام، أو المراد: الوصل إلى ما أعده له مولاه على صالح الأعمال ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ﴾ العصر المحدود له ﴿لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ كلام الأمم ﴿الْعَلِيمُ﴾ سرائرهم وأعمالهم.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ كرا على العدو الملحد أو على الهوى ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لعود الصالح له لا لله ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ولد آدم والملك وسواهما.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ كإلهامهم عمل صالح

=

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب أو ما في معناه من الأقوال، فهي باقية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، موجد حكمها بقية الدهر.. وقوله - سبحانه - : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين﴾ مؤكد لما قبله من أن ظن الناس أن يتركوا بدون ابتلاء، لقولهم آمنا، هذا الظن في غير محله، لأن سنة الله قد اقتضت أن يدفع الناس بعضهم ببعض، وأن يجعل الكافرين يتصارعون مع المؤمنين، إلا أن العاقبة في النهاية للمؤمنين. والمقصود بقوله - تعالى - : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ..﴾ إظهار علمه - سبحانه - ، أو المجازاة على الأعمال. انظر التفسير الوسيط (٨/٢٥٥).

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ على عملهم المحرر ﴿أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [آية: ٨، ٩]:

﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ وصى حال محل الأمر ﴿حُسْنًا﴾ معمول لعامل مطروح هو أولهما ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ وعدم وآمه لما علم هدره أولى ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: أعاملكم على أعمالكم صالحها وطالحها.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ مع أهل الصلاح والكمال وهم الرسل، وكل موال لله، أو المراد: حلولهم معهم دار السلام.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ﴾ كما لو أهل الإلحاد على الإسلام ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ رومهم إلحاده ووآمه لهم ﴿كَعَذَابِ اللهِ﴾ سواء لو أطلعهم على ما راموه ﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾ لأهل الإسلام ﴿مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ عددا مع أهل الإسلام وراموا سهما ﴿أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ﴾ عالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ إسلاما أو إصرارا على الإلحاد.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صدرا وكلاما، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ وهم كل مسلم كلاما لا صدرا وسرا وهو معاملهم على سوء أعمالهم، ومعامل أهل الإسلام على صالحها.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا

مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [آية: ١٢، ١٣]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ المراد: ما هم سالكوه وهو الإلحاد ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ لوعد سلوكهم على مسلكهم عملا طالحا ورد الله دعواهم لما أوحى ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لادعائهم أمرا لا وصول ولا حصول له أصلا ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ سوء أعمالهم ﴿وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهو أمرهم المحرر ووعدهم أهل الإسلام حمل سوء أعمالهم لو سلكوا على مسالكهم ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله مما لا أصل له.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [آية: ١٤، ١٥]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ وعمره كموعد موسى مع مكمله ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا﴾ وهو داع لهم إلى الله وردوا ما ادعاه ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ علا الماء على محالهم وأهلكهم ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ لإلحادهم وردهم دعوى رسولهم ردد الله له السلام ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ الأولى حلوها معه أولاده وسواهم كما مر، ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الأمم وراءهم.

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟

ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾» [آية: ١٦ - ٣٥]:

﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد لهم أو ما حاكاه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحده ووحدوه ﴿وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما هو سلوككم وهو الركوع إلى الصور والدمى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الصالح والأصلح لكم مما هو سواهما.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد سواه ﴿أَوْثَانًا﴾ صورا ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ لا أصل له ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ المراد: المصدر أو ما هو مأكول ﴿فَابْتَغُوا﴾ روموا ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ لا لدى سواه ﴿الرِّزْقَ﴾ كله هو الملك له ولكم ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ وحده ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ هو أهل العطاء والحمد ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ المراد: أهل أم رحم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ رسلهم، وصار مآل أمرهم الهلاك ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ المحصحص أمره والحسام

للأوهام.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ رواه راوٍ للسامع، وراوٍ على وروده لسوى السامع ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ مردود رده الواو على ما أم (أولم) ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المسطور وهو الحكم الأول والإعاده ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ سهل.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ ما حكاه كلام الله لوالد الرسل أو لمحمد ردد الله لهم أكمل السلام ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ﴾ الله ﴿الْخَلْقَ﴾ للأولى مروا أمامكم وصاروا إلى مصارعهم وإدراكهم حمامهم ﴿ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ﴾ ورواه راوٍ كالكلاله ﴿الآخِرَةَ﴾ وراء الأولى لدى المعاد ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ هلاكه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمه ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ رد للسؤال والورود على موارد أعمالكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ مولاكم إدراكا ﴿فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ المراد لو صح وسلم صعودكم لها ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ حارس أو رادع مما أراد حلوله مولاكم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى لرسوله الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم أو دلائله على لا إله إلا الله ﴿وَلِقَائِهِ﴾ المعاد ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ دار السلام المعد لأهل الإسلام ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم لإلحادهم وعدم إسلامهم لكلامه ورسله.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾[1] الهاء عائد إلى والد الرسل ردد الله لهم السلام ﴿إِلا أَنْ

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿فما كان جواب قومه﴾: يحتمل أن تكون من جملة قول إبراهيم عليه السلام لقومه، والمراد بالأمم قبله: قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم، وأن تكون من كلام الله في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشأن قريش، مُعْتَرِضَةً بين أول قصة إبراهيم وآخرها. فإن قلت: الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت؛ معترضة فيه؛ فلا تقول: مكة، وزيد قائم، خير بلاد الله؟ قلت: قد وقع الاتصال، وبيانه: أن إيراد قصة إبراهيم عليه السلام إنما هو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أباهُ إبراهيم كان مبتلى بنحو ما ابتلى به؛ من شرك قومه، وعبادتهم الأوثان، فاعترض بقوله: ﴿وإن تُكذِّبوا﴾ يا معشر قريش محمداً، فقد كذب إبراهيمَ قومُه، وكل أمة كذبت نبيها لأن قوله: ﴿فقد كذّب أمم مِن قبلكم﴾ لا بد من تناوله لأمة إبراهيم، وهو كما ترى اعتراض متصل، ثم سائر الأيات بعدها من توابعها؛ لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله، وهدم الشرك، وتوهين قواعده، وصفة قدرة الله وسلطانه، ووضح صحته وبرهانه. قاله النسفي. انظر البحر المديد (٥/٤٦١).

قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ﴾ لما سعروها وطرحوه وسطها وردها على والد الرسل سلاما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ردها سلاما ﴿لآيَاتٍ﴾ كلؤه وإهمادها وعودها سلاما وحلوله وسط محل مكلئ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لإطلاعهم على الحكم وإسلامهم لها لا لسواهم لعدم ارعوائهم.

﴿وَقَالَ﴾ والد الرسل ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا﴾ صورا ركعا لها وما للمصدر على ورود ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ محمول العامل المؤكد أو اسم موصول وهو اسم العامل المؤكد، ورواها راوٍ معمول ما أم ما لا معمولها الأول، وراوٍ مملوك عمرو، وراوٍ كما لكا عمرا، وما أمها معمول لها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ﴾ الرأس ﴿بِبَعْضٍ﴾ المرؤوس ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ﴾ المرؤوس ﴿بَعْضًا﴾ الرأس ﴿وَمَأْوَاكُمُ﴾ كلكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ رادع عما هو حلول وسطها.

﴿فَآمَنَ لَهُ﴾ لوالد الرسل ﴿لُوطٌ﴾ هو ولد والده وأمه ﴿وَقَالَ﴾ والد الرسل ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ المراد: إلى محل أمره المطور له ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وسار هو وعرسه ولوط وورد هو إلى ما مهمله السام ولوط إلى سدوم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وراء الأول كلاهما ولد له ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ كل الرسل وراءه هو والدهم ﴿وَالْكِتَابَ﴾ الموحى لموسى، والموحى للروح، ولداود، ولمحمد صلى على كلهم وسلم ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ هو حمد كل الأمم له مدى الدهر ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كمل أهل الصلاح.

﴿وَلُوطًا﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ﴾ وسهل راوٍ ما أم الأولى مع المد وعدمه ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواط ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَئِنَّكُمْ﴾ كالأولى ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ على أهل المرور أو مسالك الأولاد لعدم صدور الماء وسط الأرحام ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ محال كلامكم كل واحد مع رهطه ﴿الْمُنْكَرَ﴾ كاللواط وسواه على ملأ الرهط، وكل مطلع على سوء عمل سواه.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ لرسولهم لوط ﴿إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وصحح مدعاك وهو سوء عملهم وحلول الألم على عامله ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ وأحلل على أهل اللواط والعمل السوء الملك.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ حصول ولد ووراءه ولد ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أهل إلحاد.

﴿قَالَ﴾ والد الرسل ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ الواو للأملاك رسل الله ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أهل الحلول وسط الألم أو سدوم.

﴿وَلَمَّا أَنْ﴾ وصل مؤكد ﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ أهمه أمرهم، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ لورودهم على صور ملاح مرد وراعه سماع ملأه ورودهم ووصولهم لهم، ولما رأوا روعه اهداؤه ﴿وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كسدد كالأولى ﴿وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ مع أهل الهلاك.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ رواه راوٍ كمكرم، وراوٍ كمهدد ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ ألما ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾ رسمها ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾ لكل ما وراء ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أهل حلم وإدراك.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَٰخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آية: ٣٦ - ٤٠]:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ ملأ لألام ووالد ﴿شُعَيْبًا﴾ هو وما أمه معمول لأرسل مطروح أو هو على وهم سرده ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا﴾ ارعوا ﴿الْيَوْمَ الآخِرَ﴾ هو المعاد ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد للعامل.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ ماد محلهم أو صاح على رؤوسهم الملك الروح

ردد الله له السلام كما مر ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ مصرهم أو دورهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ ركعا على كردوسهم الأحط هلكى.

﴿وَعَادًا﴾ معمول لأهلك مطروح ﴿وَثَمُودَ﴾ ورواه راوٍ كأحمد ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ إهلاكهم ﴿مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ ورسومها الساطع أمرها لأهل المرور على المسالك ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الإلحاد، وكل عمل سوء ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهدى ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أهل إدراك لا عمها.

﴿وَقَارُونَ﴾ معمول لأهلك مطروح ﴿وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على لا إله إلا الله ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ ما أعده الله لهم وهو إهلاكهم، والمراد أدركهم.

﴿فَكُلًا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ سوء عمله ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ أرواحا حملها الحصى أو ملكا رماهم كملأ لوط، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ صاح الملك الروح ردد الله له السلام وأهلكهم، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾ كولد عم موسى المعطى أموالا لا حصر لها، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ كعدو موسى وملأه وسواهم، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ كإهلاكهم وما هم أهل للهلاك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لعملهم ما أدى إلى إهلاكهم.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [آية: ٤١ - ٤٤]:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ﴾ صورا ركعوا لها وادعوها موئلا ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ وموئلها كموئل أولئك ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لا هو راد حرا ولا عكسه ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ سوء مسلكهم لما ركعوا لهؤلاء الصور.

﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا﴾ اسم موصول معمول للعلم ﴿يَدْعُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لأهل السماع ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الكاهر ما سواه ﴿الْحَكِيمُ﴾

محل الأمور محلها.

﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ وسط الكلام المكرم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ﴾ أولو العلم والإدراك.

﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا للهو ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ سردهم لا سواهم لحصول الارعواء لهم لا لأهل العمى والإلحاد.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [آية: ٤٥]:

﴿اتْلُ﴾ أمر لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿وَأَقِمِ﴾ المراد: الدوام ﴿الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ حال أدائها ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ﴾ هو الصلاة ﴿أَكْبَرُ﴾ مما سواها ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آية: ٤٦، ٤٧]:

﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله مع سرد الدلائل والكلام السهل ﴿إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ لكرههم على أهل الإسلام، والمراد عاملوها عمل الحسام لا حلو الكلام ﴿وَقُولُوا﴾ لو سردوا لكم ما أوحاه الله لرسلهم كموسى والروح ردد الله لهما السلام ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ كلام الله المكرم لموسى لمحمد ﴿وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ما أوحاه لموسى والروح ردد الله لهم أكمل السلام ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ وهو الله ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ لا لسواه.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم كما أوحى الله إلى رسلهم كلاما ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ كولد سلام ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الهاء عائد لكلام الله الموحى إلى رسوله محمد، ﴿وَمِنْ هَؤُلاءِ﴾ أهل أم رحم والحرم الحرام ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ لدى سطوع أمرها ودلائلها ﴿إِلا الْكَافِرُونَ﴾ الهود، أو محمول على الأعم.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آية: ٤٨، ٤٩]:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ﴾ الهاء لورود الكلام المكرم إلى رسوله الأكرم ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ وهو أدل أمر على إرسالك ﴿إِذًا﴾ لو محررا ساردا ﴿لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الهود.

﴿بَلْ هُوَ﴾ كلام الله المكرم الموحى لرسوله الأكرم ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ مكلؤ ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم أهل الإسلام ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الظَّالِمُونَ﴾ لردهم لها حال سطوع دلائلها وهم الهود.

﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1][آية: ٥٠ - ٥٢]:

---

(١) الآيات الكونية، كعصا موسى، وناقة صالح. ولولا حرف تحضيض بمعنى هلا. أي: وقال المبطلون للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت والعناد، هلا جئتنا يا محمد بمعجزات حسية كالتي جاء بها بعض الأنبياء من قبلك، لكي نؤمن بك ونتبعك؟ وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيات عِندَ الله وَإِنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إرشاد من الله - تعالى - لنبيه صلى الله عليه وسلم إلى ما يرد به عليهم. أي: قل - أيها الرسول - الكريم - في ردك على هؤلاء الجاهلين، إنما الآيات التي تريدونها عند الله - تعالى - وحده، ينزلها حسب إرادته وحكمته، أما أنا فإن وظيفتي الإنذار الواضح بسوء مصير من أعرض عن دعوتي، وليس من وظيفتي أن أقترح على الله - تعالى شيئاً. وقوله - سبحانه - : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب يتلى عَلَيْهِمْ...﴾ كلام مستأنف من جهته - تعالى - لتوبيخهم على جهالاتهم، والاستفهام للإنكار، والواو للعطف على مقدر.
والمعنى: أقالوا ما قالوا من باطل وجهل، ولم يكفهم أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب الناطق بالحق، يتلى على مسامعهم صباح ومساء، ويديهم إلى ما فيه سعادتهم، لو =

﴿وَقَالُوا﴾ ملحدو الحرم الحرام وأم رحم ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد أكمل الله له السلام ﴿آيَاتٌ﴾ ورواها راو على العدد ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ كما لصالح، وعصا موسى، وموائد الروح ردد الله لهم السلام ﴿قُلْ﴾ لهم والأمر لمحمد ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾ أمر ورودها وإرسالها موكول لله لا للرسل ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ لا أملك أمرا.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ عما سألوه ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ دائما مدا الدهور والعصور وما سألوه أمر لا دوام له ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكلام المكرم أو دوامه أمدا ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لملأ ما همهم سوى أمر الإسلام.

﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ على أداء الإرسال ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ المراد: وعلمه حاله وحالهم أولى، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو الركوع لما سوى لله، ﴿وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ حالا ومآلا.

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً

=

تدبروه وآمنوا به، واتبعوا أوامره ونواهيه؟ والتعبير بقوله - سبحانه - : ﴿يتلى عَلَيْهِمْ﴾، يشير إلى أن هذه التلاوة متجددة عليهم، وغير منقطعة عنهم، وكان في إمكانهم أن ينتفعوا بها لو كانوا يعقلون. ولذا ختم - سبحانه - الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذلك لَرَحْمَةً وذكرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. أي: إن في ذلك الكتاب الذي أنزلناه عليك - أيها الرسول الكريم - ، والذي تتلوه عليهم صباح مساء، لرحمة عظيمة، وذكرى نافعة، لقوم يؤمنون بالحق، ويفتحون عقولهم للرشد، لا للتعنت والجحود والعناد. ثم أرشده - سبحانه - إلى جواب آخر يرد به عليهم فقال: ﴿قُلْ كفى بالله بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾. أي: قل - أيها الرسول الكريم - لهؤلاء الجاهلين: يكفيني كفاية تامة أن يكون الله - تعالى - وحده، هو الشهيد بيني وبينكم على أني صادق فيما أبلغه عنه، وعلى أن هذا القرآن من عنده. وهو - سبحانه - ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السماوات والأرض﴾ علماً لا يعزب عنه شيء، وسيجازيني بما أستحقه من ثواب، وسيجازيكم بما يستحقونه من عقاب. ﴿والذين آمَنُواْ بالباطل﴾ وأعرضوا عن الحق ﴿وَكَفَرُواْ بالله﴾ - تعالى - مع وضوح الأدلة على أنه - سبحانه - هو المستحق للعبادة والطاعة. الذين فعلوا ذلك: ﴿أولئك هُمُ الخاسرون﴾ خسارة ليس بعدها خسارة، حيث آثروا الغي على الرشد، واستحبوا العمى على الهدى، وسيكون أمرهم فرطاً في الدنيا والآخرة. انظر التفسير الميسر (٢٩١/٨).

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [آية: ٥٣ - ٥٧]:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ﴾ لرومهم إمطار الحصى ﴿وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ حد محدود له أو لهم ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ مسرعا، ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ عصر وروده، وهو إعمال الحسام على رؤوسهم أو ورودهم مصارع حمامهم.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ حالا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ كالسور لهم مآلا.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾ المراد: الأمر أو الأملاك، ورواه راوٍ على الواحد وهو الله أو ملك الألم ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: ما أعد لكم على سوء أعمالكم.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ المراد: مطورهم إلى محل مسهل للسلوك على أمر مولاهم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى أهل السماع، والمراد: عودهم لدى المعاد وورود كل على موارد عمله.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ المراد: إحلالهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ كل محل عال كالصرح وسواه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ الهاء للصروح ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ دار السلام وصروحها.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على مكروه أهل الإلحاد والمطور إلى مصر سوى مصرهم، أو محل سوى محلهم روما للسلوك على أوامر الله، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لا على أحد سواه.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آية: ٦٠]:

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ كم ﴿مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ الكلام لكل ماطر إلى محل أو مصر سوى محله لله ولرسوله، والمراد: كلوا أموركم لمولاكم هو مطعمكم وسواكم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ دعاءكم وكلامكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ ما حواه صدركم وسرائركم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٦١]

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإلحاد ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ إلى الركوع لسواه.

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [آية: ٦٢، ٦٣]:

﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ المراد: موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ حاصرا ﴿لَهُ﴾ وهل كلاهما واحد، والمراد: عصرا موسعا، وعصرا حاصرا، أو موسع لواحد وحاصر على واحد ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومما عمله محل الوسع والحصر.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ الهاء لأهل أم رحم كالأول ﴿مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ وحده وهم ركع لسواه ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الْحَمْدُ لِلهِ﴾ على سطوع الدلائل على ألا أحد معه سواه أو على ما عصمك مما هم سالكوه، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ سلموا لأسره العالم كلهم وادعوا معه سواه وركعوا له.

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آية: ٦٤ - ٦٧]:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ لعدم دوامها ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ العمر الدائم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ دوامها وعدم دوام الدار الأولى لعملوا لدار أمرها وعمرها دائم.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1] الدعاء المراد، ومما دل على عدم علمهم وإدراكهم دعاؤهم الله وحده حال روعهم المهالك ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ وحال وصولهم إلى السلام، ومطور الروع دعوا معه سواه وركعوا للسوى ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ ما الاسم الموصول لآلاء الله على الأولى الحد وإلا دعائهم مع الله إلها، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ رد الواو معمول محصل مصدر على ما حاكاه أو اللام الأمر ووروده مهددا لهم على أعمالهم، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أهل الحرم الحرام، والمراد العلم ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ مصرهم وهو أم رحم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ أهله وعماره، ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ سطوا على الأرواح والأموال ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصور والدمى ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾ لادعائهم معه.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [آية: ٦٨، ٦٩]:

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ هو ادعاؤه ردءا له ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ رسول الله أو كلامه المكرم ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ حال وروده ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أرواحهم وأعداء الله ورسوله ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ المسلك الموصل لله ﴿وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أهل الإسلام كلأ وإعلاء على أعدائهم.

---

(١) قال القرطبي: فيجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه. وفي الحديث: "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده" ذكره صاحب الشهاب؛ وهو حديث صحيح. وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاذ لما وجهه إلى أرض اليمن: "واتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب". انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٢٣).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الروم

مكية، وآيها ستون

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿الم﴾ الله أعلم ما مراده على الأصح الأسلم

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[1] مدعو الأهل والولد للواحد الأحد ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ صدد

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿غُلبت الرومُ﴾ أي غلبت فارسُ الرومَ ﴿في أدنى الأرض﴾ أي: في أقرب أرض العرب؛ لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم، أي: غلبوا في أدنى أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام. أو أراد أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي: في أدنى أرضهم إلى عدوّهم. قال ابن عطية: قرأ الجمهور: "غُلبت"؛ بضم الغين. وقالوا: معنى الآية: أنه بلغ أهل مكة أن الملك كسرى هزَم جيشَ الروم بأذرعاتٍ، وهي أدنى أرض الروم إلى مكة، فسُر لذلك كفارُ قريش، فبشر المؤمنين بأن الروم سيغلبون. هـ. وهذا معنى قوله: ﴿وهم﴾ أي: الروم ﴿من بعد غَلَبِهم﴾، وقرئ: بسكون اللام؛ كالحلَب والحلْب، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: وهم من بعد غلبة فارس إياهم ﴿سيَغْلِبون﴾ فارس، وتكون الدولة لهم. وذلك ﴿في بِضْعِ سنين﴾، وهو ما بين الثلاث إلى العشر. قال النسفي: قيل: احتربت الروم وفارس، بين أذرعاتٍ وبُصرى، فغلبت فارسُ الروم، والمَلِكُ بفارس، يومئذٍ، كسرى " أبرويز"، فبلغ الخبر مكة، فشقَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ لأنَ فارسَ مجوسٌ؛ لا كتاب لهم، والروم أهل كتاب، وفرح المشركون وشمتوا، وقالوا: أنتم والنصارى أهل الكتاب، ونحن فارس أُمِّيُّون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنَّ نحن عليكم، فنزلت الآية. فقال أبو =

حدود الروم إلى أعدائهم ﴿وَهُمْ﴾ الروم ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ وحصول الكسر لهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ أعداءهم.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ المراد: أمام كسر أعداء الروم لهم ووراء كسر الروم أعداءهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿بِنَصْرِ اللهِ﴾ الروم على أعدائهم ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَعْدَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد لحاصل الكلام أمامه ﴿لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم ملحدو ام رحم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ حصول وعده على كل حال لعدم إدراكهم.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ما هو مدار المطعم والمكسا ﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ﴾ أعاده مؤكدا ﴿غَافِلُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [آية: ٨]:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ أولا ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا

=

بكر: والله ليَظْهَرَنَّ الروم على فارس بعد بضع سنين، فقال له أُبَيُّ بنُ خلف: كذبت، فناحبه - أي: قامره - على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال - عليه الصلاة والسلام - : "زِدْ في الخطر وأبعد في الأجل"، فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين، ومات أبيّ من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، أو: يوم بدر، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أُبَيٍّ، فقال عليه الصلاة والسلام - : "تصدَّقْ به". وهذه آية بينة على صحة نبوته، وأن القرآن من عند الله؛ لأنها إنباء عن علم الغيب. وكان ذلك قبل تحريم القمار، عن قتادة. ومذهب ابي حنيفة ومحمد - رضي الله عنهما - : أن العقود الفاسدة؛ كعقد الربا وغيره، جائز في دار الحرب بين المسلمين والكفار، واحتجا بهذه القصة. هـ. زاد البيضاوي: وأجيب بأنه كان قبل تحريم القمار. هـ وقرئ: "غلبت"؛ بالفتح، " وسيُغلبون " بالضم، ومعناه: أن الروم غَلَبُوا على ريف الشام، وسيغلبهم المسلمون، وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها، وفتحوا بعض بلادهم، وعلى هذا يكون إضافة الغلَب إلى الفاعل. ﴿لله الأمرُ من قبلُ ومن بعد﴾ أي: من قبل كل شيء، ومن بعد كل شيء. أو: من قبل الغلبة وبعدها، كأنه قيل: من قبل كونهم غالبين - وقبله: وهو وقت كونهم مغلوبين - ومن بعد كونهم مغلوبين - وهو وقت كونهم غالبين، يعني: أن كونهم مغلوبين أولا، وغالبين آخراً، ليس إلا بأمر الله وقضائه. ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

بِالْحَقِّ﴾ معمول لعلم مطروح داله الكلام وسرده ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وحد محدود له ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ هم أهل أم رحم ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ وهو أمر المعاد ﴿لَكَافِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾ [آية: ٩، ١٠]:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ مآل أمر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأمم الأولى أهلكوا لردهم دعوى رسلهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ الهاء لأهل الحرم ﴿قُوَّةً﴾ كعاد وسواهم، ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ﴾ ردوا أعلى حصحصها إلى الدرك ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ المراد: أولئك ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ هؤلاء وهم أهل الحرم ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل الساطع أمرها ﴿فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ لما أهلكهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لردهم دعوى الرسل وعدم إسلامهم لهم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ﴾ اسم العامل أمامه أو محموله والاسم هو السوى ﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى﴾ اسم لدار الكدر والألم الدائم المعد لكل ملحد على الدوام، ولكل عاص إلى حد محدود وسوء حالهم هول ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣)﴾ [آية: ١١ - ١٣]:

﴿اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى معادهم وورود كل على موارد أعمالهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ﴾ كأكرم ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المراد عدم كلامهم لسطوع أمر إلحادهم.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ اللاء ادعوها مع الله كود وسواع ﴿شُفَعَاءُ﴾ مما اعد الله لهم على ادعائهم معه إلها سواه، ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أورد ما صدر، وحصل محل ما هو صادر، وحاصل لحصوله على كل حال على مسلك المصرحه.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ

فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧)﴾ [آية: ١٤ - ١٧]:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾ مؤكد ﴿يَتفَرَّقُونَ﴾ أهل الإسلام، وأهل الإلحاد.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ المراد: دار السلام ﴿يُحْبَرُونَ﴾ مصدره السرور.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم الموحى إلى رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ أمر المعاد وما وراءه ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ حالوه.

﴿فَسُبْحَانَ اللهِ﴾ المراد: صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ حوى ركوع أول المساء وما أمها ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ هو للركوع الأول أمام الطلوع.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)﴾ [آية: ١٨، ١٩]:

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ المراد: حامده أهلها ﴿وَعَشِيًّا﴾ وهو ركوع العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ركوع ما وراءه العصر.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ كولد آدم وسواه ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الرحم، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ ماء ولد آدم وما حكمه كحكمه ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ ولد آدم والطائر وسواهما، ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ﴾ كل ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها، ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ مما هو لحد وما حكمه كحكمه، ورواه راوٍ للمعلوم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ

تَخْرُجُونَ (٢٥)﴾ [آية: ٢٠ - ٢٥]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ﴾ المراد: والدكم آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ دم ولحم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ كحواء، وأصلها آدم، وكل الحرم أصلها ماء المرء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ كل ولد آدم ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور حكمه ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ حكم مولاهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ كالأسود والأحمر والأسمر، وكلكم ولد واحد، وهو آدم وأمكم حواء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلائل على الله ﴿لِلْعَالِمِينَ﴾ هو ما سوى الله، ورواه راوٍ مكسور اللام، والمراد: أولو العلم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ﴾ كراكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ راحما حالكم ولولاه لهلك العالم كلهم، ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أمر المطعم والمكسى ومصالحكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك وعلم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ أحله محل الاراءه، ولو المحصل للمصدر معدوما أو العامل محصل المصدر مطروح أمامه ﴿الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ مما هو مولده لأهل المرور على المسالك ﴿وَطَمَعًا﴾ لأهل الأمصار والسواد لحلول الأمطار ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ ورواه راوٍ كردد ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ﴾ كلأ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلائل على المولى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أهل الأحلام.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[1] لا على عمد محسوس وأورد الأمر وأراد الإراده ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ﴾ عصر أمره الصور لورودكم إلى المعاد

---

(١) والمراد بقيامه: ثباتهما وبقاؤهما بتلك الصورة العجيبة البديعة. أي: ومن آياته - سبحانه - الدالة على كمال قدرته، خلقه للسموات وللأرض، وإبقاؤه لهما على هذه الصورة البديعة، وقيامها وثباتهما واستمساكهما على تلك الهيئة العجيبة، وذلك كله بإرادته وأمره ومشيئته. قال ابن كثير: وشبيه بذلك قوله - تعالى - : ﴿وَيُمْسِكُ السمآء أَن تَقَعَ عَلَى الأرض إِلا بِإِذْنِهِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الله يُمْسِكُ السماوات والأرض أَن تَزُولا﴾ وكان عمر بن الخطاب. رضى الله عنه - إذا اجتهد في اليمين قال: لا، والله الذي تقوم السماء والأرض بأمره، أي: هي قائمة ثابتة بأمره وتسخيره إياها. انظر التفسير الميسر(٨/٣٣٠).

﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ على أسرع حال.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)﴾ [آية: ٢٦، ٢٧]:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ كلهم طائع لأمره.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ للمعاد ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ المراد: ولو راعوا أصولهم وإلا كلاهما سهل على الله ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ هو لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ محل أموره كلها محلها.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾ [آية: ٢٨ - ٣٢]:

﴿ضَرَبَ لَكُمْ﴾ الكلام لأهل الإلحاد ﴿مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ وهو ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ككل مملوك لكم ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أموالا وسواها ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وكل مملوك لكم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ المراد: هل مروعكم مملوككم كالحر وما لكم وادعاؤكم ما هو مملوك لله إلها معه، والحال مملوككم ما هو مساوٍ لكم ولا هو معدود كالحر وكلكم أصل واحد ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لأهل الإدراك.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لما ادعوا مع الله سواه ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وكم عالم سلك على مسالك هواه وردعه علمه وهؤلاء لا علم رادع لهم عما هم سالكوه ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ﴾ لا مهدى ولا هاد له ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ عما أعده الله لهم على سوء مدعاهم ومسلكهم.

﴿فَأَقِمْ﴾ الأمر لمحمد رسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ

﴿حَنِيفًا﴾ مائلا لله وحده ﴿فِطْرَةَ اللهِ﴾ معمول على حد رأسك والحسام أو مصدر، والمراد: مسلك الإسلام أو العهد المعطى لدى عالم الأرواح لما عاهد آدم وولده مولاهم على لا إله إلا الله ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ كادعاء إله معه ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ الصراط السوي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ المراد: ملحدو الحرم الحرام ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ عدم أوده، ولو علموه لما أدعوا مع الله سواه.

﴿مُنِيبِينَ﴾ حال هو الحال وسط العامل المار أدى مؤدى مسلك الإسلام أو العهد المعطى كما مر أو حال اسم الرسول الأكرم أول السرد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله، والمراد: كلكم عائد إلى الله عما هو دعاء أو ركوع لسواه ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ صدر الأمر أولا للرسول، والمراد: أمر الأمم إكراما له صلى الله على روحه وسلم.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ على حكم أهوائهم ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ مللا لا على مسلك واحد ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كل سره مسلكه لادعائه هو المسلك الموصل والمسلم.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)﴾ [آية: ٣٣ - ٣٥]:

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ ملحدو الحرم الحرام ﴿ضُرٌّ﴾ لأواء ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ﴾ عودا ﴿إِلَيْهِ﴾ لا إلى سواه ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ مطرا ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه ركوعا للصور.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ اللام لام المآل أو لام الأمر، وورد مهددا لهم على ادعاء سوى الله معه ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مآل سوء أعمالكم، وهو أمر مهدد لهم.

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ دالا على ما ادعوه مع الله أو ملكا معه دال على ادعائهم المحرر ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ أمرا لهم ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ لا آمر ولا دال على ادعائهم المسطور.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ

وَجْهَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُم مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾ [آية: ٣٦ - ٣٩]:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ كل ملحد على العموم ﴿رَحْمَةً﴾ المراد: الآلاء ﴿فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ لأواء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لحسوم أعمالهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ومآل الحال المحرر حال المسلم أمره لمولاه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ حصرًا ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ المسطور كله ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على حكم الله ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سردهم لحصول الارعواء لهم لا لسواهم.

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى﴾ كل رحم ومحرم ﴿حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ﴾ الصعلوك، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ أهل المرور والمطور الأولى لا أموال لهم وهم على المسالك، والمراد: إعطاؤهم مما هو سهم الأموال أحد عماد الإسلام ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ ما أعده على صالح أعمالهم لا أمر سواه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ محصلو أمورهم على مرامهم.

﴿وَمَا آتَيْتُم مِنْ رِبًا﴾ مال محرم ﴿لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو﴾ ما هو مطهر ﴿عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُم مِنْ زَكَاةٍ﴾ لأموالكم كما أمركم مولاكم وهو السهم المحدود ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ لا لأمر سواه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ واحده كالمكرم مكسور الراء، والمراد: ما لهم، أو ما أعده الله لهم على إعطائهم السهم المعلوم رامئ لسلوكهم على مسلك أوامره.

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٤٠]:

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ لدى حلول أعماركم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إلى المعاد وورود كل على موارد عمله ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ كالصور وسواها ﴿مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لا ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه لا إله إلا إله واحد.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)﴾ [آية: ٤١ - ٤٥]:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ لعدم المطر والكلأ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ كل محل على ساحله لعدم الماء ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ هو حسوم أعمالهم ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ الله ورواه راوٍ على وروده كالمكلم ومعه سواه ﴿الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم سالكوه هودا إلى مولاهم.

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم، والأمر لرسوله محمد ﴿سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ المراد: أهلكهم الله ودمرهم لإلحادهم وعدم ارعوائهم وهدم دورهم وأمصارهم، ومال كل ملحد كمال هؤلاء وهو الدمار.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ مسلك الإسلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ معمول لمرد وهو عصر المعاد ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ كل إلى محل أهل الإسلام إلى دار السلام وأهل الإلحاد إلى السوئ دار الآلام.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ ومال أمره إلى السوئ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ موطئو محال لهم وسط دار السلام.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما أم اللام معلل لمهد ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ المراد: معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٤٦]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ لحلول الأمطار ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المطر والكلاء ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ أورد الأمر وأراد الاراده ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ مصالحكم ومهامكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ مولاكم على آلائه، والكلام لأهل الحرم الحرام أو للأعم ولم أره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي

﴿الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [آية: ٤٧ - ٥٠]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾[1] الدلائل وصححوا دعوى إرسالهم ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ لردهم دعوى الرسل، والمراد: إهلاكهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على أهل الإلحاد وإهلاكهم.

﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ ركاما ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ مرارا موصولا، ومرارا محسوما ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ وهادئا ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ رواه راوٍ كعلم مكسور الأول، وراوٍ كعلل، والمراد موصولا ومحسوما ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ الهاء عائد المطر ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ المراد: محالهم ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لحلول المطر.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ مؤكد للأول ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ ما هم مؤملو حلول المطر.

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ﴾ ورواه ولد عامر على العدد ممدود أمام الراء ﴿رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ﴾ كلأ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)﴾ [آية: ٥١ - ٥٣]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ﴾ الهاء عائد إلى الكلأ، وكل محصود وداله السرد أو الركام ﴿مُصْفَرًّا لَظَلُّوا﴾ صاروا رد لما وطأه للام، وساد مسد معمول ما وراء الموطئ ﴿مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي المعجزات والحجج النيرات ﴿فَانْتَقَمْنَا﴾ أي فكفروا فانتقمنا ممن كفر. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿حَقًّا﴾ نصب على خبر كان، ﴿نَصْرُ﴾ اسمها. وكان أبو بكر يقف على ﴿حَقًّا﴾ أي وكان عقابنا حقا، ثم قال: ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ابتداء وخبر؛ أي أخبر بأنه لا يخلف الميعاد، ولا خلف في خبرنا. وروي من حديث أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من مسلم يذب عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله تعالى أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة - ثم تلا - " وكان حقا علينا نصر المؤمنين". ذكره النحاس والثعلبي والزمخشري وغيرهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٤).

﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ وحال هؤلاء كحال الأولى وردوا مصارع حمامهم أو الصم لعدم إدراكهم وسماعهم الدلائل ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ أورده مؤكدا عما هم وسوء حالهم. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ سماهم كما سماهم لعمه صدورهم وعدم إدراكهم إعلام الهدى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع ارعواء وإدراك ﴿إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وكلهم مسلم لأمرك.

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آية: ٥٤، ٥٥]:

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ماء حل وسط الرحم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ هو وما أمامه، وما وراءه رواه راوٍ كرمح، وراوٍ كهدم ﴿قُوَّةً﴾ اللحم والدم وحلول الروح، أو إدراك الحلم وإكمال الحواس ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ هو الهرم ﴿وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ على كل ما أراده.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مَا لَبِثُوا﴾ وسط لحودهم ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ أما أمها أو لما لمحوا دوامهم وسط السوئ ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ المراد: عدولهم إلى عدم رمؤهم وسط لحودهم، أو وسط الدار الأولى كعدو لهم عما هو هدى، وهو الإسلام لأمر المعاد إلى العمى وهو ردهم له.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [آية: ٥٦ - ٦٠]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ﴾ الملك وسواهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ﴾

علمه أو اللوح أو حكمه ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ حصوله ووروده لكم.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ﴾ ورواه راوٍ على وروده لعكس المرء ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لإلحادهم ﴿مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا هود ولا عود لهم إلى الدار الأولى.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ مؤد إلى ارعوائهم وإسلامهم لرسلهم وأمر المعاد وراء الحمام ﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿جِئْتَهُمْ﴾ الكلام إلى الرسول محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿بِآيَةٍ﴾ كعصا موسى ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ محمد وأهل الإسلام ﴿إِلا مُبْطِلُونَ﴾ لدعواكم ما لا أصل له.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ علم لا إله إلا الله أو محمول على الأعم.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ حاصل ووعد الله هو إعلاؤه أمر رسوله على أعدائه ﴿وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ المراد: عدم حملهم له على الأمر المحرر لعدم حمل الرسول عوراءهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة لقمان

مكية إلا: وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) [آية: ٢٧، ٢٨]

وآيها أربع وثلاثون

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿الم﴾ الله أعلم ما المراد على الأسلم كما مر مرارا.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿هُدًى﴾ محمول أول كلام مطروح هو هو، ورواه راوٍ على الحال، ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وهم.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ على أكمل الأحوال ركوعا وسواه ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ﴾ أمر المعاد ﴿هُمْ﴾ مؤكد لهم الأول ﴿يُوقِنُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لما وحدوا الله وعملوا العمل الصالح.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [آية: ٦، ٧]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾[1] مما لا أصل له ولا أساس ﴿لِيُضِلَّ﴾ رواه راوٍ كألح، وراوٍ كعل ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ مسلك الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم الموحى لرسوله محمد الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ سمودا ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ هو الصمم وعدم السمع ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ أعلمه ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١١)﴾ [آية: ٨ - ١١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال هاء لهم ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ وهو حاصل على كل حال ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ لا كاهر له على عدم حصول ما وعد أو أوعد كلاهما حاصل لا محال ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحل أحكامه ووعوده محلها.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ وسمكها ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ولو لها عماد لرآه كل أحد، والمراد: لا عمد لها أصلا ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أطوادًا لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام على حد كل ما علاك سماء ﴿مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿هَذَا﴾ أومأ إلى السماء وما حواه، والدرك وما علاه وطواه ﴿خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي﴾ الأمر لأهل الحرم الحرام ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ كل إله له سواه على دعواكم ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ هم أهل الإلحاد، وكل مدع مع الله إلها لا إله إلا هو إله واحد ﴿فِي

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جل جلاله: ﴿ومن الناس من يشتري لَهْوَ الحديث﴾ أي: ما يلهى به عما يقرب إلى الله؛ كالأحاديث التي لا أصل لها، والخرافات التي لا حقيقة لها، والمضاحك، وفضول الكلام. قيل: نزلت في النَّضر بن الحارث، كان يخرج إلى فارس للتجارة، فيشتري أخبار الأعاجم، ثم يُحدث قريشاً بها، ويقول: إن محمداً يُحدثكم بأخبار عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رُسْتُم، وأخبار الأكاسرة، فيستملحُون حديثه ولا يسمعون القرآن. انظر البحر المديد (٥/٥٤٤)

ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾ [آية: ١٢ - ١٩]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ العلم والعمل أدرك عصر داود، وعلمه داود ردد الله له السلام العلم ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلهِ﴾ على ما أعطاك، وهو العلم والحكم ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لمآل حمده وصالح عمله له، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ آلاء الله ما أولاه ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ﴾ عما هو حمد ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كل حال، ولو عدم حمد العالم له.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدّى مؤداه ﴿قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ﴾ الملحد ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وسمع ولده المحرر كلامه وعاد إلى الله وأسلم ووحد.

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا﴾ هو حملها له ﴿عَلَى وَهْنٍ﴾ هو ألم الولاده ﴿وَفِصَالُهُ﴾ عما هو لسد حلمها ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ والكلام للمولود هو ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ مالك ومعادك.

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ إلحادًا ﴿عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وأما لهما ﴿فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ مسلك ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ عاد وهاد ﴿إِلَيَّ﴾ مسلما موحدا ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: أعمالكم على أعمالكم صالحها وطالحها.

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ الهاء للإساءه ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي

السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ﴾ المراد: حلولها وسط أعلا محل، أو أحطه، أو أسره ﴿يَأْتِ بِهَا اللهُ﴾ وعاملها مسئول ووارد على مواردها ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ علمه واصل إلى كل ما سر ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم ومطلع على محالها.

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ لأمرك وردعك عما سطر ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المحرر سرده ﴿مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ مما حسم الله السلوك على مسالكها، ووعد على عملها وأوعد على عدمه.

﴿وَلا تُصَعِّرْ﴾ ورواه راوٍ ممدودًا مورده صاعر وصعر كعدل واحد وصعره آماله ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ سمودا ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ على الأمم.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ المراد: الحال الوسط لا إسراعا كل الإسراع ولا إمهالا كل الإمهال، ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لعدم إسراره.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾ [آية: ٢٠، ٢١]:

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ الكلام لكل صالح له ﴿أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ما حواه عالم الأعلى والأحط كله مدار لمصالح ولد آدم ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأكمل ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ أدركها الحس كوسام صوركم ﴿وَبَاطِنَةً﴾ كالعلم والإدراك وسواهما، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ هم أهل الحرم الحرام ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى﴾ هداه إلى مسلكه أحد الرسل الكرام ﴿وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أوحاه الله إلى رسول.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ وأوحاه إلى رسوله ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ هدى أو عمى ﴿أَ﴾ هم سالكوا ما سلك والدوهم ﴿وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ إلى عمل عامله عائد أمره إلى الهلاك السرمد والسعر، والمراد لا.

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٢٢) وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)﴾ [آية: ٢٢ - ٢٤]:

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ﴾ موكلا له أموره كلها ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أمسك ما حله أمر محال ﴿وَإِلَى اللهِ﴾ لا إلى سواه ﴿عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ مآلها ومعادها.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾[1] المراد: عدم هم الرسول إلى إلحاد كل ملحد لعود حسوم أعمالهم لهم ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ لدى المعاد ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ وكلهم وارد موارد عمله ومعامل على سوء حاله ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما أسره صدر كل أحد وطواه وعلمه له ولسواه على حد سواء، وهو معامل على الكل.

﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ عصرا ﴿قَلِيلا﴾ طوال أعمارهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ هو ألم دار السوأى والكدر السرمد.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦)﴾ [آية: ٢٥، ٢٦]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ لسطوع الدلائل على ما حرر ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ﴾ على هدر ما ادعوه، وهو حصول إله معه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ علم الدلائل، أو المراد: عدم علمهم ما أداهم إلى هدر مدعاهم.

﴿لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا معهما ولا مألوه لأهلهما إلا هو ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عما هو حمد كل حامد ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود، وأهل للحمد ولو

---

(١) قال الرازي: لما بين حال المسلم رجع إلى بيان حال الكافر فقال ﴿وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ﴾ أي لا تحزن إذا كفر كافر فإن من يكذب وهو قاطع بأن صدقه يتبين عن قريب لا يحزن بل قد يؤنب المكذب على الزيادة في التكذيب إذا لم يكن من الهداة ويكون المكذب من العداة ليخجله غاية التخجيل وأما إذا كان لا يرجو ظهور صدقه يتألم من التكذيب فقال فلا يحزنك كفره فإن المرجع إلي فأنبئهم بما عملوا فيخجلون وقوله ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فينبئهم بما أضمرته صدورهم وذات الصدور هي المهلك ثم إن الله تعالى فصل ما ذكرنا وقال ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً﴾ أي بقاؤهم مدة قليلة ثم بين لهم وبال تكذيبهم وكفرهم بقوله ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ أي نسلط عليهم أغلظ عذاب حتى يدخلوا بأنفسهم عذاباً غليظاً يضطرون إلى عذاب النار فراراً من الملائكة الغلاظ الشداد الذين يعذبونهم بمقامع من نار وفيه وجه آخر لطيف وهو أنهم لما كذبوا الرسل ثم تبين لهم الأمر وقع عليهم من الخجالة ما يدخلون النار ولا يختارون الوقوف بين يدي ربهم بمحضر الأنبياء وهو يتحقق بقوله تعالى ﴿فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ﴾. انظر تفسير الرازي (١٣٥/٢٥).

عدم حمد كل حامد له.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ﴾ ال العهد، والمراد: ما أحاط ﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ سواه ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ كلها مداوء للمصاطر ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ المراد: لو صار كل عود مصطرا، وكل طم مدادا وأمد المداد المصطر، والمصطر حرر لما سطر آحاد كلم الله لعدم حصرها على حد محدود ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ مصور كل ما أراد ﴿حَكِيمٌ﴾ محل كل مراد له محله.

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ لصدوره أمرا لا عملا ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ سامع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ ما هو صالح لها، وما هو مسموع ولا إدراكه أحدهما حاوله عما هو إدراك لسواها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)﴾ [آية: ٢٩، ٣٠]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ المراد: العلم والكلام لكل صالح ﴿أَنَّ اللهَ يُولِجُ﴾ محل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ والمراد: رامئ حصص أحدهما وحاط مما سواه ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ كلاهما ﴿يَجْرِي﴾ وسط مسالكه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ حد محدود حده وسماه لهما ﴿وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم، ومطلع على أعمالكم ومعاملكم على صالحها وطالحها.

﴿ذَلِكَ﴾ المسطور كله ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ﴾ وما سواه هدر وهوس ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لأهل سماع الكلام ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿الْبَاطِلُ﴾ لا دوام ولا أصل له، ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل أحد سواه ﴿الْكَبِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)﴾ [آية: ٣١، ٣٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ المراد: على سطح الماء وأعلاه ﴿بِنِعْمَتِ اللهِ﴾ آلائه على الأمم لحصول مصالحهم، ولولاها لعسر الأمر على أهلها لطول المدى والمدد ﴿لِيُرِيَكُمْ﴾ الكلام لكل صالح لها ﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾ دلائله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر كله ﴿لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على مر الأوامر ﴿شَكُورٍ﴾ لآلاء مولاه حامد على ما أولاه.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ علا أهل الإلحاد ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ الأطواد ﴿دَعَوُا اللهَ﴾ وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاء وسألوه حسر همهم ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ وحسر همهم ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ حاله وسط لا مسلم ولا ملحد، وواحد دائم على إلحاده ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ مكار حلال للعهود ﴿كَفُورٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [آية: ٣٣، ٣٤]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ المراد: أهل أم رحم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي﴾ حال وروده ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ رد ولا المولود على الوالد ﴿عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ ووعده حصول أمر المعاد ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ سلوكا ودواما على مسالك إلحادكم ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ الوسواس عدو آد كحمله على عدم الإسلام أو عدم عودكم وهودكم إلى الله.

﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ علم عصر ورودها ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿الْغَيْثَ﴾ المراد: وعالم عصر حلول الأمطار ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ هل هو مرء أو عكسه ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ كعمل صالح أو طالح ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ والله عالم كلها ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ كل ما صح علمه ﴿خَبِيرٌ﴾ مطلع على أسرار الأمور كلها كاطلاعه على سواطعها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة السجدة

مكية، وآيها ثلاثون

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿الم﴾ الله أعلم ما مراده.

﴿تَنْزِيلُ﴾ أول كلام ومحموله ما صدره لا ﴿الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ محمول أول ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ محمول أم محمولا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[1] محمد، لا ﴿بَلْ هُوَ﴾ كلام الله ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ الكلام للرسول الأكرم ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ لعدم إدراكهم عصر الرسل الأول كموسى والروح ردد الله لهما السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ لهداك.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿أم يقولون افتراه﴾، إنكار الأعداء على المحبين سُنَّة لازمة. فإن أُلبِسَ الحق على الأعداء فلا يضركم، ولا عليكم، فإنَّ صحبة الحبيب للحبيب أَلَذُّ ما تكون عند فقد الرقيب. قاله القشيري. انظر البحر المديد (٥/٥٨١).

وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [آية: ٤ - ٩]:

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ محمول على أمر لا معلوم كما هو الأحرى لكماله ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ أحد سرر الملك، أو المراد ملكه له، أو علو كما مر ﴿مَا لَكُمْ﴾ الكلام لأهل الحرم الحرام ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿مِنْ﴾ وصلٍ لا مؤدى له ﴿وَلِيّ﴾ مولى اسم ما ﴿وَلا شَفِيعٍ﴾ راد لما أعده لكم على سوء عملكم ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ما هو معد لكم.

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ طول عمر العالم ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ الأمر لحلول حد العالم ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ أعواما أو المراد حدور الملك حاملا لما أمر مولاه، ووصوله إلى العالم الأحط وصعوده إلى السماء وعوده.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ مؤسس أمرهما على ما واءم حكمه ﴿الْعَزِيزُ﴾ الكاهر ﴿الرَّحِيمُ﴾ لكل طائع وعاص.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ على وآم الحكم ومصالح الأمم كرما لا حكما ﴿خَلَقَهُ﴾ مصدر، ورواه راوٍ كطلع ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ﴾ هو آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أولاده ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ دم لا سائل ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الأرحام.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ الهاء لآدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ المراد: سواه وصوره مدركا حساسا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ الكلام لأولاده ﴿السَّمْعَ﴾ المراد: الأسماع ﴿وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ الأرواع ﴿قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له.

﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿وَقَالُوا﴾ الواو لكل راد أمر المعاد ﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا﴾ وروى راوٍ أوله مهملا وأصل اللحم وصل صمر وأروح ﴿فِي الأَرْضِ﴾ المراد: وصاروا حصحصا مع حصحصها ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وراءه ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لدى المعاد أو ورود الحمام ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَتَوَفَّاكُمْ﴾ كلكم ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ لسل أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ لورودكم على موارد أعمالكم.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾(١)[آية: ١٢ - ١٤]:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾ هم أهل الإلحاد ﴿نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾ مطأطئوها، وكلامهم هو ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما وعد الرسل وهو أمر المعاد ﴿وَسَمِعْنَا﴾ كلامك على الرسل ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدار الأولى ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ سوى العمل الأول ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ لسطوع الدلائل، وما لكلامهم وسؤالهم طائل ومكمل لو مطروح، وهو لرأى أمرا وما إدراك ما الأمر.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ إلى الإسلام والعمل الصالح ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ولد آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ وكلام الأملاك لأهل الإلحاد لدى ورودهم على دار السوأى حلوها ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ وهو عدم إسلامكم له ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ المراد: طرحهم وسط دار السوأى كالمأموه وأورده للمحاكاة، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم، وكرر الأمر مؤكدا للحكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الإلحاد وردكم دعوى الرسل.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

---

(١) صور - سبحانه - أحوال هؤلاء الكافرين، عندما يقفون للحاسب، تصويراً مرعباً مخيفاً فقال: ﴿وَلَوْ ترى إِذِ المجرمون نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. وجواب " لو " محذوف، والتقدير: لرأيت شيئاً تقشعر من هوله الأبدان. وقوله: ﴿نَاكِسُواْ﴾ من النكس، وهو قلب الشيء على رأسه كالتنكيس.. وفعله من باب نصر - والخطاب يصح أن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم - أو لكل من يصلح له. أي: ولو ترى - أيها الرسول الكريم - حال أولئك المجرمين الذين أنكروا البعث والجزاء، وهم يقفون أمام خالقهم بذلة وخزى، لحسابهم على أعمالهم.. لو ترى ذلك لرأيت شيئاً ترتعد له الفرائص، وتهتز منه القلوب. انظر التفسير الميسر(٣٠/٩).

يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [آية: ١٥ - ١٧]:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ روعوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ ركعا لروعهم ما أعد الله لكل عاص ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عما هو إسلام أو طاعه.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ علوا وسموا ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ للكرى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ مما أعده لأعدائه ﴿وَطَمَعًا﴾ لحصول رحماه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ لأهل العدم وكل سائل.

﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ﴾ سر ﴿لَهُمْ﴾ لا ملك ولا رسول ﴿مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ والمراد: ما أعده الله لأهل الصلاح على أعمالهم ما مر على روع أحد، ولا هو معلوم إلا الله ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولعلهم لما أسروا أعمالهم عما سوى الله أسر الله ما أعده لهم عما سواه.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٢)﴾ [آية: ١٨ - ٢٢]:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ﴾ ما حال أهل الصلاح مساوٍ لحال أهل الطلاح.

﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلا﴾ كل محل أعد لأهل المرور والروح ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ لإلحادهم وردهم دعوى الرسل ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ محل دار السلام مأوى أهل الإسلام ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ المراد: دوامهم ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ رسلكم، وكل مدع حصوله.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى﴾ ألم الدار الأولى إهلاكا وأسرا وعللا ﴿دُونَ﴾ أمام ﴿الْعَذَابِ الأَكْبَرِ﴾ ألم دار السوأى والكدر السرمد ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل الأولى ورأهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإسلام حال سماعهم ما أعده الله لأهل الإلحاد أمامهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ كلامه المكرم ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ لا أحد ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [آية: ٢٣ - ٣٠]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ محال ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ الهاء لموسى وراءه رسول الله مساء الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ الهاء لموسى أو لكلام الله الموحى لموسى ﴿هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ رؤساء علم ﴿يَهْدُونَ﴾ ملئهم إلى ما حواه حكما وإحكاما ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام وما للمصدر ﴿صَبَرُوا﴾ على مر الأوامر أو على حمل مكروه أعدائهم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ لعلمهم وإدراكهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مما هو أحكام الله.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الهاء لأهل أم رحم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ لدى مرورهم على دورهم وأمصارهم، والمراد: إما صار معلوما لأهل الحرم هلاك الأمم أمامهم لإلحادهم مع اطلاعهم على هدم محالهم ودورهم لدى مروهم ومطورهم إلى الامصار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل لكل مدرك ﴿أَفَلا يَسْمَعُونَ﴾ سماع ارعواء وإدراك.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ عساء كعمر ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ كالعدس والحمص وسواهما ﴿أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ لأهل الإسلام ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ إعلاء الله لكم على سواكم وعلو مسلككم على سائر المسالك والملل، أو المراد: حلول ما أوعدهم الله حلوله وورود على عدم إسلامهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ عصر وروده ﴿لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ لعدم إدراكهم عصره لو حمل سؤالهم على علو أهل الإسلام على أهل االإلحاد ﴿وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ إمهالا لهود أو عود إلى الله.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾[1] حلول ما أوعدوه وهو حاصل لا محال ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ كل مكروه لك، ومحا الأمر المحرر الحسام وأمر المعارك والكر.

---

(١) أي: فأعرض عن هؤلاء المشركين، وعن أقوالهم الفاسدة دون أن تلتفت إليها، وامض في طريقك أنت وأتباعك، وانتظر النصرة عليهم بفضلنا وإرادتنا، إنهم - أيضاً - منتظرون ما سيئول إليه أمرك، وسيكون أمرك بخلاف ما يمكرون وما ينتظرون. انظر التفسير الوسيط (٣٣٧/٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحزاب

مدنية، وآيها ثلاث وسبعون

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(1) [آية: ١ - ٣]:

---

(١) قال الرازي: في تفسير الآية مسائل: الأولى في الفرق بين النداء والمنادى بقوله يا رجل ويا أيها الرجل وقد قيل فيه ما قيل ونحن نقول قول القائل يا رجل يدل على النداء وقوله يا أيها الرجل يدل على ذلك أيضاً وينبيء عن خطر خطب المنادي له أو غفلة المنادى أما الثاني فمذكور وأما الأول فلأن قوله (يا أي) جعل المنادى غير معلوم أولا فيكون كل سامع متطلعاً إلى المنادى فإذا خص واحداً كان في ذلك إنباء الكل لتطلعهم إليه وإذا قال يا زيد أو يا رجل لا يلتفت إلى جانب المنادى إلا المذكور إذا علم هذا فنقول فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا لا يجوز حمله على غفلة النبي لأن قوله النَّبِيّ ينافي الغفلة لأن النبي عليه السلام خبير فلا يكون غافلا فيجب حمله على خطر الخطب. المسألة الثانية الأمر بالشيء لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به إذ لا يصلح أن يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبي عليه السلام كان متقياً فما الوجه فيه نقول فيه وجهان احدهما منقول وهو أنه أمر بالمداومة فإنه يصح أن يقول القائل للجالس اجلس ههنا إلى أن أجيئك ويقول القائل للساكت قد أصبت فاسكت تسلم أي دم على ما أنت عليه والثاني وهو معقول لطيف وهو أن الملك يتقي منه عباده على ثلاثة أوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي لم يؤمر بالتقوى بالمعنى الأول ولا بالمعنى الثاني وأما الثالث فالمخلص لا يأمنه ما دام في الدنيا وكيف والأمور الدنيوية شاغلة والآدمي في الدنيا تارة مع الله وأخرى مقبل على ما لا بدّ منه وإن كان معه الله وإلى هذا إشارة بقوله ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحِي إِلَيَّ﴾ (فصلت ٦) يعني يرفع الحجاب عني وقت الوحي ثم أعود إليكم كأني منكم فالأمر بالتقوى يوجب استدامة الحضور الوجه الثاني هو أن النبي عليه الصلاة والسلام كل لحظة كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة إلى ما هو فيه تركا للأفضل فكان له في كل ساعة تقوى متجددة فقوله اتَّقِ اللهَ على هذا أمر بما ليس فيه =

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المراد: الرسول محمد صلى على روحه وسلم ﴿اتَّقِ اللهَ﴾ الأمر للدوام ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أوحاه الله لرسوله لما سأله رهط أهل الإلحاد عدم رده على الركوع للصور والدُّمَى ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ الصالح والد احس ﴿حَكِيمًا﴾ محل أوامره وروادعه محلها.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هو كلامه المكرم ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وموح لك ما هو مصلح لأعمالك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ سلم أمورك كلها لله ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾ موكولا له الأمور.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ

=

وإلى هذا أشار عليه الصلاة والسلام بقوله (من استوى يوماه فهو مغبون) ولأنه طلب من ربه بأمر الله إياه به زيادة العلم حيث قال ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه ١١٤) وأيضاً إلى هذا وقعت الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) يعني يتجدد له مقام يقول الذي أتيت به من الشكر والعبادة لم يكن شيئاً إذا علم هذا فالنبي (صلى الله عليه وسلم) بحكم ﴿إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (فصلت ٦) كان قد وقع له خوف ما يسير من جهة ألسنة الكفار والمنافقين ومن أيديهم بدليل قوله تعالى ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب ٣٧) فأمره الله بتقوى أخرى فوق ما يتقيه بحيث تنسيه الخلق ولا يريد إلا الحق وزاد الله به درجته فكان ذلك بشارة له في ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيّ﴾ أنت ما بقيت في الدرجة التي يقنع منك بتقوى مثل تقوى الآحاد أو تقوى الأوتاد بل لا يقنع منك إلا بتقوى تنسيك نفسك ألا ترى أن الإنسان إذا كان يخاف فوت مال إن هجم عليه غاشم يقصد قتله يذهل عن المال ويهرب ويتركه فكذلك النبي عليه الصلاة والسلام أمر بمثل هذه التقوى ومع هذه التقوى لا يبقى الخوف من أحد غير الله وخرج هذا مخرج قول القائل لمن يخاف زيد أو عمراً خف عمراً فإن زيداً لا يقدر عليك إذا كان عمرو معك فلا يكون ذلك أمراً بالخوف من عمرو فإنه يخاف وإنما يكون ذلك نهياً عن الخوف من زيد في ضمن الأمر بزيادة الخوف من عمرو حتى ينسيه زيداً ثم قوله تعالى ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ يقرر قولنا أي اتق الله تقوى تمنعك من طاعتهم المسألة الثالثة لم خص الكافرين والمنافقين بالذكر مع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ينبغي أن لا يطيع أحداً غير الله نقول لوجهين أحدهما أن ذكر الغير لا حاجة إليه لأن غيرهما لا يطلب من النبي عليه الصلاة والسلام الاتباع ولا يتوقع أن يصير النبي عليه السلام مطيعاً له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده إلا مطاعاً والثاني هو أنه تعالى لما قال ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ منعه من طاعة الكل لأن كل من طلب من النبي عليه الصلاة والسلام طاعته فهو كافر أو منافق لأن من يأمر النبي عليه الصلاة والسلام بأمر أمر إيجاب معتقداً على أنه لو لم يفعله يعاقبه بحق يكون كافراً. انظر تفسير الرازي (١٦٤/٢٥).

مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [آية: ٤، ٥]:

﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ادَّعَاه أحد أهل الإلحاد وأوحاه الله لرسوله ردا على المدعى المسطور ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي﴾ ورواه راوٍ اللآء ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ ممدودا ولا ممدود ﴿مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ كما لو كلم واحد أهله ما حاصله عرسه كأمه هل عراها أحكام الأم لا ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ هم كل مدعو لسوى والده ولدا للسوى المحرر ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ المراد: هل صارحكم المدعو ولدا لأحدكم حكم الولد لكم لا ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ والحكم المسطور رد على الهود لما ادعوا أهوال رسول الله عرس ولده، والحال هو مدعو لا ولد الرسول صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ مسلكه.

﴿ادْعُوهُمْ﴾ المراد: ادعوا الأولاد ﴿لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ اعدل ﴿عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ هم، المراد: كل موال أو المولى ولد العم ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ﴾ اللوم حاصل على ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ دعاءه ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لما حصل أولا عصر عدم الردع ﴿رَحِيمًا﴾ وحكم المدعو ولدا مع ادعاء الداع لها الحرار لو مملوكا وصار حرا، ولو هو حر الأصل صار حكمه حكم الولد لو صالح لها عمرا.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لرومه صلى الله على روحه وسلم صلاح حالهم على كل حال ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ وحرام على كل أحد أهول أمه ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ كلامه أو اللوح ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ والحكم المسطور محا حكم ما صدر أول الإسلام، وصار محو المؤدى لا السرد ﴿إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ كما لو أوحى لهم ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ الحكم الأول وما أمه ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح أو الموحى إلى موسى أكمل الله له السلام ﴿مَسْطُورًا﴾ محرا.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أرود أوما ادى مؤداه ﴿أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ عهودهم على دعائهم الأمم إلى الله ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ رد الواو هؤلاء الرسل على الأول رد الأكارم على الكرماء ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ عهدا مؤكدا ﴿لِيَسْأَلَ﴾ الله ﴿الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ المراد: حصل العهد المسطور للسؤال عما حرر، وهو دعاء الرسل أممهم إلى السلوك على مسالك أوامر الله ﴿وَأَعَدَّ﴾ الله ﴿لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما وهو دار السوأى.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا (١١)﴾ [آية: ٩ - ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ عساكر للكر والمعارك ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الأملاك ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ مطلعا وراء أحوالكم.

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ أعلى الواد ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أحطه ودركه ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ﴾ مآل مرآها أمها إلى الأعداء لما أحاطوا لكم ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ صعود اللروع الحاصل ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾ طورا إعلاء على عدوكم وطورا كسر أعدائكم لكم.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿زِلْزَالا شَدِيدًا﴾ لهول ما رأوا.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ

الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧)﴾ [آية: ١٢ - ١٧]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح كأورد ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ داء المحال ﴿مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ علوا على الأعداء ﴿إِلا غُرُورًا﴾ هدار لا أصل له.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ هم أهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ اسم لمحل لحد رسول الله صلى الله على روحه وسلم وما حوله ﴿لا مُقَامَ﴾ رواه راوٍ كسلام مصدرا، ورواه كمدام للمحل ﴿لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ عود إلى طود سلع للكر والمعارك أو عودوا للإلحاد وأسلموا ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ للعود ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ عمارها ما هو محكم ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ رد الله ادعاءهم عدم أحكامها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا﴾.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ مصر الرسول أو دورهم ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا﴾ سألهم أهل الإلحاد ﴿الْفِتْنَةَ﴾ العود إلى الإلحاد والكر على أهل الإسلام ﴿لآتَوْهَا﴾ ورواه راوٍ ممدودا، والمراد: أعطوها وعملوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ الهاء للرده ﴿إِلا يَسِيرًا﴾.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ﴾ المراد: رسول الله على الرَّسْوِ ﴿مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ﴾ إلى الأعداء ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولا﴾ ووادعه معامل على سوء عمله.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ العمر له حد محدود ﴿وَإِذًا﴾ المراد: ولو حصل طائل ﴿لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلا﴾ وهو إلى حلول أعماركم.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ هلاكًا ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ المراد: لا أحد مصادم ما أراد الله وما أراده المولى حاصل لا محال ﴿وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿وَلِيًّا﴾ مأمولا رحمه ﴿وَلا نَصِيرًا﴾ لردع السوء.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلا (٢٠)﴾ [آية: ١٨ - ٢٠]:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ الكر على الأعداء والمعارك ﴿إِلا قَلِيلا﴾ للسمعه ﴿أَشِحَّةً﴾ ما هم أهل سماح لعدم صولهم وكرهم على أعداء أهل الإسلام ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ دورا ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ﴾ سكر ورود ﴿الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وحصل أهل الإسلام أموال العدو ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ أسمعوكم المكروه أو صكوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ كحد الصوارم ﴿أَشِحَّةً﴾ معمول على الحال ﴿عَلَى الْخَيْرِ﴾ روم الأموال ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ صدرا ﴿فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أهدرها، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإهدار المحرر ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ سهلا لا راد له.

﴿يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى الحرم الحرام لما هالهم وروعهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الأحْزَابُ﴾ عودا ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأعْرَابِ يَسْأَلُونَ﴾ كل مار ﴿عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ مع أهل الإلحاد ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ ومعكم لدى عود أعدائكم للكر والمعارك ﴿مَا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلا﴾ لردع العار لا لإعلاء أوامر الله ورسوله.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [آية: ٢١]:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ لدى المعارك وسواها، والمراد: وكما كر رسول الله على الأعداء كروا وصولوا ﴿لِمَنْ﴾ معمول على وهم ورود العامل المكرر للكم ﴿كَانَ يَرْجُو اللهَ﴾ المراد: هو أمل ما أعده الله لكل طائع على صالح أعماله ﴿وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ لا لسوى المحرر، وهو ما أداه الاسم الموصول لعدم أمله الأمل المحرر.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [آية: ٢٢]:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ﴾ عولوا على الكر والصول على أهل الإسلام ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ وعدهما هو علو أهل الإسلام على أهل الإلحاد وكسرهم لهم ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ما رأوه ﴿إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ

يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤)﴾[1][آية: ٢٣، ٢٤]:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ كالصول والكر على أعدائه مع رسوله صلى الله على روحه وسلم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ ورد موارد مصارعه حماما أو إهلاكا ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ حلول أحدهما ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ لعهد عاهدوه.

﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ هو دوامهم على عهودهم، ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ لعدم دوامهم على عهدهم ﴿إِنْ شَاءَ﴾ حلول حمامهم وهم على سوء حالهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ لو هادوا إلى مولاهم ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لكل عائد هائد ﴿رَحِيمًا﴾.

﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)﴾ [آية: ٢٥ - ٢٧]:

﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ مراد أو هو علوهم على الرسول وأهل الإسلام معه ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ لورود الأملاك والأرواح، ﴿وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا﴾ على أسر ما أراده ﴿عَزِيزًا﴾ عائلا على أمره.

---

(١) أي: صدقوا فيما عاهدوه، فحذف الجار، وأوصل المفعول إلى " ما"؛ وذلك أن رجالا من الصحابة نَذَرُوا أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا، وقاتلوا حتى يُسْتَشْهَدُوا، وهم: عثمان بن عفان، وطلحة، وسعيد بن زيد، وحمزة، ومصعب، وأنس بن النضر، وغيرهم. ﴿فمنهم مَن قضى نَحْبهُ﴾؛ نذره؛ بأن قاتل حتى استشهد؛ كحمزة، ومصعب، وأنس بن النضر. والنَّحْبُ: النذر، واستعير للموت؛ لأن كل حي من المحدثات لا بد له أن يموت، فكأنه نذرٌ لازم في رقبته، فإذا مات؛ فقد قضى نحبه، أي: نذره. وقال في الصحاح: النحب: النذر، ثم قال: والنَّحْبَ: المدة والوقت. يقال: قضى فلان نَحْبَه، إذا مات هـ. فهو لفظ مشترك بين النذر والموت. وصحح ابنُ عطية أن النحب الذي في الآية ليس من شرطه الموت. بل معناه: قَضَى نذره الذي عاهد الله عليه من نصرة الدين، سواء قُتل أو بقي حيًّا. بدليل قوله - عليه الصلاة والسلام - في طلحة: "هذا ممن قَضَى نَحْبَه " هـ. ﴿ومنهم مَن ينتظرُ﴾ أي: الموت على الشهادة؛ كعثمان وطلحة، ﴿وما بدّلوا﴾؛ العهد ﴿تبديلا﴾؛ ولا غيَّروه، لا المسْتَشْهَد، ولا مَن ينتظر الشهادة. وفيه تعريض بمَن بدّل من أهل النفاق، كقوله تعالى فيما مر: ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ اللهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ...﴾ [الأحزاب: ١٥]. ﴿ليجزي اللهُ الصادقين بصدقهم﴾؛ بوفائهم بالعهد، ﴿ويُعذِّب المنافقين إن شاء﴾ إذا لم يتوبوا، ﴿أو يتوبَ عليهم﴾ إن تابوا ﴿إن الله كان غفوراً﴾ بقبول التوبة، ﴿رحيماً﴾ بعفو الحوبة. انظر البحر المديد (٦/٢٨).

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ كل محل محكم الأساس والعمار له سور أولا وورد لما ردع مكروه العدو كالصور للوعل وسواه ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الروع ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ كأولادهم.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ سوادهم ومحصل محصودهم ﴿وَدِيَارَهُمْ﴾ دورهم ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ كلها ﴿وَأَرْضًا﴾ لهم ﴿لَمْ تَطَئُوهَا﴾ أولا ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ،

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)﴾ [آية: ٢٨ - ٣٤]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ هو رسوله الأكرم محمد ردد الله له السلام ﴿قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وسع الأموال والحلل ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا﴾ لا سوء ولا إكراه.

﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ﴾ دار السلام والسرور السرمد الدائم ﴿فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السلام.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾ كل عمل مكروه سطر له حد معلوم ﴿مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ﴾ لدى المعاد ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ المكروه واحد ولو مورده آل الرسول الطهر صار اكره ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ أمرا سهلا.

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ﴾ المراد: الدوام على أوامر الله ورسوله وروادعهما ﴿مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ الواحد لدوامها على أوامر الله، والواحد لعدم طمعها وروم الأموال والحلل ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا﴾ سوى ما سطر ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ دار السلام.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الله ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ كعمل العواهر ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ سوء حواه صدره ﴿وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾.

﴿وَقَرْنَ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ﴾ حال المطور إلى محل كالدل وسواه ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ عصر آدم إلى عصر والد حام أو عصر والد الرسل، أو عصر الروح إلى عصر محمد صلى الله على كلهم وسلم، والمراد: عدم اطلاع على وسام أو حلل آل الرسول ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أمدا وسرمدا على كل الأحوال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ كل عمل أوعد الله عامله وأورد الحصر معللا للأمر والردع... وله عمم الحكم ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ مدعو على طرحها، والمراد: حرم الرسول الأكرم ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ أعمال الرسول الأطهر ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ عالما مطلعا على أعمال الأمم كلهم.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٣٥]:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ المراد: كل طائع لأحكام الله ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ كل مسلم صدرًا وكلامًا ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ أهل الدوام على الطاعه، ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ إسلاما لله، ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على مر الأوامر والروادع، ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ لله علا اسمه، ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ مما أعطاهم مولاهم، ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ للصوم المعلوم أحد أساس الإسلام، ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عما هو عهر أو حرام، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ كلاما وصدرا ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لكل عمل لا حد له لمحو ما مر له ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على أعمالهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾ [آية: ٣٦]:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ﴾ ما صحح لهما ﴿إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ لسوى أمر رسول الله صلى الله على روحه وسلم ولا لهم إلا

السلوك على ما أمر، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾ وهلك مع الهلكى.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾ [آية: ٣٧ - ٤٠]:

﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ ما أم الواو معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ لما هداه للإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ لحرارك له، والاسم الموصول للمدعو ولد رسول الله صلى الله على روحه وسلم وأمره معلوم لكل أحد ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ﴾ المراد: عدم سراحه لها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو ودادك سراحها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ لومهم لك على أهولها أو ودادها ﴿وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وسرحها المدعو ولد الرسول ووراء مدد الدم أهلها رسول الله صلى الله على روحه وسلم كما حكى الله وهو، ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ ملام ﴿فِي﴾ أهولهم على ﴿أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ وما حكمه كحكم الولد ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ﴾ ما أراده أو حكمه ﴿مَفْعُولا﴾ حاصلا لا محال.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ لوم وملام ﴿فِيمَا فَرَضَ﴾ أحل ﴿اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ الرسل الأول كداود وسواه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ حكما محسومًا ومصرومًا ﴿الَّذِينَ﴾ علم للاسم الموصول الأول ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللهَ﴾ المراد: كلام الأمم وعارهم ما هو مروعهم على ما أحله الله لهم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ كالئا لأعمال الأمم.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ ما لرسول الله ولد أدرك الحلم وصار له

أهل وسرَّحها، وحرم على الرسول أهولها والطاهر وسواه أولاده ما أدركوا مدارك المرء، ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ﴾ وكل رسول والد ملأه رحما لا مولدا، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ولو له مدرك الحلم لصار رسولا إكراما لوالده إمام الرسل ردد الله له أكمل السلام، ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ومما علمه ورود رسوله محمد أول كل الرسل أسرا ووراءهم عصرا.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)﴾ [آية: ٤١ - ٤٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ لدى الطلوع والدلوك أوائل وآصالا.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ راحما لكم ﴿وَمَلائِكَتُهُ﴾ سؤالهم محو صالح أعمالكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإسلام ﴿وَكَانَ﴾ الله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ لما أصلح أمرهم وهداهم.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ لدى ورود الحمام أو الوصول إلى دار السلام ﴿سَلامٌ﴾ مما هو مكروه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو دار السلام والسرور السرمد.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلا كَبِيرًا (٤٧) وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا (٤٨)﴾ [آية: ٤٥ - ٤٨]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على أممك المرسل لهم، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ كل طائع ﴿وَنَذِيرًا﴾ لكل عاص، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ﴾ إلى السلوك على أوامره ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أمره، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ لألاؤه، هاد مما هو عمى الإلحاد.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لك ﴿بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلا كَبِيرًا﴾ على سائر الأمم أو على أعمالهم، ﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ سلوكا على ما أرادوا ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ هو معاملهم على سوء أعمالهم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾ موكولا له أمرك.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا﴾ [آية: ٤٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾

ورواه راوٍ على ورود أصله ماس، وعلى كل المراد الوطء، أو ما حكمه كحكمه ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ دما أو مددا ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ المراد: حال عدم المهر المسمى ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا﴾.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١)﴾ [آية: ٥٠ - ٥١]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الدعاء لرسوله الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ أورد الإحلال وأراد إعلام رسوله الحل ﴿اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ المراد: المهور وأورد إعطاء المهر للأولى، ولو حل الوطء مع عدم إعطائه المهر حالا، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾ لدى صولك على أهل الإلحاد وملكك أموالهم وحرمهم ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ وسوى ما سطر لا ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ رده الواو على الأول أو معمول لعامل مطروح ﴿إِنْ وَهَبَتْ﴾ المراد: ما أدى مؤدى الملك كالإعطاء وسواه ﴿نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ المراد: لو أراد الرسول أهو لها مع عدم المهر وإلا لا ﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد ﴿لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لعدم المهر أصلا ولو الإعطاء المحرر حاصلا لأحد أهل الإسلام صح، وعلى المعطى له أداء مهر محاك عرسه ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الإسلام ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ كسائر أحكام الأهوال والمهر وعدد الأهل ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ كالإماء للمالك ﴿لِكَيْلا﴾ معمول للمصدر المؤكد ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ حصر لأمر الأهول ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ للأمر العسر وحوره ﴿رَحِيمًا﴾ لما وسع الأمر.

﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ المراد: إطراحها عما هو وطء أو وطاء ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ﴾ إلى وطائك ﴿مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ روما ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ دحرا أو سراحا ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ لا حرام ولا ملام ﴿عَلَيْكَ ذَلِكَ﴾ الحكم المحرر ﴿أَدْنَى﴾ إلى ﴿أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ

وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ مؤكد، ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ هو وداد كل أحد إلى عرسه ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ ما حواه الصدور ﴿حَلِيمًا﴾ ما هو مسارع إلى إحلال الألم على كل عاص.

﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [آية: ٥٢]:

﴿لا يَحِلُّ﴾ ورواه راوٍ لعكس المرء ﴿لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾(١) المراد: سوى اللاء على وطائه ﴿وَلا أَنْ تَبَدَّلَ﴾ عرسا محل عرس ﴿بِهِنَّ مِنْ﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له ﴿أَزْوَاجٍ﴾ كسراحك لإحدى حرمك وأهوالك سواها محلها ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ كالإماء حل لك ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ كالئا.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)﴾ [آية: ٥٣ - ٥٥]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ للسلوك كالدعاء ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ إدراكه مصدر ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ﴾ إلى طعام ﴿فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ طعم وأكل واحد مؤدى ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ المراد: الوراط والمطور ﴿وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ المكود ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ لو طردكم، ﴿وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو طاردكم ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الهاء لحرم الرسول الأطهر ﴿مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ عما هو وسواس ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ ما صح لكم ﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ﴾ كملكم أمرا مكروها له

---

(١) قال المفسرون من بعدهن والأولى أن يقال لا يحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما يؤتيهن من الوصل والهجران والنقص والحرمان. انظر تفسير الرازي (١٨٠/٢٥).

مما حرر كله ﴿وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ لا لسراح ولا لحمام ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ أهول حرمه ﴿كَانَ عِنْدَ اللهِ﴾ عملا ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ مما حرر، وهو أهولكم إحدى حرم الرسول الأكرم ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿لا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ﴾ المراد: ولا على حرم أهل الإسلام ﴿وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أمراء أو إماء كل مملوك أو للإماء لا لسواها ﴿وَاتَّقِينَ اللهَ﴾ سلوكا على مسلك أوامره ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ عالما مطلعا على كل ما سواه.

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [آية: ٥٦]:

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ رسوله الأطهر محمد ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ حاصل المراد: اللهم صل على محمد وسلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)﴾ [آية: ٥٧، ٥٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا على ما كرها وحرماه، أو المراد: الرسول وحده لا سماعه المكروه والعوراء ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ طردهم عما هو رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ هو دار السوأى والكدر الدائم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ المراد: لا لعمل أداهم إلى الكلام المكروه أوحاه الله لرسوله ردعا لرهط عاوروا ولد عم الرسول، وهو الأسد الكرار، أو للأولى رموا حرم رسول الله صلى الله على روحه وسلم وطهرها مما رموها، أو للعهر سلكوا وراء الحرم روما للعهر ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ساطعا أمره لكل أحد.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [آية: ٥٩]:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ لدى المطور لوطر أوامر ﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾ إلى ﴿أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ إماء أو حرائر ﴿فَلا يُؤْذَيْنَ﴾

إسماعا للكلام المكروه، ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لما صدر أولا وهو عدم إسدال الملاءة ﴿رَحِيمًا﴾ لما حكم الحكم المحرر.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا (٦١) سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا (٦٢)﴾ [آية: ٦٠ - ٦٢]:

﴿لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عما هو سوء صدر ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كوداد العهر ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ككلامهم لأهل الإسلام ما حاصله ورد العدو وعساكركم كسروا وهلكوا أو ما حاكاها ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ مردود إلى اللام الموطئ ومردود ما أمها مطروح هو داله، وحاصل المراد: ورود أمر الله لطردهم أو لأعمال الحسام على رؤوسهم ﴿ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ﴾ وراء ورود الأمر المسطور ﴿فِيهَا﴾ الهاء عائد إلى مصر لحد الرسول ﴿إِلا قَلِيلا﴾ لعدم ورود الأمر لطردهم.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ معمول على الحال، أو على عكس المدح ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ حلوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا﴾ ها هو ما أوعدهم الله حلوله.

﴿سُنَّةَ اللهِ﴾ مسلكه ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ حالهم كحال هؤلاء ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾ عما أراده.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾ [آية: ٦٣ - ٦٨]:

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾ هم أهل الحرم الحرام ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ عصرها ووردها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ﴾ عامل كامل ﴿قَرِيبًا﴾.

﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ طردهم وأطرحهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ إلى ما لا مدى له على الدوام ﴿لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ كالئا لهم عما هو ورود وحلول ﴿وَلا نَصِيرًا﴾ رادا أو راد عاما حرر.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ حالا إلى حال أو محلا إلى محل ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ الواو للمرؤوس، والواو الأول لرؤسائهم ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ ورواه راوٍ ممدودا وراء الدال ﴿وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ مسلك الهدى.

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ﴾ آلمهم أو على أصله ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ عدده، ورواه عاصم موحد أوسطه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾ [آية: ٦٩]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا﴾ مع رسولكم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ وادعوا الآدر له ﴿فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا﴾ لما رؤه وهو عار لا مأدور ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾ له السؤدد.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [آية: ٧٠، ٧١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ ودعوا اسماع الرسول الكلام المكروه ﴿وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا﴾ مسددا لا ما لا أصل له.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ كعدم ردها أو إلهامكم لعمل الصالح، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا على أوامرهما وروادعها ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ حصل مرامه على مراده.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [آية: ٧٢ - ٧٣]:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾ المراد: كل عمل وعد الله عامله على عامله وأوعده على وداعه كالصوم وسواه ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ أسر الله لها الإدراك والكلام ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ روّعها أمرها وحملها ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾ آدم ردد الله له السلام ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ له لما حمل أمرا وما أدراك ما هو ﴿جَهُولا﴾ مآل ما حمل.

﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ﴾ اللام معلل لحمل آدم المار ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ

وَالْمُشْرِكَاتِ﴾[1] لعدم السلوك على مسلك ما حمله والدهم آدم ردد الله له السلام ﴿وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ لأدائهم ما حمل آدم على أكمل الأحوال ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لكل طائع.

---

(١) أي بإيصال الهموم إليهم بسبب علو كلمة المسلمين، وبأن يسلط النبي عليه السلام قتلا وأسرا واسترقاقا. ﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ يعني ظنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرجع إلى المدينة، ولا أحد من أصحابه حين خرج إلى الحديبية، وأن المشركين يستأصلونهم. كما قال: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً﴾ [الفتح: ١٢]. وقال الخليل وسيبويه: ﴿السوء﴾ هنا الفساد. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ في الدنيا بالقتل والسبي والأسر، وفي الآخرة جهنم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿دائرة السوء﴾ بالضم. وفتح الباقون. قال الجوهري: ساءه يسوءه سوءا (بالفتح" ومساءة ومساية، نقيض سره، والاسم السوء "بالضم". وقرئ ﴿عليهم دائرة السُّوء﴾ يعني الهزيمة والشر. ومن فتح فهو من المساءة. ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً، وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ تقدم في غير موضع جميعه. والحمد لله. وقيل: لما جرى صلح الحديبية قال ابن أبي: أيظن محمد أنه إذا صالح أهل مكة أو فتحها لا يبقى له عدو، فأين فارس والروم فبين الله عز وجل أن جنود السموات والأرض أكثر من فارس والروم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٦٥/١٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة سبأ

مكية، وآيها أربع وخمسون

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾[1] [آية: ١، ٢]:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد سرد المحامد للمحمود على عمل الطوع لا الإكراه عمرو عمر على علمه وكرمه ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا وآلاء، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾ على السلوك إلى دار السلام ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ المحكم أموره وما أسره كله ﴿الْخَبِيرُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ ما هو سالك وحال ﴿فِي الأَرْضِ﴾ كالماء وسواه ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالكلاء والمحصود ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كعطاء الأمم والأملاك ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ كل صاعد ﴿فِيهَا﴾ كأعمال ولد آدم وسواها ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ لكل طائع.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: أي المستحق للحمد هو الذي بيده ما في سماوات الأرواح؛ من الكشوفات وأنواع الترقيات، إلى ما لا نهاية له، من عظمة الذات، وبيده ما في أرض النفوس؛ من القيام بالطاعات وآداب العبودية وتحسين الحالات، وما يلحق ذلك من المجاهدات والمكابدات، وبيده ما يتحفهم به في الآخرة، من التعريفات الجمالية، والفتوحات الربانية، والترقي في الكشوفات السرمدية. فله الحمد في هذه العوالم الثلاثة؛ إذ كلها بيده، يخص بها مَن يشاء من عباده، مع غناه عن الكل، وإحاطته بالكل، ورحمته للكل. يعلم ما يلج في أرض النفوس من الهواجس والخواطر، وما يعرج منها من الصغائر والكبائر، أو من الطاعة والإحسان من ذوي البصائر، وما ينزل من سماء الملكوت من العلوم والأسرار، وما يعرج فيها من الطاعات والأذكار، وهو الرحيم بالتقريب والإقبال، الغفور لمساوئ الضمائر والأفعال..انظر البحر المديد (٦/٩٧)

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ [آية: ٣، ٤]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ ردا لورودها ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ رد كلامهم ردا مؤكدا ﴿عَالِمِ﴾ ورواه راوٍ مكسور الوسط ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح، والمراد مسطور وسطه.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ معلل لما أم اللام الموطئ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وسط دار السلام.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٥]:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي﴾ هدر ﴿آيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ ورواه راوٍ كعامل ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ أسوء الألم ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [آية: ٦]:

﴿وَيَرَى﴾ المراد: العلم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ كولد سلام ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هو كلامه المكرم ﴿هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ﴾ مسلك ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ المحمود، والصراط المحرر هو لا إله إلا الله.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واحد لواحد سلوكا على مسلك الأهكومه ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ أرادوا محمدا أكمل الله له السلام ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ كصعود الروح والدم واللحم، وسائر الأوراد صار حصحصا ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معاد سوى الأول.

﴿أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ لما ادعى الأمر المسطور ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ هوس وسعر ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ﴾ أورده الله ردا على ما ادعوه لرسوله واوعدهم أمرا لا مآل له إلا الهلاك سرمدا.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أعلاهم وأحطهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ رواه راوٍ كعلم مكسور الأول، وراوٍ والأول على حاله كرمم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ هو لمح ما سطر ﴿لآيَةً﴾ دالا ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ عائد إلى الله مسلم لأمره عالم أسره لكل ما أراده.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)﴾ [آية: ١٠ - ١٤]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا﴾ المراد: ما عم الإرسال والملك، وكلام الله الموحى له وأمرا للأطواد وهو ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ رده الواو على محل الأطواد المدعو ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ لعمل الدروع والأمر له.

﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ دروعا ﴿سَابِغَاتٍ﴾ كوامل ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ المراد: احكم حوك الدروع ﴿وَاعْمَلُوا﴾ أهل داود معه ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عالم وراء، ومطلع على عملكم وأعاملكم على الصلاح.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ المهل سائل موردها كالماء ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ عما أمر ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ألم دار الدرك والكدر السرمد ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾ صروح عوال، ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ صور أملاك وآساد وسواها وأعمال الصور على عهده حلال ﴿وَجِفَانٍ﴾ واحدها وعاء للماء ﴿كَالْجَوَابِ﴾ كل محل للماء واسع ﴿وَقُدُورٍ﴾ لطعام ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ كالطود مع العلو، ولو أرادوا الصعود لها حطوا

السلالم وصعدوا لعلوها ووسعها وأحكامها ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ لله على ما أولاكم، وهو معمول على المصدر أو الحال أو العله، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ الراد حواسه كلها إلى أحمد مولاه على كل حال.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ على ولد داود أكمل الله لهما السلام لما أدركه الحمام ودام على عصاه حولا كاملا ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلا دَابَّةُ الأَرْضِ﴾ مصدر لأكلها عصاه، وهو مدعم هوى ولما هوى علموا إدراك الحمام له كما حكى الله ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ عصاه، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ وهوى ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ المراد: علموا الأمر وراء العمى ﴿أَنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ كما ادعوا لعلموا إدراك الحمام له و﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ العمل المكد.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إلا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إلا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)﴾ [آية: ١٥ - ٢٣]:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ لأولاده وهو اسم والدهم الأعلى كما مر ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ علم دال على عدل الله وحلمه ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ والأمر لهم ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما أولاكم مصركم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ هواء وماء، وحصحصا وما حلها هوام أصلا ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عما هو حمد على الآلاء ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ اسم واد، أو المراد: ما أمسك الماء كالسكر والعمار المركوم، ووصل الماء وأهلك أموالهم

وعمارهم، ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ﴾ مأكول ﴿خَمْطٍ﴾ مر ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ الأمر الحاصل لهم ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ (ما) للمصدر ﴿وَهَلْ نُجَازِي﴾ لسوى المعلوم، ورواه راوٍ للمعلوم، وأوله صالح لكل واحد معه سواه ﴿إِلا الْكَفُورَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وسعا على أهلها ماء وهواء، والمراد سوى ما مهمله السام ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ على مسالك السواح ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ للسواح كل مساء إلى محل ولاهم حاملو طعام ولا ماء والأمر لهم ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا روع لهم ما داموا سواحا.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ ورواه راوٍ كعامل ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى ما مهمله السام ملوا آلاء الله وسألوه دحور مأمهم للعلوم على الرواحل وحمل الماء والمطعم ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما سئموا آلاء مولاهم وألحدوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ للأمم وراءهم ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ إلى سائر الأمصار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطر كله ﴿لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على ما أمر ﴿شَكُورٍ﴾ على ما أعطاه مولاه وأولاه.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ رواه راوٍ كرصد أو كهدد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الإلحاد ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أمل أعماهم وإهلاكهم وهم أكدوا حدسه وأمله ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ وهلكوا ﴿إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد: إلا أهل الإسلام.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ولاء ﴿إِلا لِنَعْلَمَ﴾ علم سطوع ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ لورود كل أحد على موارد أعماله صالحها وطالحها ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ كالئ ومطلع.

﴿قُلِ﴾ لأهل أم رحم والأمر لمحمد ردد الله له أكمل السلام ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ المراد: ما ادعوه إلها كالصور ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه لصالح ولردع سوء ﴿لا يَمْلِكُونَ﴾ لكم ولا لسواكم ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ لا أسرا ولا ملكا، وكلهم لله مملوك حالهم كحالكم ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ردء أو مساعد.

﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾[1] ردا لمدعاهم، وهو صدورها لهم مما هو كود وسواع

---

(١) أي ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ففزع لما ورد عليه من الإذن تهيبا لكلام الله تعالى، حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم أجاب بالانقياد. وقيل: هذا الفزع يكون اليوم للملائكة في كل =

﴿إلا لِمَنْ أَذِنَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ﴾ كالأول للمعلوم وسواه ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ للأمر المسطور ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل ما سواه علو ملك وسؤدد كهر لا علو محل ﴿الْكَبِيرُ﴾.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢٤) قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلا بَلْ هُوَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)﴾ [آية: ٢٤ - ٢٧]:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ المطر ﴿وَالأرْضِ﴾ الكلأ والمحصود ﴿قُلِ اللهُ﴾ سواء حكموا له أو لا، لا إله سواه ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ الراكع لله وحده، أو الراكع للصور ﴿لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ لأهل الإدراك وسالم الحواس.

﴿قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ كل أحد معامل ومسئول على عمله.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ لدى المعاد ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ حكما ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ ومآل كل طائع دار السلام، وكل عاص دار السوأى والكدر السرمد، ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ محل الأحكام.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ صورا ركعا لهم ﴿كَلا﴾ لا أحد مع الله ولا ركوع لسواه، وهو للردع عما ادعوه ﴿بَلْ هُوَ اللهُ﴾ وحده ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

=

أمر يأمر به الرب تعالى؛ أي لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم اليوم فزعون، مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين. وفي صحيح الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير - قال - والشياطين بعضهم فوق بعض" قال: حديث حسن صحيح. وقال النواس بن سمعان قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أراد أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فإذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله تعالى سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما أراد ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير - قال فيقول كلهم كما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث، أمره الله تعالى". انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢٩٦).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)﴾ [آية: ٢٨ - ٣٠]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ المراد: محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿إِلا كَافَّةً﴾ حال لما أمه ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ لأهل الإسلام وواعدهم دار السلام ﴿وَنَذِيرًا﴾ لأهل الإلحاد وموعدهم الهلاك ودار السوأى، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل الحرم الحرام ملحدوه ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ الأمر المسطور.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ مرادهم وعد المعاد، ودار الألم والكدر السرمد ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سألوا رسول الله وأهل الإسلام معه.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ لورودكم إلى المعاد ﴿لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ وهو حاصل لا محال.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)﴾ [آية: ٣١ - ٣٣]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ملحدو أم رحم ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ﴾ الموحى لمحمد أكمل الله له السلام ﴿وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كالموحى إلى موسى والروح ردد الله لهما السلام، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ هؤلاء ﴿مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ لدى سؤالهم عما عملوا وما ألحدوا ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ هم كل مرؤوس ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ هم الرؤساء ﴿لَوْلا أَنْتُمْ﴾ المراد: لولا صدودكم ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ إلى الرسول.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرؤساء ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ كل مرؤوس ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ مرادهم لا ما هم صدوهم كما دل له ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ مرادهم ما صدهم عما هو هدى إلا مكر رؤسائهم أمداً أصلا ورواحا ومساء ﴿تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ كود وسواع ﴿وَأَسَرُّوا﴾ كلاهما ﴿النَّدَامَةَ﴾ على عدم إسلامهم ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما وصلوا دار السوأى ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا ما أعد لهم على سوء أعمالهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)﴾ [آية: ٣٤ - ٣٧]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ رسل ﴿إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساء أهلها للرسل ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ مرادهم لما أعطاهم الله الأموال والأولاد دل على عدم ورودهم موارد الألم للأكرام المحرر.

﴿قُلْ﴾ لهم ردا على ما ادعوه ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ المراد: موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ حصرا على كل أحد أراد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ حكم الله ومراده.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ كدعواكم ﴿إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ والمراد: ما الأموال والأولاد موصل أحد إلى الله إلا المسلم العامل العمل الصالح ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾ ورواه راوٍ على الواحد صروح دار السلام ﴿آمِنُونَ﴾ المكاره كلها الحمام وسواه.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)﴾ [آية: ٣٨، ٣٩]:

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي﴾ إهدار ﴿آيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ لله على حدسهم لا ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ طورا ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ طورا ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لله ولرسوله لا لأمر سواه ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ حالا أو مآلا ﴿وَهُوَ

خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)﴾ [آية: ٤٠ - ٤٥]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الرأس والمرءوس المار سردهما ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ ورواه راوٍ على عوده لله وحده كالأول ﴿لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ الواو عائد للأملاك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ طهرا عما هو رد‌ء وحصول إله معك ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ المراد: لا مولى لهم إلا الله ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ كل ما رد لما وسوسوا لهم وأطاعوهم ركوعا للصور ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ الهاء لولد آدم لأهل الإلحاد، والمراد كلهم ﴿بِهِمْ﴾ الهاء للمرده ﴿مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ﴾ هو المألوه ﴿لِبَعْضٍ﴾ هو الإله ﴿نَفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إلحادا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم الموحى إلى رسوله الأكرم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ساطع هداها ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ أومأوا إلى الرسول محمد أكمل الله له السلام ﴿إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ مرادهم الصور كود وسواع ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ أرادوا كلام الله المكرم ﴿إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾ على الله لا أصل له.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ كلام الله، أو المراد: إرسال محمد أوامر الإسلام ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ ووسطها ما دل على ادعاء أحد مع الله، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ المراد: لا دال على مدعاهم أصلا لعدم سرده وسط طرس موحى ولعدم إرسال رسول دل إرساله على المدعى المحرر، وهو حصول أحد

مع الله، ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا﴾ هؤلاء ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ كطول العمر ورمؤ الأموال والعدد والهاء عائد لأولئك ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ لهم لما ردوا دعوى الرسول، والمراد: ما صار مآل أمرهم إلا إهلاكهم.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)﴾ [آية: ٤٦ - ٥٠]:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا﴾[1] لدى كل أمر ﴿لِلهِ﴾ لا لمراء أو سواه ﴿مَثْنَى﴾ وراطا ﴿وَفُرَادَى﴾ واحدا واحد ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أمر رسولكم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ محمد ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ هوس ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أمام ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ المراد: لو عصوا أمره وردوا دعواه.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ﴾ على أمر الإرسال ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مال أو سواه ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ تمم الحجة على المشركين؛ أي قل لهم يا محمد: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ﴾ أي أذكركم وأحذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه. ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ أي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام، تقتضي نفي الشرك لإثبات الإله قال مجاهد: هي لا إله إلا الله وهذا قول ابن عباس والسدي. وعن مجاهد أيضا: بطاعة الله. وقيل: بالقرآن؛ لأنه يجمع كل المواعظ. وقيل: تقديره بخصلة واحدة، ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ ﴿أَنْ﴾ في موضع خفض على البدل من ﴿وَاحِدَةٍ﴾، أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ، أي هي أن تقوموا. ومذهب الزجاج أنها في موضع نصب بمعنى لأن تقوموا. وهذا القيام معناه القيام إلى طلب الحق لا القيام الذي هو ضد القعود، وهو كما يقال: قام فلان بأمر كذا؛ أي لوجه الله والتقرب إليه. وكما قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ أي وحدانا ومجتمعين قاله السدي. وقيل: منفردا برأيه ومشاورا لغيره، وهذا قول مأثور. وقال القتبي: مناظرا مع غيره ومفكرا في نفسه، وكله متقارب. ويحتمل رابعا أن المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل، لأنه في النهار معان وفي الليل وحيد، قال الماوردي. وقيل: إنما قال: ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ لأن الذهن حجة الله على العباد وهو العقل، فأوفرهم عقلا أوفرهم حظا من الله، فإذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة، وإذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد؛ والله أعلم. ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ الوقف عند أبي حاتم وابن الأنباري على ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾. وقيل: ليس هو بوقف لأن المعنى: ثم تتفكروا هل جربتم على صاحبكم كذبا، أو رأيتم فيه جنة. انظر الجامع في أحكام القرآن (٣١١/١٤).

المراد: لا أسألكم أمرًا أمدا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ﴾ لا على أحد سواه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع على السرائر كلها.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ﴾ المراد: الطرح ﴿بِالْحَقِّ﴾ هو ما أوحاه إلى رسله ﴿عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ ما حصل وما هو حاصل، وما لا حصول له إلى ما لا مدى له ولا حصر ولا حد.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الإلحاد ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ صار أمر الإلحاد هدرا لا عمل له أصلا لهلاكه.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عما هو هدى ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ لورود كل أحد على موارد عمله ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ مما هو كلام أو حكم ومكمل العامل هو الهدى هداه ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ دعاء كل داع ﴿قَرِيبٌ﴾ كرما وإعطاء لسائله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٤]:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا﴾ لدى ورودهم إلى المعاد للسؤال ومكمل لو رأى أمرا وما أدراك ما الأمر ﴿فَلا فَوْتَ﴾ لأحد عما أعد الله له ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ هو لحودهم.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ الهاء لمحمد أو لكلام الله المكرم ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾ حصول الإسلام وسله سلا سهلا ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ محل الإسلام الدار الأولى وهم وصلوا إلى المعاد.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ الرسول الأكرم أو الكلام المكرم ﴿مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ على الرسول صلى الله على روحه وسلم مما لا أصل له ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ كادعائهم طور السحر له وطور الهوس.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ هو الإسلام ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ كل محاك لهم إلحاد ﴿مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ لأمر محمد، أو لكلام الله لا أسلموا له ولا سلكوا على أوامره ومسالكه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الملائكة

مكية، وآيها خمس وأربعون

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١، ٢]:

﴿الْحَمْدُ لِلهِ﴾ لا أحد محص حمد الله سواه، والحمد سرد المحامد للمحمود على عمل الطوع ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] صادعهما، والمراد: أسرهما أولا ﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ وسائط إلى الرسل والأمم ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ أسر الأملاك وسواهم ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ عطاء أو مطر أو الأعم كالعلم والإرسال وسائر الآلاء ﴿فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الهاء عائد لإمساك الله الآلاء ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ العائل على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل الأحكام محلها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٣، ٤]:

---

(١) قال الرازي: ما الحكمة في اختيار هذه الآية من بين الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على أنه واحد، فنقول لما ذكر الله أنه فاطر السموات والأرض، وذكر من الأمور السماوية والأرواح وإرسالها بقوله: ﴿جَاعِلِ الملائكة رُسُلاً﴾ ذكر من الأمور الأرضية الرياح وإرسالها بقوله: ﴿وَالله الذي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾. انظر تفسير الرازي (٢٦/٢٢٦).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ المراد: أهل الحرم الحرام ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ أواكم حرمه لا عول ولا وصل ﴿هَلْ مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿خَالِقٍ﴾ أول كلام ﴿غَيْرُ اللهِ﴾ محموله ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المطر ﴿وَالأرْضِ﴾ الكلأ وكل محصود ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ لا معدل لكم إلى إله سواه.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الكلام لرسوله محمد أكمل الله له السلام ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ سلى الله رسوله، والمراد: أحمل كما حملوا ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ كلها العامل وعمله وكلكم وارد موارد أعماله صالح أو طالح.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)﴾ [آية: ٥ - ٧]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ المعاد والورود موارد الأعمال ﴿حَقٌّ﴾ حاصل لا محال ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عما وراءها ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ الوساوس عدو آدم كحمله لكم على الإمهال وعدم العود والهود إلى الله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ عاملوه كالأعداء على سائر الأحوال ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ ملأه، وكل سالك سلوك وساوسه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ سوء الدار.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وسط السوء ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الحكم الأول حصر لحال كل موال للوسواس وسالك على ما وسوس له، وما أمه حصر لحال الألّى عصوا أمر المطرود وأطاعوا أمر الله ورسوله.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [آية: ٨]:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ لما حكم وهمه وهواه على إدراكه وحلمه، والمراد: كواحد هداه الله لا وداله هو ﴿فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ لعدم إسلامهم لك وردهم مدعاك ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وهو معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [آية: ٩]:

﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ ورواه راوٍ للواحد ﴿فَتُثِيرُ﴾ حكى الحال ﴿سَحَابًا﴾ ركاما، وحاصل المراد: حملها له ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لعدم كلئه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ الهاء عائد لمطره وللركام الصائر مطرا ﴿الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها، والمراد: عساء كلئها ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ عدم عودكم إلى المعاد وراء الحمام كعود الكلأ وراء العساء.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [آية: ١٠]:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ السؤدد حالا أو مآلا لدى المعاد ﴿فَلِلهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ مع عمله، وهو لا إله إلا الله وكل عمل محاك لها ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ هو إصرارهم على المكروه للرسول كطرده أو إهلاكه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ حالا ومآلا ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ مكرهم داحس لا صرد له.

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [آية: ١١]:

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ﴾ أسر والدكم آدم كمل الله له السلام ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ أسركم وصوركم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم المهال وسط الأرحام ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ كالمرء مع عرسه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ﴾ إلا وهو عالم ومطلع على حالها، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ ما مد عمر أحد ووصل إلى الهرم ﴿وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ كإدراك حمامه له، وعدم وصوله إلى حد العمر والهرم ﴿إِلا فِي كِتَابٍ﴾ هو علم الله أو اللوح ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ العلم أو الكلؤ ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ سهل.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ [آية: ١٢ - ١٤]:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ حكى الله حال الموحد والملحد ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ حلو، وهو حال الموحد ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ألد الملوحه وهو حال الملحد، ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو لحم السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللؤلؤ وسواه ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ صوادع للماء ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ مولاكم على ما أولاكم وأعطاكم.

﴿يُولِجُ﴾ محل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ لحصول طوله، ﴿وَيُولِجُ﴾ محل ﴿النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ لطول مدد السواد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ وسط مسالكه ﴿لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ حد محدود ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ أولا وأمدا على الدوام ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ كل مألوه لكم سواه وهم الصور كود وسواع ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ أمرا ما.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ لأمر ﴿لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لعدم الحس، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ دعاءكم وسلم سماعهم له ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ لهم مع الله ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ وهو الله عالم كل معلوم.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ (١٨)﴾ [آية: ١٥ - ١٨]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ﴾ على كل حال ﴿وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عما سواه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود ولوعدم حمد كل حامد.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ محلكم ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾ أسر عالم سواكم ﴿عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ ما هو أمر عسر ألد.

﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ المراد: لا أحد حامل حمل أحد؛ كل وارد على موارد أعماله، وكل واحد مسئول عما عمله هو لا سواه ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ اكلها حملها ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ المراد: إلى حطه على سواها ﴿لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو للحمل ﴿ذَا قُرْبَى﴾ كوالد أو ولد ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ هم الأولى روعهم ما أوعدهم الله وما رواه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ أداموها ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ طهر صدره

عما هو الحاد وسواه ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ لعود صالح ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ المآل والمعاد وهو المعامل على الأعمال.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ (٢٠) وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)﴾ [آية: ١٩ - ٢٤]:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ الملحد ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ والموحد.

﴿وَلا الظُّلُمَاتُ﴾ الإلحاد ﴿وَلا النُّورُ﴾ الهدى والإسلام.

﴿وَلا الظِّلُّ﴾ دار السلام ﴿وَلا الْحَرُورُ﴾ سوء الدار.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ﴾ أهل الإسلام ﴿وَلا الأَمْوَاتُ﴾ أهل الإلحاد ﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ﴾ إسماع ارعواء وإدراك ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ إرعواء وهداه ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ هم كل ملحد وسماهم كما سماهم لعدم إدراكهم وحسهم إعلام الهدى كأهل اللحود.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ﴾[1] ما أمرك إلا دعاؤهم والإسماع عائد أمره لله.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الهدى ﴿بَشِيرًا﴾ وواعدا كل طائع دار السلام ﴿وَنَذِيرًا﴾ كل عاص وموعده الهلاك ودار السوأى ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أهل عصر ﴿إِلا خلا﴾ مر ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ رسول أو عالم والأول أولى.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾ [آية: ٢٥، ٢٦]:

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الواو لأهل الحرم الحرام ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كملأ هود، وصالح سواهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على إرسالهم ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ كطروس والد الرسل أكمل الله له السلام ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ الموحى لموسى، والروح ردد الله لهما السلام.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما ردوا دعوى الرسل ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ المراد: إهلاكهم هل هو حال محله أم لا.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: أي: ما عليك إلا التبليغ والإنذار، فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفعه، وإن كان من المصرين فلا عليك. انظر البحر المديد (٦/١٨٠).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ **مطرا أو ما هو أعم** ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ **كالأسود والأحمر وسواهما** ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ **مسالك** ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ **المراد: حال هؤلاء كحال أولئك أسود وأحمر وأسمر وسواهما** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ **وأورع الأمم أعلمهم، وملحدو الحرم لعدم علمهم لا ورع لهم** ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ **عائل على أمره لإراد لحكمه** ﴿غَفُورٌ﴾ **لكل عائد وهائد له.**

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)﴾ [آية: ٢٩، ٣٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ﴾ **كلامه المكرم** ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ **أداموها** ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾ **كإعطاء سهم أموالهم أحد عمد الإسلام وسواه كإعطائهم المعدم** ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ **لا كساد لها ولا هلاك.**

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ **على صالح أعمالهم** ﴿وَيَزِيدَهُمْ﴾ **إكراما** ﴿مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ **لطالح عملهم** ﴿شَكُورٌ﴾ **لصالحه.**

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٣١]:

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ **كلام الله المكرم** ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ **أمامه، وهو ما أوحاه الله لموسى وسواه** ﴿إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ **عالم ومطلع على سرائرهم وأحوالهم كلها.**

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي

أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)﴾ [آية: ٣٢ - ٣٥]:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ المراد: الإعطاء ﴿الْكِتَابَ﴾ كلام الله المكرم ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ المراد: علماء أهل الإسلام، أو كل مسلم لمحمد صلى الله على روحه وسلم لكرمهم على سائر الأمم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ لعدم العمل، أو لعدم العلم ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ حاله وسط لا عمل دوما ولا وداع أو رائم للعلم ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ عمل وهدى سواه إلى العمل، أو المراد العلماء ﴿بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام ومكود ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسوى المعلوم، والواو للأولى مر سردهم وهم أهل الإسلام﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ محمول أم محمولا أو حال ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مرصع رصعه ما هو أمامه ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ ألهم كله ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لطالح العمل ﴿شَكُورٌ﴾ لصالحه.

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ دار المكوث والدوام ﴿مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ كلال لعدم الأوامر.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)﴾ [آية: ٣٦ - ٣٨]:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ﴾ المراد: كما حصل لهؤلاء ﴿نَجْزِي﴾ ورواه والد عمرو على وروده لسوى المعلوم وحل محله ﴿كُلَّ كَفُورٍ﴾.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ ودعاؤهم هو ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ والكلام لهم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا﴾ المراد: مددا وعصرا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ هو الرسول أو كلام الله أو الحلم أو هلاك الأهل والأرحام ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ رادع لما أعد الله لهم ﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ والعالم أسرار الصدور عالم ما سواها

على كل حال.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا﴾ [آية: ٣٩]:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾[1] كلما هلك أهل عصر ورد أهل أعصر إلى محلهم ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ لوروده موارد سوء عمله ﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا﴾ لعدم حصولهم لدى المعاد إلا على سوء الأعمال وألم دار الكدر والهم السرمد.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلا غُرُورًا (٤٠) إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)﴾ [آية: ٤٠، ٤١]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمْ﴾ وهم الصور ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ركوعا لهم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مع الله الواحد الأحد ﴿فِي﴾ أسر ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ دل على ورودهم مع الله ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ دال ﴿مِنْهُ﴾ عائد إلى الطرس ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ على ركوعهم للصور ﴿إِلا غُرُورًا﴾ أمرا هدرا لا أصل له.

﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَزُولا وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿زَالَتَا إِنْ﴾ ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ ما ممسكهما ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ سواه ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ لإمساكه لهما وعدم هلاك العوالم.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾ قال قتادة: خلفا بعد خلف، قرنا بعد قرن. والخلف هو التالي للمتقدم، ولذلك قيل لأبي بكر: يا خليفة الله؛ فقال: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا راض بذلك. ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي جزاء كفره وهو العقاب والعذاب. ﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتاً﴾ أي بغضا وغضبا. ﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَاراً﴾ أي هلاكا وضلالا. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٥٥).

وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [آية: ٤٢ - ٤٥]:

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ آلى ملحدو أم رحم ﴿بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾ أمم موسى والروح وسواهما ردد الله لهما السلام ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ إرساله ووروده ﴿إلا نُفُورًا﴾ عما هو الهدى.

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ﴾ العمل ﴿السَّيِّئِ﴾ كالإلحاد وسواه ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ﴾ كالسور ﴿إلا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ المراد: إلا حلول ما حل على الأمم الأول الأولى ما أسلموا لرسلهم وهو هلاكهم ودمارهم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلا﴾ لا حال محل الألم سواه، ولا حاصل الهلاك إلا على أهل الإلحاد وأعدائه.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ وهم سواح إلى كل مصر ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حال مرورهم على دورهم وأمصارهم ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أهلكهم الله كلهم لما ردوا دعوى الرسل الإرسال وما أسلموا لهم ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ كل مراد له حاصل لا محال ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ الأمور والأحوال كلها ﴿قَدِيرًا﴾ على أسر ما أراده.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ المراد: لو هو معاملهم على سوء أعمالهم ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ كل ما له روح أو ولد آدم لحسوم عملهم ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ حد محدود لهم وهو عصر المعاد ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ الموعود لهم ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ﴾ الموحد والملحد ﴿بَصِيرًا﴾ معاملا أهل الإسلام على الصالح، وأهل الإلحاد على الطالح.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس

مكية، وآيها ثلاث وثمانون آية

﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١ - ١٢]:

﴿يس﴾ الله أعلم ما مراده على الأصح الأسلم كما مر[١].

---

(١) قال الرازي: ﴿يس * وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾ قد ذكرنا كلاماً كلياً في حروف التهجي في سورة العنكبوت وذكرنا أن في كل سورة بدأ الله فيها بحروف التهجي كان في أوائلها الذكر أو البحث الأول: هو أن في ذكر هذه الحروف في أوائل السور أموراً تدل على أنها غير خالية عن الحكمة ولكن علم الإنسان لا يصل إليها بعينها فنقول ما هو الكلي من الحكمة فيها، أما بيان أن فيها ما يدل على الحكمة فهو أن الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفاً وهي نصف ثمانية وعشرين حرفاً، وهي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة ألف متحركة، ثم إنه تعالى قسم الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الألف إلى الذال وتسعة أحرف أخر في آخر الحروف من الفاء إلى الياء وعشرة من الوسط من الراء إلى الغين، وذكر من القسم الأول حرفين هما الألف والحاء وترك سبعة وترك من القسم الآخر حرفين هما الفاء والواو
=

=

وذكر سبعة، ولم يترك من القسم الأول من حروف الحلق والصدر إلا واحداً لم يذكره وهو الخاء، ولم يذكر من القسم الآخر من حروف الشفة إلا واحداً لم يتركه وهو الميم، والعشر الأواسط ذكر منها حرفاً وترك حرفاً فذكر الراء وترك الزاي وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين، وليس هذا أمراً يقع اتفاقاً بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة، وأما أن عينها غير معلومة فظاهر وهب أن واحداً يدعى فيها شيئًا فماذا يقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة ن، وق، وص. وبعضها بحرفين كسورة حم. ويس. وطس. وطه. وبعضها بثلاثة أحرف كسورة الم. وطسم. والر. وبعضها بأربعة كسورتي المر. والمص. وبعضها بخمسة أحرف كسورتي حمعسق. وكهيعص. وهب أن قائلا يقول إن هذا إشارة إلى أن الكلام، إما حرف، وإما فعل، وإما اسم، والحرف كثيراً ما جاء على حرف كواو العطف وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف التشبيه وباء الإلصاق / وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعيض وأو للتخيير وأم للاستفهام المتوسط وأن للشرط وغيرها والاسم والفعل والحرف جاء على ثلاثة أحرف كإلى وعلى في الحرف وإلى وعلى في الاسم وألا يألو وعلا يعلو في الفعل، والاسم والفعل جاء على أربعة، والاسم خاصة جاء على ثلاثة وأربعة وخمسة كفجل وسجل وجردحل فما جاء في القرآن إشارة إلى أن تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه، فماذا يقول هذا القائل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض بأكثر فلا يعلم تمام السر إلا الله ومن أعلمه الله به، إذا علمت هذا فنقول اعلم أن العبادة منها قلبية، ومنها لسانية، ومنها جارحية، وكل واحدة منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم، أما القلبية مع أنها أبعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلا، وإنما وجب الإيمان به والاعتقاد سمعاً كالصراط الذي (هو) أرق من الشعرة وأحد من السيف ويمر عليه المؤمن والموقن كالبرق الخاطف والميزان الذي توزن به الأعمال التي لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفيات الجنة والنار فإن هذه الأشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي، وإنما المعلوم بالعقل إمكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول، وكذلك في العبادات الجارحية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات، وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي أن العبد إذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة لا يكون إلا آتياً بمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فربما يأتي به للفائدة وإن لم يؤمن كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فإن تحتها كنزاً هو لك ينقلها وإن لم يؤمن/ إذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية وجب أن يكون منها ما لا يفهم معناه حتى إذا تكلم به العبد علم منه أنه لا يقصد غير الانقياد لأمر المعبود الآمر الناهي فإذا قال:﴿حم﴾ علم أنه لم يذكر ذلك لمعنى يفهمه أو يفهمه فهو يتلفظ به إقامة لما أمر به.

البحث الثاني: قيل في خصوص يس إنه كلام هو نداء معناه يا إنسان، وتقريره هو أن تصغير إنسان إنيسين فكأنه حذف الصدر منه وأخذ العجز وقال: ﴿يس﴾ أي أنيسين، وعلى هذا يحتمل

=

﴿وَالْقُرْءَانِ﴾ الواو واو مؤل كوالله ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم السرد والمؤدى.

﴿إِنَّكَ﴾ الكلام لمحمد رسوله أكمل الله له السلام ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك الرسل أمامك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ عدل، وهو لا إله إلا الله.

﴿تَنْزِيلَ﴾ رواه راوٍ مسموكا على وروده محمولا، وراوٍ معمولا لأمدح مطروح ﴿الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ وهو الله.

﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ على عصرهم ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عما هو هدى.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ هو مل سوء الداء ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله عدم إسلامهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ المراد: سامكو رؤوسهم إلى الأعلى ما هم أهل إسلام وركوع إلى أوامر الله ورسوله.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ سد الله مسالك إسلامهم أمامهم مسدود ووراءهم مسدود سدا، وحاصل المراد: إسلامهم محال.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ ردعك لهم وعدمه على السواء ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ إسلامهم صار أمرا محالا.

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ أحكام كلام الله المكرم ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ وحده وما رآه ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لصالح أعماله ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو حلوله دار السلام.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ﴾ وسط اللوح ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ كل عمل عملوه صالح أو طالح لورودهم على مواردها ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ ما أسسوه للأمم وراءهم كعلم علموه ومهدوم عمروه أو عكسه، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح.

=

أن يكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلّم ويدل عليه قوله تعالى بعده: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. البحث الثالث: قرىء يس إما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف هو قوله هذه كأنه قال: هذه يس، وإما بالضم على نداء المفرد أو على أنه مبني كحيث، وقرىء يس إما بالنصب على معنى اتل يس وإما بالفتح كأين وكيف، وقرىء يس بالكسر كجير لإسكان الياء وكسرة ما قبلها ولا يجوز أن يقال بالجر لأن إضمار الجار غير جائز وليس فيه حرف قسم ظاهر وقوله تعالى: ﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾ أي ذي الحكمة كعيشة راضية أي ذات رضا أو على أنه ناطق بالحكمة فهو كالحي المتكلم. انظر تفسير الرازي (٢٦/٢٥٢).

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ۝٢٩ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٠﴾ [آية: ١٣ - ٣٠]:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ **معمول أول أمه مكمله وهو** ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ **أس العواصم** ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ **المراد: رسل الرسول روح الله أرسلهم لأهلها.** ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ **وهما الحصور والمهلل وسط السمك أو سواهما** ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ **كلام أوحاه أو رسول أرسله** ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلا تَكْذِبُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ **كلام سار مسرى والله الأعلى،** ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ **مع الدال اللامع أمره كدعائهم للأكمه وعوده راء، ودعائهم لأحد أهل اللحود وعود الروح له.**

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وعدم حلول الأمطار لحسومكم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قَالُوا﴾ الواو للرسل ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ المراد: ما أداكم إلى الطائر حاصل معكم لسوء أعمالكم وإلحادكم ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ أهل عداء.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ مهرولا لما سمع رد ملأه دعوى الرسل ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ وأمرهم مؤكدا الأمر الأول.

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ على الدعاء إلى الإله ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ولعلهم سألوه هل هو على مسلك الرسل وسرد لهم.

﴿وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿آلِهَةً﴾ صورا كود وسواع لا ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ مما هو حاصل على دعواكم ﴿وَلا يُنْقِذُونِ﴾ مما هو مكروه ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ساطع هدره لو لم أسلم لله وحده.

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ وحال ما سمعوا كلامه وإسلامه أهلكوه، ولما ورد موارد الحمام ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ إكراما ولما لإهلاكه سمكه الله إلى دار السلام وسلمه ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وحكى ما حكاه رحما للأعداء وروما لإسلامهم، وحصولهم على ما حصل كما هو مسلك أهل الله.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ المراد: وراء إهلاكه أو سمكه إلى السماء ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أملاك لإهلاكهم، ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ لإهلاكهم أملاكا.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاحها على رؤوسهم الملك الروح ردد الله له السلام ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ لا أرواح لهم كالرماد.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ هؤلاء وكل رادٍ دعوى الرسل وأهلكه الله ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وأداهم إلى حصول إهلاكهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)﴾ [آية: ٣١، ٣٢]:

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ الواو لأهل أم رحم، والمراد: اعلموا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾

الأمم ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ العامل المؤكد مع حاصل الكلام وراءه معمول على وهم العامل المكرر لكم.

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ كل الأمم ﴿لَمَّا﴾ إلا للحصر، ورواه راوٍ لما كسما، وعلى ما رواه ما للوصل لا مؤدى له ﴿جَمِيعٌ﴾ محمول ﴿لَدَيْنَا﴾ لدى المعاد ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للسؤال، وورودهم على موارد أعمالهم.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ [آية: ٣٣ - ٣٦]:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ أمر دال لهم على حصول المعاد وهو محمول أمه أول الكلام وهو ﴿الأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ لعسائها ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ كلأ ومحصودا ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالسمراء والعدس ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ كالكروم وسواها ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ (ما) اسم موصول، والمراد: ما عصروه ﴿أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ آلاء الله على ما أعطاهم.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾ المراد: كل مأكول مأسور مما هو حصحص ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أسر وصور أولادهم ﴿وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ مما لا اطلاع لهم على أصله وحكمه ما هو.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ [آية: ٣٧ - ٤٠]:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ حالكو السواد.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ لحد محدود له مدى دورها ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى عدم عدائها حدها ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ العائل على أمره العالم أحاكم العوالم كلها.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ كالعواء والسماك وسعد السعود وسواها ﴿حَتَّى عَادَ﴾

لدى كل راء ﴿كَالْعُرْجُونِ﴾ عود الكرم أو الكلد ﴿الْقَدِيمِ﴾ لحصول الأود له.

﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ لا صح ولا سهل لها إدراكه، والمطور معه ﴿وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ﴾ المراد: وكلهم مما هو سائر كعطارد وما حاكاه ﴿فِي فَلَكٍ﴾ دوار حامل للكل أولا ﴿يَسْبَحُونَ﴾ كلهم سائر وسطه وسالك على مسالكه.

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)﴾ [آية: ٤١، ٤٢]:

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم حال روم كل ولد مصالح والده ومطورهم إلى الأمصار ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ لدى مطورهم إلى أحد الأمصار على الماء، أو المراد لدى المطور على سطح الحصحص وهو الرواحل.

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٤٤)﴾ [آية: ٤٣، ٤٤]:

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ مما عراهم ودهمهم وهو الهلاك وسط الماء.

﴿إِلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ لعدم حلول أعمارهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٤٧)﴾ [آية: ٤٥، ٤٧]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾[1] هو ألم الدار الأولى وهلاكهم كسواهم

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ قال قتادة: يعني ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أي من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من الآخرة. ابن عباس وابن جبير ومجاهد: "ما بين أيديكم" ما مضى من الذنوب، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما يأتي من الذنوب. الحسن: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما مضى من أجلكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما بقي منه. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة؛ قاله سفيان. وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس. قال: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من أمر الآخرة وما عملوا لها، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما ظهر لكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما خفي عنكم. والجواب محذوف، والتقدير: إذا قيل لهم ذلك أعرضوا؛ دليله قول =

﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ألم سوء الدار والكدر الدائم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لأملكم رحم الله ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ على أهل العدم ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الأولى سألوهم إعطاء الأموال ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾ على مدعاكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ لأمركم سلوكا على سوى ما أراد الله على مدعاكم، ولو أراد الله إطعام أهل العدم لأطعمهم هو وأعطاهم وما ودعهم كلا على أحد سواه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)﴾ [آية: ٤٨ - ٥٤]:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أرادوا وعد حصول المعاد وروده ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ حدوا لوروده حدا وعصرا معلوما.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صائحها ملك الصور ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ حال كدهم على مصالحهم ومهامهم.

﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ لأمر ما ﴿وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ وارد ومصارع حمامهم كما هم لا عود لهم إلى دورهم وأهلهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ﴾ أهل اللحود ﴿مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ اللحود والمرامس ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ كلهم مسرع إلى المعاد والسؤال.

﴿قَالُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ مصدر حاصل مؤداه الهلاك ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ كل محل للكرى ﴿هَذَا﴾ أومأوا إلى أمر المعاد ووروده ﴿مَا﴾ اسم موصول ﴿وَعَدَ﴾ه ﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

=

بعد: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ فاكتفى بهذا عن ذلك. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٦/١٥).

﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا﴾ لورودهم على موارد أعمالهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: ما أعده الله لهم على سوء اعمالهم لا حط ولا رمؤ على الأعمال.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨)﴾ [آية: ٥٥ - ٥٨]:

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ كل عمل مسر لهم ﴿فَاكِهُونَ﴾.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ﴾ ورواه راوٍ كمهل ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ الأرائك والسرر واحد ﴿مُتَّكِئُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ كل ما ودوا حصوله وراموه سألوه أولا ولهم ﴿سَلامٌ﴾ أول كلام ﴿قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ وموصله لهم الأملاك، أو المسلم هو الله ولا وسائط أصلا.

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ (٦٧)﴾ [آية: ٥٩ - ٦٧]:

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ الدعاء لهم حال مطور أهل الإسلام إلى دار السلام، ومطور أهل الإلحاد إلى سوء الدار والكدر السرمد.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ المراد: ألم آمركم ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ وأرسل لكم الرسل ﴿أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ سلوكا على مسالك وساوسه وما هو آمركم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا﴾ أومأ إلى السلوك على عهده وأمره ﴿صِرَاطٌ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ عدل لا أود له وسالكه واصل إلى الهدى.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ﴾ الوساوس عدو آدم ﴿مِنْكُمْ جِبِلا﴾ وأمما ﴿كَثِيرًا﴾ ما حصر عدهم سوى الله ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ المطرود عدوا لكم.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ حلولها كما أوعدكم الرسل ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ المراد: لإلحادكم.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ لردع كلامها ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ وسواها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ لأسر الله لها كلاما.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ الطمس والمسح واحد مؤدى ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ (ال) للعموم لا لعهد، والمراد: مسلك ووارد لسلوكهم ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ المسالك مع العمى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ على سوى صور ولد آدم ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ المراد: وسط دورهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ مطورا إلى الأمام ﴿وَلا يَرْجِعُونَ﴾ إلى وراء، أو المراد: ولا عود لهم عما هو رد لدعوى رسلهم.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ (٦٨) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)﴾ [آية: ٦٨ - ٧٠]:

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ لطول عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ كعوده هرما وراء ما صار كهلا وهلم ﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ الهاء عائد إلى الرسول الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الشِّعْرَ﴾ ولو ادعاه أهل الإلحاد له ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ ما صح ولا سهل ﴿لَهُ﴾ علمه أو هو ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ المراد: ما الكلام الموحى إلى محمد ﴿إِلا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ﴾ ما هو كلام احد الأمم.

﴿لِيُنْذِرَ﴾ كلام الله المكرم أو رسوله الأكرم، ورواه راوٍ على ورود أوله للسامع ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أهل حس وإدراك وهم أهل الإسلام ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾ وعد الألم ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ كل مصر على الإلحاد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ [آية: ٧١ - ٧٣]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ ما عمله وأسره الله وحده لا ردء ولا

مساعد له ﴿أَنْعَامًا﴾ الرواحل وسواها ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾.

﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ طوعا ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ لحما ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كمسكها وما حوى ﴿وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاهم على ما أعطاهم.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥) فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)﴾ [آية: ٧٤ - ٧٦]:

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه صورا ﴿آلِهَةً﴾ ركعا لها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ مما أعده الله لهم على سوء عملهم.

﴿لا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الواو لكل إله على مدعاهم سوى الله لا إله إلا إله واحد ﴿نَصْرَهُمْ﴾ الهاء لكل راكع للصور ﴿وَهُمْ﴾ الصور ﴿لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ المراد: الصور مع كل راكع لها وارد إلى سوء الدار.

﴿فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ وردهم أمر إرسالك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وكلهم معامل على سوء عمله ووارد موارد ومصارعه.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[1] [آية: ٧٧ - ٨٣]:

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنسانُ أَنَّا خَلقناه من نُطفةٍ﴾ مَذِرة، خارجة من الإحليل، الذي هو قناة النجاسة، ﴿فإذا هو خَصِيم مبين﴾ بيّن الخصومة، أي: فهو على مهانة أصله، ودناءة أوله، يتصدّى لمخاصمة ربه، ويُنكر قدرته على إحياء الميت بعدما رمّت عظامه. وهي تسلية ثانية له صلى الله عليه وسلم، وتهوين ما يقولونه في جانب الحشر، وهو توبيخ بليغ؛ حيث عجّب منه، وجعله إفراطاً في الخصومة بيّناً فيها. رُوي أن أبيّ بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بالٍ، ففتّه بيده، وقال: يا محمد؛ أترى الله يحيي هذا بعدما رمّ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "نعم ويبعثك ويدخلك جهنم " فنزلت الآية. ﴿وضَرَبَ لنا مثلا﴾ =

﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ﴾ هو العاص ولد وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الأرحام ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ألد المرء لرد أمر المعاد.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾ على رد أمر المعاد ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ وأصله الماء حل الرحم ﴿قَالَ﴾ العاص ولد وائل ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ وعمد إلى واحد رم وأراها الرسول وكلمه ما حاصله هل هو صالح لحلول الروح ورد سؤاله الرسول الأطهر هو صالح كصلاحك لحلولك دار السوأى.

﴿قُلْ﴾ للعاص ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مصدر ورد كالعلم للمعلوم ﴿عَلِيمٌ﴾ سائر أحواله حاله ومآله.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾ كما لو حك عودا على عود وأورى كلاهما ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ المراد: ما أورى.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ ما أصله كأصلهم وهو ولد آدم ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾ لا حصر لما أسره وعلمه.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ حال أمره ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أسره ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ﴾ وهو معدوم ﴿كُنْ﴾ آمرا ﴿فَيَكُونُ﴾ حاصلا طائعا.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد، وهو معامل كل واحد طائع أو عاص على عمله، والحكم المسطور وعد أهل الإسلام، وأوعد أهل الإلحاد.

=

أمراً عجيباً، بأن جَعَلنا مثل الخلق العاجزين، فنعجز عما عجزوا عنه؛ من إحياء الموتى، ﴿ونَسِيَ خَلْقَه﴾ من المنيّ المهين، فهو أغرب من إحياء العظم الرميم. و" خلقه ": مصدر مضاف للمفعول، أي: خلقنا إياه، ﴿قال مَن يحيي العظامَ وهي رميمٌ﴾ بالٍ مفتت، وهو اسم لما بَلِيَ من العظام، لا صفة، ولذلك لم يؤنّث. وقد وقع خبراً لمؤنث، وقيل: صفة بمعنى مفعول، من: رممته، فيكون كقتيل وجريح. وفيه دليل على أن العظم تحله الحياة، فإذا مات صار نجساً، وهو مذهب مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: لا تحلّه الحياة، فهو طاهر كالشعر والعصب. ﴿قل يُحْيِيها الذي أنشأها﴾ خلقها ﴿أولَ مرة﴾ أي: ابتداء، ﴿وهو بكل خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عليمٌ﴾ لا يخفى عليه أجزاؤه، وإن تفرقت في البر أو البحر، فيجمعه، ويُعيده كما كان. انظر البحر المديد (٢٤٧/٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الصافات

مكية، وآيها مائة واثنتان وثمانون آية

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾[١] الواو مؤل، والمراد: والأملاك المواد سواعدهم وسط الهواء رصدا لأمر الله.

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ الأملاك روادع.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ هو كلام الله المكرم.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم ﴿لَوَاحِدٌ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفّاً، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾ هذه قراءة أكثر القراء. وقرأ حمزة بالإدغام فيهن. وهذه القراءة التي نفر منها أحمد بن حنبل لما سمعها. النحاس: وهي بعيدة في العربية من ثلاث جهات: إحداهن: أن التاء ليست من مخرج الصاد، ولا من مخرج الزاي، ولا من مخرج الذال، ولا من أخواتهن، وإنما أختاها الطاء والدال، وأخت الزاي الصاد والسين، وأخت الذال الظاء والثاء. والجهة الثانية: أن التاء في كلمة وما بعدها في كلمة أخرى. والجهة الثالثة: أنك إذا أدغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين، وإنما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا إذا كانا في كلمة واحدة؛ نحو دابة وشابة. ومجاز قراءة حمزة أن التاء قريبة المخرج من هذه الحروف. ﴿والصافات﴾ قسم؛ الواو بدل من الباء. والمعنى برب الصافات و﴿الزاجرات﴾ عطف عليه. ﴿إن إلهكم لواحد﴾ جواب القسم. وأجاز الكسائي فتح إن في القسم. والمراد بـ ﴿الصافات﴾ وما بعدها إلى قوله: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾ الملائكة في قول ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة. تصف في السماء كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة. وقيل: تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد. وهذا كما تقوم العبيد بين أيدي ملوكهم صفوفا. وقال الحسن: ﴿صَفّاً﴾ لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم. وقيل: هي الطير. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦١/١٥).

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ محال الطلوع، والمراد: والدلوك.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [آية: ٦ - ١٠]:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ لألائها على العوالم.

﴿وَحِفْظًا﴾ مصدر عامله مطروح ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ عما هو طاعه.

﴿لا يَسَّمَّعُونَ﴾ أهل المرود ﴿إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى﴾ الملأ الأعلى هو الأملاك عمار السماء، وروى راوٍ وسمع مكررا واسطه، ﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾.

﴿دُحُورًا﴾ مصدر دحره دحورًا طرده ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ لدى المعاد ﴿وَاصِبٌ﴾ دائم.

﴿إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ طرح إلا الاسم الموصول مما عمه حكم واو سمع، وراء لا، والمراد: لا سمع لهم إلا سمع مارد كاللص سمع إحدى كلم الأملاك وأسرع مطورا ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ له لمع ولألاء.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤)﴾ [آية: ١١ - ١٤]:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ سل أهل أم رحم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ كالسماء وعمارهم الأملاك ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ المراد: أصلهم ووالدهم، وهو آدم ﴿مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ وحل لاطئ.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ لردهم دعوى إرسالك وأمر المعاد، والكلام لرسوله محمد أكمل الله له السلام (وَ) هم (يَسْخَرُونَ)، ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ مما هو دال ومصحح أمر إرسالك لهم ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ لها.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩)﴾ [آية: ١٥ - ١٩]:

﴿وَقَالُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أومأوا إلى كل أمر دال لإرسال الرسول

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ حكوه ردا على كل مدع أمر المعاد.

﴿أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾ مردود ورده الواو أو أو على محل العامل المؤكد واسمه أو على واو محموله.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ لا سؤدد ولا علاء لكم.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ الأمم كلهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾ راصد وما هو حاصل لهم.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)﴾ [آية: ٢٠ - ٢٦]:

﴿وَقَالُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ مصدر ومؤداه الهلاك وكلام الأملاك لهم ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ عصر مورد الأعمال.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ الحكم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ رسلكم.

﴿احْشُرُوا﴾ أمر الله للأملاك ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إلحادا وادعاء مع الله سواه ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ كل راكع إلى الصور ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ وكل إله لهم على دعواهم.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ دلوهم وأوردوهم ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾ مسلك ﴿الْجَحِيمِ﴾ دار السوأى.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ على الصراط ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ عما هو عمل أو كلام.

﴿مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ﴾ كحالكم الأولى.

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ مسلمو أمورهم كلها.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾ [آية: ٢٧ - ٣٩]:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الرأس والمرؤوس ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ واحد ملوم واحدا.

﴿قَالُوا﴾ الواو للمرؤوس ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ المراد: على أسلم المسالك على دعواكم.

﴿قَالُوا﴾ الرؤساء ردا لدعوى أولئك إهلاكهم ﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ مرادهم: هم ما أكرهوهم على سلوكهم دعرهم أكرههم وأداهم إلى الهلاك.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ هو ملؤه سوء الدار ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ ألمها.

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ معلول ومعلله ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ الرأس والمرؤوس ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ المراد: كما هو حاصل لهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ سواهم.

﴿إِنَّهُمْ﴾ هؤلاء ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ على كل داع لها ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا﴾ كلها ﴿لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ مرادهم لكلام محمد أكمل الله له السلام والإكرام ورد دعواهم لما أوحى.

﴿بَلْ جَاءَ﴾ محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ هو لا إله إلا الله ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لسلوك كل الرسل على مسلك واحد، وهو لا إله إلا الله.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ﴾ لإلحادكم وردكم دعوى الرسول.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إلا ما أعده الله لكم على سوء عملكم لا حطا ولا رموءًا.

﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩)﴾ [آية: ٤٠ - ٤٩]:

﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ حكم إلا كورد الحمر كلهم إلا عمرا.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ محدود لوروده مددا والعطاء المعلوم هو.

﴿فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ لورودها على أهل دار السلام مع عدم الكد والسؤال ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ أرائك ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ ما أحدهم راء وراء أحدهم أمام لإمام.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ راح ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ عكس راح الدار الأولى لاحمرارها.

﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾ صول على الأحلام، ﴿وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ لسوى المعلوم، ورواه راوٍ كأكرم، والمراد السكر.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ الأعلى الماهر ﴿عِينٌ﴾ ملاحها ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ مكلؤ عما هو كدر.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلا مَوْتَتَنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾ [آية: ٥٠ - ٦١]:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أمور الدار الأولى وما حصل لهم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ مواد ومسامر.

﴿يَقُولُ﴾ راد الأمر المعاد وحصوله ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ على حصوله المعاد.

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ حاصل المراد، أو وراء الحمام معاد وسؤال لكل أحد عما عمل لا.

﴿قَالَ﴾ السائل المسلم للأولى حوله ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ على أحوال أهل سوء الدار لاطلعكم على حاله.

﴿فَاطَّلَعَ﴾ السائل المحرر ﴿فَرَآهُ﴾ رأى مواده ومسامره ﴿فِي سَوَاءِ﴾ وسط ﴿الْجَحِيمِ﴾ دار السوأى.

﴿قَالَ تَاللهِ إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد، واسمه الهاء مطروح ﴿كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ أردى وأهلك واحد.

﴿وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ هداه إلى الإسلام ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معك إلى سوء الدار؛ ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾.

﴿إِلا مَوْتَتَنَا الأولَى﴾ كلام أهل دار السلام، والمراد لإحمام مدركهم وراء الحمام الأول ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أصلا.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ كلامهم أو هو كلام الله؛ ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)﴾ [آية: ٦٢ - ٧٤]:

﴿أَذَلِكَ﴾ المسطور ﴿خَيْرٌ نُزُلا﴾ هو كل ما أعده أهل الدار إلى السواح وكل مدعور ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ أعدها الله لأهل دار السوأى.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ لكل ملحد أهل أم رحم وسواهم، ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿طَلْعُهَا﴾ حملها ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ لهوله وسوء مرآه، أو المراد: حملها كرأس كل صلى هائل.

﴿فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا﴾ الهاء لحملها ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ لعدم حصولهم على مأكول سواها، أو لحصول الإكراه لهم على أكلها.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار هم واردوه حاسم لأمعائهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ هم على سوء مسالكهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ إسراعا إلى الهلاك.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾[1] أمام أهل عصر الرسول الأكرم ﴿أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾ الأمم المار عهدهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ رسلا روعوهم مآل أمورهم وسوء مسراهم.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي من الأمم الماضية. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ أي رسلا أنذروهم العذاب فكفروا. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي آخر أمرهم. ﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي الذين استخلصهم الله من الكفر. وقد تقدم. ثم قيل: هو استثناء من ﴿المنذرين﴾. وقيل هو من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٨/١٥).

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ **أهل الإلحاد عاد أمرهم إلى الهلاك.**

﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ **إلا أهل الارعواء والعود إلى مولاهم سلمهم الله مما حل على سواهم.**

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ (٨٢)﴾ [آية: ٧٦ - ٨٢]:

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ **لما دعا ملأه وأهلكهم الله لدعائه.**

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ **هو هلاكهم لسمو الماء،** ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ **كل ولد آدم أولاد أولاده.**

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ **حمدا كاملا** ﴿فِي الآخِرِينَ﴾ **الرسل والأمم وراءه إلى حلول الأدوار.**

﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ **المراد: حمدهم له هو سلام، أو السلام المحرر هو سلام الله.**

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ **كما أكرمه الله مكرمهم** ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ **هم ملحدو ملأه.**

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا

عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)﴾ [آية: ٨٣ - ١١٣]:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ السالك على مسلكه العدل ﴿لإِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ما حل روعه سوى الله.

﴿إِذْ قَالَ﴾ وهو على حاله المعهود أمرها ﴿لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ سوى الله.

﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ﴾ ركوعا إلى صور لا أصل لها.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو مودعكم على سوء حالكم لا.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ لما سألوه المطور معهم وأوهمهم سلوكه على مسالك علمها.

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ مراده: سأرد موارد العلل والداء ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَرَاغَ﴾ مال وعمد ﴿إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾ الصور كود وسواع وحولها الطعام ﴿فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ﴾ ردا للسؤال.

﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ آلى على أمه صورهم وكسرها، وسمع ملأوه كسره للصور.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ إسراعا ولما سألوه لم كسر ما هم ركوع له.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ـه وهو الصور ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ المراد: وعملكم، وكل ما سور ما هو صالح للركوع له.

﴿قَالُوا﴾ لما سمعوا كلامه ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ واملاؤه عودا ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾.

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ هو طرحه وسط ما عمروه له ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ لعدم حصول ما أرادوه، وكادوه وهدر عملهم وسلم مما أصروه له.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ إلى محل أمره، وهو ما مهمله السام ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى صالح الأمور، ولما وصل إلى المحل المحرر.

﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولدا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ وصل إلى عمر الولد المساعد والده، والمراد: إلى حد الحلم ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ رأى ما أورده

لولده أو ما هو مأول ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ أمره لحصول العلم هل ولده مسلم للأمر أم لا.

﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ما أمرك مولاك.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ سلما إلى أمر الله ﴿وَتَلَّهُ﴾ صرعه ورماه ﴿لِلْجَبِينِ﴾ وأمر حدها على كرده وما حسم.

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ المراد: أسرع إلى ما أمر وما صده وداد ولده عما أمره الله ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أوما إلى أمر إهلاك الوالد ولده ﴿لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ العادل هو والده وورد لله لإلهام الله والده العدل أو لإعطائه أو لأمره له ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ الأمم وراءه حمدا ومدحا كاملا إلى حلول الأدوار.

﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ ولدا ﴿نَبِيًّا﴾ حال، والمراد معلوما حصوله وروده كما حرر، ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أولاده والهاء للوالد ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ ولده ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مسلم موحد ﴿وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ملحد ﴿مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ (١١٩) سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)﴾ [آية: ١١٤ - ١٢٢]:

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إكراما كالإرسال وسواه ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ هو كهر عدو موسى وملأه لهم.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الهاء عائد لموسى وولد أمه وملأهما، والمراد: على أعدائهم ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ المسطور وسطه الحكم والأحكام وسواها، وهو كلام الله الموحى إلى موسى ردد الله له السلام.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ المسلك الموصل إلى الله ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ﴾ مدحا وحمدا كاملا على ممر الدهور والعصور.

﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) وَاللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)﴾ [آية: ١٢٣ - ١٣٢]:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾[1] هو ادراس أو سواه ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ﴾ ما أعده الله لكل ملحد عاص أوامره.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلا﴾ اسم مألوه لهم كود وسواع ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ الركوع لله.

﴿وَاللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ ورواهم راوٍ على الحمل، والمراد: هو الله.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ إلى سواء الدار والألم المدرار والكدر السرمد.

﴿إِلا عِبَادَ اللهِ﴾ طرد إلا ما وراءها مما عمه حكم رد دعوى الرسول وهو الواو ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ حمدا كاملا حامده الأمم وراءه ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ هو هو، أو المراد: هو وأهل الإسلام معه ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) قول الحق جلّ جلاله: ﴿وإِنَّ إلياس لَمِنَ المرسلين﴾ وهو إلياس بن ياسين بن العيزار، من سبط هارون عليه السلام. قال ابن إسحاق: لَمَّا قبض الله حزقيل النبي، عظمت الأحداث في بني إسرائيل، ونسوا عهد الله، وعبدوا الأوثان، فبعث الله إلياس، وبنو إسرائيل حينئذ متفرقون في أرض الشام، وفيهم ملوك كثيرة. وذلك أن يوشع لمَّا فتح الشام بعد موسى عليه السلام وملكها، بوّأها بني إسرائيل، وقسمها بينهم، وأحلّ سبطاً منهم ببعلبك ونواحيها. ومنهم السبط الذي نشأ منهم إلياس. انظر الثعلبي. وقيل: إلياس هو إدريس. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "وإن إدريس " موضع إلياس. والمشهور ما تقدّم. انظر البحر المديد (٦/٢٨٥).

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾ [آية: ١٣٣ - ١٣٨]:

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد، أو ما أدى مؤداه ﴿نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ مع الهلكى ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ الدمار والهلاك واحد ﴿الآخَرِينَ﴾ هم كل ملحد ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ الكلام لأهل الحرم الحرام ملحدهم ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ على محالهم ودورهم ﴿مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ﴾ كل طلوع ومساء ومحلهم هو سدوم كما مر ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)﴾ [آية: ١٣٩ - ١٤٨]:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملؤ، ولعدم مطورها على سطح الماء علم أهلها حلول مملوك عاص مولاه وسطها وسألوا المساهمه.

﴿فَسَاهَمَ﴾ أهلها ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ وطلع السهم سهمه ولما عولوا على طرحه إلى الماء طرح هو روحه إلى الماء أو هم طرحوه.

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ السمك ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ملام أو ملوم هو على ما عمل وسادم.

﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الله طول عمره أو وسط السمك ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المراد: لصار السمك مرمسا ولحدا له إلى المعاد.

﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ المراد: الطرح ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ ساحل الماء ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ كالولد حال مولده ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ وهم ملاؤه الأول، ومحلهم حدود الموصل ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ورد أو مورد الواو، والمراد: لو رآهم راء لحكم على الحكم الأول أو على ما أمه، وهو الرمؤ على العدد المسطور.

﴿فَآمَنُوا﴾ له وأسلموا ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ إلى حلول حد أعمارهم

المحدود لها.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)﴾ [آية: ١٤٩ - ١٥٢]:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ سل أهل الحرم الحرام ﴿أَلِرَبِّكَ﴾ الملاك هم ﴿الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ على مدعاهم.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ الأسر المحرر وادعوه.

﴿أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ﴾ ادعائهم على الله ما لا أصل ولا أساس له ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ﴾ لما ادعوا الأملاك هم أولاد الله، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لدعواهم الأمر المسطور.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)﴾ [آية: ١٥٣ - ١٦٠]:

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ الحكم الهدر ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ عدم صلاح الولد لله الواحد الأحد لا وُلد ولا وَلد.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ دال ساطع على مدعاكم ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ وصححوا دعواكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا﴾ الواو لأهل الحرم وأم رحم ﴿بَيْنَهُ﴾ الهاء لله ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ الأملاك ﴿نَسَبًا﴾ لادعائهم ولد الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ الهاء لكل حاكم على حصول الولد لله ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ إلى دار السوأى الكدر السرمد.

﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الله كادعائهم الولد له ﴿إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أهل لا إله إلا الله والحكم المسطور كورد الحمر إلا محمدا.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)﴾ [آية: ١٦١ - ١٧٠]:

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ما للصور والدمى ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ على كل ألوه لكم، أو

المراد: على الله لو محله وراء عامله وهو ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ أحدا ﴿إلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ لدى علم الله.

﴿وَمَا مِنَّا﴾ أحد، وهو كلام الملك الروح كلمه لمحمد أكمل الله لهما السلام ردا على كل راكع لسوى الله ﴿إلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ لدى الركوع لمولاه.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ المواطئ حال أداء الطاعه.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ مطهرو المولى عما ادعاه له أهل الإلحاد كالولد وسواه.

﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا ﴿كَانُوا﴾ ملحدوا أم رحم ﴿لَيَقُولُونَ﴾.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ الطروس الأول ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الأولى ركعوا لله وحده.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ الهاء لكلام الله المكرم الموحى إلى رسوله محمد الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمر إلحادهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [آية: ١٧١ - ١٨٢]:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ المراد: علوهم على أعدائهم ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وعدا والوعد هو.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾[1] على أهل الإلحاد.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ قال الفراء: أي بالسعادة. وقيل: أراد بالكلمة قوله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] قال الحسن: لم يقتل من أصحاب الشرائع قط أحد ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ أي سبق الوعد بنصرهم بالحجة والغلبة. ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ على المعنى ولو كان على اللفظ لكان هو الغالب مثل ﴿جُنْدٌ مَا =

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾ أهل الإسلام ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ على أعدائهم كلاما وحساما أو المراد: لدى المعاد والمآل المحمود.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ إلى حصول عصر الوعد ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ ارهم حلوله على رؤوسهم وها هو حال لا محال ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ حلوله ومآل أمرهم، ولما سألوا رسول الله حد وروده أوحى الله مهددا لهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ حل على حماهم، والمراد هم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ حكم آكد الحكم الأول سلى الله رسوله وهدد أعداءه ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مما سرده كله كادعاء الولد له والإله معه ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ عم الرسل كلهم.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على حصول علو أهل الإسلام على أهل الإلحاد اللئام.

=

هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١]. وقال الشيباني: جاء ها هنا على الجمع من أجل أنه رأس آية.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص

مكية، وآيها ثمان وثمانون آية

﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿ص﴾ **الله أعلم ما المراد** ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ الواو واو مؤل ومكمله مطروح، وهو ما الأمر كما ادعى ملحدو الحرم عدو الإله لا إله إلا إله واحد.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾ سمود ﴿وَشِقَاقٍ﴾ لأمر الله ورسوله.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمم ﴿فَنَادَوْا﴾ لما رأوا حلول الهلاك ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾(١) المراد: وما العصر عصر رواح أو سلام.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ﴾ رسول ﴿مِنْهُمْ﴾ ولد آدم كلامه ككلامهم، وهو الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ أومأوا إلى محمد أكمل الله له السلام ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أمر الأمم ركوعا إلى واحد وهو الله لا سواه ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ أمر ما حاكاه أمر.

---

(١) لات: هي لا، ألحقت بها التاء كما ألحقت في ثم ورب، فقالوا: ثمت وربت، وهي تعمل عمل ليس في مذهب سيبويه، وعمل إن في مذهب الأخفش. فإن ارتفع ما بعدها، فعلى الابتداء عنده؛ ولها أحكام ذكرت في علم النحو، ويأتي شيء منها هنا عند ذكر القراءات التي فيها. والمناص: المنجا والغوث، يقال ناصه ينوصه: إذا فاته. قال الفراء: النوص: التأخر، يقال ناص عن قرنه ينوص نوصاً ومناصاً: أي فر وزاغ. انظر تفسير البحر المحيط (٣٦٥/٧).

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [آية: ٦ - ١١]:

﴿وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ﴾ لما أمرهم الرسول سلوكا على مسلك لا إله إلا الله ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا﴾ دوموا ﴿عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ على الركوع لها ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ لا مرد له وحصوله لا محال.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾ على عصر الرسول روح الله ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا اخْتِلاقٌ﴾ لا أصل له.

﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿الذِّكْرُ﴾ كلام الله المكرم ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ مرادهم ما هو أعلاهم سؤددا ولا عمر لم أوحى الله له وحده ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ المراد: لدى اطلاعهم على الألم، وما أعده الله لهم على سوء عملهم كلهم مسلم لإرسال محمد ولا طائل لإسلامهم حال الاطلاع على الألم.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ للإرسال وسواه إلى كل أحد أراده لما أراد ولا رادع لما أعطى.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾ كل مسلك موصل إلى السماء لإعطاء الإرسال لكل أحد مراد لهم.

﴿جُنْدٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح وهو هم ﴿مَا﴾ هو لعكس لأمر ما المعلوم حكمها ﴿هُنَالِكَ﴾ لدى ردهم إرسال الرسول محمد ردد الله له السلام ﴿مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ الملأ إلا لأصروا على رد دعوى الرسل وأهلكوا وحكم هؤلاء كحكمهم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا

يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠)﴾ [آية: ١٢ - ٢٠]:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو﴾ الملك الموطد ﴿الأَوْتَادِ﴾، ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ﴾.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلٌّ إِلا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لما رد كل دعوى رسولهم صار كراد دعوى كل الرسل ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ﴾ ملحدو أم رحم ﴿إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ عود ومرد.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ هو طرس الأعمال ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾ الآد على الطاعه كصومه واحدا وأكله واحدا وركوعه سدس المساء ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ عائد هواد إلى الله.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ﴾ حال ركوعه ركوع المساء ﴿وَالإِشْرَاقِ﴾ حال ركوعه ركوعها.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ﴾ مما هو طائر أو طود ﴿لَهُ أَوَّابٌ﴾ كلما صلى أو وحد وحدوا.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ حرسا وعددا وعساكر وعددا ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ كمال العلم أو ما عم الإرسال ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ حسم الأحكام.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)﴾ [آية: ٢١ - ٢٦]:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ المراد: أهلها ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ صاروا له كالسور والحائط.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ محله ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لورودهم والحرس على سدده وهم أملاك وردوا على صور ولد آدم وأومأ لداود روماً لارعوائه لما رام عرس واحد وأهلها، وله أهل عدد ما هم عادوه له كما حكى الله ﴿قَالُوا﴾ له ﴿لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ﴾ هو العداء لدى الحكم أو عكس العدل، ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ المسلك الوسط العدل.

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ المراد: كلاهما موحد أو ملأ ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ أرادوا العرس ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ﴾ عرس ﴿وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أُهُولا ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ المراد: أورد له دلائل ما اسطاع ردها.

﴿قَالَ﴾ داود لهما ردا للسؤال ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾ كل سائط ماله مع مال سواه ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا﴾ مؤكد ﴿هُمْ﴾ ولما حكم داود الحكم المسطور صعدا إلى السماء وكلماه ما حاصله حكم داود على روحه وحال سماعه كلامهما راعه الأمر ﴿وَظَنَّ﴾ علم علما مؤكدا ﴿دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ هاد وعاد لمولاه مما حصل وهو أهوله للعرس.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ العمل الصادر، ﴿وَإِنَّ لَهُ﴾ لداود ﴿عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ معاد، وهو دار السلام.

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ على الملك والحكم ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المراد: عما هو المسلك العدل الموصل إلى الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ هو لا إله إلا الله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ولو سلموا لوروده لأسلموا للرسل.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ (٢٩)﴾ [آية: ٢٧ - ٢٩]:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ هدرا، والمراد: ما أسرهما وما حلهما إلا للركوع لله وحده ﴿ذَلِكَ﴾ الأسر الهدر ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم ملحدوا أم رحم ﴿فَوَيْلٌ﴾ اسم واد وسط سوء الدار ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ أوحاه الله لرسوله محمدا أكمل الله له السلام لما ادعى ملحدو الحرم الحرام حصولهم لدى المعاد على ما هو معطى لكل موحد.

﴿كِتَابٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠)﴾ [آية: ٣٠ - ٤٠]:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ولده ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ ولد داود ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1] عائد إلى الله هواد.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ أمام الدلوك ﴿الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ لما أراد المكر والمعارك وألهاه أمرها عما هو ركوع العصر.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ المراد: ركوع العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ المراد: دلوكها، ولو العائد معدوم لحصول دالها وهو المساء أول السرد.

﴿رُدُّوهَا﴾ الهاء لما أوردوه على ولد داود ردد الله لهما السلام ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا

---

(١) في الأواب أقوال قد تقدمت في بني إسرائيل أليقها بهذا المكان أنه رجاع بالتوبة إلى الله تعالى مما يقع منه من السهو والغفلة قوله تعالى ﴿ذ عرض عليه بالعشي﴾ وهو ما بعد الزوال الصافنات وهي الخيل وفي معنى ﴿الصافنات﴾ قولان أحدهما أنها القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد وابن زيد واختاره الزجاج. انظر زاد المسير (١٢٧/٧)

بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ مسح حسام أو مسح إكرام لو حمل اللائه على المردود، والمراد: وصوله إلى حد ما أدركه المرأى.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ لا هو له عرسا هواه لها، وحصل ركوعها للصور وسط داره ولا علم له ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ ماردا ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ عاد إلى ملكه.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صدر، وهو الركوع إلى الصور وسط داره ولا علم له ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي﴾ ما هو مسهل ولا حاصل ﴿لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ كل مأمول ومسئول.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ دائما لأمره وطوعه ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ إلى كل محل أراده ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ معمار ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ وسط الماء محصل لؤلؤا وسواه.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ﴾ عكما ﴿فِي الأَصْفَادِ﴾ الأداهم ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ اعط مما أعطاك مولاك ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ ما أولاك ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ المراد: ما هو مسئول؛ امسك أو أعطى.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ معاد ومرد، وهو دار السلام.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾ [آية: ٤١ - ٤٤]:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ كد ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم أو وسواس لأهله لما طردوه.

﴿ارْكُضْ﴾ صك أو حرك ﴿بِرِجْلِكَ﴾ المحل وصكه وحصحص الماء، والكلام له ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ ماء له ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ولما عمل كما أمر سلمه الله مما عراه والماء واحد أو حصحص له لما صك المحل ماء حار وماء صر.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ رد الله له كل سالم وهالك أعاد له أولاده الهلكى رد لهم الروح وأولد له عددهم ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو عدد الأعواد وسواها مركوم واحدا إلى واحد ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ عرسك لما أرسلها إلى وطر وطال عودها آلى على حطائها وصكها مائه ﴿وَلا

تَحْنَثْ﴾ لعدم حطائها، ورام العدد المسطور وصكها وحلل ما آلى له.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ هو ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ دائم العود إلى الله.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ (٤٧)﴾ [آية: ٤٥ - ٤٧]:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا﴾ ورواه راوٍ على الواحد ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي﴾ الأود على الطاعة ﴿وَالأَبْصَارِ﴾ الإدراك الكامل أو الأعمال والعلوم ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ادكارهم أمر المعاد دائما، ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤)﴾ [آية: ٤٨ - ٥٤]:

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ ولد عم أمامه ﴿وَكُلٌّ﴾ كلهم ﴿مِنَ الأَخْيَارِ﴾.

﴿هَذَا﴾ أومأ إلى أمورهم المسرود حكمها ﴿ذِكْرٌ﴾ حمد وسؤدد لهم ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كلهم على العموم ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ مآل لدى المعاد وما أدراك ما هو.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً﴾ معمول على الحال ﴿لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ لعله الراح كما مر.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ على سوى الماهر المهر ﴿أَتْرَابٌ﴾ عمر كل امرء وعمر عرسه واحد.

﴿هَذَا﴾ المسطور ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ ورواه راوٍ على ورود الكلام للسامع ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾، ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ حسم أمدا.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ

الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١)﴾ [آية: ٥٥ - ٦١]:

﴿هَذَا﴾ المحرر لأهل الإسلام ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿لَشَرَّ مَآبٍ﴾ معاد ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ حال ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الوطاء الممد لهم.

﴿هَذَا﴾ معمول لعامل مطروح داله هو ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ الماء الحار ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ المهل السائل كالمده ﴿وَآخَرُ﴾ ورواه راوٍ على العدد ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ كالماء الحار والمده ﴿أَزْوَاجٌ﴾ والكلام لرؤسائهم حال حلولهم وسط سوء الدار هو.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ﴾ حال دار السوأى ﴿مَعَكُمْ﴾ وكلام الرؤساء هو ﴿لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ حالوها.

﴿قَالُوا﴾ الواو لكل مرؤوس، والمراد: كلامهم لرؤسائهم ﴿بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ الهاء للإلحاد أو للألم ﴿لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾.

﴿قَالُوا﴾ الواو لكل مرؤوس ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ ولعله لإلحاده هو، وحمل سواه على الإلحاد.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦)﴾ [آية: ٦٢ - ٦٦]:

﴿وَقَالُوا﴾ هم ملحدو الحرم ﴿مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ﴾ هم كل صعلوك مسلم ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾.

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ حاصل لا محال ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

﴿قُلْ﴾ لكل ملحد والأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ أروعكم ما أعده الله لكم ملحد ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لكل ما سواه.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ لكل موال وطائع.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠)﴾ [آية: ٦٧ - ٧٠]:

﴿قُلْ هُوَ﴾ المراد: كلام الله المكرم الموحى لرسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ لعماكم وعدم إدراككم ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى﴾ الملأ الأعلى هو ملأ الملك ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ على أسر آدم.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿يُوحَى إِلَيَّ إِلا﴾ لـ ﴿أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿إِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [آية: ٧١ - ٨٨]:

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ هو آدم ردد الله له السلام.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ المراد: إكمال الله أسره ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أورد الروح وعاملها له علا اسمه لعلو كمال الروح، والمراد: وصار آدم حساسا مدركا له روح ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ركوع إكرام وسلام لا ركوع آله لمألوه.

﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ مؤكد ﴿إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ لدى علم الله العلام.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أوردهما وأراد والله اعلم عدم الوسائط كوالد وأم وماء حل رحم الام ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ مع عدم صلاحك للسمود ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أهلا للسمود وصالحا له؛ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ الهاء عائد إلى دار السلام أو إلى السماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[1] مطرود.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ المعاد.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الأمم.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ إلى طرح روح الملك إلى الصور الطرح الأول.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ أهل الإسلام أهل لا إله إلا الله.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ﴾ معمول على المصدر، أو على طرح عامل الكسر كوالله أصله،

---

(١) في تفسير الرجيم أن نحمله على الحقيقة وهو كون الشياطين مركومين بالشهب والله أعلم. فإن قيل كلمة إلى لانتهاء الغاية فقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقتضي انقطاع تلك اللعنة عند مجيء يوم الدين، أجاب صاحب "الكشاف" بأن اللعنة باقية عليه في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة جعل مع اللعنة أنواع من العذاب تصير اللعنة مع حضورها منسية. واعلم أن إبليس لما صار ملعوناً قال: ﴿فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قيل إنما طلب الإنظار إلى يوم يبعثون لأجل أن يتخلص من الموت لأنه إذا نظر إلى يوم البعث لم يمت قبل يوم البعث وعند مجيء يوم البعث لا يموت أيضاً فحينئذ يتخلص من الموت فقال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ومعناه إنك من المنظرين إلى يوم يعلمه الله ولا يعلمه أحد سواه، فقال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ وهو قسم بعزة الله وسلطانه ﴿لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فههنا أضاف الإغواء إلى نفسه وهو على مذهب القدر وقال مرة أخرى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ فأضاف الإغواء إلى الله على ما هو مذهب الجبر وهذا يدل على أنه متحير في هذه المسألة. وأما قوله: ﴿إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ففيه فوائد: الفائدة الأولى: قيل غرض إبليس من ذكره هذا الاستثناء أن لا يقع في كلامه الكذب لأنه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى أنه يغوي الكل لكان يظهر كذبه حين يعجز عن إغواء عباد الله الصالحين، فكأن إبليس قال: إنما ذكرت هذا الاستثناء لئلا يقع الكذب في هذا الكلام، وعن هذا يقال: إن الكذب شيء يستنكف منه إبليس فكيف يليق بالمسلم الإقدام عليه؟ فإن قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ في أُمْنِيَّتِهِ﴾؟ (الحج: ٥٢) قلنا: إن إبليس لم يقل إني لم أقصد إغواء عباد الله الصالحين بل قال: لأغوينهم وهو وإن كان يقصد الإغواء إلا أنه لا يغويهم. الفائدة الثانية: هذه الآية تدل على أن إبليس لا يغوي عباد الله المخلصين، وقال تعالى في صفة يوسف: ﴿إِنَّه مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤) فنصل من مجموع هاتين الآيتين أن إبليس ما أغوى يوسف عليه السلام، وذلك يدل على كذب الحشوية فيما ينسبون إلى يوسف عليه السلام من القبائح. انظر تفسير الرازي (٤١٨/٢٦).

ورواه راوٍ مسموكا أول كلام ومحموله مطروح ﴿وَالْحَقَّ﴾ معمول لما وراه وهو ﴿أَقُولُ﴾.

﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ المراد: أولاده ﴿وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ الهاء للأمم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ردد الله له السلام ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على أداء ما أوحاه الله له، وهو الكلام المكرم أوامر الإرسال ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مال أو سواه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ما لا صلاح ولا أهل له ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ كلام الله المكرم ﴿إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أهل الدعاء.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾ ما حواه كلام الله وعد أو عكسه ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ لدى المعاد أو المراد: وراء مصارع الحمام.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزمر

مكية؛ إلا: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [آية: ٥٣]، وآيها خمس وسبعون

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾[١] كلام الله المكرم أول كلام محموله هو ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ موحدًا له عما سواه.

﴿أَلا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ هو لا إله إلا الله، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ صورا ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وحاصل مدعاهم هو ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ مصدر ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ هم وأهل الإسلام، وكل وارد على موارد أعماله هؤلاء إلى دار السلام، وأولئك إلى سوء الدار ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ كادعائه الولد له ﴿كَفَّارٌ﴾ كركوعه إلى سواه.

﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما ادعى أهل العمى ﴿لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وكل الأمم مأسور له ﴿سُبْحَانَهُ﴾ عما ادعوه له ﴿هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لما سواه.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ محل واحدا وسط واحد، أو المراد كل واحد كار على واحد كرورا كأكوار العمائم، والمراد واحد وراء واحد، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو مدى دوره ﴿أَلا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ العائد على أمره المصدر ما أراده سوى المحال ﴿الْغَفَّارُ﴾ لكل طائع.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ والدكم آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أمكم حواء ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ كالماء أولا وعود الماء، وما وعود الدم لحما وسواه، وحلول الروح وعوده مدركا حساسا ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ سواد ما حوى رحم أمه والرحم ووعاء الولد ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ عدولا إلى الركوع لسواه ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ رحما وكرما على الأمم ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا

---

(١) قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ رفع بالابتداء وخبره ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. ويجوز أن يكون مرفوعا بمعنى هذا تنزيل؛ قال الفراء. وأجاز الكسائي والفراء أيضا ﴿تَنْزِيلَ﴾ بالنصب على أنه مفعول به. قال الكسائي: أي اتبعوا واقرؤوا ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾. وقال الفراء: هو على الإغراء مثل قوله: ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي الزموا. والكتاب القرآن. سمي بذلك لأنه مكتوب. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٣٢).

يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ﴾ روح ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ روح ﴿أُخْرَى﴾ كل عامل حامل عمله لا أحد مسئول لعمل أحد ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو معامل كل واحد على عمله ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما طواه صدر كل أحد.

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [آية: ٨]:

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ﴾ الملحد ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾ هائدا وعائدا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾ أعطاه آلاء ﴿مِنْهُ﴾ الهاء لله ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو الله، وما لا على أصله أو على أصله، والمراد: الأمر المدعو لحسره ﴿وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَادًا﴾ كود وسواع ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ عصرا ﴿قَلِيلا﴾ طول عمرك المحدود لك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ لدى الورود على موارد أعمالك.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [آية: ٩]:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ دار السلام كواحد ملحد عاص لا ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ المراد: ما العالم مساو لعكسه كما الطائع ما هو مساو للعاص ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام والإدراك.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)﴾ [آية: ١٠ - ١٦]:

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ المراد: ما أعده لكل عاص أوامره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ كسلوكهم على مسلك أمر مولاهم ﴿حَسَنَةٌ﴾ دار السلام ﴿وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ﴾ ارحلوا إلى محل مسهل لكم أداء ما أمركم الله لو عسر أداؤها

وسط مصر أهل الإلحاد؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ على أداء ما أمروا ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حاصل المراد: عدم حصر ما هو معطى لهم.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ موحدا له، ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أول أممه إسلاما.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لهول حواه لا كالأهوال.

﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ عما هو إلحاد أو ركوع لسواه.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أمر مهدد لهم، المراد: وروا سوء مآلكم ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لما علموا أهلهم وأرحامهم سلوكا على مسالك الإلحاد حرموا حلول دار السلام ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾ سرد لما هو حاصل لهم ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أهل الإسلام ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ (١٨)﴾ [آية: ١٧، ١٨]:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الصور ركوعا لها ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ حال ورودهم موارد الحمام ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ سلوكا على مسالك صلاح أمرهم حالا ومآلا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ﴾ إلى الصراط الموصل له ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام والإدراك.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ (٢٠)﴾ [آية: ١٩، ٢٠]:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ المراد: حكم ملئ الله دار السوأى ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ لا لك أمر هداهم ولا ردع ما أعده الله لهم على طلاحهم وسوء عملهم.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ وأطاعوا أوامره ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ كل محل عال كالصرح ﴿مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ المراد: ماؤها ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ مصدر معمول لوعد مطروح ﴿لا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آية: ٢١]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام على حد كل ما علاك سماء ﴿مَاءً﴾ هو ماء المطر ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ كالعدس والحمص والسمراء ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ عساء ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ كسرا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور كله ﴿لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ أهل الأحلام والإدراك دالا لهم على الواحد الأحد.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢٢) اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾ [آية: ٢٢، ٢٣]:

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ هداه وسلك على مسالكه ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالأولى سكر الله صدورهم وأعمالهم لا ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ عما هو سماع لكلام الله ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ هو كلامه المكرم ﴿مُتَشَابِهًا﴾ كلمه وسرده ومؤداه ﴿مَثَانِيَ﴾ كالوعد، وعكسه والحر، وعكسه والإسلام والإلحاد والحر والمملوك وسواها ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ روعا مما حواه ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ المراد: إلى سرد ما وعده إلى كل طائع والأول لسرد ما أوعده إلى كل عاص ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى كلام الله المكرم المحرر ﴿هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ هداه ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ دال على صلاح أمره.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾ [آية: ٢٤ - ٢٦]:

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1] المراد: حال الملحد المسطور

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قال عطاء وابن زيد: يرمى به مكتوفا في النار فأول =

كحال الوارد على دار السلام لا ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ ملحدو الحرم الحرام ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ما أعده الله لكم على سوء عملكم.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلك لما روعهم الرسل حلول الألم ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ﴾ أسرا وإهلاكا وسواهما ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ﴾ المهد لهم ﴿أَكْبَرُ﴾ لدوامه ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حلوله ودوامه لما ألحدوا ولأسلموا.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكد ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ ما هو مائل أصلا كسرد أمر ما وحكم على صلاحه وراءه أو أمامه حكم على سوء حاله عكس الحكم الأول أو ما أمه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الإلحاد.

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾ [آية: ٢٩ - ٣١]:

﴿ضَرَبَ اللهُ﴾ للموحد والملحد ﴿مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ لا وئام لهم وكلهم عسر ﴿وَرَجُلا سَلَمًا﴾ ورواه راوٍ سلما ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا﴾ المراد: ما المملوك لواحد سالما كالمملوك لعدد كلهم عسر لا وئام لهم، والأول لحال الملحد وما أمه لحال الموحد ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ وحده وكل الحمد له ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أهل الحرم الحرام أم رحم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم وإلحادهم.

=

شيء تمس منه النار وجهه. وقال مجاهد: يجر على وجهه في النار. وقال مقاتل: هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه إلى عنقه، وفي عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت، فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه، فحرها ووهجها على وجهه؛ لا يطيق دفعها عن وجهه من أجل الأغلال. والخبر محذوف. قال الأخفش: أي ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أفضل أم من سعد، مثل: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي وتقول الخزنة للكافرين ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي جزاء كسبكم من المعاصي. ومثله ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لانفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٥١/١٥).

﴿إِنَّكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ كلهم معدود مع الهلكى أوحاه الله لرسوله لما طال رصد أهل الإلحاد لحمام ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧)﴾ [آية: ٣٢ - ٣٧]:

﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ﴾ وادعى ولدا له، أو إلها معه ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ كلامه المكرم ﴿إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ومحل ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو رسوله أكمل الله له السلام ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم أهل الإسلام ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الإلحاد وما أعده الله لكل عاص.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ على صالح أعمالهم.

﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ حكم على الأسوأ حكما عاما لعمل السوء عموم الأولى ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ﴾ أو هو والأسوأ المار وارد على عدم الرموء كأعدل وارد العادل ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ورسوله محمدا ردد الله له أكمل السلام والإكرام ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الكلام لرسوله ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ الصور والدمى إهلاكا وروم سوء، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ﴾ كهولاء عدموا إدراكهم وروعوا رسولهم مس سوء الصور مما لا أصل له ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ﴾ عائل على أمره ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا

أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١)﴾ [آية: ٣٨ - ٤١]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل وهو الموطئ ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ لسطوع الدلائل على الواحد الحد ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ ركوعا له وهو الصور ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ لا، ورواهما راوٍ معمول كلاهما لما أمه كمكرم محمدا ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لعلمهم ما سواه مصدر الأمور.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ المراد: على حاله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول معمول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم، وهو ألم دار السوأى.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾ هداه لعود صالح أعماله له لا لسواه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ مكره لهم على الهدى والإسلام.

﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)﴾ [آية: ٤٢ - ٤٤]:

﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ المراد: ما حال حلول حمامها ولا عمرها المحدود لها ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ حاصل لها حال الكرى ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ كعدم ردها إلى محلها ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى حلول عمرها المحدود، والمسمى لها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ﴾ الصور اللَّاءِ ركوعهم لها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ﴾ حاصل مأملكم لا.

﴿قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ ما أحد مالكها إلا الله ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وهو معاملكم على سوء عملكم.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦)﴾ [آية: ٤٥ - ٤٦]:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ﴾ مع عدم سرد كل إله لهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ كرها وحصرا ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ الصور الأولى ركعوا لها كود وسواع ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ سرورا لسرد أسمائهم.

﴿قُلِ اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ آسرهما لا على أصل وأساس محاك لهما ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عالم الأحوال كلها ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مما هو أمر صراطك الموصل لك وسواه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٤٨)﴾ [آية: ٤٧، ٤٨]:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أوعدهم الله موعدا حاسما لكل أمل سلم ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ المراد: كدور وألم ما وصل حدسهم له.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ سوء أعمالهم ﴿وَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الألم الموعود لهم.

﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾ [آية: ٤٩ - ٥٢]:

﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ﴾ آل آدم كله ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ المراد: الإعطاء ﴿نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ اعلم إعطاءه أو على أهل وصلاح له ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ الهاء لولد آدم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ الأمر المسطور.

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كولد عم موسى الرسول المار حكمه وملأه ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ سائر الأموال.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ هو ما أعد الله لهم على سوء عملهم ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ﴾ أهل الإلحاد وادعاء مع الله سواه ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ

بِمُعْجِزِينَ﴾ مولاهم عما أراده لهم.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ موسع العطاء ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ حصرا على كل أحد أراده ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣)﴾ [آية: ٥٣ - ٦٣]:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ سلكوا مسالك هواهم وعصوا مولاهم ﴿لا تَقْنَطُوا﴾ المراد: حسم أمل المراحم ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ محمول على الأعم لأهل الإسلام سواء عاد وهاد أحدهم إلى الله أو لا، كما هو ساطع الحكم لكل مدرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَأَنِيبُوا﴾ عودوا ﴿إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ العمل ﴿لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ لرد الألم المعد لكم لو عدم إسلامكم وعودكم إلى الله ولو حمل الحكم الأول على الهود صار الحكم المسطور دالا له.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو كلامه المكرم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ عصر وروده لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى﴾[1] حاصل مؤداه السدم ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾ المراد: ألا لو ﴿فِي جَنْبِ اللهِ﴾ اراد

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿أن تقول نفس﴾ قال المبرد المعنى بادروا قبل أن تقول نفس وحذرا من أن تقول نفس وقال الزجاج خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول ومعنى يا حسرتا يا ندامتا ويا حزنا والتحسر الاغتمام على ما فات والألف في يا حسرتا هي ياء المتكلم =

أوامره وعدم السلوك على مسالكها ﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد كلعل واسمه الهاء مطروحا ﴿كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي﴾ إلى الإسلام والصراط الموصل له ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ما أعده لكل عاص أوامره.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ عودا إلى الدار الأولى دار الأعمال ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿بَلَى﴾ رد الله وداد الملحد حصول الهدى له ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ كلامه المكرم، وهو مؤد إلى حصول الهدى ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ عما هو إسلام لها وللرسول ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ﴾ لادعائهم إلها معه أو ولد له ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ كلحا لإلحادهم ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عما هو إسلام وهدى.

﴿وَيُنَجِّي اللهُ﴾ مما أعده لأعدائه ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الإلحاد ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ العمل الصالح، أو المراد: دار السلام ﴿لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ حاصل لا وما أمه حال محل الحال.

﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ موكول له الأمور كلها.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما كالمطر والكلأ، وكل محصود، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى إلى رسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لعدم حصولهم على مأملهم.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ

=

والمعنى يا حسرتي على الإضافة قال الفراء والعرب تحول الياء إلى الألف في كل كلام معناه الاستغاثة ويخرج على لفظ الدعاء وربما أدخلت العرب الهاء بعد هذه الألف فيخفضونها مرة ويرفعونها أخرى وقرأ الحسن وأبو العالية وأبو عمران وأبو الجوزاء يا حسرتي بكسر التاء على الإضافة إلى النفس وقرأ معاذ القارئ وأبو جعفر يا حسرتاي بألف بعد التاء وياء مفتوحة قال الزجاج وزعم الفراء أنه يجوز يا حسرتاه على كذا بفتح الهاء ويا حسرتاه بالضم والكسر والنحويون أجمعون لا يجيزون أن تثبت هذه الهاء مع الوصل انظر زاد المسير (١٩٢/٧).

الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)﴾ [آية: ٦٤ - ٧٠]:

﴿قُلْ﴾ لهم والأمر لمحمد ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ مع سطوع الدلائل على الركوع له لا لسواه.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الرسل كلهم والله ﴿لَئِنْ﴾ اللام لام الموطئ ﴿أَشْرَكْتَ﴾ المراد: لو صور وسلم صدوره وحصوله وإلا هو محال لسرد الكلام لرسوله محمد أكمل الله له السلام ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿بَلِ اللهَ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ له على آلائه.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ لما ادعوا معه إلها سواه وعدلوه لا إله إلا إله واحد ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال ﴿قَبْضَتُهُ﴾ ملكه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ حاصل المراد ما سواه مالكهما ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه كود وسواع.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ هلك ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ كالملك الروح، وملك المطر الصور لورود حمامهم وراء الحمله، أو المراد: إلا الحور وسواها وسط دار السلام ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ﴾ الأمم الهلكى كلهم ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ما هو حاصل.

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ طروس أعمال الأمم كلها لورود كل أحد على موارد عمله ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ على الأمم ولهم وهم أهل الإسلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم كما ورد مصححا، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ العدل ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كحط مما هو عمل صالح أو على عمل طالح.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ المراد: علم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)﴾ [آية: ٧١، ٧٢]:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ ملأ ملأ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ لحولهم وسطها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ كلهم أولاد آدم وحواء ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ كلام الله المكرم وسواه مما أوحاه إلى الرسل الأول كموسى، وداود ردد الله لهما السلام ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ ما أوعده الله وهو ملؤ دار السوأى ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ دار السوأى.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [آية: ٧٣ - ٧٥]:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ ملأ ملأ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾ الواو للحال ﴿أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: لا مكروه عار لكم وراء حلولكم دار السلام أمدا ﴿طِبْتُمْ﴾ أعمالا وحالا ومآلا ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ لما وعدهم حلولهم دار السلام ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ مرادهم دار السلام ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ كل صرح أراده أحدهم مما أعده الله له ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ دارهم دار السرور السرمد.

﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ﴾ حال ﴿مِنْ﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له ﴿حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ﴾ حال المسر وسط الحال الأولى ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ الهاء عائد إلى الأمم كلهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ الحكم العدل ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حمدوا مولاهم على الحكم العدل، وهو حلول أهل الإسلام دار السلام ووصول أهل الإلحاد إلى سوء الدار والحامد هم أهل الإسلام أو الأملاك.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمن

مكية، وآيها ثمانون آية

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾[1] [آية: ١ - ٣]:

﴿حم﴾ الله أعلم ما المراد على الأصح كما مر.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم أول كلام محموله ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ لكل مسلم هائد ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لهم وهو مصدر، ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ لكل ملحد ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ العطاء الواسع والكرم والآلاء على الدوام ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ معاد الأمم كلهم.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿حم﴾ أي: يا محمد. فاقتصر على بعض الحروف، ستراً عن الوشاة، كعادة العُشاق في ذكر محبوبهم، يرمزون إليه ببعض حروفه. وقال ابن عطية: سأل أعرابي النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن " حم " ما هو؟ فقال: "بدء أسماء وفواتح سور " وفي حديث: "إذا بُيتّم فقولوا: حم لا يُنصرون " قال أبو عبيد: كأن المعنى: اللهم لا ينصرون. قلت: لا يبعد أن يكون توسل بحبيب الله على هزم الأعداء. وعن ابن عباس: (أنه اسم الله الأعظم). هـ. وكأنه مختصر من " حي قيوم". ﴿تنزيلُ الكتاب﴾ أي: هذا تنزيل القرآن ﴿من الله العزيزِ العليم﴾ أي: العزيز بسلطانه، الغالب على أمره، العليم بمَن صدّق به وكذّب. وهو تهديد للمشركين، وبشارة للمؤمنين. والتعرُّض لوصفي العزة والعلم للإيذان بظهور أثريهما في الكتاب؛ لظهوره عزه وعز مَن تمسّك به، ولاشتماله على علوم الأولين والآخرين. ﴿غافر الذنبِ﴾ أي: ساتر ذنب المؤمنين؛ ﴿وقابلِ التَّوْبِ﴾ وقابل توبةَ الراجعين ﴿شديدِ العقاب﴾ للمخالفين، ﴿ذي الطَّوْلِ﴾ على العارفين، أي: الفضل التام على العارفين، أو: ذي الغنى عن الكل. وعن ابن عباس: (غافر الذنب، وقابل التوب، لمَن قال: "لا إله إلا الله " شديد العقاب لمَن لم يقل لا إله إلا الله). انظر البحر المديد (٦/٤٣٢).

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ [آية: ٤، ٥]:

﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى إلى رسوله الأكرم محمد أكمل الله له السلام ﴿إلا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ملحدوا أم رحم ﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾ وإمهال الله لهم إلى عصر محدود ﴿فِي الْبِلادِ﴾ مآل أمرهم سوء الدار.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ﴾ كعاد وسواهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أسرا أو إهلاكا ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ مما لا أصل له ولا أساس ولا رأس له ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ إهلاكا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ هل هو حال محله أم لا والله هو محله وهم أهله.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾ [آية: ٦ - ٩]:

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ملؤه دار السوأى ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ أول كلام ﴿يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ وصل الاسم الموصول ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ محمول الاسم الموصول أول الكلام ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وكلامهم لمولاهم هو ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ المراد: رحمك وعلمك وسع ما سواك ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ مما هو إلحاد وأسلموا لك ولرسلك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ الموصل لك وهو الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ سوء الدار.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ الاسم الموصول رده الواو على هم المعمول لوعد أمامه ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ المراد: ما أعده الله لعاملها أو السالك على مسالكها ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ لدى المعاد ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أوماً إلى الرحم أو إلى الكلئ عما هو سوء، أو المراد كلاهما.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)﴾ [آية: ١٠ - ١٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾ والداع هم الأملاك ودعاؤهم وكلامهم لهم هو ﴿لَمَقْتُ اللهِ﴾ المراد: عدم وداده لكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وعدم علمكم صلاح حالكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ معلل للحكم الأول.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ حال حلول كل واحد وسط رحم امه وهو ماء ودم وحال ورود حمامه ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الأولى لدى حلول الروح والولد وسط رحم أمه وحال ورود روحه له لدى المعاد ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ عدم إسلامهم إلى حصول المعاد وردهم مدعاها ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ مما أعده الله لهم على سوء أعمالهم ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ صراط ومسلك وعود إلى الدار الأولى لا.

﴿ذَلِكُمْ﴾ أوماً إلى ما أعد لهم ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾ كادعاء إله معه ﴿تُؤْمِنُوا﴾ للادعاء المسطور، وهو حصول إله معه ﴿فَالْحُكْمُ لِلهِ الْعَلِيِّ﴾ على ما سواه ﴿الْكَبِيرِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلا مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)﴾ [آية: ١٣ - ١٧]:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ الدلائل على لا إله إلا الله ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ ما هو مؤد له كالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلا مَنْ يُنِيبُ﴾ إلا كل عائد إلى الله عما هو إلحاد.

﴿فَادْعُوا اللهَ﴾ اركعوا له وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ عما هو إلحاد وادعاء إله معه

لا إله إلا اله واحد ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ركوعكم له وحده.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ لأهل الإسلام وسط دار السلام ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أسره ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ هو ما أوحاه إلى الرسل ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ﴾ كل مرسل له الأمم مروعهم ﴿يَوْمَ التَّلاقِ﴾ كل عامل وعمله ومألوه وآله.

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ مما هو لحود إلى الورود على الأعمال والسؤال ﴿لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ عمالا وأعمالا وأحوالا ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ المراد: مع عدم الوسائط، وإلا دائما هو لله وحده وهو المالك لا سواه.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ لورود كل واحد على موارد عمله لا حطا على عمل طالح ولا مما هو صالح ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ موصل لكل واحد ما هو أهله على أسرع حال.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)﴾ [آية: ١٨ - ٢٠]:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ عصر ورود الرواح إلى عالمها للمعاد ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ روعا وهولا ﴿كَاظِمِينَ﴾ على أكدارهم ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ﴾ وصل مؤكد ﴿حَمِيمٍ﴾ مواد، ﴿وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ لا مطاع ولا سواه.

﴿يَعْلَمُ﴾ الله ﴿خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾ كحلولها على المحرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ العدل الأحرى ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ملحدوا الحرم الحرام، ورواه راوٍ على وروده للسامع ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ سواه صورا ﴿لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ ما أصلا لعدم حسهم وإدراكهم ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلامهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ والمطلع على أعمالهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)﴾ [آية: ٢١، ٢٢]:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ مآل حال ﴿الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأولى ردوا دعوى رسلهم كعاد وسواهم ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي

الأرضِ﴾ كالصروح، وكل عمار محكم الأساس والعمد ﴿فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ أهلكهم ودمرهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾ لما أعده لهم وسلطه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الله وإرسال الرسل لهم ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ على أهل الإلحاد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ (٢٥)﴾ [آية: ٢٣ - ٢٥]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ دال ساطع أمره على إرساله ومرسله ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾.

﴿فَقَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ المراد: عودوا إلى عملكم الأول معهم على عهد مولد موسى ردد الله له السلام كما مر ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾ هلاك وهدر لا طائل له.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [آية: ٢٦]:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لما رامه مرارا وراودوه عما حاول وأراده ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ مسلما له مما أحاول لو حصل ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ مراده إلى الركوع إلى سواه ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ كالكر والمعارك.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [آية: ٢٧]:

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لملأه لما سمع كلام عدوه ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠)

مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)﴾ [آية: ٢٨ - ٣٥]:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ولد عمه، أو رحمه، أو سواهما، وهو موحد ركع لله ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا﴾ لـ ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على مدعاه، وصحح إرساله لكم وأمركم سلوكا على أوامر مولاه ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ حالا ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ ملحد ﴿كَذَّابٌ﴾ مدع ما لا أصل له.

﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ملك مصر ﴿ظَاهِرِينَ﴾ حال ﴿فِي الأَرْضِ﴾ علوا وسمودا ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا﴾[1] مراده لا أحد، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾ ما أعلمكم إلا ما أعلم مواطئا كلامه ما حواه صدره على صلاح أمره وأمره، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ مسلك الهدى هلاكه موسى ردد الله له السلام.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ ردا على ما ادعاه عدو موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ﴾ الأمم المار عهدهم.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ملأ لوط لما ردوا مدعى رسلهم وصمموا على المكروه لهم دمرهم الله وأهلكهم، ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ الدعاء لدعاء الإسلام أهل الإلحاد وعكسه.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ إلى سوء الدار ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ﴾ مما أعده لكم على سوء عملكم ﴿مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ دال على الصلاح.

---

(١) أي من عذاب الله تحذيرا لهم من نقمه إن كان موسى صادقا، فذكر وحذر فعلم فرعون ظهور حجته فقال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾. قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ما أشير عليكم إلا ما أرى لنفسي. ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ في تكذيب موسى والإيمان بي.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣١٠).

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ على ما رووا وعدوه هو عدو موسى عمر إلى عصر موسى وإدراكه ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ إدراكه حمامه ﴿قُلْتُمْ﴾ ولا دال لكم على كلامكم ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ ردا لدعوى كل رسول وراءه ﴿كَذَلِكَ﴾ كعدم هداكم المحرر ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ ملحد ﴿مُرْتَابٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ الاسم الموصول معمول على وهم العامل المكرر للاسم الموصول الأول ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ دال ﴿أَتَاهُمْ كَبُرَ﴾ مراؤهم ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾ كعدم هداهم ﴿يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ ورواه راوٍ ككل حمار سارح ﴿جَبَّارٍ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ (٣٧)﴾ [آية: ٣٦، ٣٧]:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ المسالك.

﴿أَسْبَابَ﴾ مسالك ﴿السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ لادعائه الإرسال وادعائه إلها سواه ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهد ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [آية: ٣٨ - ٤٦]:

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ موسى ردد الله له السلام أو مسلم آل عدو موسى المار سرده

﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ﴾ مسلك ﴿الرَّشَادِ﴾ الموصل إلى الله.

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ لا دوام لها ﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ لدوامها.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا﴾ عدلا، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسوى المعلوم ﴿الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ عطاء واسعا.

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي﴾ إلى عمل مؤد ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ المراد: عدم العلم المعلوم، ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ لكل هائد وعائد إلى مولاه عما هو إلحاد وسواه.

﴿لا جَرَمَ﴾ لا رد لما دعوه له وهو الإلحاد وادعائه إله مع الله ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ﴾ ما هو صالح، ولا هو أهل للركوع له أصلا ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ كل ملحد ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ حال ورودكم على سوء الدار ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ وأوعدوه وهددوه على كلامه المحرر وسلوكه سوى مسالكهم.

﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ هو إصرارهم على إهلاكه ﴿وَحَاقَ﴾ حل ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ هو ملاؤه معه ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ هلاكهم وسط الماء.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ كما ورد حلول أرواحهم وسط حواصل الطائر الأسود، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ الحكم الأول ما دام عمر الدار وحكم ما أعده الله لهم لدى المعاد هو ﴿أَدْخِلُوا﴾ ورواه راوٍ على وروده أمرا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ (٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ (٥٥)﴾

[آية: ٤٧ - ٥٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَتَحَاجُّونَ﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا﴾ ورداما ﴿مِنَ النَّارِ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم الرؤساء ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ أحل أهل الإسلام دار السلام، وأهل الإلحاد سوء الدار، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿قَالُوا﴾ الأملاك مأمورو دار السوأى ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل الساطع أمرها على لا إله إلا الله ﴿قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾ لا طائل ومرادهم حسم آمالهم وأطماعهم.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ علوا على أعدائهم ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ الأملاك لأداء الرسل أوامر مولاهم إلى الأمم.

﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ﴾ ورواه راوٍ على ورود أوله علاما لعكس المرء ﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الطرد عما هو رحم ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ دار الأكدار والألم الدائم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ كلام الله الموحى له ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ الكلام المحرر كلام الله ﴿هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ أهل الإدراك والأحلام.

﴿فَاصْبِرْ﴾ الأمر لمحمد رسوله أكمل الله له السلام والإكرام ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ وعده هو علو أمر الإسلام على سائر المسالك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أمر للإمام، والمراد: المأموم لسلوك أممه على مسلكه، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ المراد: صل واركع ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ ما وراء عما هو وسط السماء ﴿وَالإِبْكَارِ﴾ أمام طلوعها وهو الركوع الأول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٥٧)﴾ [آية: ٥٦، ٥٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى لرسوله محمد ردد الله له السلام ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ دال ﴿أَتَاهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ﴾ سمود لادعائهم ما حاصله أمر الإرسال والملك لهم لا لسواهم ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ الهاء عائد لمرادهم المعهود ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلامهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ والمطلع على أحوالهم.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أوحاه الله لرسوله لما ردوا ادعاءه المعاد، ورواه أمرا محالا ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وعود أرواحهم لدى المعادلهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل الإلحاد ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ وهم كالأعمى والعالم كعكسه.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (٥٩)﴾ [آية: ٥٨، ٥٩]:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ لعدم علمه ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ هو العالم ﴿وَ﴾ لا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هم أهل العمل الصالح، ﴿وَلا الْمُسِيءُ﴾ هم أهل العمل الطالح ﴿قَلِيلا مَا﴾ مؤكد لما أمه ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ﴾ لا محال ﴿فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ (٦٣)﴾ [آية: ٦٠ - ٦٣]:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ المراد: الركوع له والسلوك على مسالك أوامره وروادعه ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أعاملكم على صالح أعمالكم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسوى المعلوم ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أسره وصوره صرا أسود مهدئا للحواس محصلا للكرى ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أهله إلى روم مصالحهم ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاهم وما أولاهم.

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ حولا عما هو الإسلام مع حصول دلائله ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ دلائله ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾ [آية: ٦٤، ٦٥]:

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾

لأسره لكم مصدر الحس والإدراك والأحلام والعلوم ومورد الكل كمال ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ سائر المأكل والمطاع ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لا إله إلا هو الدائم وكل ما سواه هالك.

﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ﴾[1] اسلكوا على مسلك أوامره ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ عما هو إلحاد أو ادعاء سواه معه إلها ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ علمهم الله مسلك حمدهم له.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨)﴾ [آية: ٦٦ - ٦٨]:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ركوعا لهم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه وهم الصور ﴿لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾ دلائل لا إله إلا الله ﴿مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ موحدا له وحده.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ والدكم آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ أسركم وصوركم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ الماء الحمال وسط الأرحام ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ الدم ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ الكامل، وهو عمر الكهول ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ لوروده موارد حمامه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مع عدم وصوله إلى عمر الكهول ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُسَمًّى﴾ حدا محدودا لأعماركم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل الواحد الأحد لحصول إسلامكم.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ وأراد حصوله ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ

(١) لفظ الحي وارد في القرآن قال الله تبارك وتعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة ٢٥٥] وقال ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ [طه ١١١] وقال ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾ [غافر ٦٥] فإن قيل الحي معناه الدراك الفعال أو الذي لا يمتنع أن يعلم ويقدر وهذا القدر ليس فيه مدح عظيم فما السبب في أن ذكره الله تعالى في معرض المدح العظيم فالجواب أن التمدح لم يحصل بمجرد كونه حيا بل بمجموع كونه حيا قيوما وذلك لأن القيوم هو القائم بإصلاح حال كل. انظر تفسير الرازي (١/١١٤).

فَيَكُونُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧)﴾ [آية: ٦٩ - ٧٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم الموحى لرسوله الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ عما هو إسلام مع سطوع الدلائل ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم وهم ملحدوا وأم رحم ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ هو ما دل على لا إله إلا الله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم.

﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ﴾ أول كلام مطروح المحمول هو ﴿يُسْحَبُونَ﴾.

﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ سوء الدار ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ لوعا وسطها كالعود لها ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ معه، والمراد: الصور كود وسواع ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو﴾ أوردوا الدعاء وأرادوا الركوع كما مر مرارا ﴿مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ﴾ كإعماء هؤلاء ﴿يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ﴾ والكلام لهم.

﴿ذَلِكُمْ﴾ الألم المعد لكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ كالإلحاد ورد دعوى المعاد، ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ هلاك أهل الإلحاد حاصل لا محال ﴿فَإِمَّا﴾ ما وصل مؤكد العامل أمامه ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ إهلاكهم وأسرهم ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أمام حلوله ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد، وكلهم معامل على سوء عمله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ

هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [آية: ٧٨]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ دال على الإرسال كعصا موسى، والكلام الموحى لمحمد أكمل الله لهما السلام ﴿إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ وأمره ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ هو ما أوعده أعداءه حالا أو مآلا لدى المعاد ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ هو حلول أهل الإسلام دار السلام، وأهل الإلحاد دار السوأى ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ (٨١)﴾ [آية: ٧٩ - ٨١]:

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنْعَامَ﴾ الرواحل وحدها، أو الرواحل وسواها ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كالدر والمسوك ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هو المطور إلى الأمصار ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائله على لا إله إلا الله ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾ ولا أحداها.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [آية: ٨٢ - ٨٥]:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ مآل أمر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عددا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ وعددا ﴿وَآثَارًا﴾ عمارا كالصروح وسواها ﴿فِي الأرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (ما) الأولى للسؤال وللعدم، (وما) وراها اسم موصول.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال ﴿فَرِحُوا﴾ الواو لأهل

الإلحاد ﴿بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ لما رأوا علم الرسل كالعدم ﴿وَحَاقَ﴾ حل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هو الألم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ حلول الألم الألد ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أرادوا الصور والدمى.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ﴾ معمول على المصدر لعامل مطروح ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ لدى مرآهم الألم الألد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فصلت

مكية، وآيها أربع وخمسون آية

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿حم﴾ الله أعلم ما مراده على الأصح.

﴿تَنْزِيلٌ﴾ أول كلام ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿كِتَابٌ﴾ محموله ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[1] معمول على المدح أو الحال ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ هم أهل العلم والإدراك.

﴿بَشِيرًا﴾ للسالك على مسالكه، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لأهل الإلحاد ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك وعمل.

﴿وَقَالُوا﴾ للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ مرادهم: لا وصول لهم إلى مسلكه، ولا وصول له إلى مسلكهم ﴿فَاعْمَلْ﴾ على صراطك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ المراد:

---

(١) قال ابن الجوزي: كتاب فصلت آياته هذا مذهب البصريين وقرآنا منصوب على الحال المعنى بينت آياته في حال جمعه لقوم يعلمون أي لمن يعلم قوله تعالى فأعرض أكثرهم يعني أهل مكة فهم لا يسمعون تكبرا عنه وقالوا قلوبنا في أكنة أي في أغطية فلا نفقه قولك وقد سبق بيان الأكنة والوقر في الأنعام ٢٥ ومعنى الكلام إنا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم ومن بيننا وبينك حجاب أي حاجز في النحلة والدين قال الأخفش ومن هاهنا للتوكيد. انظر زاد المسير (٧/٢٤٠).

على صراطهم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [آية: ٦، ٧]:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّما إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ إسلاما وسلوكا على مسلك أوامره ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ مما صدر إلحادا أو مما هم على سلوكه حالا ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ دلهم أولا على مسالك الهدى وهددهم.

﴿الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ مؤكد لهم الأول ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾ [آية: ٨ - ١٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عطاء ما هو محسوم.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ هما الأحد وما وراءه ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ وما صح معه أحد ﴿ذَلِكَ رَبُّ﴾ مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾ عدد العالم، وهو اسم لما سوى الله.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أطوادًا ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ علو وسموا ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ كلأً ومحصودًا ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ لكل واحد ما هو ملائمه كاللحوم وسائر المطاعم لولد آدم والكلاء لسواهم ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً﴾ معمول على المصدر ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ معمول لمصدر مطروح هو الحصر المحرر.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ أم ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أمر مسود، ولعل المراد موادها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا﴾ ما أراده الله وما صور كماله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ كلاهما مصدر حل محل الحال، والمراد: مراد الله حاصل لا محال ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ الحال والمحل.

﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ الهاء عائد إلى السماء لورود مؤداها مورد العدد ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي

يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ **المراد: أمر عمارها وهم الأملاك** ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ **معمول على المصدر لعامل مطروح** ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ (١٦)﴾ **[آية: ١٣ - ١٦]:**

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ **وما أسلموا للرسول محمد أكمل الله له السلام** ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ **المراد: روعهم** ﴿صَاعِقَةً﴾ **حلول ألم وهلاك** ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ **ما أهلكهم مهلكهم.**

﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾ **حال لألم عاد** ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ **أمامهم عصرا ووراءهم دهرا** ﴿أَلا﴾ **المصدر معمول لعامل كسر مطروح هو الموحده** ﴿تَعْبُدُوا إِلا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ **لو أراد إرسال الرسل** ﴿لأَنْزَلَ مَلائِكَةً﴾ **رسلا** ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ **على مدعاكم** ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ **سمودا وعلوا على أهلها وما لهم صلاح للسمود والعلو** ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ **لما هددوا حلول الألم والهلاك** ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ **المراد: العلم** ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ﴾ **أهل لأسر عالمهم** ﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ **الدلائل على إرسال الرسل** ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ **لا مطر معه** ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ **حسومها كامل** ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ **عدم السؤدد** ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ﴾ **المعد لهم** ﴿أَخْزَى﴾ **ألد** ﴿وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ﴾ **مما هو معد لهم على إلحادهم.**

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)﴾ **[آية: ١٧، ١٨]:**

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ **سردا للدلائل وإرسالا للرسل** ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾ **سلكوا مسالك الإلحاد** ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ **الإسلام للرسل** ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾ **المعلوم**

أمرها ﴿الْهُونِ﴾ عكس السؤدد ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وهو سلوكهم مسالك العمى المحرر.

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الله مما أحله على هؤلاء.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١)﴾ [آية: ١٩ - ٢١]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يُحْشَرُ﴾ ورواه راوٍ كما لو ورد للملكم ومعه سواه ﴿أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ آصر أولهم مداهم.

﴿حَتَّى إِذَا مَا﴾ وصل مؤكد ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ والمراد: حصولها كلاما أو دلائل حال والدال للحكم الأول هو.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ﴾ وحمله العموم كدلائل الحال لا دال له ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هو كلام الله أو إكمال لكلام سوكهم.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥)﴾ [آية: ٢٢ - ٢٥]:

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ حال ورودكم موارد سوء الأعمال ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ لردكم أمر المعاد ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَذَلِكُمْ﴾ أومأ إلى حد سهم المحرر وهو أول كلام ﴿ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ ومحمول أول الكلام المار هو ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ على مر الألم ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ سؤالا لحصول مرامهم ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ سولوا لهم السلوك مسالك الهوى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما وراءهم، وهو أمر المعاد لما حملوهم على الإصرار على رده وعدم الإسلام لحصوله ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ هو ملؤ الله سوء الدار ﴿فِي﴾ عدد ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ وهلكوا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ عملوا كأعمالهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨)﴾ [آية: ٢٦ - ٢٨]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ﴾[1] لدى روم رسول الله صلى الله على روحه وسلم أسماعكم له ﴿وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ المراد: لعل كلامكم عال على كلام الرسول حال أمه الأسماع.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هؤلاء أو هو على العموم ﴿عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ على أسوء أعمالهم.

﴿ذَلِكَ﴾ أوما إلى الأسوء المار حكمه وهو أول كلام ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ﴾، والمحمول هو ﴿النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ الدوام ﴿جَزَاءً﴾ معمول على المصدر ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ لما أخبر تعالى عن كفر قوم هود وصالح وغيرهم أخبر عن مشركي قريش وأنهم كذبوا القرآن فقالوا: ﴿لا تَسْمَعُوا﴾. وقيل: معنى ﴿لا تَسْمَعُوا لِهَذَا﴾ لا تطيعوا؛ يقال: سمعت لك أي أطعتك. ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ قال ابن عباس: قال أبو جهل إذا قرأ محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول. وقيل: إنهم فعلوا ذلك لما أعجزهم القرآن. وقال مجاهد: المعنى ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ بالمكاء والتصفيق والتخليط في المنطق حتى يصير لغوا. وقال الضحاك: أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول. وقال أبو العالية وابن عباس أيضا: قعوا فيه. وعيبوه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ محمدا على قراءته فلا يظهر ولا يستميل القلوب. وقرأ عيسى بن عمر الجحدري وابن أبي إسحاق وأبو حيوة وبكر بن حبيب السهمي ﴿وَالْغَوْا﴾ بضم الغين وهي لغة من لغا يلغو. وقراءة الجماعة من لغى يلغى. قال الهروي: وقوله: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ قيل: عارضوه بكلام لا يفهم. يقال: لغوت ألغو وألغى، ولغى يلغى ثلاث لغات. وقد مضى معنى اللغو في ﴿البقرة﴾ وهو ما لا يعلم له حقيقة ولا تحصيل. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٥٦/١٥).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ [آية: ٢٩]:

﴿وَقَالَ﴾ أورد ما مر وأراد ما هو وارد لحصوله على كل حال لا محال ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ﴾ هو المطرود عدو آدم لوروده أول ملحد ﴿وَالإِنْسِ﴾ ولد آدم المؤسس أمر الإهلاك ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ دوسا ووطئا وسط سوء الدار ﴿لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ محلا أو سؤددا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾ [آية: ٣٠ - ٣٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ داموا على حالهم وصلاح أعمالهم كلها ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ لدى ورودهم موارد الحمام ﴿أَلا تَخَافُوا﴾ الحمام ولا ما وراءه ﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾ على الدار الأولى ووداعكم الأهل والأولاد ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ والواعد مولاهم ورسله.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المراد: كالئوكم ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ معكم إلى حلولكم دار السلام ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ما أراده ورامه أو ما وده.

﴿نُزُلا﴾ عطاء وهو حال ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ هو الله.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾ [آية: ٣٣ - ٣٦]:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ﴾ إلى الركوع له ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾ لا حالاً ولا مآلاً أعدا لله لأهل الأولى دار السلام، ولأهل سوء الأعمال سوء الدار ﴿ادْفَعْ﴾ سوء الأعمال ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ هو العمل الصالح ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ المراد: ما سلك على

السلوك المسطر أحد الأصار عدوه وادًا له ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ وما أهلها ﴿إلا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الهوى ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ المراد: لو حصل لك وساوسه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للكلام ﴿الْعَلِيمُ﴾ المطلع على الأعمال.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ (٣٨)﴾ [آية: ٣٧، ٣٨]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ لعدم صلوح ما عدده للركوع له لورود كل مأسور الله والمأسور ما هو أهل للركوع والأهل له هو الأسر وحده ﴿وَاسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ الأمر كالمعلل للردع المار المصدر لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ عما هو ركوع لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هم الأملاك ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المراد: دائما ﴿وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ لا سأم ولا ملل عار لهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)﴾ [آية: ٣٩، ٤٠]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ عساء لا كلأ لها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ المطر ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ مورد ألحد ولحد ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم الموحى إلى الرسول محمد الأكرم أكمل الله له السلام والإكرام ﴿لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ هم واردو موارد سوء أعمالهم وإلحادهم لا محال ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا﴾ أمر مهدد ﴿مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مطلع ومعاملكم على أعمالكم كلها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ

قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣)﴾ [آية: ٤١ - ٤٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ كلام الله المكرم ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ومحمول اسم العامل المؤكد مطروح، وهو هم هلكى أو ما حاكاه ﴿وَإِنَّهُ﴾ أراد كلامه المكرم ﴿لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾.

﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ المراد: لا أمامه كلام مصادم أحكامه ولا وراءه كلام أصلا ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ﴾ محل أموره كلها محالها ﴿حَمِيدٍ﴾ حامده كل الأمم والعوالم على الائه لا حصر لها.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ رد المدعاك الإرسال ﴿إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ لما رد أممهم ادعاءهم الإرسال ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لرسله أو لكل مسلم لهم ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأعدائه وأعدائهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٤٤]:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ كلام الله المكرم ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ على مسلك هم مدركوه ﴿أَ﴾ كلام موحى ﴿أَعْجَمِيٌّ وَ﴾ رسول وهو محمد ﴿عَرَبِيٌّ﴾ لا وئام له ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ إلى الصراط العدل الموصل إلى الله ﴿وَشِفَاءٌ﴾ لصدرهم مما هو محال، ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ الاسم الموصول أول كلام محموله ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صمم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ ما هم مدركوه ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ما هم سامعو الصائح لهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)﴾ [آية: ٤٥، ٤٦]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الموحى له ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ المراد: حاله كحال الله المرسل لمحمد أكمل الله لهما السلام ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ حده أعمارهم، أو عدم حلول الألم إلا لدى المعاد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ اصطلاما لأهل الإلحاد، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ كل راد لدعوى الرسل ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ الهاء عائد لكلام الله الموحى لموسى، أو الموحى لمحمد أكمل الله لهما السلام ﴿مُرِيبٍ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ لعود صالح عمله لها ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وهو الحكم العدل.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨)﴾ [آية: ٤٧، ٤٨]:

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[1] ما عالم عصر ورودها إلا هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ ورواها ولد عامر وسواه على العدد ممدودا وراء رائها ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ عددا لكم مكسورا وهو الدعاء ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ﴾ حملها ﴿إِلا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ على مدعاكم ﴿قَالُوا آذَنَّاكَ﴾ المراد: الإعلام ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾على ورود أحد معك إلها.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ ركوعا لهم وهم الصور كود وسواع ﴿وَظَنُّوا﴾ علموا علما حاسما لكل وهم طار ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ محل إلى المطور له.

﴿لا يَسْأَمُ الإنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)﴾ [آية: ٤٩، ٥٠]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي حين وقتها. وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة أي وما تخرج ثمرة. ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي من أوعيتها، فالأكمام أوعية الثمرة، واحدها كمة وهي كل ظرف لمال أو غيره؛ ولذلك سمي قشر الطلع أعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة كمة؛ قال ابن عباس: الكمة الكفرى قبل أن تنشق، فإذا انشقت فليست بكمة. وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة ﴿الرحمن﴾. وقرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ على الجمع. الباقون ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ على التوحيد والمراد الجمع، لقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾ والمراد الجمع، يقول: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ كما يرد إليه علم الثمار والنتاج. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي ينادي الله المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ الذين زعمتم في الدنيا أنها آلهة تشفع. ﴿قَالُوا﴾ يعني الأصنام. وقيل: المشركون. ويحتمل أن يريدهم جميعا العابد والمعبود ﴿آذَنَّاكَ﴾ أسمعناك وأعلمناك. يقال: آذن يؤذن: إذا أعلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣٧١).

﴿لا يَسْأَمُ الإنْسَانُ﴾ المراد: الملحد ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ روم وسع الآلاء ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ العدم ﴿فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام الموطئ ﴿أَذَقْنَاهُ﴾ الهاء للملحد ﴿رَحْمَةً﴾ آلاء ووسع مآل وصحه ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ عدم وداء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ المراد: لعمله لما سعى وحصله أو على الدوام ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ دار السلام ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ اللام مؤل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ﴾ اللام كاللام أمامهم ﴿مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٤]:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنْسَانِ﴾ المراد: ولد آدم على العموم والأول المار للملحد وحده لا للعموم ﴿أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ مآل عما هو للمولى ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ اسم العامل عائد على كلام الله المكرم ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ كما ادعى الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ﴾ لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو الهدى.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ كعلو أهل الإسلام على أهل الإلحاد وملكهم ممالكهم وأمصارهم، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ مما حواه أسر ولد آدم كالحواس والإدراك ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ الهاء لله أو لرسوله أو لكلامه المكرم ﴿الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ عامل الكسر وصل لا مؤدى له ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع على حالك وحالهم وكلامك ومدعاك وكلامهم ومدعاهم.

﴿أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ محال ووهم ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لدى المعاد ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ علما واطلاعا، وهو معاملهم كلهم على أعمالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشورى

وآيها ثلاث وخمسون

﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾(1) [آية: ١ - ٥]:

﴿حم عسق﴾ الله أعلم ما المراد كما مر ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿حم. عسق﴾ يُشير - والله أعلم - بكل حرف إلى وصف يدلّ على تعظيم قدر حبيبه صلى الله عليه وسلم، فالحاء: أحبَبْنَاك، أو: حبيْناك، أي: أَعطيناك الملك والملكوت، والميم: ملّكناك، والعين: عَلَّمناك ما لم تكن تعلم، أو: عيّناك للرسالة، والسين: سيّدناك، والقاف: قرّبناك. ﴿كذلك يُوحِي إليك﴾ أي: كما خصصناك بهذه الخصائص العظام أوحينا إليك ﴿وإلى الذين مِن قبلك﴾، فقد خصصناهم ببعض ذلك، وأوحينا إليهم، وفي ابنِ عطية: عن ابن عباس: أن هذه الحروف بأعيانها نزلت في كل كتب الله، المنزلة على كل نبيّ أُنزل عليه كتاب، ولذلك قال تعالى: ﴿كذلك يُوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾. وقال القشيري: الحاء: مفتاح اسمه حكيم وحفيظ، والميم: مفتاح اسمه مالك وماجد ومؤمن ومهيمن، والعين: مفتاح اسمه عليم وعليّ، والسين: مفتاح اسمه سيد وسميع وسريع الحساب، والقاف: مفتاح اسمه قادر وقاهر وقريب وقدوس، أقسم الله تعالى بهذه الحروف أنه كذلك يُوحي إليك يا محمد. هـ. وقال ابن عطية: وإنما فصلت " حم عسق"، ولم يفعل ذلك بـ"كهيعص"؛ لتجري هذه مجرى الحواميم أخواتها. هـ. زاد النسفي: وأيضاً: هذه آيتان، و" كهيعص " آية ٣٥٧ واحدة. هـ. فانظره. ﴿اللهُ﴾ أي: يوحي الله ﴿العزيزُ الحكيمُ﴾: فاعل " يُوحي"، وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول. و" الله ": فاعل بمحذوف، كأن قائلا قال: مَن المُوحِي؟ فقال: ﴿الله العزيز الحكيم﴾ أي: الغالب بقهره، الحكيم في صنعه وتدبيره. ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ مُلكاً وملِكاً، ﴿وهو العليُّ﴾ شأنه ﴿العظيمُ﴾ سلطانه وبرهانه. انظر تفسير البحر المديد (٦/٥٣٤).

﴿قَبْلِكَ﴾ أوحى إلى سائر الرسل أمامك ﴿اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا وأسرا ومملوكا ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ على كل ما سواه.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ مصدره صدع واحد مؤدى ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ ورد الاسم الموصل على أهل الإسلام لا على سواهم ﴿أَلا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لكل موال له ﴿الرَّحِيمُ﴾ لحالهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [آية: ٦ - ٩]:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ هم الصور ركعوا لهم ﴿اللهُ حَفِيظٌ﴾ محص أعمالهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ومعاملهم على طالحها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ موكول لك أمرهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أهل أم رحم والحرام وسائر الأمم ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ للأعمال والعمال أو للروح ووعائها ﴿لا رَيْبَ﴾ لا محال ﴿فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ المراد: وراء الركم المحرر دار السلام لأهل الإسلام، ودار السوأى لأهل الإلحاد.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ كلهم على مسلك واحد، وهو مسلك الإسلام ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ هم الأولى هدوا إلى صراطه ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ المراد: كل ملحد ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ راد ما أعد لهم على سوء أعمالهم.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ الهاء لله، والمراد سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ صورا ركعوا لها وأعدوها لمكارههم وأوطارهم على حدسهم الداحس ﴿فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ هو المعد لكل أمر لا ما أعدوه لهم لو أرادوا ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)﴾ [آية: ١٠ - ١٢]:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ﴾ مع أهل الإلحاد ﴿فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ﴾ مردود ﴿إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أعود لدى المكاره والأوطار.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أسرهما رأس لا على طور صدر أو ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ لأسره حواء وأصلها آدم ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ﴾ مصدره كالأسر مؤده، أو المراد الإرماء ﴿فِيهِ﴾ الهاء عائد على مصدر ما أمه لكم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ عامل الكسر وصل مؤكد لا مؤدى له أو أصل ومؤداه، وهو محمول على الله لا على ما حاكاه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ الكلام ﴿الْبَصِيرُ﴾ الأحوال.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما كالأمطار والكلأ، وعطاء العالم كلهم ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ حصر على كل أحد أراد حصر عطائه ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ [آية: ١٣ - ١٥].

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول رسول أسس المسالك للأمم ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام لرسوله الأكرم محمد أكمل ردد الله له السلام مولاه ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ها هو ما وصاه اله إلى الرسل المسطر سردهم والى محمد صلى الله على كلهم وسلم، وهو لا إله إلا الله ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ إلى صراط لا إله إلا الله ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ

مَنْ يُنِيبُ﴾ كل عائد وسالك على أوامره.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ الواو للأمم المار عهدهم وعصرهم لما وحد أمم والحد أمم ﴿إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ علم هو الله أحد أو ورود الرسل أو علم ما أوحاه الله لرسلهم ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ وروما للأموال وسواها ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ حكمها هو إمهال أهل الإلحاد ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ورود عصر المعاد أو حلول أعمارهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ واصطلم الله أهل الإلحاد كلهم ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هم أمم موسى والروح وراه أكمل الله لهما السلام ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ الهاء لمحمد صلى الله على روحه وسلم أو الكلام الله المكرم ﴿مُرِيبٍ﴾.

﴿فَلِذَلِكَ﴾ المراد: لعدم سلوك الأمم كلهم على المسلك العدل ﴿فَادْعُ﴾ الأمم والأمر لمحمد رسوله، والمراد: إلى السلوك على مسلك لا إله إلا الله ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ دم على الدعاء ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ كما أمرك الله ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ على سائر الرسل ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أداء للإرسال وحكما ﴿اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أسر الكل ومولى أمورهم ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ كل وارد على موارد عمله ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ لدى المعاد ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ معاد الأمم كلهم.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (١٨) اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩)﴾ [آية: ١٦ - ١٩]:

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي﴾ صراط ﴿اللهِ﴾ رسوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ وعلا أمر الإسلام على سائر المسالك ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ هدر ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لدى المعاد وهم الهود.

﴿اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم على رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِالْحَقِّ﴾ أحكاما ومسالك ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ المراد: العلم ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ ورودها ﴿قَرِيبٌ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ لما ردوا حصولها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ هالهم أمر ورودها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ الحاصل لا محال ﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ

يُمَارُونَ فِي﴾ ورود ﴿السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو هدى.

﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ كلهم على العموم طائع أو عاص، والمراد: ما أهلكهم لعدم سلوكهم مسلك أوامره ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)﴾ [آية: ٢٠ - ٢٣]:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ﴾[1] ما أعده الله لأهل الطاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ وهو معطى ما أراده وعمل له ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ﴾ عطاء ﴿الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ لعدم رومه لها.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ هم كل موسوس لهم وحاملهم على الإلحاد ﴿شَرَعُوا لَهُمْ﴾ وأسسوا ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ الداحس الهدر ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ كالإلحاد وحملهم على رد أمر المعاد ﴿وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ وحكمها هو إمهال الله إلى المعاد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ واصطلم الله أهل الإلحاد ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ المراد: كل ملحد ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ مروعهم هول المعاد وسوء أعمالهم، وورودهم على مواردها ﴿وَهُوَ﴾ ورودهم على موارد عملهم ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ على كل

---

(١) يقول الحق جلّ جلاله: ﴿مَن كان يُريد حرثَ الآخرةِ﴾، سُمِّي ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة المستقبلة حرثاً، مجازاً؛ لأن الحرث: إلقاء البذر في الأرض لننظر نتاجه، فأطلقه على العمل، لجامع حصول النتاج، أي: مَن كان يريد بأعماله ثواب الآخرة ﴿نَزِدْ له في حَرْثِه﴾؛ نضاعف له ثوابه، الواحدة بعشر إلى سبعمائة فما فوقها، أو: نَزِدْ له في توفيقه وإعانته، وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه. ﴿ومَن كان يريد﴾ بأعماله ﴿حَرْثَ الدنيا﴾ وهو متاعها وطيباتها ﴿نُؤْتِهِ منها﴾ أي: شيئاً منها، حسبما قسمناه له، لا ما يريده ويبتغيه، ﴿وما لهُ في الآخرة من نصيبٍ﴾ إذا كانت همته مقصورة على الدنيا. ولم يذكر في عامل الآخرة أن رزقه المقسوم يصل إليه، للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده، من زكاء أعماله، وفوزه في المآب؛ لأن ما يُعطى في الآخرة يستحقر أن يُذكر معه غيره من الدنيا. انظر البحر المديد (٥٥٣/٦).

حال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ أحلى محالها ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ لا ما لسواهم ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ﴾ رواه راوٍ كسدد، ورواٍ كامل محرك الوسط ﴿اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء إلى الله وأداء الإرسال ﴿أَجْرًا﴾ مآلا أو عطاء ﴿إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ طرد إلا ما أحله المؤدى لا السرد كورد الحمر كلها إلا عمرا ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ﴾ المراد: العمل ﴿حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لكل هائد وعائد له ﴿شَكُورٌ﴾ لعمل كل طائع.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)﴾ [آية: ٢٤، ٢٥]:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ لما ادعى ورود كلام الله له ﴿فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ ممسكا لما أوحاه لك ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾ ما ادعاه أهل الإلحاد ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ ما أوحاه إلى رسوله ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما أودعه صدر كل أحد.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ لدى عود عاملها إلى مولاه وهوده ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده للسامع.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦) وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)﴾ [آية: ٢٦ - ٢٨]:

﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾ الله إلى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ سؤالهم ودعائهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما سألوه ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ كلهم ﴿لَبَغَوْا﴾ دحسوا ﴿فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ﴾ ورواه راوٍ على وروده كأكرم ﴿بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ إعطاءه ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ومعط لكل أحد ما هو الأولى والأحرى لحاله.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ مطره على كل محل سهل ووعر، ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ موالِ آلاءه لكل طائع وعاص ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود

لدى الكل حالا، ولو عدم لدى أهل الإلحاد حمده كلاما.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٣١)﴾ [آية: ٢٩ - ٣١]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للمعاد ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ الكلام لأهل الإسلام ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ عدم أو لأواء ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ سوء الأعمال ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ كعدم سؤال عاملها.

﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ الكلام لأهل الإلحاد ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ حارس ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ راد ما أراده الله لكم وأعده.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)﴾ [آية: ٣٢ - ٣٦]:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ الأطواد ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ رسوا على الماء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ موكل همه وأصرها على إدراك دلائل الله ﴿شَكُورٍ﴾ على آلائه، أو المراد: لكل مسلم كامل.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ المراد: إهلاك أهلها ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ سوء الأعمال ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مرسلا لها لا مهلكا لأهلها.

﴿وَيَعْلَمَ﴾ مردود رده الواو على معمول لعامل مصدر مطروح، أو ممسوك على أول الكلام ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ عما أعده الله لهم على سوء أعمالهم.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ طول مدد أعماركم لا دوام له ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ ما أعده لكل طائع ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لا على أحد سواه.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩)﴾ [آية: ٣٧ - ٣٩]:

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ كل عمل حد عامله على عمله ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ إلى ما دعاهم لعمله وأمرهم سلوكا على مسالكه أو ردعا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ المراد: أداموها ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى﴾ مصدر ﴿بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ على الطاعه.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ لله على كل عاد.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (٤٣)﴾ [آية: ٤٠ - ٤٣]:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سماها كما سماها لورودهما على مورد واحد ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ وده مع عدوه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ المراد: هو مكرمه إكراما، وما أدراك ما أكرام الله ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ملام ولا سؤال.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ سمودا وعلوا ﴿وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم على سوء أعمالهم.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على المكروه ﴿وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ﴾ أومأ إلى العمل المسطور عمله ﴿لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ المراد: عملها.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨)﴾ [آية: ٤٤ - ٤٨]:

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾ هاد ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ سوى الله ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا﴾ أورد رأى وأراد ما هو وارد لحصوله لا محال ﴿الْعَذَابَ﴾ المعد لهم على إلحادهم ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ﴾ إلى الدار الأولى ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ مسلك.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ الهاء عائد إلى سوء الدار ودارها الألم المار ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لحلولهم وسط دار كدرها وألمها دائم، وعدم وصولهم إلى الحور اللاء أعدها الله لأهل الإسلام ﴿أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ دائم، وهو مكمل لكلامهم أو هو كلام الله رأسا.

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إلى الهدى أو إلى دار السلام ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ وحدوه واركعوا وصلوا له ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ المراد: رده وعوده أمر محال ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ﴾ موئل ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ لسوء أعمالكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ كالئا أعمالهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ﴾ ودعاء الأمم إلى الإسلام والسرد المحرر ممحو الحكم لورود حك الحسام وراءه ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ ولد آدم على العموم ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ آلاء ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ لأواء أو داء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ آلاء مولاه.

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [آية: ٤٩ - ٥٠]:

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ أولادا وحدها ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ أولادا وحدهم ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ ومعط لهم أولادا ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ لا ولد له اصلا ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ

مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آية: ٥١ - ٥٣]:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صح لأحد ولد آدم ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا﴾ ما هو موح له ﴿وَحْيًا﴾ إلهاما أو حال كرى كما حصل لأم موسى وألهمها، وكما رأى والد الرسل أمر الله له حسم رأس ولده حال الكرى ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كما لو سمع كلاما، وما رأى مكلما كما سمع موسى أكمل الله له السلام، وهل ما سمعه كلام الله أو داله وحمله على الدال أولى ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿يُرْسِلَ رَسُولا﴾ ملكا كالروح ردد الله له السلام ﴿فَيُوحِيَ﴾ الملك الرسول إلى المرسل له وهو مكلمه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ الهاء عائد لله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ محل الأمور محلها كلاما للرسل وسواهما.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾[1] هو كلاما المكرم الموحى لرسوله الأكرم محمد أو أورد الروح وأراد الملك الروح أكمل الله لهما السلام ﴿مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾ المراد: لولا ما أوحاه الله لرسوله محمد لما درى أحكام كلامه المكرم، ولا معالم الإسلام، وما أمها أمها سد مسد ما رامه درى ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ الهاء للملك الروح أو لكلام الله ﴿نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ الأمم دعاء لما أوحاه الله لك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ مسلك الإسلام.

﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا وأسرا ومملوكا ﴿أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ لدى مطور الوسائط كلها.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي وكالذي أوحينا إلى الأنبياء من قبلك أوحينا إليك ﴿رُوحاً﴾ أي نبوة؛ قاله ابن عباس. الحسن وقتادة: رحمة من عندنا. السدي: وحيا. الكلبي: كتابا. الربيع: هو جبريل. الضحاك: هو القرآن. وهو قول مالك بن دينار. وسماه روحا لأن فيه حياة من موت الجهل. وجعله من أمره بمعنى أنزل كما شاء على من يشاء من النظم المعجز والتأليف المعجب. ويمكن أن يحمل قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] على القرآن أيضا ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] أي يسألونك من أين لك هذا القرآن، قل إنه من أمر الله أنزل علي معجزا؛ ذكره القشيري. وكان مالك بن دينار يقول: يا أهل القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض. انظر الجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزخرف

مدنية إلا: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ [آية: ٤٥] مكية، وآيها تسع وثمانون

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾[1][آية: ١ - ٥]:

﴿حم﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿وَالْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿الْمُبِينِ﴾ الساطع مسلك هداه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ الهاء عائد لكلامه المكرم ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿تَعْقِلُونَ﴾ مداركه.

﴿وَإِنَّهُ﴾ محكم ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ اللوح ﴿لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ﴾ على سواه ﴿حَكِيمٌ﴾ حوى حكما.

---

(١) قال الرازي: اعلم أن قوله ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يحتمل وجهين الأول أن يكون التقدير هذه حام والكتاب المبين فيكون القسم واقعاً على أن هذه السورة هي سورة حام ويكون قوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءاناً عَرَبِيّاً﴾ ابتداء لكلام آخر الثاني أن يكون التقدير هذه حام ثم قال ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءاناً عَرَبِيّاً﴾ فيكون المقسم عليه هو قوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءاناً عَرَبِيّاً﴾ وفي المراد بالكتاب قولان أحدهما أن المراد به القرآن وعلى هذا التقدير فقد أقسم بالقرآن أنه جعله عربياً الثاني أن المراد بالكتاب الكتابة والخط وأقسم بالكتابة لكثرة ما فيها من المنافع فإن العلوم إنما تكاملت بسبب الخط فإن المتقدم إذا استنبط علماً وأثبته في كتاب وجاء المتأخر ووقف عليه أمكنه أن يزيد في استنباط الفوائد فبهذا الطريق تكاثرت الفوائد وانتهت إلى الغايات العظيمة. انظر تفسير الرازي (١٦٥/٢٧).

﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ المراد الإمساك ﴿عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ كلام الله ﴿صَفْحًا﴾ إمساكا لا أمر ولا ردع لـ ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ أهل إلحاد لا.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ حكم مسل لرسول الله صلى الله على روحه وسلم.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾ وحكى الله ما حصل لهم وهؤلاء ما لهم كأولئك وهو هلاكهم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)﴾ [آية: ٩ - ١٤]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ وهو الله ولو حاولوا.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا﴾ كالمهد ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا﴾ مسالك ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مرامكم، أو إلى حكم الله.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ مطرا معادلا للوطر ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ لعساء كلئها ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ مما هو لحد لكل أحد إلى المعاد، والورود على موارد الأعمال.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ طرح العائد على الاسم الموصول.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ وحد العائد للمح سرد الاسم الموصول وهو ما ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا﴾ حمدا لآلاء مولاكم ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)﴾ [آية: ١٥ - ١٧]:

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ لما ادعوا ما حاصله الأملاك أولاد الله ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ كل مدع الأمر المسطر ﴿لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ أمره ساطع.

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ له ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ وحدكم ﴿بِالْبَنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا﴾ ادعاه لله و﴿ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا﴾ لصدور الولد محاك لوالده ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ سواد كدر وكمد ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملؤ كدرا.

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ (٢٠)﴾ [آية: ١٨ - ٢٠]:

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ لعدم كمال إدراكه وحمله.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ واطلعوا على أسر الله لهم ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ عما ادعوه وهم واردو موارد سوء أعمالهم.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ الهاء عائد إلى الأملاك ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾ مدعو ما لا أصل له.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾ [آية: ٢١ - ٢٥]:

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ الهاء عائد لكلام الله أو لادعائهم المسطور ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ مسلك أو صراط أو إحدى الملل ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ سلوكا على مسالكهم.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ﴾ المراد: ما عم المصر ﴿مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ

﴿مُتْرَفُوهَا﴾ هم أهل الآلاء والرؤساء ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ المراد: إلا ادعوا كما ادعى هؤلاء، وهو حكم مسل لرسول الله ردد الله له أكمل السلام.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ كلكم سالك مسالك والده؛ مرادهم محمد والرسل أمامه صلى الله على كلهم وسلم ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ الهاء عائد إلى أمم الرسل الأول، وهو مهدد إلى الأولى دعاهم محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ المراد: أهلكهم الله ودمرهم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾ [آية: ٢٦ - ٣٢]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا﴾ اسم موصول أو للمصدر ﴿تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِلا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ مراده: أسره ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ دائما، أو المراد إلى ما وراء ما هداه له.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أولاده ما هو معدوم موحدهم إلى حدود دور العالم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل أهل الحرم الحرام ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما هم سالكوه إلى مسلك والد الرسل أكمل الله له السلام.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ﴾ أهل الإلحاد ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ وأمهلهم الله ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ كرمه المكرم ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ كلام الله ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ﴾ سوى محمد ﴿مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ أم رحم

واحد سوادها ﴿عَظِيمٍ﴾ سؤددا ومالا كولد مسعود، والموسم على معطسه.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ المراد: ما عم الإرسال ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ واحد معدم صعلوك، وواحد له مال ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أموالا وسؤددا ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ﴾ أهل المال ﴿بَعْضًا﴾ المعدم ﴿سُخْرِيًّا﴾ للعمل، والمراد: وسع الله على أحدهم الأموال وحصر على أحدهم الأعمال الموسع أهل العدم لا لكمال موسع ولا لسوء حال معدم ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ داره دار السلام ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أموالا.

﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)﴾[(١)] [آية: ٣٣ - ٣٥]:

---

(١) قال الرازي: في الآية مسائل:
المسألة الأولى اعلم أنه تعالى أجاب عن الشبهة التي ذكروها بناء على تفضيل الغني على الفقير بوجه ثالث وهو أنه تعالى بيّن أن منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله وبين حقارتها بقوله ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾ والمعنى لولا أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكافر في سعة من الخير والرزق لأعطيتهم أكثر الأسباب المفيدة للتنعم أحدها أن يكون سقفهم من فضة وثانيها معارج أيضاً من فضة عليها يظهرون وثالثها أن نجعل لبيوتهم أبواباً من فضة وسرراً أيضاً من فضة عليها يتكئون ثم قال وَزُخْرُفاً وله تفسيران أحدها أنه الذهب والثاني أنه الزينة بدليل قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الارْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ (يونس ٢٤) فعلى التقدير الأول يكون المعنى ونجعل بهم مع ذلك ذهباً كثيراً وعلى الثاني أنا نعطيهم زينة عظيمة في كل باب ثم بيّن تعالى أن كل ذلك متاع الحياة الدينا وإنما سماه متاعاً لأن الإنسان يستمتع به قليلا ثم ينقضي في الحال وأما الآخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله تعالى وفي حكمه للمتقين عن حب الدنيا المقبلين على حب المولى وحاصل الجواب أن أولئك الجهال ظنوا أن الرجل الغني أولى بمنصب الرسالة من محمد بسبب فقره فبيّن تعالى أن المال والجاه حقيران عند الله وأنهما شرف الزوال فحصولهما لا يفيد حصول الشرف والله أعلم المسألة الثانية قرأ ابن كثير وأبو عمرو سَقْفاً بفتح السين وسكون القاف على لفظ الواحد لإرادة الجنس كما في قوله ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ (النحل ٢٦) والباقون سقفاً على الجمع واختلفوا فقيل هو جمع سقف كرهن ورهن قال أبو عبيد ولا ثالث لهما وقيل السقف جمع سقوف كرهن ورهون وزبر وزبور فهو جمع الجمع المسألة الثالثة قوله ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَانِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ فقوله لِبُيُوتِهِمْ بدل اشتمال من قوله لِمَن يَكْفُرُ قال صاحب (الكشاف) قرىء معارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد إلى المساكن العالية كالدرج والسلالم عليها يظهرون أي
=

﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على مسلك الإلحاد ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾ ورواه راوٍ على العدد لا على الواحد ﴿مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ للصعود كالسلام ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ إلى السطح.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾ مما حرر أولا ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا﴾ حلى على الأعم، والمراد: لولا روع حصول الإلحاد لأهل الإسلام لأعطى الله أهل الإلحاد ما حرر كله ﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها مطروح ﴿كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا﴾ كهما، وما وصل مؤكد، ورواها راوٍ كهلا على ورودها كألا ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المراد: لا دوام له أصلا ﴿وَالآخِرَةُ﴾ المحمود مآلها، أو المراد: دار السلام ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾ [آية: ٣٦ - ٤٥]:

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ كلام الله المكرم ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ موسوس له دائما.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾ لدى المعاد، وورد للسؤال عما عمل ﴿قَالَ﴾ مكلما للموسوس له ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾.

﴿وَ﴾ كلام الله لهما ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ ودادكم ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ لـ ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ والمصدر معمول للام كسر مطروح، وهو معلل للحكم المار.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ رد الواو الاسم الموصول على عدد الأعمى، وحاصل السؤال إسلامهم لك مر محال.

=

على تلك المعارج يطهرون. انظر تفسير الرازي (٢٧/١٨١).

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ كورود حمامك أمام ورود آلامهم وهلاكهم ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ﴾ المراد: على إهلاكهم وحصول ما أوعدوه ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾.

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ موصول إلى مولاك.

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ﴾ سؤدد ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عما هو سلوك على مسالك أحكامه.

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ المراد: اسال أممهم وعلماءهم ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ سواه ﴿آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ كما ركعوا هم للصور والدمى، وهل أورد حل مسلكهم رسول أو كلام لا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَأَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠) وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلا لِلآخِرِينَ (٥٦)﴾ [آية: ٤٦ - ٥٦]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ﴾ موسى ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدلائل على إرساله كالعصا وسواها ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ أول ما رأوها وما أدركوها.

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ أمر دال على إهلاكهم ﴿إِلا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الأولى ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هو إلحاد إلى صراط الهدى.

﴿وَقَالُوا﴾ لموسى أكمل الله له السلام لما رأوا حلول الهلاك ﴿يَأَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ العالم الماهر سحرا ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ مرادهم: دعاؤهم لرد الألم والهلاك لو أسلموا ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ دعا موسى، و﴿كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ لدعائه ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ حلا للعهود وعودا إلى إلحادهم الأول.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ أما هو أو مأموره ﴿فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَمْ﴾ حصل لكم إدراك كامل، و﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾ أومأ إلى موسى ردد الله له السلام ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ كلامه لملأه ﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ لو صح ادعاؤه الإرسال ﴿أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾.

﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ عدو موسى لمحرر ﴿قَوْمَهُ﴾ المراد: أحلامهم ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ لما أمرهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ وسلكوا مسالك كل عاص أوامر مولاه ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ مصدرا، والمراد: أمام الهلكى ﴿وَمَثَلا لِلآخِرِينَ﴾ الأمم وراءهم.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾ [آية: ٥٧ - ٥٩]:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا﴾ لما أوحى الله كل إله لهم هو حال معهم دار السوأى، وكلموا رسول الله ما حاصله الههم له حكم الروح لركوع اممه له وهم مدعو الأهل والولد للواحد الحد ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ المراد: صاحوا سرورا لما سمعوه.

﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ الرسول الروح أمام محمد أكمل الله لهما السلام ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا﴾ هدرا لعلمهم ورود الاسم الموصول، وهو ما لسوى أهل الأحلام وما هو عام للرسول الروح ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ كلهم ألد.

﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الروح ﴿إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ إرسالا ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ لوروده ولدا ولا والد له ﴿مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ (٦٢)﴾ [آية: ٦٠ - ٦٢]:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ محلكم ﴿مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ ولد آدم وراء إهلاكهم.

﴿وَإِنَّهُ﴾ الرسول الروح ردد الله له السلام ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ معلوم ورودها لحلوله ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ﴾ المراد: أمره لهم سلوكا على مسالك لا إله إلا الله ﴿هَذَا﴾ ما آمركم سلوكه ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ موصل سالكه إلى الله.

﴿وَلا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ عما آمركم ﴿الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤)﴾ [آية: ٦٣، ٦٤]:

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال والأحكام ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ كلام الله الموحى له ﴿وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ مما هو وارد وسط الكلام المكرم الموحى لموسى ردد الله لهما السلام، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ صراط لا إله إلا الله هو المسلك السالم سالكه.

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٦٦) الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)﴾ [آية: ٦٥ - ٧٢]:

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾[1] هل الرسول المحرر هو الله أو ولد الله ﴿فَوَيْلٌ

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قال تعالى: ﴿فاختلف الأحزابُ من بينهم﴾، الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، تنبيهًا على سوء صنيعهم، بجعلهم ما يُوجب الاتفاق منشأ للاختلاف، فإن ما حكى من مقالات عيسى عليه السلام، مع كونها نصوصًا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله، قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والإفراط، وفرّق النصارى، فقالت النسطورية: هو ابن الله، وقالت =

﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وادعوا الادعاء المسطور ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وهو لدى المعاد، وورودهم على مصارعهم وحلولهم دار الآلام والكدر الدائم السرمد.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ملحدو الحرم الحرام ﴿إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ عصر ورودها.

﴿الأَخِلاءُ﴾ أهل الوداد على سوء الأعمال ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عصر المعاد ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾ أهل الوداد لله لا لأمر سوء، والكلام لهم ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم الموحى لرسوله محمد أكمل الله له السلام ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ﴾ أول كلام ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ رده الواو على أول الكلام والمحمول هو ﴿تُحْبَرُونَ﴾ سرورا وإكراما.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ وعاء الطعام ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وعاء الماء أو الروح ما له عروه ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ﴾ أكلا ووطئا وسواهما ﴿وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ مرأى ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: أعدها الله لكم على صالح أعمالكم كرما.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وما أكل حل للحال محله سواه.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾ [آية: ٧٤ - ٨٠]:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ هم كل ملحد ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

=

اليعقوبية: هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، وقالت المِلْكَانية: هو ثالث ثلاثة. ﴿فويلٌ للذين كفروا﴾ وهم: المختلفون فيه بأنواع الضلالات. وأظهر الموصول في موضع الإضمار؛ إيذانًا بكفرهم جميعًا، وإشعارًا بِعِلّيَّةِ الحكم. انظر البحر المديد (٣٢١/٤).

﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ كلهم حاسم أمله عما هو سلام.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ لإلحادهم وإحلالهم محل الإله العدل سواه كود وسواع.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ مرادهم: ورود الحمام ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ أمدا وسرمدا وكمل كلام مالك.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ﴾ كلام الله لأهل الحرم وأم رحم ﴿بِالْحَقِّ﴾ إرسال الرسول ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا﴾ ملحدو أم رحم، والمراد: احكموا ﴿أَمْرًا﴾ على حصول المكروه لمحمد ردد الله له السلام ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أمرا محكما لإهلاكهم.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ ما طواه صدورهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ كلامهم مع سواهم ﴿بَلَى﴾ كلاهما مسموع ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الأملاك ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ والمراد: سرهم مسموع وكلامهم مسموع ومسطور.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣)﴾ [آية: ٨١ - ٨٣]:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ لو سلم حصول ولد له ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ للولد المحرر أو لله، والمراد: موحد له.

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مما لا أصل له ولا سلمه حلم ولا حكم.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾ هدرا ﴿وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هو المعاد.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ [آية: ٨٤ - ٨٦]:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ مألوه ومركوع له ﴿وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ مركوع له ومألوه ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ محل الأمور كلها محلها ﴿الْعَلِيمُ﴾ مصالح الأمم كلهم.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كالهواء ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ﴾ عالم عصر ورودها ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لسامع الكلام.

﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ سوى الله، والمراد: الصور اللاء ركع وصلى أهل الإلحاد لها ما أحدها مالك ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ لأحد كما ادعوا ما أهلها ﴿إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ وحد الله كالرسول الروح والأملاك لو حمل الاسم الموصول على ما عم الصور وسواهم، ولو حمل على الصور وحدها صار حكم ما أم إلا محسوما عما أمامها ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حكم لا إله إلا الله سرا وصدرا كما عملوه كلاما.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [آية: ٨٧ - ٨٩]:

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ عما هو ركوع له إلى الركوع إلى سواه.

﴿وَقِيلِهِ﴾ مصدر، والهاء عائد إلى الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم، رواه راوٍ مسموكاً على أول الكلام، ومحموله حاصل ما وراءه، ورواه راوٍ على وروده مصدرا معمول لعامل مطروح، ورواه عاصم وسواه مكسورا معمولا لعامل ما أم العلم وهو الساعة ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾ وأمر الله رسوله لما دعا مولاه الدعاء المحرر.

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلامٌ﴾ والأمر المسطور محا حكمه أمر الحسام أو الإسلام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء ما لهم لدى ورودهم على مصارع أعمالهم، وهو حكم مهدد لهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الدخان

مكية، وآيها تسع وخمسون

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ۝٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[1] [آية: ١ - ١٦]:

---

(١) قال القرطبي: إن جعلت ﴿حم﴾ جواب القسم تم الكلام عند قوله: ﴿المبين﴾ ثم تبتدئ ﴿إنا أنزلناه﴾. وإن جعلت ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ جواب القسم الذي هو ﴿الكتاب﴾ وقفت على ﴿منذرين﴾ وابتدأت ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾. وقيل: الجواب ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، وأنكره بعض النحويين من حيث كان صفة للمقسم به، ولا تكون صفة المقسم به جوابا للقسم، والهاء في ﴿أنزلناه﴾ للقرآن. ومن قال: أقسم بسائر الكتب فقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ كنى به عن غير القرآن، على ما تقدم بيانه في أول "الزخرف" والليلة المباركة ليلة القدر. ويقال: ليلة النصف من شعبان، ولها أربعة أسماء الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك، وليلة القدر. ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب. وروى قتادة عن واثلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزلت الزبور لاثنتي عشرة من رمضان وأنزل الإنجيل لثمان عشرة خلت من =

﴿حم﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿وَالْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿الْمُبِينِ﴾ الحلال مما هو حرام.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ مما هو لوح إلى السماء الأولى ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾.

﴿فِيهَا﴾ الهاء لمساء حلول كلام الله المكرم ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ كالأعمار والإعطاء.

﴿أَمْرًا﴾ معمول على المصدر عامله ما هو أمام كل أمر، أو على الحال للهاء الأولى ﴿مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل محمدا، والأولى أمامه صلى الله على كلهم وسلم ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ إلى الأمم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ سامع كلامهم وعالم أحوالهم وأعمالهم.

﴿رَبِّ﴾ محمول وراء محمول، ورواه راوٍ مكسورا ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كالهواء ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم ﴿مُوقِنِينَ﴾ أسلموا لمحمد وإرساله.

﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ ورواهما راوٍ على الكسر كالأول.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ ما أسلموا ولا سلموا لحصول المعاد ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ولما سأل رسول الله مولاه ما حاصله المحل وعدم حلول الأمطار أمره الله.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ لعدم الأمطار وسواد الهواء ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ وكلامهم لما رواه ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ لرسولك محمد ورد الله وعدهم الإسلام المحرر سائلا ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ حاصل المراد: إسلامهم مردود لدى حلول الآلام ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ هو محمد أكمل الله له السلام.

=

رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين مضت من رمضان". ثم قيل: أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا في هذه الليلة. ثم أنزل نجما نجما في سائر الأيام على حسب اتفاق الأسباب. وقيل: كان ينزل في كل ليلة القدر ما ينزل في سائر السنة. وقيل: كان ابتداء الإنزال في هذه الليلة. وقال عكرمة: الليلة المباركة ها هنا ليلة النصف من شعبان. والأول أصح لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. قال قتادة وابن زيد: أنزل الله القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب إلى بيت العزة في سماء الدنيا، ثم أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالي والأيام في ثلاث وعشرين سنة. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٢٦).

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ ادعى أحدهم هو معلم واحدهم ﴿مَجْنُونٌ﴾.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ لدعاء الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم عصرا ﴿قَلِيلا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى إلحادكم وسوء عملكم.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد لهم أو ما حاكاه ﴿نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ ولعل المراد لدى المعاد ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)﴾ [آية: ١٧ - ٢٩]:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى ردد الله له السلام ﴿كَرِيمٌ﴾ على مولاه.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ﴾ ما أدعوكم له وهو الإسلام والأعمال على ما حده لهم ﴿عِبَادَ اللهِ﴾ مدعو على طرح الأداه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على أمر الإرسال ودعاء الأمم.

﴿وَأَنْ لا تَعْلُوا﴾ سمودا ﴿عَلَى اللهِ﴾ كوداعكم لأوامره ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ مر دال على الإرسال.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ وكل إلى الله أمره لما أوعدوه الأمر المحرر.

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ وما سمعوا ما أمر ووصاهم.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ أهل إلحاد وأمره مولاه ﴿فَأَسْرِ﴾ ورد أسرى وسرى ﴿بِعِبَادِي لَيْلا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ راكدا مصدوعا على حاله ومسلكه ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ﴾ محمول لأول كلام مطروح وهو الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ الهاء عائد إلى أموالهم المعلوم أمرها مما حرر ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ هم ملأ موسى، ولو حمل عود الهاء على ما عدده أولا صاروا

سوى ملأ موسى لعدم عودهم إلى مصر.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾ المراد: مصعد أعمالهم ﴿وَالأَرْضُ﴾ المراد: مصلاهم لعدم ركوعهم لله، وعدم صالح عمل لهم، وأهل الإسلام لهم مصعد الأعمال والمصلى والأمر المسطور حاصل كلما ورد أحدهم موارد حمامه ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ إمهالا لعودهم وهودهم إلى الله.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلا مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)﴾ [آية: ٣٠ - ٣٧]:

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾ سامدا ﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ الهاء عائد لملأ موسى الأولى سلكوا معه وسط الماء ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ لحالهم، وهم أهل له ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عوالم عصرهم، والمراد: على أهل الأحلام.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ﴾ آلا ﴿مُبِينٌ﴾ ساطع أمره لكل أحد كصدع الطم والسلوى وسواهما.

﴿إِنَّ هَؤُلاءِ﴾ هم ملحدوا أم رحم والحرم الحرام ﴿لَيَقُولُونَ﴾.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ إِلا مَوْتَتُنَا الأُولَى﴾ مرادهم وهم أموات وسط الأرحام ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ إلى المعاد وراء الحمام.

﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ ردوهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ رسول أو هو أحد الصلحاء ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وسواهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ على إلحادهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾ [آية: ٣٨، ٣٩]:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كالهواء وما الله عالمه ﴿لاعِبِينَ﴾ لهوا حال.

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ﴾ لورودها دوال على الواحد الأحد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإلحاد ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ لعدم إدراكهم.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤١) إِلا مَنْ رَحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢)﴾ [آية: ٤٠ - ٤٢]:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للألم الدائم وحلول دار السوأى.

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى﴾ ككل رحم وسواه لا راد لما أعده الله لهم على سوء أعمالهم ﴿شَيْئًا﴾ أمرا ما ﴿وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

﴿إِلا مَنْ رَحِمَ اللهُ﴾ وهم أهل الإسلام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ ما أراده حاصل لا محال ﴿الرَّحِيمُ﴾ لكل أحد أراد رحمه.

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)﴾ [آية: ٤٣ - ٥٠]:

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ حملها أمر كل حمل.

﴿طَعَامُ الأثِيمِ﴾ المراد: الملحد.

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ كل حار ألد الحراره.

﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسوء الدار.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ والكلام له.

﴿ذُقْ﴾ ألم دار السوأى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ على مدعاك.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الألم ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ [آية: ٥١ - ٥٩]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾[1] محل ﴿أَمِينٍ﴾ لا روع لهم، ولا هم، ولا كدر ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ على السرر أمام لأمام ما أحد راء وراء أحدهم.

﴿كَذَلِكَ﴾ محمول على أول كلام مطروح وهو الأمر ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ﴾ الحور عدد الحوراء عكس السوداء ﴿عِينٍ﴾ ملاحها.

﴿يَدْعُونَ﴾ دعاء أمر ﴿فِيهَا﴾ الهاء لدار السلام ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ حال، والمراد: كل مورع.

﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولَى﴾ حكم ما وراء إلا الحسم عما أمها كحكم ورد الرهط إلا حمارا، ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

﴿فَضْلا﴾ مصدر وعامله مطروح ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ وكرما ﴿ذَلِكَ﴾ الكرم والعطاء المحرر ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ سهل الله ورود كلامه المكرم ﴿بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لعل إدراكهم وإسلامهم حاصل.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ حلول هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ حصول هلاكك، ومحا حكم الأمر المحرر أمر الإسلام وأعمال الحسام وراءه.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ لما ذكر مستقر الكافرين وعذابهم ذكر نزل المؤمنين ونعيمهم. وقرأ نافع وابن عامر ﴿في مقام﴾ بضم الميم. الباقون بالفتح. قال الكسائي: المقام المكان، والمقام الإقامة، كما قال:

عفت الديار محلها فمقامها

قال الجوهري: وأما المقام والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، لأن الفعل إذا جاوز الثلاث فالموضع مضموم الميم، لأنه مشبه ببنات الأربعة، نحو دحرج وهذا مدحرجنا. وقيل: المقام (بالفتح) المشهد والمجلس، و(بالضم) يمكن أن يراد به المكان، ويمكن أن يكون مصدرا ومقدر فيه المضاف، أي في موضع إقامة. ﴿أمين﴾ يؤمن فيه من الآفات ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدل من ﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾. ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، متواجهين يدور بهم مجلسهم حيث داروا. والسندس: ما رق من الديباج. والإستبرق: ما غلظ منه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٥٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجاثية

مكية، وآيها ست وثلاثون

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[1] [آية: ١ - ٦]:

(١) قال الرازي: ﴿إِنَّ في السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفيه مباحث: البحث الأول: أن قوله ﴿إِنَّ في السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ لآيَاتٍ﴾ يجوز إجراؤه على ظاهره، لأنه حصل في ذوات السموات والأرض أحوال دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها، وأيضاً الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة في السموات والأرض وهي آيات، ويجوز أن يكون المعنى: إن في خلق السموات والأرض كما صرّح به في سورة البقرة في قوله ﴿إِنَّ في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ﴾ (البقرة: ١٦٤) وهو يدل على وجود القادر المختار في تفسير قوله ﴿الْحَمْدُ لله الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ﴾ (الأنعام: ١). البحث الثاني: قد ذكرنا الوجوه الكثيرة في دلالة السموات والأرض على وجود الإله القادر المختار في تفسير قوله ﴿الْحَمْدُ لله الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ﴾ ولا بأس بإعادة بعضها فنقول إنها تدل على وجود الإله من وجوه: الأول: أنها أجسام لا تخلو عن الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فهذه الأجسام حادثة وكل حادث فله محدث الثاني: أنها مركبة من الأجزاء وتلك الأجزاء متماثلة، لما بينا أن الأجسام متماثلة، وتلك الأجزاء وقع بعضها في العمق دون السطح وبعضها في السطح دون العمق فيكون وقوع كل جزء في الموضع الذي وقع فيه من الجائزات وكل جائز فلا بد له من مرجح ومخصص الثالث: أن الأفلاك والعناصر مع تماثلها في تمام الماهية الجسمية اختص كل واحد منها بصفة معينة كالحرارة والبرودة واللطافة والكثافة الفلكية والعنصرية، فيكون ذلك أمراً جائزاً ولا بد لها من مرجح الرابع: أن أجرام الكواكب مختلفة في الألوان مثل =

﴿حم﴾ الله أعلم ما مراده.

﴿تَنْزِيلُ﴾ أول كلام ﴿الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

﴿إِنَّ فِي﴾ أسر ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ﴾ دلائل على الله ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لا لسواهم لعدم إدراكهم ما دل على الله.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ طورا ماء، وطورا دما وسط الرحم، وطورا لحما لا روح له، وطورا ولدا، وطورا مراء كاملا مدركا حساسا ﴿وَ﴾ أسر ﴿مَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ﴾ محمول على محل العامل المؤكد واسمه ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ورودا مطورا حورا وسوادا طولا وعكسه ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ طورا حارا، وطورا صرصرا وسواهما ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدلائل على الله.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ﴾ الدوال على لا إله إلا الله ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ حال الدلائل وعاملها مؤدى ما أومأ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ﴾ كلام ﴿اللهِ وَآيَاتِهِ﴾ دلائله ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ورواه راوٍ للسامع، والمراد: ملحدو أم رحم.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ

=

كمودة زحل، وبياض المشتري، وحمرة المريخ، والضوء الباهر للشمس، ودرية الزهرة، وصفرة عطارد، ومحو القمر، وأيضاً فبعضها سعيدة، وبعضها نحسة، وبعضها نهاري ذكر، وبعضها ليلي أنثى، وقد بينا أن الأجسام في ذواتها متماثلة، فوجب أن يكون اختلاف الصفات لأجل أن الإله القادر المختار خصص كل واحد منها بصفته المعينة الخامس: أن كل فلك فإنه مختص بالحركة إلى جهة معينة ومختص بمقدار واحد من السرعة والبطء، وكل ذكل أيضاً من الجائزات، فلا بد من الفاعل المختار السادس: أن كل فلك مختص بشيء معين وكل ذلك أيضاً من الجائزات، فلا بد من الفاعل المختار، وتمام الوجوه مذكور في تفسير تلك الآيات. البحث الثالث: قوله ﴿لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقتضي كون هذه الآيات مختصة بالمؤمنين، وقالت المعتزلة إنها آيات للمؤمن والكافر، إلا أنه ملا انتفع بها المؤمن دون الكافر أضيف كونها آيات إلى المؤمنين، ونظيره قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢) فإنه هدىً لكل الناس كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٨٥) إلا أنه لما انتفع بها المؤمن خاصة لا جرم قيل ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فكذا ههنا، وقال الأصحاب الدليل والآية هو الذي يترتب على معرفته حصول العلم، وذلك العلم إنما يحصل بخلق الله تعالى لا بإيجاب ذلك الدليل، والله تعالى إنما خلق ذلك العلم للمؤمن لا للكافر فكان ذلك آية دليلا في حق المؤمن لا في حق الكافر والله أعلم. انظر تفسير الرازي (٦٧٣/٢٧).

يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [آية: ٧ - ١١]:

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ مدع ما لا أصل له ﴿أَثِيمٍ﴾.

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على إلحاده ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عما هو إسلام للرسول ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إصراره المسطور.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ كلام الله ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أورد الوراء وأراد الإمام ﴿وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ أموالا وأولادا ﴿شَيْئًا﴾ مما أعده الله لهم على سوء عملهم وإلحادهم ﴿وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ صورا ركوعا لها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿هُدًى﴾ مما هو عمى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ سهم ﴿مَنْ رِجْزٍ﴾ ألم ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ (١٣)﴾ [آية: ١٢، ١٣]:

﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ أسره أملس السطح وسهل للسواح مسالكهم ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ﴾ على سطحه ﴿بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا﴾ مصالحكم ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاكم على ما أولاكم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مؤكد لما ﴿مِنْهُ﴾ حال الاسم الموصول ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ حكم الله.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)﴾ [آية: ١٤، ١٥]:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ﴾ ما هو مروعهم ما أوعده الله أعداه

أوحاه الله لرسوله لما كلم أحد أهل الإلحاد العوار لعمروهم عمر على المكروه له ﴿لِيَجْزِيَ﴾ الله، واللام معلل للأمر المار ﴿قَوْمًا﴾ هم أهل الإسلام ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وهو سماحهم لأهل الإلحاد عوارهم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمله ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم صالحها وطالحها.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٢)﴾ [آية: ١٦ - ٢٢]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ الموحى لموسى ردد الله له السلام ﴿وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ لموسى وولد أمه أكمل الله لهما سلامه ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلال كالسوى وسواها ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالم عصرهم، والمراد: أهل الأحلام.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ﴾ أمر الحلال والحرام، ودلائل إرسال محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ هل محمد رسول أم لا ﴿إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا﴾ حسدا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لمحمد ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ الكلام لرسوله محمد صلى الله وسلم على روحه ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ﴾ أمر الحلال والحرام، ومسلك لا إله إلا الله وحده ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ كالركوع إلى سوى الله.

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ﴾ مما أراد حلوله على أعدائه ﴿شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ هم أهل الإسلام.

﴿هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ معالم الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى

وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ لأمر المعاد وحصوله.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ وعملوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ إلحادا وسواه ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾ محمول أمام أول الكلام وهو ﴿مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حاصل المراد ما الأمر كما وهموا وادعوا ساء حكما حكمهم المحرر.

﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملا صالحا أو طالحا ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كالحط على طالح أعمالهم، أو الحط مما هو عمل صالح.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾ [آية: ٢٣ - ٢٦]:

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ اعلم ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ كوداعه الهدى وسلوكه مسالك الهوى ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ عالما مولاه وروده أهلا للعمى ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ لا هو سامع الهدى ولا هو مدركه ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾[1] كالسواد رادعا مرآه صراط الهدى ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾ لا أحد هاد له أصلا ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ الواو لكل راد أمر المعاد وحاكم على عدم حصوله ﴿مَا هِيَ﴾ ما الحال ﴿إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ﴾ أمواها وسط الأرحام ﴿وَنَحْيَا﴾ مولدا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ مرور الأعصار ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾ لا دال لهم على مدعاهم وما هو الأحدس لا أصل ولا أساس له.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ دلائلها حال ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ ردوا أرواحهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

---

(١) ﴿وجَعَلَ على بصره غشاوةً﴾ أي: ظلمة مانعة من الاعتبار والاستبصار، ﴿فمَن يهديه من بعدِ الله﴾ من بعد إضلال الله إياه؟ ﴿أفلا تَذَكَّرون﴾ أفلا تتعظون، فتُسلمون الأمور إلى مولاها، يُضل مَن يشاء ويهدي مَن يشاء. انظر البحر المديد (١٠٢/٧).

﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ﴾ وسط الأرحام ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ لدى ورود الحمام ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ رادا لكم أرواحكم حال ورود عصر المعاد ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لعدم إدراكهم وعلمهم إلا ما هو المحسوس.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٢٧ - ٣٧]:

﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ على الكردوس لهول ما هو حاصل، أو المراد: كلهم مركوم روعا ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ طرس أعمالها والكلام لهم ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: ما أعده الله لكم على أعمالكم.

﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ ما حرره الأملاك ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ محص أعمالكم كلها صالحها وطالحها ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أعمالكم ومحررها هم الأملاك.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ دار السلام ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الساطع أمره.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الكلام لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ كلام الله المكرم ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ أهل إلحاد.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ موعوده أو المصدر ﴿حَقٌّ﴾ حاصل لا محال ﴿وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ﴾ ما ﴿نَظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ ورودها وحصولها.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ لما رأوا ما أعده الله لهم على عملها ﴿وَحَاقَ﴾ حل أو أحاط ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو حلول الألم.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ﴾ وسط سوء الدار والمراد وداعهم ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ المراد: عدم العمل له ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ رواد عما أعده الله لكم على سوء أعمالكم.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لمرور عصره.

﴿فَلِلهِ الْحَمْدُ﴾ على حصول ما أوعد ووعد لأهل الإلحاد، وأهل الإسلام ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ عامل الكسر مع معموله حال محال الحال ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المحل أموره كلها محالها.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحقاف

مكية، وآيها خمس وثلاثون

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿حم﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ كلامه المكرم ﴿مِنَ اللهِ﴾ محمول على ما أدى مؤدى كلام الله ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ المحل أوامره وروادعه محالها.

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1] حد محدود إلى حلول أعمار العالم كله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا﴾ روعوا حلوله ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾ [آية: ٤]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ المراد الإعلام ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ ركوعا ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه وهو الصور والدمى ﴿أَرُونِي﴾ مؤكد لما ورد وراء الأمر ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي﴾ أسر ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مع الله لما أسرها، والمراد: لا آسر معه لا إله إلا هو

---

(١) ﴿ما خَلَقَ الله السماواتِ والأرض وما بينهما إلا بالحق وأَجَلٍ مُسَمىً﴾ أي: ما خلقها باطلا وعبثاً من غير حكمة، ولا لتبقى خالدة، وإنما خلقها مقرونة بالحق، مصحوبة بالحكمة البالغة، وتنتهي إلى أجل مسمى، وهو قيامُ الساعة، ووقت الحساب، بالثواب والعقاب، فيخرب هذا العالم، ويقوم عالم آخر، لا انتهاء لوجوده.. انظر البحر المديد (٥/٥٠٠).

الواحد الأحد ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ موحى ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ مصحح لمدعاكم وركوعكم إلى الصور ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أوردوه وصححوا مدعاكم.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨)﴾ [آية: ٥ - ٨]:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ وهم الصور والدمى، ولو دعاهم ركوعا لهم ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ﴾ الصور ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ ركوع كل راكع لهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لعدم حسهم وإدراكهم.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ الصور ﴿لَهُمْ﴾ لكل راكع لهم ﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ لرد الحال لها.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ على أهل أم رحم والحرم الحرام ﴿آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هو كلام الله ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ساطع أمره لكل أحد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ محمد على الله ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ وسلم مدعاكم ﴿فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الهاء عائد لكلام الله ﴿كَفَى بِهِ﴾ الهاء لله ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لإمهاله كل عاص.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)﴾ [آية: ٩، ١٠]:

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ المراد: أول رسول دعا الأمم إلى الله وأوامره ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ (ما) إما اسم موصول أو هو وارد للسؤال، والمراد: أهو مطرود أم هم مهلكوه كما حصل للرسل وهم حال على رؤوسهم الألم كما حل على الأمم الأول أو لا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ هو كلام الله ﴿وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ

مُبِينٌ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ المراد: الإعلام ﴿إِنْ كَانَ﴾ كلام الله الموحى له ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هو ولد سلام ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ مؤكدا وروده وسط الكلام الموحى إلى موسى ردد الله له السلام ﴿فَآمَنَ﴾ له ولد سلام وأسلم لوروده ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عما هو إسلام له ومكمل العامل هو إما كلكم أو ما حاكاه ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢)﴾ [آية: ١١، ١٢]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ﴾ الإسلام لمحمد أكمل الله له السلام وكلام الله ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ الهاء عائد لكلام الله ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ لا أصل له.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا﴾ حال ﴿وَرَحْمَةً﴾ لكل مسلم ﴿وَهَذَا﴾ كلام الله ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ لكل كلام إمامه أوحاه الله للرسل الأول كموسى وسواه ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ كلاهما حال ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ملحدو الحرم الحرام وما حوله ﴿وَ بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)﴾ [آية: ١٣، ١٤]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ وداموا على العمل الموصل إلى مولاهم ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً﴾ معمول على المصدر لعامل مطروح ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ

أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨)﴾ [آية: ١٥ - ١٨]:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أورد وصى وأراد الأمر ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ كلاهما كد وكلال لها ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾[1] صار كهلا ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وصل إلى مدى الكمال ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ هو الإلهام ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ عام لكل عمل صالح ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ كورودهم كلهم أهل إسلام لا ملحد معهم ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عما صادم أوامرك ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ والسرد المسطور على ما رواه أهل العلم أوحى الله لرسوله لأول إمام ولاه أهل الإسلام أمرهم لدى ورود رسول الله صلى الله على روحه وسلم موارد الحمام.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ عملهم الصالح ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لعودهم وهودهم إلى الله ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ وعد الله لهم هو ما أوحاه لرسوله وصدره وعد الله.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ﴾ مؤداه المصدر السوء ﴿لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ مما هو لحد إلى المعاد ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِي﴾ هلكوا وصاروا رمما وما ورد أحدهم ﴿وَهُمَا﴾ والداه ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللهَ﴾ عود ولدهما إلى صراط الهدى وكلامهما لولدهما هو ﴿وَيْلَكَ﴾ هلاكًا لك ﴿آمِنْ﴾ إلى حصول أمر المعاد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أمر لا أصل له ولا أساس.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الألم وحلولهم دار السوأى حاصل ﴿فِي﴾ عداد ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

---

(١) قال أبو جعفر النحاس: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ التقدير: وقت حمله ، مثل: ﴿واسأل القرية﴾ ، وقرأ أبو رجاء وعاصم الجحدري: ﴿وحمله وفضله﴾ ، فرويت عن الحسن ابن أبي الحسن ، واحتج أبو عبيد للقراءة الأولى بالحديث: "لا رضاع بعد فصال " ، وأبين من هذه الحجة أن (فصالا) مصدر ، مثل: قتال ، وهذا الفعل من اثنين؛ لأن المرأة والصبي كل واحد منهما ينفصل من صاحبه ، فهذا مثل: القتال ، وإن كان قد يقال: فصله فصلا وفصالا.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٩) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)﴾ [آية: ١٩، ٢٠]:

﴿وَلِكُلٍّ﴾ مسلم أو ملحد ﴿دَرَجَاتٌ﴾ إلى أهل الإسلام العلى، وإلى أهل الإلحاد الدرك ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ عملا صالحا أو طالحا ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ ما أعده الله لهم على أعمالهم ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كحط مما هو عمل صالح أو على ما هو طالح.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ وكلام الأملاك لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ لعدم ورودكم أهلا له ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ سلوكا على سوى ما أمركم الله إلحاد أو سواه.

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٢٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨)﴾ [آية: ٢١ - ٢٨]:

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ وهو هود ردد الله له السلام ﴿إِذْ أَنْذَرَ﴾ روع ﴿قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾ اسم واد علاه علم رمل طال وسما مع الأود ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أمامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ وراءه إلى أممهم، وكلام هود لهم هو ﴿أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ مراده: لو ركعوا لسوى الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ عما هو ركوع لها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ على الركوع

لها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ هود ردد الله له السلام ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ﴾ هو العالم عصر ورود هلاككم ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ وما على الرسول الادعاء الأمم إلى الله ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ لرومكم الهلاك.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ الهاء عائد للألم ﴿عَارِضًا﴾ ركاما وسط الهواء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ﴾ ركام ﴿مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ الهلاك لكم ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ المراد: إهلاكها له حال مرورها ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ ما أراد إهلاكه ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ﴾ هلكوا وحرمهم وأولادهم وأولالهم وما سلم إلا هود وأهل الإسلام معه ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ سواهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ﴾ ما ﴿مَكَّنَّاكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم ﴿فِيهِ﴾ أموالا وعددا وعددا ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ أسماعا ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ﴾ وارد كورد اللام ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ وارد مورد اللام ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هو ما أوعدهم رسولهم حلوله لو أصروا على إلحادهم وداموا على سوء مسالكهم.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾ المراد: أهلها وهم عاد، وملأ لوط، وسواهم ﴿وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هو إلحاد إلى صراط الهدى.

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾(١) سواه ﴿قُرْبَانًا﴾ إلى الله ﴿آلِهَةً﴾ هم الصور اللاء ركعوا لها ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ لدى ورود الهلاك ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وما أما للمصدر أو اسم موصول.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿فلولا نَصَرَهم الذين اتخذوا من دون الله قُرباناً آلهةً﴾ أي: فهلا منعهم وخلصهم من العذاب الأصنام الذين اتخذوهم آلهة من دون الله، حال كونها متقرباً بها إلى الله، حيث كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] و﴿هَؤُلآءِ شُفَعَآؤُنَا عِندَ اللهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أي: غابوا عن نصرتهم، ﴿وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ الإشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم، أي: وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذها آلهة، وثمرة شركهم، وفترائهم على الله الكذب. انظر البحر المديد (١٤١/٧).

قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٣٢)﴾ [آية: ٢٩ - ٣٢]:

﴿وَإِذْ﴾ لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى الرسول محمد أكمل الله له السلام ﴿نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ واسمعوا كلام الرسول ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا﴾ عادوا ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ روعوا ملأهم حلول الألم، وأمروهم السلوك على مسالك الإسلام، وكلهم هود وكلامهم لملأهم هو.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ كلام الله المكرم ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولعلهم ما سمعوا ورود الروح وإرساله وراء موسى أكمل الله لهما السلام ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ صراط الإسلام، ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ﴾ رسوله محمدا صلى الله على روحه وسلم ﴿وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ﴾ الله ﴿لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ما عاد إلى الله سوى ما عاد إلى الأمم ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ﴾ معد لأهل الإلحاد ﴿أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ مولاه ﴿فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ﴾ سوى الله ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ رادو ما أعده الله له ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [آية: ٣٣ - ٣٥]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الواو لكل راد أمر المعاد وحاكم على عدم حصوله أصلا ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ﴾ ما كل ﴿بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى

بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ المراد: حلوهم وسطها لا مرورهم مرورا، والكلام لهم حال حلولهم هو ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ أومأ إلى ما أعد الله لهم ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ما للمصدر.

﴿فَاصْبِرْ﴾ على كل مكروه حملك أممك، والأمر لرسوله محمد ردد الله له السلام ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ هم كل مؤسس الأحكام للأمم ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ الأولى مروا أمامك وهم على أصح ما رووه والد سام وحام، ووالد للرسل، وموسى، والروح، ومحمد صلى الله على كلهم وسلم ﴿وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ لملائك حلول الألم والهلاك ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ الأمل وسط سوء الدار لطول مدده ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ طول أعمارهم على حدسهم ﴿إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ﴾ محمول على مطروح، وهو كلام الله المكرم ﴿فَهَلْ﴾ لا ﴿يُهْلَكُ﴾ لدى ورود الألم ﴿إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أهل الإلحاد لا سواهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

وتُسَمَّى سورة القتال

مكية، أو مدنية، وآيها أربعون آية

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾[١] سواهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ الإسلام له ولرسوله ﴿أَضَلَّ﴾ هدر ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ كإطعام الطعام ووصل الأرحام وسائر مكارمهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ حالهم.

---

(١) قال القرطبي: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هم أهل مكة كفروا بتوحيد الله، وصدوا أنفسهم والمؤمنين عن دين الله وهو الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه، وقال السدي. وقال الضحاك: ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ عن بيت الله بمنع قاصديه. ومعنى ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، وجعل الدائرة عليهم، قال الضحاك. وقيل: أبطل ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم، من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف وحفظ الجوار. وقال ابن عباس: نزلت في المطعمين ببدر، وهم اثنا عشر رجلا: أبو جهل، والحارث بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبي وأمية ابنا خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر بن نوفل.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٢٣).

﴿ذَلِكَ﴾ أوماً إلى كلا الهدر والاصلاح ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ سلكوا مسالك الوسواس ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ كلام الله المكرم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أحوال أهل الإسلام، وأهل الإلحاد.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حال الكر والمعارك ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر معمول لعامل مطروح ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾ وها حالهم إهلاكا ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ المراد: امسكوا وأسروهم ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ﴾ أراد: أهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾ دروعها وسلاحها وسواها، والمراد: إلى إسلام أهل الإلحاد، أو إعطائهم الأموال وسلوكهم مسالك العهود، والحكم المسطور مدى الإهلاك والأسر ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ اصطلاما ﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم الكر على أعدائكم ﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ هالك أهل الإسلام إلى دار السلام، وهالك أهل الإلحاد إلى سوء الدار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ ورواه راوٍ كعاملوا ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ لدى أحد ومعاركه ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ حالهم.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ كل أحد واصل داره وسطها وأهله ولا دال له.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ (١١)﴾ [آية: ٧ - ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ﴾ أحكامه ومعامله، أو المراد: رسوله ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ على أعدائكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ حال كركم على العدو.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا﴾ هلاكا ﴿لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ الهلاك ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ على رسوله وهو كلامه المكرم

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلكهم مع أهلهم وأولادهم وأموالهم كلها ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ كما حصل لأولئك حاصل لهؤلاء.

﴿ذَلِكَ﴾ علو أهل الإسلام على أهل الإلحاد ﴿بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى﴾ لا راد ولا كالئ ﴿لَهُمْ﴾ عما أعده الله لهم.

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)﴾ [آية: ١٢ - ١٤]:

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾ لا هم لهم سوى الأكل والوطء والسلوك مسالك الهوى ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ومحل ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ وكم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ أم رحم وأراد أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ مما هو إهلاك لهم ولا راد له.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ دال وهم أهل الإسلام ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ وهم ملحدو أم رحم ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ركوعا إلى الصور والدمى.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [آية: ١٥]:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ المراد: ماعرا ومرآه كدر ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ عكس الراح والمدام المعهود لهم ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ لا كدر له أصلا ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أحال هؤلاء مع ما أعطاهم مولاهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ حارًّا ألدها ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ

هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾ [آية: ١٦ - ١٩]:

﴿وَمِنْهُمْ﴾ الهاء عائد لأهل الإلحاد ﴿مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ كلامك وأمرك ووعدك وعكسه ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ المراد: لعلماء ملائك كولد مسعود وسواه ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ لإسلامهم كلاما وإصرارهم على الإلحاد صدرا ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ وهم أهل الإسلام ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى وَآتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿تَقْوَاهُمْ﴾ ألهمهم، وكل موصل إلى دار السلام ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ وعلمها إرسال محمد صلى الله على روحه وسلم وسواها ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ والمراد: حال ورودها إسلامهم مردود.

﴿فَاعْلَمْ﴾ دم على علمك ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أمر للرسول، والمراد المرسول لهم ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم إلى محال الكرى، والمراد: عالم ومطلع على سائر أحوالكم.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ [آية: ٢٠ - ٢٤]:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ روما لورود أمر الكر على أعداء الله ورسوله ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ أمر الأعمال الحسام ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أمره وروم الكر على أعداء الله ورسوله ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هم كل مسلم كلاما ومصر على الإلحاد صدرا وسرا ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ لروعهم أمر المعارك ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ أول كلام محموله.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾ وأوحى الله أمر المعارك لرسوله وأهل الإسلام ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ﴾ حال ادعائهم الحرص على أمر الكر أو المراد: لما

ادعوا الإسلام ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ المراد: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عما هو إسلام للرسول ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ عودا إلى عملكم الأول.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ لا سمعوا كلام الهدى، ولا رأوا مسالكه وسلكوها هم كالأعمى الأصم ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ إدراكا لأحكامه وحكمه ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَقْفَالُهَا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)﴾ [آية: ٢٥ - ٢٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾[1] وعادوا إلى سوء عملهم الأول وهو الإلحاد ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ مسلك الإسلام ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ سوء أعمالهم ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أمد لهم الآمال لو عاد على الوسواس، ورواه راوٍ على وروده للمكلم وهو الله، والمراد: أمهلهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ﴾ هم أهل الإلحاد، وهؤلاء هم أهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ﴾ مرادهم هم مساعدوهم، وكلهم

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب، كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوا نعته عندهم، قاله ابن جريج. وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون، قعدوا عن القتال بعد ما علموه في القرآن. ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي زين لهم خطاياهم، قاله الحسن. ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أي مد لهم الشيطان في الأمل ووعدهم طول العمر، عن الحسن أيضا. وقال: إن الذي أملى لهم في الأمل ومد في آجالهم هو الله عز وجل، قاله الفراء والمفضل. وقال الكلبي ومقاتل: إن معنى ﴿أملى لهم﴾ أمهلهم، فعلى هذا يكون الله تعالى أملى لهم بالإمهال في عذابهم. وقرأ أبو عمرو وابن إسحاق وعيسى بن عمرو وأبو جعفر وشيبة ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء، على ما لم يسم فاعله. وكذلك قرأ ابن هرمز ومجاهد والجحدري ويعقوب، إلا أنهم سكنوا الياء على وجه الخبر من الله تعالى عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم، كأنه قال: وأنا أملي لهم. واختاره أبو حاتم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٤٩/١٦).

أعداء للرسول صلى الله على روحه وسلم كلموهم سرا وأطلع الله رسوله، وأهل الإسلام على ما أسروه لهم، ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول.

﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى سل الأملاك أرواحهم على الحال المسطور ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ السلوك على مسلك أوامره، ووداع روادعه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)﴾ [آية: ٢٩ - ٣١]:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ كل مكروه أصروه على الرسول صلى الله على روحه وسلم، وأهل الإسلام معه.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ واحد واحد سردا لأسمائهم وسواها ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ علمهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو واو مؤل، والمراد والله ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ كما لو كلموك وأمالوا كلامهم إلى وطر لهم وأمر مراد ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ وهو معامل كل أحد على عمله.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أمرا للكر على أعداء الله وسواه ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ علم سطوع ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ كسلوككم على صراط أوامر الله أوردها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [آية: ٣٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ الصراط الموصل إلى الله ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ هادرا لها كإطعام طعام ووصل الأرحام وسواها.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [آية: ٣٣]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ سلوكا على كل مسلك ماح صالح الأعمال وهادرها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [آية: ٣٤ - ٣٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ صراط الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ حكم عم كل وارد موارد حمامه، وهو مصر على إلحاده، ودال على محو الله سائر طالح العمل لأحد أهل الإسلام.

﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول، وهو الصلح مع أهل الإلحاد ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ﴾ كالئ ومعل لكم على أعدائكم ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ كالحط مما هو عمل صالح لكم.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أحوالها وأمورها وأعمارها لا دوام لها ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ما أعده لكم على الإسلام، وصالح الأعمال ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ﴾ السؤال والروم واحد ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ كإعطائها أهل العدم كلها إلا ما حكم على إعطائه وهو السهم المعلوم أحد معالم الإسلام.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ روما لكلها، وأصل مورده الاصطلام ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ﴾ حرصكم وإمساككم الأموال ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾ لورود الحرص المسطور معللا لحصول إصرار أمر ما على الرسول صلى الله على روحه وسلم.

﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ سلوكا على ما حكم وأمر ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ لعود صالح عمله وطالحه له إعطاء أو إمساكا ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ وكل أمر أمركموه صلاحه عائد لكم لا له ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عما أمركم ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ محلكم ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ سلوكا على سوى الهدى ما سلوكهم إلا الهدى.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفتح

مدنية، وآيها تسع وعشرون

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[1] وعد لحصوله.

---

(١) قال القرطبي: قال ابن الأنباري: ﴿فَتْحاً مُبِيناً﴾ غير تام، لأن قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ﴾ متعلق بالفتح. كأنه قال: إنا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجمع الله لك مع الفتح المغفرة، فيجمع الله لك به ما تقر به عينك في الدنيا والآخرة. وقال أبو حاتم السجستاني: هي لام القسم. وهذا خطأ، لأن لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها، ولو جاز هذا لجاز: ليقوم زيد، بتأويل ليقومن زيد. الزمخشري: فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة؟ قلت: لم يجعل علة للمغفرة، ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة، وهي: المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز. كأنه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك عز الدارين وأعراض العاجل والآجل. ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب. وفي الترمذي عن أنس قال: أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد أنزلت علي آية أحب إلي مما على وجه الأرض" ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، فقالوا: هنيئا مريئا يا رسول الله، لقد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا، فنزلت عليه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ - حتى بلغ - فَوْزاً عَظِيماً﴾ قال حديث حسن صحيح. وفيه عن مجمع بن جارية. واختلف أهل التأويل في معنى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقيل: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ قبل الرسالة. ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بعدها، قال مجاهد. ونحوه قال الطبري وسفيان الثوري، قال الطبري: هو راجع إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى قول ﴿تَوَّاباً﴾ [النصر: ١ - ٣]. ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ قبل الرسالة ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إلى وقت نزول هذه الآية. وقال سفيان الثوري: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ =

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ المراد: ما هو عكس الأولى وإلا هو معصوم.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ﴾ آلاءه كلها ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾ المراد: دوام هدى الله على رسوله محمد أكمل الله له السلام، وإلا أصل الهدى حاصل له على كل حال وهو المعصوم ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ هو صراط الإسلام، ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ لحكم الكر على الأعداء ﴿مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ لله ولرسوله، ولسائر معالم الإسلام ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وهو على علمه وحكمه أمدا إلى ما لا حصر له.

﴿لِيُدْخِلَ﴾ معلل لمطروح، وهو أمر أهل الإسلام الكر على أعدائهم ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ هو عدم علو الرسول صلى الله على روحه وسلم، وأهل الإسلام على أعدائهم أهل الإلحاد ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ كالأول، رواه راوٍ كمرء، وراوٍ كروح ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ طردهم عما هو رحم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ معادا لهم.

=

ما عملته في الجاهلية من قبل أن يوحى إليك. ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ كل شيء لم تعمله، وقاله الواحدي. تنظر الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٦٢).

﴿وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ الكلام للرسول محمد أكمل الله له السلام ﴿شَاهِدًا﴾ لدى المعاد على أممك ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لحلولهم دار السلام لو أطاعوك ﴿وَنَذِيرًا﴾ مروعا حلولهم دار السوأى لو عصوك.

﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ المراد: أممه، ورواه راوٍ كالمحال، ورآه على وروده للسامع ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ردد الله له السلام ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ الهاء لله، والمراد: ورود كل مسلم مساعدا لرسوله، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣)﴾ [آية: ١٠ - ١٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لما عاهدوا رسوله صلى الله على روحه وسلم، والمراد: هو عالم ومطلع أعمالهم وأحوالهم وعهودهم، وهو معاملهم على ما سطر كله ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ حل العهد المسطور ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لعود سوء حل عهده له، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ﴾ وسلك على عهده ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ لما دعاهم الرسول أكمل الله له السلام إلى المطور معه إلى أم رحم وما طاوعوه إلى ما أرادهم وهم أسلم وسواهم ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله لعدم السلوك مسالك أمرك ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ المراد: سؤالهم الرسول الأمر المحرر هو كلاما لا سرا وصدرا دعاء لا أصل له ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ لا أحد مالك أمرا لهم ﴿بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ عالما ومطلعا، وهو معاملكم على سوء

أعمالكم.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ لما مطروا إلى أم رحم والحرم الحرام ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ كاصطلام أهل الإلحاد لهم، ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ الأمر المحرر وسواه، ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى.

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ سوء الدار والهلاك السرمد.

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [آية: ١٤]:

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وهو على الأمر المحرر إلى ما لا حصر لأمده.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلا (١٥) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)﴾ [آية: ١٥، ١٦]:

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المار حكمهم ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ﴾ ورواه راوٍ: كلم الله مكسور اللام والمراد: ما وعده أهل الإسلام، وهو حصولهم على أموال أعدائهم ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أمام العود ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ على سهم الأموال طمعا وحرصا ﴿بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ﴾ معالم الاحكام ﴿إِلا قَلِيلا﴾.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ المار سردهم ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم الأولى عادوا إلى إلحادهم لما ورد رسول الله موارد الحمام أكمل الله له السلام أو هم الروم وسواهم ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ كرا على هؤلاء ﴿يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٧]:

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لا ملام على هؤلاء لو ماكروا على الأعداء لعدم صلاحهم لأمر المعارك ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ ورواه راوٍ كالأول على وروده للمكلم، وهو الله كما لو ورد للمكلم ومعه سواه ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا (٢٣)﴾ [آية: ١٨ - ٢٣]:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ سدر أو سمره وعاهدوا رسول الله صلى على روحه وسلم على الكر على أهل أم رحم إلى ورود حمامهم ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ هدأ الروع والصدر أو الصلح ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ وهو على ما هو إلى ما لا حصر لحده.

﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾[1]

---

(١) ﴿وعَدَكُمُ اللهُ مغانِمَ كثيرةً تأخذونها﴾ هو ما فتح على المؤمنين، وغنموه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة. والالتفات إلى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان. ﴿فعجَّلَ لكم هذه﴾ المغانم، يعني مغانم خيبر، ﴿وكفَّ أيديَ الناس عنكم﴾ أي: أيدي أهل خيبر وحُلفاءهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا، وقيل: أيدي أهل مكة بالصلح، ﴿ولتكون﴾ هذه الكفَّة ﴿آيةً للمؤمنين﴾ وعبرةً يعرفون أنهم من الله بمكان، وأنه ضامن لنصرتهم والفتح عليهم، أو: لتكون آية يعرفون بها صدقَ الرسول صلى الله عليه وسلم من وعده إياهم عند رجوعه من الحديبية بما ذكر من المغانم، ودخول مكة، ودخول المسجد الحرام آمنين. واللام إما متعلقة بمحذوف مؤخر، أي: وليكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف، وإما يتعلق بعلة أخرى محذوفة من أحد الفعلين، أي: فعجَّل لكم هذه وكفَّ أيدي الناس عنكم لتغنموها ولتكون... الخ، ﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾ أي: يزيدكم بصيرةً ويقيناً وثقةً بوعد الله حتى تثقوا في أموركم كلها بوعد الله تعالى. انظر البحر المديد (٢٠٢/٧).

لما صالحكم ولد أسد وسواهم ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً﴾ علما على حصول وعد الله أهل الإسلام وهو علوهم على أعدائهم ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ هو صراط، وكل الأمور كلها إلى الله.

﴿وَأُخْرَى﴾ المراد: حصولكم على أموال سوى الأولى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ حالا، وهو الكر على الروم وسواهم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا﴾ علما وعلم حصولها، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ وهو على ما هو، والمراد: الدوام والمرور إلى ما لا حد له.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أهل أم رحم وما صالحوكم ﴿لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ حارسا ﴿وَلا نَصِيرًا﴾.

﴿سُنَّةَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد لحاصل السرد المار ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾ إلى سواها.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾ [آية: ٢٤ - ٢٦]:

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾ الهاء عائد إلى أهل أم رحم ﴿عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ وأعلاكم على عدوكم ووراء الأمر المحرر حصل الصلح ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ورواه راوٍ على ورود الكلام للسامع ﴿بَصِيرًا﴾ وهو على ما هو إلى ما لا حصر لحده.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ﴾ الوصول إلى ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ﴾ رده الواو على معمول صدوكم ﴿مَعْكُوفًا﴾ مأصورا حال ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ هو الحرام لحسم رأسه ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ وسط أم رحم مع أهل الإلحاد ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أهل إسلام ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ إهلاكا مع أهل الإلحاد الأولى وهم وسط رحم ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾ مكروه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ومكمل لولا مطروح، وهو لأمركم الله الكر على أهل الإلحاد الأولى حلو مكه ﴿لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

كأهل الإسلام الأولى هم مع أهل الإلحاد وسط رحم ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ صاروا لوحدهم ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ لما صدوا رسول الله صلى الله على روحه وسلم عما هو وصول إلى الحرم الحرام ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾ ركود الصدور وهدأ الروع أو الصلح ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وصالحوهم على عودهم العام الوارد ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ الهاء عائد لأهل الإسلام ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ﴾ أولى ﴿بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وهو على ما هو إلى ما لا حصر لأمده ومدده.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا (٢٨)﴾ [آية: ٢٧، ٢٨]:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ لما رأى رسول الله صلى الله على روحه وسلم حلما وهو حلوله وسط أم رحم والحرام مع الأولى معه أهل الإسلام وسردها لأهل الإسلام، وحصل لهم السرور الكامل وراءه صار الصلح وما حلوها كما رأى الرسول، وحصر صدر أهل الإسلام أوحاه الله لرسوله ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ﴾ أمدا ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ مما هو الصالح ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وما رآه الرسول حاصل على كل حال لدى حلول العام.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدا أكمل الله له السلام ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ مسلك أهل الإسلام، وهو لا إله لا الله محمد رسول الله مع سائر معالمه وأحكامه ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ سائر المسالك والملل سواه ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على إرسالك.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ

عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [آية: ٢٩]:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾ محمد أول كلام ورسوله محموله ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ هم أهل الإسلام ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا رحم لهم لأهل الإلحاد ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ لأهل الإسلام كالولد مع الولد ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ كلاهما حال ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾ علمهم وهؤلاء لأوهم لدى المعاد ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ﴾ أوما إلى العلم المسطور، وهو ورود واحدهم ألد على أهل الإلحاد راحما لأهل الإسلام راكعا مصل سائلا مولاه علاه لمع ولألاء لدى المعاد وكله ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ المراد: حرر وسطها، وأوحاه الله لرسوله موسى ردد الله له السلام، ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾ أول كلام ومحموله ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ حمله ﴿فَآزَرَهُ﴾ ساعده رواه راوٍ ممدودا، وراوٍ على سوى المد ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ على أصوله ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ اللام وارد مورد الهاء ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ﴾ الهاء لأهل الإسلام ﴿الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لسوء أعمالهم العائد أمرها لله، أو روم سماح أهلها لو عاد إلى الأمم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السلام والوعد المسطور لكل مسلم على عهد الرسول صلى الله على روحه وسلم والأولى وراءهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجرات

مكية، وآيها ثماني عشر آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا﴾[1] كلاما، أو عملا، أو أمرا ما ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ مع عدم أمرهما لكم ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامكم ﴿عَلِيمٌ﴾ أحوالكم وأعمالكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢، ٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ حال كلامكم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ لدى كلامه ﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ وللردع المسطور أوحاه الله لرسوله لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ هدرها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ كالإمام الأول، وعمر، وسواهما، وإلى الله لهم إكرامه ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قال القشيري: ﴿لا تُقدّموا بين يَدي الله ورسوله﴾ لا تعملوا في أمر الدين من ذات أنفسكم شيئاً، وقُفوا حيثما وُقفْتم، وافعلوا ما به أُمِرْتُم، أي: اعملوا بالشرع لا بالطبع في طلب الحق، وكونوا من أصحاب الاقتداء والاتباع، لا من أرباب الابتداء أو الابتداع. انظر البحر المديد (٢٢٦/٧)

عَظِيمٌ﴾ هو دار السلام، ولما ورد ملأ على رسول الله صلى الله على روحه وسلم وهو راكد مع أهله ودعوه وراء محال حرمه لعدم علمهم محله أوحى الله ردا على عملهم المكروه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ [آية: ٤، ٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ محال أهلك ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ محلك الأسمى وكرمك على مولاك وهم معاملوك كأحدهم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل عائد وهائد لمولاه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ هل ما حكام له أصل أم لا والأمر المسطور لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ حال ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ﴾ والله موح له أسراركم وكلامكم، ومعلمه كلما أراد إعلامه ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ﴾ مما لا أصل ولا أساس له ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ المراد: لوردوا سوء الأعمال والملام ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ كلهم سالك مسالك الدوام والركود على صراط الإسلام ومعالمه.

﴿فَضْلا﴾ مصدر معمول لمطروح ﴿مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ محل أموره وآلاءه محلها.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [آية: ٩، ١٠]:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ دعاء إلى حكم الله ورسوله ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾ عودا إلى ما حكم وأمر الأمم سلوكه ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ إصلاحا عادلا لا هوى معه ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ اعدلوا حال رومكم كل أمر ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مسلكا ومأماً ورسولا وإلها ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ مما هو مصادم لأحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ على سلوككم مسالك أوامره وأحكامه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالألْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آية: ١١]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ﴾ هم أهل الأموال ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ أهل العدم كعمار وسواه ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا﴾ الأولى لا أموال لهم ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ الهاء لأهل الأموال، والمراد: لدى علم الله ﴿وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كإسماعكم لأحدكم العوراء والكلام المكروه ﴿وَلا تَنَابَزُوا﴾ كدعاء أحدكم أحدا ﴿بِالألْقَابِ﴾ السوء كل ما كرهه أحدكم ﴿بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ﴾ المراد: ساء حالا ورود الاسم المحرر لمسلم كما لو دعا واحد واحد ملحدا وراء إسلامه ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ عما ردعه الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [آية: ١٢]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ المراد: لو ورد على أهل الإسلام، وأما حدس السوء ورودا على ملحد أو عاص هو أهل له وحال محله ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ روما لاطلاعكم على عار أحدكم ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ كعدم سرده ما هو مكروه له ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ لا ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ والمراد: سردكم عار أحدكم كأكلكم لحمه وراء وروده موارد حمامه وأكرهوا سردكم عاره كما أكل لحمه مكروه لكم، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ ما أعده على سردكم العار المحرر ﴿إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ﴾ على كل هائد وعائد ﴿رَحِيمٌ﴾ لهم.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [آية: ١٣]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ هما آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ كالعمائر وأعلاها وأحطها، والأصل واحد ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ لا لسردكم سؤددكم وعلاكم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ما الأصل كرم المرء وسؤدده الكرم والسؤدد لدى الله هو السلوك على مسالك أوامره وروادعه ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾ [آية: ١٤، ١٥]:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ﴾[1] رهط ولد أسد لما وردوا على رسول الله صلى الله على روحه وسلم عام محل وسألوه العطاء والمأكول ﴿آمَنَّا﴾ مرادهم كلاما وصدروا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ صدرا لإصراركم على الإلحاد سرا، ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ لصدور إسلامكم كلاما ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ما حلها وحلوله مأمول وحاصل ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ إسلاما وسواه ﴿لا يَلِتْكُمْ﴾ المراد: الحط ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأهل الإسلام ما عادوا وهادوا لمولاهم ﴿رَحِيمٌ﴾ لهم.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ المراد: أهل الإسلام كلاما وسرا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ إسلاما لا

---

(١) قال القرطبي: نزلت في أعرب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر. وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعاوها، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. وقال ابن عباس: نزلت في أعراب أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة قبل أن يهاجروا، فأعلم الله أن لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين. وقال السدي: نزلت في الأعراب المذكورين في سورة الفتح: أعراب مزينة وجهينة وأسلم وغفار والديل وأشجع، قالوا آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى المدينة تخلفوا، فنزلت. وبالجملة فالآية خاصة لبعض الأعراب، لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر كما وصف الله تعالى. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/١٦).

الأولى أسلموا كلاما مع إصرارهم على الإلحاد سرا.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [آية: ١٦ - ١٨]:

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ﴾ لادعائكم الإسلام مع صدوره كلاما لا سرا ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ الكلام للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿أَنْ أَسْلَمُوا﴾ لك مع عدم الكر والمعارك ﴿قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ﴾ معمول لعامل كسر مطروح ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ادعاء للإسلام.

﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عالم سركم وما حواه إسلاما أو إلحادا، وهو معاملكم على أعمالكم صالحا وطالحها.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ق

مكية، وآيها خمس وأربعون آية

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾(١) [آية: ١ - ٥]:

---

(١) قال الرازي: يتعلق بالسورة أمور: الأول: أن هذه السورة تقرأ في صلاة العيد، لقوله تعالى فيها ﴿ذَالِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (ق: ٤٢) وقوله تعالى: ﴿كَذَالِكَ الْخُرُوجُ﴾ (ق: ١١) وقوله تعالى: ﴿ذَالِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق: ٤٤) فإن العيد يوم الزينة، فينبغي أن لا ينسى الإنسان خروجه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم فرحاً فخوراً، ولا يرتكب فسقاً ولا فجوراً، ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلّم بالتذكير بقوله في آخر السورة ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤٥) ذكرهم بما يناسب حالهم في يومهم بقوله ﴿قا وَالْقُرْءَانِ﴾. الثاني: هذه السورة، وسورة ﴿ص﴾ تشتركان في افتتاح أولهما بالحروف المعجم والقسم بالقرآن وقوله ﴿بَلْ﴾ والتعجب، ويشتركان في شيء آخر، وهو أن أول السورتين وآخرهما متناسبان، وذلك لأن في ﴿ق﴾ قال في أولها ﴿ق وَالْقُرْءَانِ ذِي﴾ (ص: ١) وقال في آخرها ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (ص: ٨٧) وفي ﴿قا﴾ قال في أولها ﴿قا وَالْقُرْءَانِ﴾ وقال في آخرها ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤٥) فافتتح بما اختتم به. والثالث: وهو أن في تلك السورة صرف العناية إلى تقرير الأصل الأول وهو التوحيد، بقوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الالِهَةَ إِلاهًا وَاحِدًا﴾ (ص: ٥) وقوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلا مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ (ص: ٦) وفي هذه السورة إلى تقرير الأصل الآخر وهو الحشر، بقوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَالِكَ رَجْعًا بَعِيدٌ﴾ (ق: ٣) ولما كان افتتاح السورة في ﴿ق﴾ في تقرير المبدأ، قال في آخرها ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة إِنِّي خَالِقًا بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (ص: ٧١) وختمه بحكاية بدء (خلق) آدم، لأنه دليل الوحدانية. ولما كان افتتاح هذه لبيان الحشر، قال في آخرها ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الارْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَالِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق: ٤٤). انظر تفسير الرازي (١١٩/٢).

﴿ق﴾ الله أعلم ما المراد، ﴿وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾ الواو واو مؤل كوالله، والمراد: ما أسلم ملحدوا أم رحم لمحمد أكمل الله له السلام.

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول مروعهم ورودهم ألم الله لو داموا على سوء إلحاده ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ أومأوا إلى ما روعهم رسولهم وروده وهو عصر المعاد ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ﴾ العود إلى المعاد ﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ﴾ المراد: أكلها ﴿مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ هو اللوح.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ كلام الله المكرم ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ المراد: ما عولوا على أمر طورا ادعوا السحر وطورًا ادعوا سواه.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [آية: ٦ - ١١]:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ولا عمد لها ﴿وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ صدوع.

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ دحوا على الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أطوادا ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

﴿تَبْصِرَةً﴾ معمول له كأعطاه الدراهم إكراما ﴿وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ عواد إلى أوامر مولاه.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ كل محصود.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طوالا حال ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ حمل على حمل ركاما.

﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ لعساء كلئها ومحصودها ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ مما هو لحودكم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾ [آية: ١٢ - ١٥]:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ ملأ ركعوا للصور، ﴿وَثَمُودُ﴾ أمم صالح.

﴿وَعَادٌ﴾ أمم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ المراد: هو وملاؤه لحصوله ملائما ما هو أمامه ووراءه ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ أصهاره.

﴿وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو ملك مكسور اللام أسلم، ودعا ملأه إلى الإسلام وما أطاعوه ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ ؤ كملائك هؤلاء ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ لا ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ وهم ومحال عراهم ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو المعاد.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾ [آية: ١٦ - ٣٥]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ﴾ حال ﴿مَا تُوَسْوِسُ بِهِ﴾ عامل الكسر وصل لا مؤدى له أو معدى لوسوس ﴿نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ علما لا محلا ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو كاللها مورد روح المرء وسط كرد كل أحد.

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أومأ أدى مؤداه ﴿يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أعمال

كل امرئ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ وهما ملكا كل أحد المحرر أعماله.

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ ملك ﴿عَتِيدٌ﴾ معد ومحرر لأعماله كلها.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ لأواؤه ﴿بِالْحَقِّ ذَلِكَ﴾ الحمام ومصارعه ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للورود إلى المعاد ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ لأهل الإلحاد ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المعاد وورودها موارد السؤال و﴿مَعَهَا﴾ ملك ﴿سَائِقٌ﴾ لها ﴿وَشَهِيدٌ﴾ على عملها، وهو حواس كل أحد والكلام للملحد.

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ الهول ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ حاد مدرك.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الملك الموكل لإحصاء عمله ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ وارد، وهو ما حرره وسوده لأعماله، وأمر الله للملك المحرر.

﴿أَلْقِيَا﴾ المد أصله المؤكد لا لعدد الملك ﴿فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ كإعطاء سهم الأموال ﴿مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾ ما عول على مسلك لمآله هو سالكه سوى الهوى ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾.

﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ الموسوس له ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو هدى، ومراد الوساوس دعاه وهو أطاعه ورد على كلامه الملحد وادعى إعماء الوسواس له.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ كإحلالهم سوء الدار مع عدم حصول عمل مؤد له.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ رد للسؤال على مسلك السؤال الأول، والمراد: حصل لها الملوء.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ محلها وهم رآوها والكلام لهم ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ عواد إلى أوامر الله ﴿حَفِيظٍ﴾ لحدود مولاه.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ والكلام لهم.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ﴾ لإعراكم روع وراءه أصلا، أو المراد مع سلام الله والأملاك الوراد لكم، أو المراد: سلموا على أهلها وحلولها ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ الدوام.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ على ما عملوا وسألوا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾ [آية: ٣٦، ٣٧]:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ هم ملحدو أم رحم والحرم الحرام ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ أمم ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ كعاد وسواهم ﴿فَنَقَّبُوا﴾ وساحوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ لهم أو لسواهم أو موئل عما هو حمام لا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ المراد: واع أو حلم وإدراك ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وارد الروع.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [آية: ٣٨ - ٤٥]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الهواء وما حواه الهواء كالطائر وسواه ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ كلال أوحاه ردا على الهود لما ادعوا حصوله لله.

﴿فَاصْبِرْ﴾ أمر للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ الهود وسواهم على الله مما لا أصل له ﴿وَسَبِّحْ﴾ صل ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حامدا لمولاك ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ الركوع الأول ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ركوع العصر وما أمامها[1].

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ أمره بالصبر على ما يقوله المشركون؛ أي هون أمرهم عليك. ونزلت قبل الأمر بالقتال فهي منسوخة. وقيل: هو ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته. وقيل معناه: فاصبر على ما يقوله اليهود من =

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ المراد: ركوعا المساء ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول كإصدار.

﴿وَاسْتَمِعْ﴾ الأمر لكل سامع أو صالح للسماع ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ هو ملك الصور ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ هو السماء مسمع للكل على السواء ودعاؤه للأوصال واللحوم عودا، ومطورا إلى المعاد والسؤال والورود على موارد العمال.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ الورى كلهم ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ مما هو لحود إلى المعاد ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ الهاء عائد للأولى هو وسط اللحود ﴿سِرَاعًا﴾ المراد: وكلهم وارد إلى المعاد مسرعا ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ حصول أمر سهل عسر معه أصلا.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ملحدو الحرم الحرام ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ مكره لهم على الإسلام، ومحا حكمه ورود أمر الإسلام أو أعمال الحسام ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ هم أهل الإسلام.

=

قولهم: إن الله استراح يوم السبت. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ قيل: إنه أراد به الصلوات الخمس. قال أبو صالح: قبل طلوع الشمس صلاة الصبح، وقبل الغروب صلاة العصر. ورواه جرير بن عبدالله مرفوعا؛ قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: "أما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - يعني العصر والفجر ثم قرأ جرير - ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾" [طه: ١٣٠] متفق عليه واللفظ لمسلم. وقال ابن عباس: ﴿قَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني صلاة العشاءين. وقيل: المراد تسبيحه بالقول تنزيها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب؛ قاله عطاء الخراساني وأبو الأحوص. وقال بعض العلماء في قوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ قال ركعتي الفجر ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الركعتين قبل المغرب. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الذاريات

مكية، وآيها ستون آية

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾[1][آية: ١ - ١٤]:

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ الأرواح ﴿ذَرْوًا﴾ مصدر.

﴿فَالْحَامِلاتِ﴾ المراد: الركام حامل الأمواه والأمطار ﴿وِقْرًا﴾ حملا.

﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾ على سطح الماء ﴿يُسْرًا﴾ سهلا مصدر حال محل الحال.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ قال أبوبكر الأنباري: حدثنا عبدالله بن ناجية، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا الجعيد بن عبدالرحمن، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد أن رجلا قال لعمر رضي الله عنه: إني مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكني منه؛ فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس ثيابا وعمامة وعمر يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده، ثم قال: ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب وأبلغوا به حيه، ثم ليقم خطيبا فليقل: إن صبيغا طلب العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعا في قومه بعد أن كان سيدا فيهم. وعن عامر بن واثلة أن ابن الكواء سأل عليا رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ قال: ويلك سل تفقها ولا تسأل تعنتا ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾ الرياح ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْراً﴾ السحاب ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ السفن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾ الملائكة. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٩).

(فَا) الأملاك (لْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) أمر الأمطار والعطاء وسواها.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ (ما) للمصدر، والمراد وعد المعاد ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعد حاصل لا محال.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ ورود كل أحد موارد عمله ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محال.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ المسالك وسطها كمسالك الرمل.

﴿إِنَّكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم والحرم الحرام ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ على الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم طورا ادعوا له السحر، وطورا ادعوا سواه.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ الهاء للرسول، أو لكلام الله، أو للإسلام ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ عما هو هدى، والمراد: علم الله عدم هداه.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ كل مدع ما لا أصل له على الرسول.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ عما أعد الله لهم لدى المعاد.

﴿يَسْأَلُونَ﴾ الرسول ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ مرادهم وروده.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ لوعا، والكلام لهم.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ ألمكم المعد لكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ روما لحصوله وحلوله.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آية: ١٥ - ٢٣]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ﴾ حال المسر وسط محمول العامل المؤكد ﴿مَا آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ وأعده لهم على صلح عملهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ حلولهم دار السلام ﴿مُحْسِنِينَ﴾ أعمالهم.

﴿كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (ما) اسم موصول والعائد مطروح، أو للمصدر، أو وصل لا مؤدى له، ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ سهم.

﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الإعطاء لعدم سؤاله أحدا.

﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ﴾ دلائل على الله كالأطواد والطم والكلأ وسواها ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ دلائل على الله وحكمه كالإدراك، وسائر حواس ولد آدم ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ المطر الحاصل لحلوله كل محصود ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ما أعده الله لكم على الأعمال كل مسطر، أو المراد: دار السلام لأسر الله لها أعلاها.

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ﴾ الهاء عائد لما وعده ﴿لَحَقٌّ﴾ حاصل ﴿مِثْلَ مَا﴾ وصل مؤكد أو اسم كالأمر ما ﴿أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٣٧)﴾ [آية: ٢٤ - ٣٧]:

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ هم أملاك الله معهم الروح.

﴿قَالُوا سَلامًا﴾ مصدر عامله مطروح ﴿قَالَ سَلامٌ﴾ عدل إلى سمكه لروم الدوام، وهو أول كلام مطروح المحمول ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ محمول على مطروح وهو هؤلاء.

﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ سرا لعدم إطلاعهم على ما أراده وهو الطعام ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ ورأى عدم أكلهم.

﴿فَأَوْجَسَ﴾ أسر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ كامل العلم.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ صائحه ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطما ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ هل أصلح للولد وعمرها حدود المائة.

﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ قَالَ﴾ والد الرسل للأملاك سائلا لهم عما أرسلوا ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ولمه إرسالكم.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ أهل إلحاد وهم ملأ لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾

﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلم ومحرر على كلها أسماء أهلها اسما اسما ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أهل العداء واللوط.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ الهاء لسواد ملأ لوط ردد الله له السلام ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك كل ملحد سواهم.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ دار لوط والأولى أسلموا له أهله وأولاده أو أولاده وحدهم ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ وسما على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ المؤلم.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠)﴾ [آية: ٣٨ - ٤٠]:

﴿وَفِي مُوسَى﴾ وسما وعلما ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

﴿فَتَوَلَّى﴾ وما أسلم لموسى ﴿بِرُكْنِهِ﴾ مع ملأه كلهم، ﴿وَقَالَ﴾ لموسى هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ﴾ هو ﴿مَجْنُونٌ﴾.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحا ﴿فِي الْيَمِّ﴾ الطم ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ عامل ما هو ملام على عمله.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)﴾ [آية: ٤١، ٤٢]:

﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ وسما وعلما ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ما لا مطر معها.

﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ روح أو مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥)﴾ [آية:

٤٣ - ٤٥]:

﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ وسماً وعلماً ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ إلى حلول أعماركم وورود حمامكم.

﴿فَعَتَوْا﴾ سمدوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عما هو سلوك على مسالكه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ صاح الملك الروح على رؤوسهم وأهلكهم ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ على مهلهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [آية: ٤٦]:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ معمول لأهلك مطروح، ورواه راوٍ مكسور ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ إهلاكهم وسط الماء أولاً ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ [آية: ٤٧ - ٥٥]:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[1] مصدر آد ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أهل وسع.

﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ كالمهاد ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ كالسهل والوعر والسواد والحوار، والحلو وعكسه وسواها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ طرح ما كأوله.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ المراد: إلى ما وعده لكل طائع ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مروعكم ما أعده لكل عاص.

﴿وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ كرره مؤكدا الحكم الأول.

---

(١) قال الرازي: وهو بيان للوحدانية وما تقدم كان بياناً للحشر وأما قوله ههنا ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ وأنتم تعرفون أن ما تعبدون من دون الله ما خلقوا منها شيئاً فلا يصح الإشراك ويمكن أن يقال هذا عود بعد التهديد إلى إقامة الدليل وبناء السماء دليل على القدرة على خلق الأجسام ثانياً كما قال تعالى ﴿أَوَ لَيْسَ الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ (يس ٨١). انظر تفسير الرازي (١٩٣/٢٨).

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلا قَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ المراد: كما ادعى هؤلاء وردوا دعوى رسولهم ادعى الأمم الأوائل وردوا دعوى رسلهم.

﴿أَتَوَاصَوْا﴾ كلهم ﴿بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ركمهم على مسلك واحد عدم هداهم.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ لحصول دعائك لهم.

﴿وَذَكِّرْ﴾ دم على دعائك إلى أوامر الله كما أوحى لك ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٥٦ - ٦٠]:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ مدى الأسر هو الركوع له ولا محال لعدم حصول المدى.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ لا هم، ولا لسواهم، ولا له علا حمده ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ ولا إطعامهم ولا إطعام سواهم؛ ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الرسول محمدا صلى الله على روحه وسلم وردوا ما ادعاه أو لإلحادهم وهم أهل الحرم الحرام وسواهم ﴿ذَنُوبًا﴾ سهم ألم ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ﴾ سهم ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ الأولى هلكوا أولا كعاد وسواهم ﴿فَلا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ روما لوروده لو حصل إمهالهم إلى المعاد.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هو ألم المعاد وما أعده الله لهم على إلحادهم وسوء أعمالهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطور

مكية، وآيها تسع وأربعون آية

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾[1] [آية: ١ - ٨]:

﴿وَالطُّورِ﴾ الطور مصعد موسى، ومحل كلام الله له.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قول الحق جلّ جلاله: ﴿والطورِ﴾ هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى بمَدين، ﴿وكتابٍ مسطورٍ﴾ وهو القرآن العظيم، ونكّر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب، أو: اللوح المحفوظ، أو: التوراة، كتبه الله لموسى، وهو يسمع صرير القلم، ﴿في رَقٍّ منشورٍ﴾ الرَق: الجلد الذي يُكتب فيه، والمراد: الصحيفة، وتنكيره للتفخيم والإشعار بأنها ليست مما يتعارفه الناس، والمنشور: المفتوح لا ختم عليه، أو: الظاهر للناس، ﴿والبيت المعمور﴾ وهو بيت في السماء السابعة، حِيَال الكعبة، ويقال له: الضُراح، وعُمرانه بكثرة زواره من الملائكة، رُوي: أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، يطوفون به، ويخرجون، ومَن دخله لا يعود إليه أبداً، وخازنه ملَك يُقال له: "رَزين". وقيل الكعبة، وعمارته بالحجاج والعُمَّار والمجاورين. ﴿والسقفِ المرفوعِ﴾ أي: السماء، أو: العرش، ﴿والبحر المسجُورِ﴾ أي: المملوء، وهو البحر المحيط، أو الموقد، من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَت﴾ [التكوير: ٦] والمراد الجنس، رُوي " أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً، تسجر بها نار جهنم، كما يسجر التنور بالحطب " وعن ابن عباس: المسجور: المحبوس، أي: المُلْجَم بالقدرة. والواو الأولى للقسم، والتوالي للعطف، والمقسم عليه: ﴿إنَّ عذاب ربك لواقعٌ﴾ لنازل حتماً، ﴿ما له من دافعٍ﴾ أي: لا يمنعه مانع، والجملة: صفة لواقع، أي: وقع غير مدفوع. و" من " مزيدة للتأكيد، وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بها؛ لأنها أمور عظام، تُنبئ عن عِظم قدرة الله تعالى، وكمال علمه، وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد، وضطبها، الشاهدة بصدق أخباره، التي من جملتها: الجملة المُقسَم عليها. انظر البحر المديد (٣١٨/٧).

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ هو كلام الله الموحى لموسى، أو كلامه الموحى لمحمد أكمل الله لهما السلام.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ وسط الحرم الحرام أو وسط السماء أعلاه.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ السماء.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المملوء.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ حال على أهله ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩ - ١٦]:

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ دورا ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم وهو لدى المعاد.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ هدر ﴿يَلْعَبُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ كلهم مدسوع لها دسعا؛ ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ ما حل على رؤوسكم كادعائكم السحر لما أوحاه الله لرسوله ﴿أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ما أعده لكم مولاكم على سوء أعمالكم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾ [آية: ١٧ - ٢٠]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا﴾ (ما) للمصدر ﴿آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال الواو ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال معمول اسم العامل المؤكد ﴿عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ واحد إلى حد

واحد لا أمام ولا وراء، ولعل المراد: طورا سطرا، وطورا السرر أمام السرر كما مر ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ واسعوها ملاح.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)﴾ [آية: ٢١ - ٣٤]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الاسم الموصول أول كلام ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ أولادهم ﴿بِإِيمَانٍ﴾ ومحمول الاسم الموصل هو ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ إلى دار السلام ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ورواه ولد عامر العدد لا الواحد ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾ عمل عملا صالحا أو طالحا ﴿رَهِينٌ﴾ وارد موارد أعماله ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ سألوه وصرحوا أولا.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ راحا أورد المحل وأراد الحال ﴿لا لَغْوٌ فِيهَا﴾ حال كرعهم لها ﴿وَلا تَأْثِيمٌ﴾ ولا حرام على كارعها.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ حملا للكأس ﴿غِلْمَانٌ﴾ كلهم ممولك ﴿لَهُمْ﴾ أو هم أولادهم ملاح ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أحوالهم وأعمالهم والآلاء اللاء وصلوا لها.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ مروعهم ما أعده الله لكل عاص.

﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ محوا لطالح الأعمال ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ ألم سوء الدار، ولحلوله وسط المسام سماه سموما.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ ركوعا لله وحده ﴿إِنَّهُ﴾ مكسورا، ورواه راوٍ مطروحا أمامه لام الكسل المعلل ﴿هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

﴿فَذَكِّرْ﴾ دم على دعائك الأمم إلى الله ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ ولو ادعوهما لك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ دوائر الدهر، أو المراد: ورود حمامه ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ الهلاك ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ هلاككم.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا﴾ ما ادعوه له مما لا أصل له ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ لعدائهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ الهاء عائد إلى كلام الله ﴿بَلْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ سمودا لألوهم عراهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ مصحح لمدعاهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)﴾[1] [آية ٣٥ - ٤٣]:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ إله أسر لهم ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ وورودهم أسرا ومأسورا أمر محال.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ولا أسر لهما إلا الله وحده ﴿بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ ﴿أَمْ﴾ صلة زائدة والتقدير أخلقوا من غير شيء. قال ابن عباس: من غير رب خلقهم وقدرهم. وقيل: من غير أم ولا أب؛ فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة؛ ليسوا كذلك! أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة؟ قاله ابن عطاء. وقال ابن كيسان: أم خلقوا عبثا وتركوا سدى ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي لغير شيء ف ﴿مِنْ﴾ بمعنى اللام. ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي أيقولون إنهم خلقوا أنفسهم فهم لا يأتمرون لأمر الله وهم لا يقولون ذلك، وإذا أقروا أن ثم خالقا غيرهم فما الذي يمنعهم من الإقرار له بالعبادة دون الأصنام، ومن الإقرار بأنه قادر على البعث. ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أي ليس الأمر كذلك فإنهم لم يخلقوا شيئا ﴿بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ بالحق ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أم عندهم ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن أمره. وقال ابن عباس: خزائن ربك المطر والرزق. وقيل: مفاتيح الرحمة. وقال عكرمة: النبوة. أي أفبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاؤوا. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٧٤).

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ إرسالا وعطاء ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ كلهم عائل ومسلط على الأمور لا.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مصعد إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ على السلم المسطور كلام الأملاك ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ كل مدع له ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ دال على ما ادعاه ﴿أَمْ لَهُ﴾ لله ﴿الْبَنَاتُ﴾ على دعواكم ﴿وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ مآلا على أمر الإرسال ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ لك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ ولعدم حملهم له ما أسلموا لك.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وإهلاكا لك ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد: هم أو على عمومه ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ الحاصل هلاكهم لإهلاك الرسول كما أصروا ومهدوا.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ حارسهم مما أعده الله لهم ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [آية: ٤٤ - ٤٩]:

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ وردا ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا﴾ هو ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ هو عصر ورود حمامهم.

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ مما أعده الله لهم على سوء مسالكهم وأعمالهم.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كل ملحد ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أمام ألم المعاد وهو ألم أعوام المحل كما ورد وألم إعمال الحسام على رؤوسهم حال المعارك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ حلوله.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ حكمه هو إمهالهم وعدم حلول الألم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مرائ

كلئ وحرس ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ مما هو كرى أو كل محل على العموم.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ المراد: أصله أو صل ركوع المساء ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ دلوكها أوصل الركوع الأول.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النجم

وآيها اثنتان وستون آية

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [آية: ١ - ١٨]:

﴿وَالنَّجْمِ﴾(١) المراد: كله لا واحد معلوم أو واحد معلوم ﴿إِذَا هَوَى﴾ دلك.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ورسلوكم محمد صلى الله على زوجه وسلم عما هو هدى ﴿وَمَا غَوَى﴾ سلوكا على مسلك هدر ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾.

﴿إِنْ هُوَ﴾ ما كلام الله المكرم ﴿إلا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معنى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ والثريا إذا سقطت مع الفجر؛ والعرب تسمي الثريا نجما وإن كانت في العدد نجوما؛ يقال: إنها سبعة أنجم، ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم. وفي "الشفا" للقاضي عياض: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد عشر نجما. وعن مجاهد أيضا أن المعنى والقرآن إذا نزل؛ لأنه كان ينزل نجوما. وقاله الفراء. وعنه أيضا: يعني نجوم السماء كلها حين تغرب. وهو قول الحسن قال: أقسم الله بالنجوم إذا غابت. وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٣/١٧).

﴿عَلَّمَهُ﴾ علم محمدا ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ هو الملك الروح أكمل الله لهما السلام.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ على ما صوره الله وراء محمد ردد الله لهما أكمل السلام على أصلها سادا الهواء وما، رآه أحد الرسل سواه ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾ السماء سادا المطلع.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ الملك الروح إلى الرسول ﴿فَتَدَلَّى﴾ إلى صدده ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ صددا إلى الرسول.

﴿فَأَوْحَى﴾ الله ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ الملك الروح ﴿مَا أَوْحَى﴾ المراد: ما أوحاه الملك الروح إلى محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ لما رأى الملك الروح على أصل الصورة ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ الكلام لأهل الإلحاد والهاء عائد على الرسول محمد ردد الله له السلام ﴿عَلَى مَا يَرَى﴾ على ما راءه، وهو الملك الروح.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على أصل الصوره ﴿نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ لما سرى إلى السماء ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ مأوى أرواح أهل الكمال أو مأوى الأملاك ﴿إِذْ﴾ معمول لرآه ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ﴾ المار سردها.

﴿مَا يَغْشَى﴾ ملك أو طائر وسواه ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ ما مآل مرأى رسول الله صلى الله على روحه وسلم عما راه ﴿وَمَا طَغَى﴾ ما عدل وما حاد.

﴿لَقَدْ رَأَى﴾ لما سرى إلى السماء ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [آية: ١٩ - ٢٣]:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾ المراد: الإعلام ﴿اللاتَ وَالْعُزَّى﴾.

﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ كلها أسماء صور لهم ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ﴾ أولادا لكم ﴿وَلَهُ الأُنْثَى﴾ أولادا وهم الأملاك.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ لا عدل معها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ

وَآبَاؤُكُمْ﴾ صور ركع لها ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أمر دال على صحاح الركوع لها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾ مما سوله الوسواس لكم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ رسوله أو كلامه المكرم.

﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلهِ الآخِرَةُ وَالأولَى (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)﴾ [آية: ٢٤ - ٢٦]:

﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ﴾ لكل امرء ﴿مَا تَمَنَّى﴾ مأكل ما وده المرء حاصل ﴿فَلِلهِ الآخِرَةُ وَالأولَى﴾.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ واحد الأملاك لا الملوك ﴿فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ملكا أو رسولا أو عالما، أو مسلما هرما أو صالحا أكرمه الله ﴿وَيَرْضَى﴾ ـه أهلا لها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠)﴾ [آية ٢٧ - ٣٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ ما ادعوه وسموه الأملاك الكرام ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو وسائطه العلم ولا علم لهم ﴿شَيْئًا﴾ أمرا ما.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ومحا حكم الأمر المسطور حكم أمر أعمال الحسام أو الإسلام ﴿ذَلِكَ﴾ رومهم مصالح الدار الأولى ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ حد ما وصل له علمهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنِ اهْتَدَى﴾ وهو معامل كل أحد على عمله صالحا أو طالحا، وكل وارد موارد عمله.

﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)﴾ [آية: ٣١، ٣٢]:

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أسرا وملكا ومملوك ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ إلحادا وسواه ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ إسلاما وسواه كسائر صالح الأعمال ﴿بِالْحُسْنَى﴾ دار السلام.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ كل ما أوعد الله عامله أو ما أدى عامله إلى الحد ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ أحد المار حكمه مع العار ﴿إِلا اللَّمَمَ﴾ كمس إلا مراد أو لمسه لا لو لامسه ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ عالم أحوالكم وأعمالكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ﴾ والدكم آدم ردد الله له السلام ﴿مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ حال لا حس لكم ولا إدراك صوركم وسدد أموركم ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ مدحا لأعمالكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨)﴾ [آية: ٣٣ - ٣٨]:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عما هو إسلام وعاد إلى إلحاده.

﴿وَأَعْطَى قَلِيلا﴾ مما سماه لمعاهده على حمله الألم لدى المعاد لو عاد إلى إلحاده، ولما عاد إلى سوء مسلكه أعطى معاهده، ورواه مما سماه له ﴿وَأَكْدَى﴾ ما أكمل لمعاهده السمى.

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ المعاهد له على حمله الألم حاملا ما أعده الله له على إلحاده وسوء عمله.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ما أوحاه الله له وهو كلامه.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أكمل ما أمره الله وعاهده على عمله والمحرر وسط ما أوحاه الله لموسى، وما أوحاه لوالد الرسل أكمل الله لهما السلام.

﴿أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ حاصل المراد: كل أحد حامل عمله لا أحد حامل حمل أحد.

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى (٤١) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦)﴾ [آية: ٣٩ - ٤٦]:

﴿وَأَنْ﴾ أصله العامل المؤكد كالأول ﴿لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ لدى معاده، وهو وارد موارده ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ الأكمل.

﴿وَأَنَّ﴾ رواه راوٍ مكسور الأول ﴿إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ وراء الحمام، وهو معامل كل أحد على عمله.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ﴾ سر ﴿وَأَبْكَى﴾ أهم.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾ لدى حل الأعمار ﴿وَأَحْيَا﴾ لورودهم إلى المعاد.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم الحال وسط الأرحام لدى الوطء ﴿إِذَا تُمْنَى﴾ المراد: طرحها إلى الرحم.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [آية: ٤٧ - ٦٢]:

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأخْرَى﴾ وراء الحمام وعود الأرواح للورود موارد الأعمال.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ الأمم أموالا، ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى المال المعد كالطاس والكأس وسواهما، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾(١).

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأخْرى﴾ أي إعادة الأرواح في الأشباح للبعث. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿النَّشَاءَةَ﴾ بفتح الشين والمد؛ أي وعد ذلك ووعده صدق. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ قال ابن زيد: أغنى من شاء وأفقر من شاء ثم قرأ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سبأ: ٣٩] وقرأ ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] واختاره الطبري. وعن ابن زيد أيضا ومجاهد وقتادة والحسن: ﴿أَغْنَى﴾ مول ﴿وَأَقْنَى﴾ أخدم. وقيل: ﴿أَقْنَى﴾ جعل لكم قنية تقتنونها، وهو معنى أخدم أيضا. وقيل: معناه أرضى بما أعطى أي أغناه ثم رضاه بما أعطاه؛ قاله ابن عباس. وقال الجوهري: قني الرجل يقنى قنى؛ مثل غني يغنى غنى، وأقناه الله أي أعطاه الله ما يقتنى من القنية والنشب. وأقناه الله أيضا أي رضاه. والقنى الرضا، عن أبي زيد؛ قال =

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأولَى﴾ هم ملأ هود، وعاد وراءهم، وهم ملأ صالح ردد الله لرسولهما السلام، وسماها الله أولى لورودهم أول الأمم هلاكا وراء والد سام أكمل الله له السلام.

﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ أحدا لا لهؤلاء، ولا لأولئك.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ أهلكهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ لصكهم رسولهم إلى وصوله لحد عدم الحراك.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ لأمم لوط كسدوم، وصادوم، وعمورا وصوائم ﴿أَهْوَى﴾ حطا إلى الدرك وراء سمكها إلى السماء وأهواها الملك الروح.

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ عماه له ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾.

﴿هَذَا﴾ محمد رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى﴾ رسول كالرسل الأول أرسل كما أرسلوا الأمم.

﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ حال حول الساعة ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه روح ﴿كَاشِفَةٌ﴾.

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ كلام الله المكرم ﴿تَعْجَبُونَ﴾.

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ﴾ لسماع ما أوعده ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ كلكم لاه عما أمره مولاه ﴿فَاسْجُدُوا لِلهِ وَاعْبُدُوا﴾ اركعوا وصلوا لله لا للصور سواه.

=

وتقول العرب: من أعطي مائة من المعز فقد أعطي القنى، ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطي الغنى، ومن أعطى مائة من الإبل فقد أعطي المنى. ويقال: أغناه الله وأقناه أي أعطاه ما يسكن إليه. وقيل: ﴿أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أي أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه؛ قال سليمان التيمي. وقال سفيان: أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا. وقال الأخفش: أقنى أفقر. قال ابن كيسان: أولد. وهذا راجع لما تقدم. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ ﴿الشِّعْرَى﴾ الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، وهما الشعريان العبور التي في الجوزاء والشعرى الغميصاء التي في الذراع؛ وتزعم العرب أنهما أختا سهيل. وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان ربا لغيره؛ لأن العرب كانت تعبده؛ فأعلمهم الله جل وعز أن الشعرى مربوب ليس برب. واختلف فيمن كان يعبده؛ فقال السدي: كانت تعبده حمير وخزاعة. وقال غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة حين دعا إلى الله وخالف أديانهم؛ وقالوا: ما لقينا من ابن أبي كبشة! وقال أبو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر عليه: لقد أمر ابن أبي كبشة. وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١١٩/١٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القمر

مكية، وآيها خمس وخمسون آية

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾(١) [آية: ١ - ٨]:

---

(١) افتتحت السورة الكريمة بهذا الافتتاح الذي يبعث في النفوس الرهبة والخشية، فهو يخبر عن قرب انقضاء الدنيا وزوالها. إذ قوله - تعالى - : ﴿اقتربت الساعة﴾ أي: قرب وقت حلول الساعة، ودنا زمان قيامها. والساعة في الأصل: اسم لمدار قليل من الزمان غير معين، وتحديدها بزمن معين اصطلاح عرفي، وتطلق في عرف الشرع على يوم القيامة. وأطلق على يوم القيامة يوم الساعة، لوقوعه بغتة، أو لسرعة ما فيه من الحساب، أو لأنه على طوله قدر يسير عند الله - تعالى - . وقد وردت أحاديث كثيرة، تصرح بأن ما مضى من الدنيا كثير بالنسبة لما بقي منها، ومن هذه الأحاديث ما رواه البزار عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "خطب أصحابه ذات يوم، وقد كادت الشمس أن تغرب.. فقال: "والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها، إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه "".

وروى الشيخان عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "بعثت أنا والساعة هكذا " وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى. وشبيه بهذا الافتتاح قوله - تعالى - : في مطلع سورة الأنبياء: ﴿اقترب لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ وقوله - سبحانه - في افتتاح سورة النحل: ﴿أتى أَمْرُ الله فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والمقصود من هذا الافتتاح المتحدث عن قرب يوم القيامة، تذكير الناس بأهوال هذا اليوم، وحضهم على حسن الاستعداد لاستقباله عن طريق الإيمان والعمل الصالح. =

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ لما سأل أهل الإلحاد رسول الله صلى الله على روحه وسلم أمرًا دالا على الإرسال حصل الأمر المحرر أو ما حصل، وهو حاصل لدى ورود الساعة.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾ هو ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ دائم.

﴿وَكَذَّبُوا﴾ الرسول ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ عمل صالح أو طالح ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾ مع أهله وسط دار السلام أو سوء الدار.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ﴾ كهلاك الأمم الأول عاد وسواهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ اسم مصدر والمرد ردع لهم.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ إكماله ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ كل أمر مروع.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ الأمر لمحمد أكمل الله له السلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ هو الملك مأمور الصور ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ هو السؤال، وورود الأمم موارد أعمالهم.

﴿خُشَّعًا﴾ ورواه راوٍ على العدد كركع ﴿أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ الرموس واللحود ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ لرمؤ عددهم ﴿مُهْطِعِينَ﴾ إسراعا مع مد كردهم ورؤوسهم ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي

=

وقوله - تعالى - : ﴿وانشق القمر﴾ معطوف على ما قبله عطف جملة على جملة. وقوله: ﴿وانشق﴾ من الانشقاق بمعنى الافتراق والانفصال. أي: اقترب وقت قيام الساعة، وانفصل وانفلق القمر بعضه عن بعض فلقتين، معجزة للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكان ذلك بمكة قبل هجرته - صلى الله عليه وسلم - بنحو خمس سنين، وقد رأى هذا الانشقاق كثير من الناس. وقد ذكر المفسرون كثيرا من الأحاديث في هذا الشأن، وقد بلغت الأحاديث مبلغ التواتر المعنوي. قال الإمام ابن كثير: وهذا أمر متفق عليه بين العلماء - أي: انشقاق القمر - ، فقد وقع في زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. ثم ذكر - رحمه الله - جملة من الأحاديث التي وردت في ذلك، ومنها ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي - صلى الله عليه وسلم - آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾. وأخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصار فلقتين: فلقة على هذا الجبل وفلقة على هذا الجبل. انظر التفسير الميسر (١١/٦٥).

مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [آية: ٩ - ١٧]:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ الهاء لأهل الحرم الحرام ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ رسولهم والد سام ردد الله له السلام ﴿وَقَالُوا﴾ هو ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ مرادهم: اسمعوه العوراء والمكروه وردعوه عما ادعاه.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ ومراده له على أعدائه.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أمطار.

﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ المراد كلاهما ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ الأمر هو هلاكهم وسط الماء.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ واحدها دسار مكسور الأول، وهو المسمار.

﴿تَجْرِي﴾ لما علا الماء على سطحه ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ مرأى وكالئ ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ وهو رسولهم، ورواه راوٍ للمعلوم.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ المراد: أم الألواح والدسر ﴿آيَةً﴾ للامم وراءهم ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ هل حل محله أم لا، والمراد: هو حال محله، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢)﴾ [آية: ١٨ - ٢٢]:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ رسولهم هودا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ حل محله، ووصل إلى أهله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ حسوم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الحسوم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما سطر ﴿أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ هاد ممدود وحاكوها لطولهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ المراد: هل حل محله، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢)﴾ [آية: ٢٣ - ٣٢]:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ الدلائل على الإرسال ورسولهم صالح وما أسلموا له.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا﴾ مرادهم: لو حصل سلوكهم كلهم على مسلك أحدهم وهو صالح ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ عما هو هدى ﴿وَسُعُرٍ﴾ هوس.

﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ﴾ ما أوحاه الله له ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ سمد، ومرادهم: ما أوحى الله له وما ادعاه لا أصل له.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ لدى المعاد ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ هم أم رسولهم صالح.

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾ كما سألوا رسولهم حكم مرادهم ومرامهم ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ الأمر لصالح ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على كل مكروه عملوه لك.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾ لها وهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ مساء لهم ومساء لها ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ لأهله، وسلكوا على الحكم المسطور مددا ولما ملوه أصروا على إهلاكها.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ أحدهم ﴿فَتَعَاطَى﴾ الحسام ﴿فَعَقَرَ﴾ أهلك كما أمروه وأصروا كلهم على الأمر المحرر.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ هل حل محله أم لا.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاحها الملك الروح أكمل الله له السلام فكانوا ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ الكلاء أو العود المكسر بعسائه، وروى راوٍ ما أمام الراء مكسورا، وراوٍ على سوى الكسر كإمامه، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ

مُدَّكِرٍ (٤٠)﴾ [آية: ٣٣ - ٤٠]:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ الدلائل على إرسال لوط.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أرواحا حوامل للحصى واحدها ما وصل إلى ملئ الراحه ﴿إِلا آلَ لُوطٍ﴾ المراد: وهلكوا كلهم إلا أهل لوط وهم أولاد اللاء معه وسط داره ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ هو احد الأسحار.

﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ الله إسلاما وعملا على مسلك أوامره وأطاع رسله.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ روعهم لوط ﴿بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا﴾ ماروا وردوا ما روعهم رسولهم ﴿بِالنُّذُرِ﴾ الدلائل على صحاح مدعاه.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ وهم الأملاك لما وردوا على لوط على صور مرد ملاح، وسمع ملاؤه ورودهم ووصلوا إلى داره وسألوه عدم وسعهم عما أرادوه ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ مسحها الملك الروح وأعماهم، وصاروا طمسا لا محل لمرآهم أصلا.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ مآل أمر الدلائل على الإرسال وردها هو الهلاك لزادها.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ دائم إلى حلولهم سوء الدر ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)﴾ [آية: ٤١ - ٤٦]:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ ملأه وهو معهم ﴿النُّذُرُ﴾ الدلائل على الإرسال مع موسى وولد أمه ردد الله لهما السلام كعلو الماء والدم، وكل أمر مورع وما أسلموا و﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ إهلاكا ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ على ما أراده وهو الله.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ الكلام مع أهل الحرم الحرام ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ الأولى عددهم أو لهم ملأ والد سام إلى أمم موسى ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾ سلام ورد لكم مما هو إهلاك ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الطروس اللاء أوحاها الله إلى رسله لا ما الأمر كما حرر ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ على رسول الله محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[1] وحصل وكسروا ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ﴾ المراد: ألمها وما أعده الله لهم لدى ورودهم موارد أعمالهم ﴿أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ مما حصل لهم، وهو علو الرسول على عسكرهم.

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [آية: ٤٧ - ٥٣]:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ﴾ حالا وهو إهلاكهم ﴿وَسُعُرٍ﴾ مآلا لدى المعاد وهو دار السوأى.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ والكلام لهم هو ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ألم سوء الدار.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ حال كل، وروى راوٍ كلا مسموكا على أول الكلام.

﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لكل مراد حصوله ﴿إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ إسراعا.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ الأمم اللاء حاكى حالهم حالكم إلحادا وسوء مسلك ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ سؤال ورد مورد الأمر، والمراد كروا.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ الهاء عائد إلى الأمم كلهم مسطر ومحرر ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ طروس الأملاك.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿سيُهزم الجَمْعُ﴾ جمع أهل مكة، ﴿ويُولُّون الدُّبر﴾ الأدبار. والتوحيد لإرادة الجنس، أو: إرادة أنّ كل منهم يُولّي دبره، وقد كان كذلك يوم بدر. قال عمر رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ كنت لا أدري أي جمع يُهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع، ويقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ فعرفت تأويلها، فالآية مكية على الصحيح، ﴿بل الساعةُ موعدُهُم﴾ أي: ليس هذا تمام عقوبتهم، بل الساعة موعد أصل عذابهم، وهذا طلائعه، ﴿والساعةُ أدْهَى وأمرُّ﴾ أي: أقصى غاية من الفظاعة والمرارة من عذاب الدنيا. والداهية: الأمر الفظيع الذي لا يُهْتَدَى إلى الخلاص منه، وإظهار الساعة في موضع إضمارها تربيةً لهولها. انظر البحر المديد (٣٨٨/٧).

﴿وَكُلُّ﴾ عمل ﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ حرر وسط اللوح.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ [آية: ٥٤، ٥٥]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ورواه راوٍ على العدد كأسد وأسد، والمراد والراح والعسل وسواهما.

﴿فِي مَقْعَدِ﴾ ورواه راوٍ على العدد كمصاعد ﴿صِدْقٍ﴾ محل سالم عما هو مكروه أو ملام أهله ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ﴾ ملك واسع الملك ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ على كل ما أراده.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الرحمن

مكية، أو مدنية، أو متبعضة

وآيها ثمان وسبعون آية

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] [آية: ١ - ١٣]:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ﴾ كل أحد أراد العلم له ﴿الْقُرْءَانَ﴾.

﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾ ولد آدم كلهم.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الكلام.

---

(١) قال الرازي: اعلم أولا أن مناسبة هذه السورة لما قبلها بوجهين أحدهما: أن الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة وهو انشقاق القمر، فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال وقد الرجال، وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم، فإن شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب ثانيهما: أنه تعالى ذكر في السورة المتقدمة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر: ١٦) غير مرة، وذكر في السورة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ١٣) مرة بعد مرة لما بينا أن تلك السورة سورة إظهار الهيبة، وهذه السورة سورة إظهار الرحمة، ثم إن أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها حيث قال في آخر تلك السورة: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِ﴾ (القمر: ٥٥)، والاقتدار إشارة إلى الهيبة والعظمة وقال ههنا: ﴿الرَّحْمَانُ﴾ أي عزيز شديد منتقم مقتدر بالنسبة إلى الكفار والفجار، رحمن منعم غافر للأبرار. انظر تفسير الرازي (٣٤١/٢٩).

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ كلاهما سائر على حده المحدود له.

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ كلاهما طائع لمراد مولاه وآسره.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ العدل لكمال صلاح أمر العالم لـ ﴿أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ حطا مما هو له.

﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ دحاها دحوا ﴿لِلأَنَامِ﴾ العالم ولد آدم وسواهم.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ واحده وعاء الطلع.

﴿وَالْحَبُّ﴾ كالسمراء والعدس ﴿ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ للمعاطس.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا﴾ الكلام للأولى هم مورد الأمر والوادع ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ١٤ - ١٨]:

﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾ آدم ردد الله له السلام ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ حال عاس له صلصله ﴿كَالْفَخَّارِ﴾.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ الوسواس عدو آدم المطرود ﴿مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مطلع عصر الحر وعكسه، ومطلع عصر الصرصر وعكسه ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣)﴾ [آية: ١٩ - ٢٣]:

﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ الحلو والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ للمرآى.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حد ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾ كحلول الحلو وسط الملح أو الملح وسط الحلو ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يَخْرُجُ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿مِنْهُمَا﴾ المراد أحدهما، وهو الملح ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الأحمر ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥)﴾ [آية: ٢٤، ٢٥]:

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ **أولو الدسر والألواح** ﴿الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ **كالأطواد علوا وسموا** ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)﴾ [آية: ٢٦ - ٣٠]:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ **هالك،** ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ **أورده وأراد الأعم** ﴿ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ **على العوالم والأمم، مسلمهم وملحدهم، عطاؤه طام وإكرمه عام** ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ **سؤال كلام، أو سؤال حال العطاء، ومحو سوء أعمالهم، أو صالح أمورهم** ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ **أمر كإعطاء سائل وحسر مكروه ولأوى وسواها** ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦)﴾ [آية: ٣١ - ٣٦]:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾ **المراد: سؤاله لهما عما سدر وعمل كلاهما واحد واحدا، إما دار السلام، أو سوء الدار** ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ **صعوداً أو حدورا، وكلاهما أمر محال** ﴿لا تَنْفُذُونَ﴾ **صرودا إلى ما وراءهما** ﴿إِلا بِسُلْطَانٍ﴾ **إلا مسلطا على الصرود إلى ما وراءهما، وهو معدوم، وحال عدمه صرودكم معدوم** ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ **سعر** ﴿مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ **مهل محلول ومهال على رؤوسهم** ﴿فَلا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ

الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)﴾ [آية: ٣٧ - ٤٥]

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ صدعا وصار لها سدد لحلول الأملاك ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ حمراء كالورد ﴿كَالدِّهَانِ﴾ المسك الأحمر على عكس حالها المعهود ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ المراد: حال صدع السماء وعودها حمراء كالورد والمسك الأحمر ﴿لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ ووراءه كلاهما مسئول عما عملوه ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ والكلام لهم.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ﴾ كلهم ساع ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿آنٍ﴾ ألد الحراره ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١)﴾ [آية: ٤٦ - ٦١]:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾[1] لسؤاله الأمم عما عملوا وإرسال كل لمحله هو أهله

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قول الحق جلّ جلاله: ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ ربه﴾ أي: قيامه بين يديه للحساب ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ أو: قيامه تعالى على أحواله، من: قام عليه، إذا راقبه، كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]. قال مجاهد: هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله تعالى، فيدعها من خوفه. قال السدي: شيئا، مفقودان: الخوف المزعج، والشوق المقلق. هـ. أي: للخائف ﴿جنتانِ﴾ أي: بستانان من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، مسيرة كل بستان: مائة سنة. وقال صلى الله عليه وسلم: "هل تدرون ما هاتان الجنتان؟ هما بستانان في بستانين، قرارهما لابث، وفرعهما ثابت، وشجرهما نابت"، أَكْرَم بهما المؤمن ليتكامل سروره بالتنقُّل لمن جنة إلى جنة، وقيل: جنة لخوفه وجنة لتركه شهوته، أو: جنة لعقيدته وجنة لعمله، أو: جنة لفعل الطاعة وجنة لتركه المعصية، أو: جنة يُثاب بها وجنة يُتفضل =

﴿جَنَّتَانِ﴾ أحداهما لولد آدم، وأحدهما لولد الوسواس عدو آدم المطرود ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أعواد ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ عهدوها وأمرها معلوم لهم ﴿زَوْجَانِ﴾ واحد معلوم لهم، وواحد ما هو معلوم وما عهدوه مر أو حلو ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال عامله مطروح ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ حملهما ﴿دَانٍ﴾ صدد لكل أكل على كل حال هو ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِنَّ﴾ المراد: ما حواه كلاهما وهو الصروح ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ إلا على الماهر ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ وطئا ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾ لعدم الكدر والكمد ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ اللؤلؤ حورا ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَاءُ الإِحْسَانِ﴾ سلوكهم على مسالك أمر مولاهم ﴿إِلا الإِحْسَانُ﴾ الآلاء اللاء عددها دار السلام وما وسطها ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [آية: ٦٢ - ٧٨]:

=

عليه بها، أو: روحانية وجسمانية، أو: جنة للسابقين وجنة لأهل اليمين، أو: جنة للإنس وجنة للجن؛ لأنّ الخطاب للثقلين، كأنه قيل: لكل خائف منكما جنتان. والأول أرجح، وسيأتي في الإشارة بقيته، ﴿فبأي آلاء ربكما تُكَذِّبان﴾. انظر البحر المديد (٤١٦/٧).

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ للأولى هم ما وصلوا إلى كمال أهل أولئك ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ سواد كلأ وسواه مما هو معطر المعاطس ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ ماء دائما لا حسم له ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾ حور ﴿حِسَانٌ﴾ أسرا وكلاما وحواس ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿حُورٌ﴾ سود المرأى مع حور أحورها ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ وكلها أصلها الدر ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ وطئا، والمراد: عدم الأهوال أصلا ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال مطروح العامل ﴿عَلَى رَفْرَفٍ﴾ وسائد ﴿خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ﴾ حصرا وما حاكاها ﴿حِسَانٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ ورود الاسم كوروده وسط داع اسم الماء، والمراد: الماء، والاسم وصل ﴿ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ على كل الأمم صالحهم وطالحهم على الأعم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الواقعة

مكية، وآيها ست وتسعون آية

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [آية: ١ - ٩]:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[1] صدر أمر الساعة.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ كل الأمم مسلم حصولها حال وصولهم لها.

﴿خَافِضَةٌ﴾ أمما إلى أحط الدرك وهم أهل سوء الدار ﴿رَافِعَةٌ﴾ أمما إلى المحل الأسمى وهم أهل دار السلام.

﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ إلى كل محل كالإعصار.

﴿وَكُنْتُمْ﴾ لدى المعاد ﴿أَزْوَاجًا ثَلاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم كل معطى طرس

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة، والمراد النفخة الأخيرة. وسميت واقعة لأنها تقع عن قرب وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد. وفيه إضمار، أي اذكروا إذا وقعت الواقعة. وقال الجرجاني: ﴿إِذَا﴾ صلة، أي وقعت الواقعة، كقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ و﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ وهو كما يقال: قد جاء الصوم أي دنا واقترب. وعلى الأول ﴿إِذَا﴾ للوقت، والجواب قوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾. ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ الكاذبة مصدر بمعنى الكذب، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر، كقوله تعالى: ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ أي لغو، والمعنى لا يسمع لها كذب، قاله الكسائي. ومنه قول العامة: عائذا بالله أي معاذ الله، وقم قائما أي قم قياما.. انظر الجامع في أحكام القرآن (١٧/١٩٥).

أعماله إلى أكرمهما ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ إكراما سوى حلولهم دار السلام.

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ هم كل معطى طرس أعماله لها ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ألما وكدرا وحلولا دار السوأى.

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ١٠ - ٤٠]:

﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ إلى كل كمال، وهم الرسل الكرام وما عم الرسل ﴿السَّابِقُونَ﴾ أورده مؤكدا.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ﴾ ملأ أول كلام ﴿مِنَ﴾ الأمم ﴿الأَوَّلِينَ﴾ هم مسلمو الرسل الأول السالكوا مسالك أمر الله ورسله.

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ هم أهل الأسلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ محمول على أول الكلام المار، وهو ما أدى مؤدى الملأ ﴿مَوْضُونَةٍ﴾ محاك عمودها مما هو أصل الدراهم ومرصع درا وسواه.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ كلاهما حال.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ مرد ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ لا هرم لهم أصلا وأمدا.

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أكؤوس لا عرى لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ ما لها عرى وما هو كالمعطس، ﴿وَكَأْسٍ﴾ وعاء الراح على العموم ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ مدام سائل كالماء لا حسم له أمدا.

﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ لا صداع حاصل لهم، ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ سكرا كمطور أحلامهم.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ﴾ لَدِّ سواد المرأى وحورها ﴿عِينٌ﴾ واحدها كحمراء، والمراد: مرآها واسع.

﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ عوراء الكلام وعاره ﴿وَلا تَأْثِيمًا﴾ محرم الكلام ومكروهه.

﴿إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا﴾ هو مسموعهم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ مرصع حملا أعلاه وأحطه.

﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ دائم ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ هامع دائما ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ﴾ عصرا ما ﴿وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا عطاء درهم، ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ على السرر ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ الهاء عائد على الحور ﴿إِنْشَاءً﴾ لا مولدا لأم أو والد ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا﴾ أهل دلال ﴿أَتْرَابًا﴾ الكل عمرا واحدا ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ﴾ ملأ ﴿مِنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ﴾ ملأ ﴿مِنَ الآخِرِينَ﴾.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ (٥٧)﴾ [آية: ٤١ - ٥٧]:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ﴾ حرصا ردٍ وسط المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ما حار.

﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ هواء أسود حار ﴿لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ كسواه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ آلاء.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ﴾ العمل المحرم ﴿الْعَظِيمِ﴾ هو الإلحاد.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ إلى المعاد والورود

موارد العمال ردا على كل مدع حصوله.

﴿أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ هو عصر المعاد لورود الأمم على موارد عملهم صالحهم إلى دار السلام وطالحهم إلى سوء الدار والكدر الدائم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ لأمر المعاد ﴿لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ المراد: على مأكولهم المسطر ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾ الماء الحار.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ الرواحل مسها الأوام.

﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾ ما أعده الله لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا﴾ هلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ [آية: ٥٨ - ٦٢]:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ماء ولد آدم المهال إلى الأرحام حال الوطء ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ ولدا ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ الماء المسطور أولادا وسط الأرحام.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ كأسر سواكم وإحلاله محلكم ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ ركسا لصوركم إلى صور سواها ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)﴾ [آية: ٦٣ - ٦٧]:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ المراد: إطرارا له ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ طاروه طرا.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ مكسر إعساء ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أمرا أو سدما على ما عراكم ودهمكم وكلامكم لدى حلوله هو.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ لمطور أموالهم أو لهلاكهم.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حرموا أموالهم لهلاكها.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (٧٠)﴾ [آية: ٦٨ - ٧٠]:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ هو الركام الحامل للأمطار ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾.

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ ملحا ﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ [آية: ٧١ - ٧٢]:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ لها ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لسعر دار السوأى ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ المراد: لصالح أمر سواح المهامه.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ والاسم وصل، والمراد: الله علا اسمه وسما حمده.

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾ [آية: ٧٥ - ٨٠]:

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ (لا) للوصل لا مؤدى لها ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ لدلوكها.

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ﴾ الكلام الموحى إلى رسولكم محمد صلى اله على روحه وسلم ﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ هو اللوح.

﴿لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ﴾ المراد: ما مس اللوح اطلاعا على ما حواه إلا كل مطهر، وهم الأملاك أو الهاء عائد لكلام الله المكرم، وأورد لا وارد الردع عما هو مس لسوى المطهر ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ (٨٥)﴾ [آية: ٨١ - ٨٥]:

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ الكلام المكرم ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ المراد: محل حمدكم مولاكم على حلول الأمطار ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ كادعائكم حلول المطر لطلوع عطارد أو سواه.

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿الْحُلْقُومَ﴾ مسلك الطعام ﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ إلى حال الوارد على مصارع حمامه.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ علما واطلاعا ﴿وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾ ما لكم إدراك.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [آية: ٨٦ - ٩٦]:

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ المراد: لا ورود لكم إلى المعاد على مدعاكم، ولا على موراد أعمالكم.

﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ رد الروح الوارد موراد حمامه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ صححوا مدعاكم، وردوا روح الوارد على مصارع حمامه.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾[1] الوارد موارد حمامه ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ لدى الله، وهم أهل الكمال والمحل الأسما.

﴿فَرَوْحٌ﴾ المراد: راحه ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ عطاء وإكرام ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أهل الإسلام الأولى أعطوا طروس أعمالهم

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث، وبين درجاتهم فقال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ هذا المتوفى ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ وقراءة العامة ﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا. قال الحسن: الروح الرحمة. الضحاك: الروح الاستراحة. القتبي: المعنى له في طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الروح النظر إلى وجه الله، والريحان الاستماع لكلامه ووحيه، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ هو ألا يحجب فيها عن الله عز وجل. وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم الجحدري ورويس وزيد عن يعقوب ﴿فَرُوْحٌ﴾ بضم الراء، ورويت عن ابن عباس. قال الحسن: الروح الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم. وقالت عائشة رضي الله عنها: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَرُوْحٌ﴾ بضم الراء ومعناه فبقاء له وحياة. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٣٢/١٧).

إلى أكرمهما.

﴿فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ المراد: سلام لك عما هو ألم وكدر له.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ﴾ له لحد أو المراد محله وسط دار السوأى ﴿مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أومأ إلى ما أعد لهؤلاء أهل الإلحاد ولأولئك السعداء ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ على كل أحد سواه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحديد

مدنية، وآيها تسع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ كل العوالم إما حمدوه حمد كلام أو حمد حال ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ محل أموره كلها محلها.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا مالك لهما سواه ﴿يُحْيِي﴾ أولا وسط الأرحام أو ما حكمه كحكمها ﴿وَيُمِيتُ﴾ لدى ورود العمر المحدود ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ على سائر العوالم لا أحد معه ﴿وَالآخِرُ﴾ وراء هلاكهم كلهم، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ لسطوع الدلائل، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عما هو إدراك الحواس ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]

---

(١) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ تقدم. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ أي يدخل فيها من مطر وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وغيره =

[آية: ٤ - ٦]:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ المراد: الملك، أو الله أعلم ما المراد ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ حلولا وسطها كالأمطار وكل هالك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالكلاء وكل محصود ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحم وكل ألم ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ صعودا ﴿فِيهَا﴾ كصالح الأعمال وطالحها ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ علما واطلاعا على أحوالكم لكها ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ كلها.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ حلولا ﴿فِي﴾ مدد ﴿النَّهَارِ﴾ لحصوله طوله ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾ حلولا ﴿فِي﴾ مدد ﴿اللَّيْلِ﴾ لحصول طوله ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ كل سر طواه الصدر.

﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿آمِنُوا﴾ الأمر للدوام، والمراد: دوموا على الإسلام ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ عصرا ما هو مالكه أمامكم ووراء هلاككم ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ أومأ إلى الأمام وراء عمر المسال دمه عدوا وسط الدار ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ الكلام مع كل ملحد على العموم ﴿وَالرَّسُولُ﴾ محمد أكمل الله له السلام ﴿يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ﴾ رواه راوٍ على وروده للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم على لا إله إلا الله لدى عالم الأرواح ﴿إِنْ كُنْتُمْ

=

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق ومطر وملك ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني بقدرته وسلطانه وعلمه ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يبصر أعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شيء منها. وقد جمع في هذه الآية بين ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وبين ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ والأخذ بالظاهرين تناقض فدل على أنه لا بد من التأويل، والإعراض عن التأمل اعتراف بالتناقض. وقد قال الإمام أبو المعالي: إن محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٣٧).

مُؤْمِنِينَ﴾ اسلكوا مسالك العهد الأول.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ كلام الله المكرم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ لآلاء الإسلام ﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لإرساله لكم الرسول وكلامه المكرم.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ وراء إسلامكم ﴿أَلا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ولا دوام للأموال مع أحد ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ لأم رحم سكه ﴿وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ﴾ وراء علو أهل الإسلام على أم رحم ﴿وَقَاتَلُوا وَكُلا﴾ هؤلاء وأولئك ﴿وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ دار السلام ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المراد: وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ كإعطاء سهم الأموال إلى كل مكر على اعدائه وسواهم مما أمر ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ إلى حد هو عالمه ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ إكرام كامل.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [آية: ١٢]:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ والكلام لهم ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ المراد: حلولها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ [آية: ١٣ - ١٥]:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾ ورواه راوٍ كأكرم، والمراد: الإمهال ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ﴾ لهم ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ وعادوا كما أمروا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ حد محدود ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾ أمام أهل الإسلام ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ﴾ إلى أهل الإلحاد ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ لإسلامهم كلاما وإصرارهم على الإلحاد وصدرا وسرا ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ لإصراركم على الإلحاد ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ حلول الدوائر على أهل الإسلام ﴿وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾ طول أعماركم أو أطماعكم على الأعم ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ الحمام الموعود ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ الوسواس.

﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾(١) عدل محلكم ﴿وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم أهل الإلحاد سرا وكلاما، وهؤلاء أهل إلحاد سرا وأهل إسلام كلاما ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ﴾ أولى لكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سوء الدار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾ [آية: ١٦، ١٧]:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ﴾ رواه راوٍ كهدد، وراوٍ كعدل عدلا ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ كلامه المكرم ﴿وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ هم الهود، وأمم الروح ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ﴾ لطول أعمارهم وأمالهم، أو المراد: عصر ورود الرسول وراء الرسول أمامه، ورواه راوٍ الأمد كدمل ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿اعْلَمُوا﴾ الأمر لأهل الإسلام ﴿أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ﴾ كلأ ومحصودا ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عسائها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الدلائل على الأمر المسطور وسواه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ المراد: لحصول كمال الإدراك لكم.

---

(١) قال الرازي: اعلم أن الفدية ما يفتدى به فهو يتناول الإيمان والتوبة والمال وهذا يدل على أن قبول التوبة غير واجب عقلا على ما تقوله المعتزلة لأنه تعالى بين أنه لا يقبل الفدية أصلا والتوبة فدية فتكون الآية دالة على أن التوبة غير مقبولة أصلا وإذا كان كذلك لم تكن التوبة واجبة القبول عقلا. انظر تفسير الرازي (١٩٨/٢٩)

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩)﴾ [آية: ١٨، ١٩]:

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ لعله هو حلولهم دار السلام.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ المراد: حووا أكمله ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على الأمم كل ملحد وراد دعوى الرسل الكرام ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدلائل على لا إله إلا الله ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ سوء الدار ومأوى الهموم والأكدار.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آية: ٢٠]:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ المراد: وكل ما سطر لا دوام له، وحالها مع أهلها الأولى صار أهم أمورهم حطامها هو ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ المراد: كل أكار ﴿نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ عساه ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لكل مهموم لأمور الدار الأولى ووادع أمر معاده ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ﴾ للسالك مسالك أوامر الله والصائر همه كله وعمله لأمر معاده ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حطامها وعمرها ﴿إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ لعدم دوامه.

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)﴾ [آية: ٢١ - ٢٤]:

﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ المراد: سارعوا إلى كل عملٍ أدى عامله لها ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ والله أعلم كم طولها ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ﴾ كحصول محل أو عامله ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كداء أو حمام الأولاد ﴿إِلا فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ المراد: إلا وهو محرر أولا حال عدم أسرها ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا﴾ المراد: سرور سمود ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ رواه راوٍ على المد، والمراد: أعطاكم، وراوٍ على سوى المد، والمراد: ما ورد لكم ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ سامد على الأمم.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ إمساكا عما هو سهم الأموال أحد أساس أحكام الإسلام الموصول أول كلام مطروح المحمول ومحموله هو كلهم معامل على سوء عمله، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عما أمره مولاه ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ المحمود، ولو عدم حمد كل حامد.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [آية: ٢٥]:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الأملاك إلى الرسل الكرام، والرسل الكرام إلى الأمم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ ال للعدد لا للعهد ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ للكر على الأعداء كالحسام والدروع ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كالمعول والموسى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ﴾ سطوع وإلا هو عالم الكل حال العدم ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ إعلاء لأوامره ﴿وَرُسُلَهُ﴾ كرا معهم على أعدائهم ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال الهاء العائد على الله ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

فَاسِقُونَ (٢٧)﴾ [آية: ٢٦ - ٢٧]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ والمراد: علم الرسم أو ما أوحاه الله إلى موسى، وداود، والروح، ومحمد صلى الله على كلهم وسلم ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الهاء عائد إلى أولاد والد سام، ووالد الرسل أكمل الله لهما السلام ﴿مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾ المراد: إرسال رسول وراء رسول ﴿عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا﴾ وراءهم إرسالا ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ المراد: وداع الحرم وعدم الوطء والحلول وسط الصوامع ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ هم ما أمرهم الله سلوكا على مسالكها ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾ عملوها لها ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٢٨، ٢٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لرسول الرح أمام الرسول محمد ردد الله لهما أكمل السلام ﴿اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ سهما وسهما ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ لإسلامكم أولا للروح ووراءه لمحمد أكمل الله لهما السلام ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿لِئَلا﴾ لا وصل لا مؤدى له ﴿يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ المراد: أعلمكم لحصول علم أهل الكلام الموحى لموسى ردد الله له السلام ما حاصله ﴿أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه مطروح ﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ مولى الآلاء والإكرام، ومعط الأولى هم أهلها، واللّاء أهلها على ما أدى حُكمه وحِكمه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المجادلة

مدنية، إلا العشر الأول، وآيها اثنتان وعشرون

﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ الكلام للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ أوس لما حرمها مكلما لها ما حاصله أهله كمطا أمه، وحكم الرسول صلى الله على روحه وسلم على حصول الحرام على الأمد كما عهدوا، ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾ حالها وعدمها وأولادا لها ﴿وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ للكلام والأحوال عالم ومطلع على الكل.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ رواه راوٍ كإدَّرَّك مكررا الدال والراء، وراوٍ، وهو ولد عامر كادارك، وراو، وهو عاصم كساهم ﴿مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿أُمَّهَاتُهُمْ إِلا اللائِي﴾ ورواه راوٍ اللاء مكسورا لا ممدودا ﴿وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ ورواه راوٍ حكم الأول ﴿مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ إلى إمساك أهله المحرمها ووطئها أو ما حكمه كحكم الوطء ﴿فَ﴾ على كل امرء عاد إلى ما حرر ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ سواء المحرر مسلما أولا ولدى إمام مصر الإسلام مراعى ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ وطئاً ولو وطئها مع عدم الحرار حرم، وعاد إلى الله وهاد ﴿ذَلِكُمْ﴾ الحكم المسطور ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ للإرعواء والردع ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ ما هو محرره ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ ولو حصل الوطء حال عدم إكمال الصوم عاده ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصوم المحرر لهم أو علل ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لكل واحد وواحد صاع وعدم وطئه أهله مراعى ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى العدول إلى الصوم حال عدم حصوله ما هو محرره وإلى العدل إلى الإطعام حال الهرم أو العلل ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ سلوكا على أوامرهما ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ وأحكامه لكم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ كل راد أحكام الله وأوامره ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [آية: ٥، ٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا على سوى حدودهما ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأولى ردوا أحكام رسلهم وما أمروهم ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دلائل على صحاح ما ادعاه الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ماح لسمودهم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ كلهم إلى المعاد ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ وكل العوالم مطلع على سوء حالهم ﴿أَحْصَاهُ اللهُ﴾ علما وإحاطه ﴿وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما عوالم وأعمالا ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ علما واطلاعا على أحوالهم ﴿وَلا

خَمْسَةٍ إلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ المراد: علما واطلاعا لا حلولا كما هو معلوم لكل أحد له إدراك وإلمام ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وعلمه الكل على حد سواء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آية: ٨]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ هم الهود ردعهم الرسول عما حرر وعادوا له، ولما سلكوا مسالك ما ردعوا وما ارعووا أوحى الله لرسوله السرد المسطر ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾ كإحلالهم محل السلام السام على الرسول وهو الحمام ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ﴾ لو محمد رسولا كما ادعى ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾ حلولا ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سوء الدار لهم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)﴾ [آية: ٩ - ١٠]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ كما عمل هؤلاء ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم سائرها صالحها وطالحها.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ الأولى ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ هو حاملهم على سلوكها ومسولها لهم ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية: ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ أوسعوا ﴿فِي الْمَجَالِسِ﴾ ورواه عاصم على العدد كالمكارم ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾ وسط دار السلام ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾ إلى الركوع، وكل عمل صالح ﴿فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ﴾ وسط دار السلام ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أورده مهددا لهم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)﴾ [آية: ١٢، ١٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ المراد: أمامها ﴿صَدَقَةً﴾ كإعطاء الدراهم للمعدم وما سلك مسلكه أحد سوى ولد عم الرسول الأسد الكرار ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ والأمر المسطور ممحو المؤدى ومحا حكمه ما وراء، وهو:

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ أمامها ﴿صَدَقَاتٍ﴾ المراد: أروَّعكم إعطاء المال العدم ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ المراد: دوموا على سلوك هؤلاء الأطوار ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مطلع على أعمالكم ومعاملكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)﴾ [آية: ١٤ - ١٩]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾[1] وَالَوْا وَوَدُّوا ﴿قَوْمًا﴾ هم الهود، والأول هم أهل

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال قتادة: هم المنافقون تولوا اليهود ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ﴾ يقول: ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين بل هم مذبذبون بين ذلك، وكانوا يحملون أخبار المسلمين إليهم. قال السدي ومقاتل: نزلت في عبدالله بن أبي وعبدالله بن نبتل المنافقين، كان أحدهما يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينا النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجراته إذ قال: "يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان" فدخل عبدالله بن =

الإسلام كلاما لا صدرا وسرا ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾ أهل إسلام ﴿مِنكُمْ وَلا﴾ هم هود ﴿مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ وهو إسلامهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ عدم حصول إسلامهم سرا وصدرا.

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هو عملهم السوء ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ للحرص على أرواحهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا﴾ أهل الإسلام ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ إهلاك أهل الإسلام لهم وكرهم على أوالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ﴾ المراد: مما أعده الله لهم على سوء أعمالهم وإصرارهم على الإلحاد سرا وصدرا ﴿شَيْئًا﴾ ما ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ المراد: لله على إسلامهم ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ على الإسلام ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ لدى الله ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

﴿اسْتَحْوَذَ﴾ عال ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ ملاؤه ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

= نبتل - وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية - فقال عليه الصلاة والسلام: "علام تشتمني أنت وأصحابك" فحلف بالله ما فعل ذلك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "فعلت" فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت هذه الآية. وقال معناه ابن عباس. روى عكرمة عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة قد كاد الظل يتقلص عنه إذ قال: "يجيئكم الساعة رجل أزرق ينظر إليكم نظر الشيطان" فنحن على ذلك إذ أقبل رجل أزرق، فدعا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "علام تشتمني أنت وأصحابك" قال: دعني أجيئك بهم. فمر فجاء بهم فحلفوا جميعا أنه ما كان من ذلك شيء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ واليهود مذكورون في القرآن بـ ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء المنافقين ﴿عَذَاباً شَدِيداً﴾ في جهنم وهو الدرك الأسفل. ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بئس الأعمال أعمالهم ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ يستجنون بها من القتل. وقرأ الحسن وأبو العالية ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ بكسر الهمزة هنا وفي ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾. أي إقرارهم اتخذوه جنة، فآمنت ألسنتهم من خوف القتل، وكفرت قلوبهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار. والصد المنع ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أي عن الإسلام. وقيل: في قتلهم بالكفر لما أظهروه من النفاق. وقيل: أي بإلقاء الأراجيف وتثبيط المسلمين عن الجهاد وتخويفهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٧/٣٠٤).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [آية: ٢٠ - ٢٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ المحاد لهما السالك على سوى مسلك أوامرها ﴿أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾.

﴿كَتَبَ اللهُ﴾ وسط اللوح، أو المراد: حكم واراد، وكل ما أراده حاصل لا محال ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ عائل على أمره.

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ المراد: وداد صدر ﴿مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا عكس أوامرهما ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ الواو لكل محاد ﴿آبَاءَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإسلام ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ﴾ لآلاء الإسلام الحال وسط روعهم وصدورهم، أو المراد: كلام الله المكرم، أو هو العلو على أعدائهم وأعدائه ﴿مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ لسلوكهم مسالك الطاعة ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سرهم ما أعده لهم على أعمالهم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ﴾ الأولى سلكوا مسالك أمره وحادوا عما ردع ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ محصوله أمورهم على مرامهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحشر

مدنية، وآيها أربع وعشرون آية

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿سَبَّحَ لِلهِ﴾ اللام وصل لا مؤدى له وورد مؤكدا ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ **أورد ما اسماً موصولا لرموء الأولى لا أحلام لهم على أهل الأحلام** ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ **محل أموره كلها محلها.**

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ **محل لحد الرسول صلى الله على روحه وسلم** ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ **إلى ما مهمله السأم لما طردهم عمر والى الله له الإكرام** ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ **الكلام مع أهل الإسلام** ﴿أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ﴾ **المراد: مما أعده لهم وأراده** ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ﴾ **أمره أو ما أراده** ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ **ولا مرَّ لهم على حال** ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ﴾ **رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كهدد** ﴿بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ **حرصا على ما وسطها كالعمد وسواها، وعدم وداعها لأهل الإسلام** ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ **هدمها أهل الإسلام لوسع محل الكر والمعارك** ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾.

﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ﴾ **حكم واراد** ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ﴾ **الطرد** ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾

إهلاكا وأسرا ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ عصوا ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل عاص أوامره.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٥ - ٧]:

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ إحدى أصول حمل الكلد ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ وراوٍ رواه على أصلها كحمرها ﴿فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ أمره ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ المراد: الهود لما ادعوا ما حاصله حسم كل عود حامل دحس.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ﴾ رده أو أعاده ﴿عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ الهاء عائد لأهل الإلحاد ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ المراد: الإسراع والكلام لأهل الإسلام ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ﴾ حصل سهل لا عسر معه ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ مروعا ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ ما أعاده ورده له ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ مما هو أموال أهل الإلحاد ﴿فَلِلَّهِ﴾ سهم وسهمه إلى أعمار الحرم الحرام، وكل مصلى، وهو على ما محرر مسدس أو سهم الله ورسوله واحد ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ وسهم الرسول روى راوٍ إلى الإمام، وراوٍ إلى العساكر، وأعمار كل محل صار حدا إلى الإسلام ومحال أهل الإلحاد، وإلى مصالح الإسلام على العموم ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ إلى الرسول الأطهر صلى الله على روحه وسلم ﴿وَالْيَتَامَى﴾ لأهل الإسلام الهالك والدوهم ولا مال لهم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ أهل العدم والإسلام مراعى ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ سائح لا وصول له إلى ماله ﴿كَيْ لا﴾ المراد: لئلا ﴿يَكُونَ دُولَةً﴾ دولا لأهل الأموال ﴿بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ﴾ أعطاكم ﴿الرَّسُولُ﴾ كل أمر أعطاكموه على العموم ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل عاص أوامره.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [آية: ٨ - ١١]:

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ معمول لعامل مطروح، وهو روعوا لحالهم ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ حال ﴿وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ طرحا لأرواحهم وأموالهم لإعلاء أوامر الله وأحكامه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ إسلاما.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ دار لحد رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسدا ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أعطوا أولئك، وهو أموال أهل الإلحاد اللاء ساهموها ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وطر إلى ما أعطوه سواهم مأكلا أو مال ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها على الأموال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأولى حصلوا أمورهم على مرادهم.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هم أهل الإسلام إلى حلول الأدوار والأعصار ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا﴾ سوء صدر ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ومؤمل الدعاء، وحصول الآمال.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (١٢) لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ

عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)﴾[1][١١ - ١٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ مرادهم مما هو مصر لحد الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ المراد: على عدم علوهم على أعدائهم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ الرسول، وأهل الإسلام معه، ﴿وَإِنْ﴾ اللام الموطئ مطروح ﴿قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لعلمه عكس ما ادعوه وهو:

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ المراد: أرادوه وعولوا على صدوره ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ مكمل ما وطأه اللام ودال على مكمل العامل وراء اللام الموطئ ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ الواو للهود، أو لكل مسلم كلاما لا صدرا ومصر سرا على الإلحاد.

﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ روعا ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ صدور أهل الإسلام كلاما لا سرا وصدرا ﴿مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ الواو للهود، وكل مسلم كلاما ومصر على إلحاده صدرا ﴿جَمِيعًا إِلا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ لروعهم، ورواه راوٍ والد عمرو وسواه على الواحد ﴿بَأْسُهُمْ﴾ كرهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ وواه لو كروا على الرسول وأهل الإسلام معه لروع أودعه الله صدورهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ﴾ طردوا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ والمراد: حال هؤلاء الهود كحال الأمم الأول هلاكا ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء مآل إلحادهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم لدى المعاد.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ أي منهزمين. ﴿لا يُنْصَرُونَ﴾ قيل: معنى ﴿لا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ طائعين. ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ مكرهين ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ وقيل: معنى﴿لا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ لا يدومون عل نصرهم. هذا على أن الضميرين متفقان. وقيل: إنهما مختلفان؛ والمعنى لئن أخرج اليهود لا يخرج معهم المنافقون، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم. ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أي ولئن نصر اليهود المنافقين ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ وقيل: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ أي علم الله منهم أنهم لا يخرجون إن أخرجوا.﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ أي علم الله منهم ذلك. ثم قال: ﴿لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾ فأخبر عما قد أخبر أنه لا يكون كيف كان يكون لو كان؟ وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ وقيل: معنى ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ أي ولئن شئنا أن ينصروهم زينا ذلك لهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/٣٣).

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ المراد: حال أهل الإسلام كلاما لا صدرا مع الهود كحال الوسواس ﴿إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ﴾ آل للعدد وللعهد، والمراد واحد، وهو عم الرسول ردد الله له السلام ﴿اكْفُرْ﴾ حال الوسواس مع الموسوس له كحال الآمر مع المأمور ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ مسموكا اسم للعامل، ورواه راوٍ على المحمول والاسم هو ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [آية: ١٨ - ٢٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ المراد: لمعادها ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ كرره مؤكدا للأول ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم كلها صالحها وطالحها.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ﴾ المراد: أوامره وروادعه ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ لوداعهم العمل الصالح ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ محصلو أمورهم على مرادهم ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ﴾ وصار له حس وإدراك كولد آدم ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ﴾ المسطر حكمها ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ المراد: لعل إسلامهم إلى الرسول حاصل.

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر وعكسه ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما هو وصم ﴿السَّلامُ﴾ السالم مما هو عار أو عوار ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ محصحص دلائل الرسل ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ راع، وكالئ لكل أحد وعمل ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ المكره العوالم على ما أراده ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ عما أدى إلى وصم أو وطر إلى السوى ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ مما هو عدم ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما مطهر له عار، أو وصم، وراعى ما لا حلم له وأورد ما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المحل أموره محلها والراكم لكل كمال.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الممتحنة

مدنية، وآيها ثلاث عشرة آية

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ عدو الله، وعدو أهل الإسلام هم ملحدو الحرم الحرام وأم رحم ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أهل ود ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ طرح أسرار الرسول صلى الله على روحه وسلم لما أراد الكر على أهل الإلحاد وأسره لكم، وورى أوحاه الله لما حرر أحدهم لأهل الإلحاد ما أسره لهم رسول الله والحامل له على إعلامه لهم حصول أمواله وأولاده وسط دارهم أم رحم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ أمر الإسلام، أو كلام الله المكرم ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ لـ ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ المراد: لإسلامكم ﴿بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾ روما للكر ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ ما أسروه لهم هو روم الرسول معاركهم ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ المراد: لا طائل لما أسروه لهم والله عالم إسرارهم، وعكسها، ومعلم لرسوله أحوالهم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ﴾ حاد ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أصل

السواء الوسط، والمراد: حاد صراط الهدى.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ ولا طائل لطرحكم الأسرار لهم ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ صكا وإهلاكا ﴿وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ وصما وإسماع مكروه ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ الأولى حملوكم على طرح الأسرار لأهل الإلحاد ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لعكسه ﴿بَيْنَكُمْ﴾ كإرسال أهل الإلحاد إلى سوء الدار، وأهل الإسلام إلى دار السلام.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ مأم، ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ كلاما وأعمالا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أهل الإسلام له ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ﴾ كأمراء ﴿مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ المراد: كلام والد الرسل وأعماله كلها مأم وإمام لكم لا ما وعده والده وهو سؤاله مولاه محو أعمال والده حال عدم علمه وروده عدو الله، ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ﴾ ما أعده لك على عملك ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ ومراده: ما هو مالك لوالده إلا الدعاء.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ هو مكمل لكلام والد الرسل ردد الله لكلهم السلام وكلام أهل الإسلام معه.

﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ سألوا الله علو أهل الإلحاد على أهل الإسلام ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ والموئل لسؤال كل سائل وداع.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ الكلام لأمم محمد رسوله ردد الله له السلام ﴿فِيهِمْ﴾ الهاء لوالد الرسل وملأه معه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ ولاء وودا لأهل الإلحاد ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عما سواه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود دائما، ولو عدم كل حامد.

﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ المراد: لإسلامهم أوحاه الله لما عادى أهل الإسلام أرحامهم ﴿وَاللهُ قَدِيرٌ﴾ على أسر ما وعد وهو إسلامهم ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما صدر ﴿رَحِيمٌ﴾ حالهم للإسلام، أو المراد: راحم حالكم، وهو ودكم وإعطاؤكم أسرار الرسول صلى الله على روحه وسلم لأهل الإلحاد.

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ المراد: سلوكهم معهم على العدل والحكم المسطور ورد أمام ورود الأمر لعمال الحسام ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أهل العدل.

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ﴾ وداد ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ الحرم الحرام ﴿وَظَاهَرُوا﴾ ساعدوا ﴿عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ المصدر معمول لعامل الاسم الموصول على وهم العامل المكرر ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ وراء الصلح مع أهل الإلحاد، وعلى رد أهل الإسلام كل وارد مسلم لهم ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ على الورود روما للإسلام وحده ووداعا للإلحاد وأهله لا لأمر سواه ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ هو المطلع على السرائر ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ﴾ ردا ﴿إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ﴾ أعطوا أهل الإلحاد ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ وهو المهور ﴿وَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ﴿عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المراد: المهور ﴿وَلا تُمْسِكُوا﴾ رواه راوٍ كأكرم وراوٍ كهدد ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ عرسكم أهل الإلحاد لحسم إسلامكم لعصمها ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ المهور ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ مهور العوائد إلى أهل الإسلام، والمراد: لأهل الإسلام سؤال مهور حرمهم العوائد أهل إلحاد ولأهل الإلحاد لهم سؤال مهور حرمهم العوائد أهل إسلام ﴿ذَلِكُمْ﴾ الحكم المسطور ﴿حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ محل أموره وأوامره كلها محلها.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ المراد: أحد الأهل، أو أحد المهور وعاد ﴿إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ كرا على أهل الإلحاد وحصل لكم الأموال ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ مما حصل لكم، وهو أموال أهل الإلحاد ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ وهو مهور أهلهم العوائد أهل إلحاد ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ وعمل أهل الإسلام كما أمرهم مولاهم ووراء العمل محا الله الحكم المسطور.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [آية: ١٢]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ وأدًا لروع أو حصول عدم ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كالحصول على ولد والادعاء هو ولد الماهر ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ كل أمر على العموم ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا

يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾(1) [آية: ١٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ ودادًا لهم ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم سائر أهل الإلحاد على العموم، أو المراد: الهود ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ ما أعده الله لكل طائع أوامره ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ الأولى هم ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ لاطلاعهم على محالهم وسط سوء الدار، وحسم آمالهم وأطماعهم عما أعده الله لكل طائع.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود. وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك. ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾ يعني اليهود قاله ابن زيد. وقيل: هم المنافقون. وقال الحسن: هم اليهود والنصارى. قال ابن مسعود: معناه أنهم تركوا العمل للآخرة وآثروا الدنيا. وقيل: المعنى يئسوا من ثواب الآخرة، قاله مجاهد. ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ أي الأحياء من الكفار. ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أن رجعوا اليهم؛ قال الحسن وقتادة. قال ابن عرفة: وهم الذين قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ وقال مجاهد: المعنى كما يئس الكفار الذين في القبور أن يرجعوا إلى الدنيا. وقيل: إن الله تعالى ختم السورة بما بدأها من ترك موالاة الكفار؛ وهي خطاب لحاطب بن أبي بلتعة وغيره. قال ابن عباس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا﴾ أي لا توالوهم ولا تناصحوهم؛ رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن أبي بلتعة. يريد أن كفار قريش قد يئسوا من خير الآخرة كما يس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الآخرة من رحمة الله تعالى. وقال القاسم بن أبي بزة في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: من مات من الكفار يئس من الخير. والله اعلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/٧٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصف

مدنية، أو مكية، وآيها أربع عشرة آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿سَبَّحَ لِلهِ﴾ طهره عما هو وصم أو عار اللام وصل لا مؤدى له ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما أُلى الأحلام وسواهم وله أورد ما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾ روما للمعارك والكر على أهل الإلحاد ﴿مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ لما ولوا لدى أحد وأعطوا الوراء ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ﴾ المراد: هو مكرم ومعل على الأعداء ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ سطرا حال ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ رأس كالطود.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [آية: ٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ إسماعا للمكروه لما ادعوا أدره وما هو آدر ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ﴾ الواو واو الحال ﴿أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ والرسول مكرم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ عدلوا أو مالوا عما هو الهدى وأسمعوا المكروه والعوراء لرسولهم موسى ردد الله له السلام ﴿أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها إلى ما سطر وسط اللوح أو إلى ما علم وهو العمى لهم وعدم الهدى

﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أهل الإلحاد، والمراد: هدى موصلا إلى دار السلام.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [آية: ٦]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ المراد: ما هو أمامه ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال ﴿قَالُوا﴾ الواو لأهل الإلحاد ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾ ورواه راوٍ ساحر ﴿مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿وَمَنْ﴾ المراد: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ كادعاء إله معه أو ولد له وما أعطاه رسوله سحر ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ هم أهل الإلحاد.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ مسلك الإسلام ودلائله على إرسال رسله ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ كلامهم ومدعاهم ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدا صلى الله على روحه وسلم ﴿بِالْهُدَى﴾ كلامه المكرم ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ مسلك الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ سائر الملل ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ سطوع أمره على الكل.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ [آية: ١٠ - ١٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾ رواه راوٍ كأكرم، وراوٍ كهدد

﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ المراد: دوامهم على الإسلام لهما والسلوك مسالك أوامرها وروادعهما وإلا أصل الإسلام حاصل ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مكمل لأمر مطروح وهو اسلكوا مسالك ما حرر ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَ﴾ لكم ﴿أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأمر لرسوله محمدا أكمل الله له السلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾[1] [آية: ١٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ﴾ وروى راوٍ اسم الله معمولا للام الكسر ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ المراد: إلى إعلاء أوامر ومعامله ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ وسماهم كما سماهم لحورهم، وهو عكس السواد، وهم أول مسلم للرسول روح الله ردد الله له السلام ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ له

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارَ الله﴾ أي: أنصار دينه ﴿كما قال عيسى ابنُ مريمَ للحواريين مَنْ أنصاري إلى الله﴾؟ أي: مَن يكون مِن جندي ومختصاً بي، متوجهاً إلى الله. ظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى: ﴿مَن أنصاري إلى الله﴾ ولكنه محمول على المعنى، أي: كونوا أنصارَ الله، كما كان الحواريون أنصارَ عيسى، حينما قال لهم: مَن أنصاري إلى الله؟ ﴿قال الحواريون نحن أنصارُ الله﴾ أي: نحن الذين ينصرون دينه، والحواريون: أصفياؤه، وهم أول مَن آمن به من بني إسرائيل، قاله ابن عباس، وقيل: كانوا اثني عشر رجلا. وحواري الرجل: صفوته وخاصته، من الحَور، وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصّارين يُحوِّرون الثياب، أي: يُبيّضونها، وقيل: إنما سُمُّوا حواريين لأنهم كانوا يُطهرون النفوس بإقامتهم الدين والعلم، ولمَّا كفرت اليهود بعيسى عليه السلام، وهَمُّوا بقتله، فرَّ مع الحواريين إلى النصارى بقرية يُقال لها: نصرى، فنصروه، فقاتل اليهودَ بهم مع الحواريين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فآمنت طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفةٌ﴾ به، فقاتلوهم ﴿فأيَّدنا الذين آمنوا﴾ بعيسى عليه السلام ﴿على عدوهم﴾ أي: قوّيناهم ﴿فأصبحوا ظاهِرين﴾؛ غالبين عليهم. انظر البحر المديد [٦٥/٨].

وحكموا على سمكه إلى السماء ﴿وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ لادعائهم ولد الله ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ أهل الإلحاد ولما حصل الكر ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿ظَاهِرِينَ﴾ كسروا أعداءهم الإلحاد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجمعة

مدنية، وآيها إحدى عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ المراد: مطهره عما هو وصم وعار، واللام وصل مؤكد ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما أولو الأحلام وسواهم ولرمؤ السوى أورد ما ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ الطاهر عما هو عوار ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ المحل أموره محالها.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾ أهل الدَّو لا المدر ﴿رَسُولا مِنْهُمْ﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ كلامه المكرم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ مطهرهم مما هو إلحاد ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ كلام الله ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما حواه أحكامه وحكما ﴿وَإِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ عمى ساطع أمرها.

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[1] عملا وكرما وسؤددا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ العائل على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل الأمور محلها ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما أعطى

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ هو عطف على " الأُمِّيِّينَ " أي بعث في الأميين وبعث في آخرين منهم. ويجوز أن يكون منصوبا بالعطف على الهاء والميم في ﴿وَيُعَلِّمُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/٩٢).

رسوله وأهل الإسلام معه ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على الأمم كلهم.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آية: ٥]:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ وأمروا سلوكا على مسالكها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ولا عملوا كما أمروا ولا أسلموا لمحمد ردد الله له السلام ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كل ما دل على إرسال محمد ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المراد: أهل الإلحاد.

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ المراد: الهود ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ إلحادا وردا لدعوى محمد صلى الله على روحه وسلم إرساله وعدم إسلامهم له ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر وعكسه ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [آية: ٩ - ١١]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ المراد: الركوع الحاصل وسطه ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ أراد: الركوع المحرر ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا﴾ الأمر للحل ﴿فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا﴾ روموا واسألوا العطاء ﴿مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لعل أمركم حاصل على مرادكم أوحاه الله لرسوله لما مطر أهل الإسلام إلى سماع كوس صك لورد رواحل.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ وحدك أو مع رهط ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ﴾ ما أعده على صالح ﴿خَيْرٌ﴾ للسالك على مسلك أوامره ﴿مِنَ اللهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ المراد: هو المسئول العطاء.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المنافقون

مدنية، وآيها إحدى عشرة آية

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿إِذَا جَاءَكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ﴾ وإسلامهم المحرر حاصل كلاما لا سرا وصدرا ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ﴾ المراد: عالم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ لما ادعوا الإسلام لإرسال محمد كلاما وأصروا على عدم إرساله سرا وعاكس إعلامهم سرائرهم.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ موئلا لأموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ صدا أو صددوا ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سوء عملهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ كلاما ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ داموا على إلحادهم سرا وصدرا ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ الإسلام أمدا.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لوسامها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لسلط كلامهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ لطولهم وسواه ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ كلما صاح صائح لعسكر أو سواه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ للروع الحال صدورهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ المراد: عدم اطلاعهم على أسرار أهل الإسلام ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ أهلكهم ودمرهم ﴿أَنَّى

يُؤْفَكُونَ﴾ عما هو إسلام مع سطوع الدلائل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [آية: ٥ - ٨]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا﴾ ألووا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ سمودا ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأهل الإسلام ﴿لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ مطورا إلى محالهم ودورهم ﴿وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وهو معط العوالم كلهم هؤلاء وسواهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿الأَعَزُّ﴾ أرادوا أرواحهم ﴿مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ أرادوا أهل الإسلام ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [آية: ٩ - ١١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ المراد: كل ركوع وصلاة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أراد: دلائله ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا﴾ هلا أو لو، ولا وصل لا مؤدى له ﴿أَخَّرْتَنِي﴾ المراد: الإمهال ﴿إِلَى أَجَلٍ

قَرِيبٍ﴾ إلى أمد ما ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ﴾ مردود على محل ما هو أمامه ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ مداركا للعمل الصالح ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ عمرها المحدود والمسمى لها ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم كلها، رواه راوٍ للسامع، وراوٍ لسواه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التغابن

مختلف فيها، وآيها ثماني عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦)﴾ [آية: ١ - ٦]:

﴿يُسَبِّحُ لِلهِ﴾ مطهره عما هو وصم أو عار، واللام وصل لا مؤدى له ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ﴾ أورد ما لحلول أهل الأحلام وسواهم ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ﴾ علم الله إلحاده ﴿وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ علم الله إسلامه ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ بِالْحَقِّ﴾ الحكم محركا ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ معاد الأمم والعوالم كلهم ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ على حد سواء ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ سرائرها.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ السؤال لأهل أم رحم ﴿نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ كملأ هود، وصالح وسواهم ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ مآل إلحادهم حالا وهو إهلاكهم ﴿وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإسلام للرسل ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ عما هو إسلام ﴿وَاسْتَغْنَى اللهُ﴾ عما سواه وعم إسلامهم عموم الأولى ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ محمود ولو عدم كل حامد.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [آية: ٧ - ٩]:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها مطروح وهو الهاء ﴿لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿وَالنُّورِ﴾ كرم الله المكرم ﴿الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وهو معاملكم على عملكم.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ لحلول أهل الصلاح محل أهل الطلاح لو عمل أهل الطلاح صلاحا ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ﴾ عملا ﴿صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ ورواه راوٍ كما لو ورد للمكلم ومعه سواه كالأول وراء صالحا ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣)﴾ [آية: ١٠ - ١٣]:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ المراد: كلام الله المكرم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ لهم دار السوأى.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[(١)] للركود والرسول لدى حلول اللأواء ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ﴾ دعاء الأمم إلى الإسلام ﴿الْمُبِينُ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١٤ - ١٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ المراد: ملهوكم عما هو سلوك على أوامر مولاكم ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ ما أساؤكم ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ معاملكم كعملكم هؤلاء ولدكم ومملوككم.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ملهوكم عما هو صالح معادكم ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا﴾ ما أمركم سماعه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أوامره ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ على الرحم والمعدم وسواهما، أو المراد: سهم الأموال المأمور لإعطائه أحد أساس الإسلام ﴿خَيْرًا﴾ محمول على اسم عامل عكس الكامل ﴿لأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ﴾ حرص ﴿نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأولى حصلوا أمورهم على مرادهم.

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما أراد ﴿وَاللهُ شَكُورٌ﴾ لكل

---

(١) قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ أي بإرادته وقضائه. وقال الفراء: يريد إلا بأمر الله. وقيل: إلا بعلم الله. وقيل: سبب نزولها إن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا؛ فبين الله تعالى أن ما أصاب من مصيبة في نفس أو مال أو قول أو فعل، يقتضي هما أو يوجب عقابا عاجلا أو آجلا فبعلم الله وقضائه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٣٩).

طائع معامله على عمله ﴿حَلِيمٌ﴾ لو عامل كل عاص على ما عصاه.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ عكسه ﴿الْعَزِيزُ﴾ العائل إلى أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل أموره كلها محالها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الطلاق

مدنية، وآيها اثنتا عشرة آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الدعاء للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم، والمراد: هو وأهل الإسلام معه لعموم الحكم ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ المراد: الإرادة ﴿النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ لأولها، والمراد: سراحها لطهر ما مسها ولا وطئها وسطه ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ إكلاؤها وأكملوها ﴿وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ﴾ سلوكا على أوامره وروادعه ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ﴾ إلى حلول الأطهار ﴿إلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ عهر ﴿مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ﴾ أومأ إلى الأحكام المار سردها ﴿حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ السراح ﴿أَمْرًا﴾ العود إلى أهول المرء المسرح.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وصولا إلى صدد مرور الأطهار ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ عودا إلى الأهوال والعصم ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على

السراح أو الأهوال والرد ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ﴾ أدوها على ملائم الحال والأمر ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ مما هو مكروه أو لأواء حالا ومآلا.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ موكلا لمولاه كل أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ كل ما أراده حاصل لا محال، ورواه راوٍ كمكرم عمرا ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كمحل وعكسه ﴿قَدْرًا﴾ حدا وعصرا محدودا.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [آية: ٤ - ٧]:

﴿وَاللائِي﴾ ورواه راوٍ: واللاء ، ﴿يَئِسْنَ﴾ لهرم ﴿مِنَ الْمَحِيضِ﴾ الدم ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي﴾ ورواه راوٍ: واللاء كالأول ﴿لَمْ يَحِضْنَ﴾ لعدم الوصول إلى عمر الدم واللاء أول كلام محموله مطروح، وهو كمحول اللاء الأول ﴿وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ﴾ سلوكا على مسالك ما أمره ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ حالا ومآلا.

﴿ذَلِكَ﴾ الحكم ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ حكمه ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ الهاء لكل عرس سرحها ماهرها ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ وسعكم ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ المحل ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على

الإلساد ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ وأما على مال معلوم للإلساد ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ وما حصل الوئام على الإلساد كعدم إعطاء الوالد المال على إلسادها وعدم إلساد الأم الولد إلا مع المال ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾ للوالد ﴿أُخْرَى﴾ ولا أكره للأم على إلساده.

﴿لِيُنْفِقْ﴾ المسرح والملسد وهو ﴿ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ﴾ أعطاه ﴿اللهُ﴾ المراد: لا الموسر مسهل له كحال المعسر، ولا المعسر مكره على إعطائه مال الإلساد أو السراح لأهله كإعطاء الموسر ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا﴾ أعطاها أموالا ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وحصل وعد الله لما حلوا أم رحم وحصلوا على الأموال.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [آية: ٨ - ١١]:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ المراد: أهلها عصوا أو سمدوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا﴾ لدى المعاد، وأورد ما صدر وأوراد ما هو صادر لحصوله على كل حال ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ هو ألم دار السوأى.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ هلاكا سرمدا.

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ كرره مؤكدا ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ أهل الإدراك والأحلام ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو كلامه المكرم ﴿رَسُولا﴾ معمول لعامل مطروح المراد، وأرسل لكم رسولا وهو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ حال ما هو أمام اسم الله، والعامل مع ما وراءه حال اسم الله الأول ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وراء ورود الكلام والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ عمى الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ لألاء الإسلام ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ ورواه راوٍ كما لو ورد للمكلم ومعه سواه ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا﴾ عطاء دار السلام.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [آية: ١٢]:

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ عددا ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أوله أعلى سماء إلى وصوله إلى أحط العوالم، والأمر هو ما أوحاه إلى الرسل، والحادر الملك الروح ردد الله لهم السلام ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ عامله مطروح، والمراد أعملكم الله لحصوله علمكم ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط علمه كل معلوم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التحريم

مدنية، وآيها اثنتا عشرة آية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] [آية: ١، ٢]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي لله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا، قالت فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير! أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك. فقال: "بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له". فنزل: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ - إلى قوله - إِنْ تَتُوبَا﴾ لعائشة وحفصة"، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾ لقوله: "بل شربت عسلا". وعنها أيضا قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فأحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة. فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ فإنه سيقول لك لا. فقولي له: ما هذه الريح؟ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح — فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل. فقولي له: جرست نحله العُرْفُط. وسأقول ذلك له، وقوليه أنت يا صفية. فلما دخل على سودة - قالت: تقول سودة والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أبادئه بالذي قلت لي، وإنه لعلى الباب، فرقا منك. فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: "لا" قالت: فما هذه الريح؟ قال: "سقتني حفصة شربة عسل" قال: جرست نحلة العرفط. فلما دخل علي قلت له مثل ذلك. ثم دخل على صفية فقالت بمثل ذلك. فلما دخل على حفصة قالت: يا رسول الله، ألا أسقك منه. قال "لا حاجة لي به" قالت: تقول سودة سبحان الله! والله لقد حرمناه. قالت: قلت لها اسكتي. ففي هذه الرواية أن التي شرب =

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ الدعاء لمحمد أكمل الله له السلام ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ إحدى إمائك حرمها لما لامسها على وطاء عرس له والدها عمر، وصار طلاعها وإساءها لصدوره وسط دارها، وعلى وطائها ولما أراد سرورها رسول الله صلى الله على روحه وسلم وحرم الأولى أوحى الله لرسوله الحكم المسطور، أو حرم العسل ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ كحرار الملوك وسواه مما هو صوم أو إطعام، وهل حلل رسول الله صلى الله على روحه وسلم لا روى راوٍ حراره، وراوٍ عدمه لمحو الله له ﴿وَاللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [آية: ٣ - ٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ حرم له والدها عمر ﴿حَدِيثًا﴾ هو لما حرم إحدى إمائه المار سرده.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ سواها ﴿وَأَظْهَرَهُ اللهُ﴾ أطلع الله رسوله صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَيْهِ﴾ الأمر المار ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ لعرسه وأعلمها اطلاع الله له ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ ما أعلمها اطلاع الله له كرما وحلما ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ وهو الله.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ﴾ الكلام مع حرم الرسول، وهما عرس والدها الإمام الأول وعرس والدها عمر ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ رومًا لما هو كارهه ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ﴾ مساعده ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الإمام الأول لأهل

=

عندها العسل حفصة. وفي الأولى زينب. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٧٩).

الإسلام، وإلى الله له الإكرام ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ كلهم ردء ومساعد.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ﴾ رواه راوٍ ككرم، وراوٍ كهدد ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾ إسلاما ﴿مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ﴾ طوعا أو ركوعا ﴿تَائِبَاتٍ﴾ عما صدر ﴿عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ صوما ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [آية: ٦]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ حملا على السلوك مسالك أمر الله ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ أهل الإلحاد، وكل راكع لسوى الله ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ الصور اللاء ركعوا لها ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ﴾ المراد: مأموروها، والموكول لهم أمرها ﴿غِلاظٌ﴾ كلاما أو إملاً ﴿شِدَادٌ﴾ أسرا أو أعمالا ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ المراد: ما هو عاصو أمر مولاهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ مؤكد للحكم أمامه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٧]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ الكلام لهم حال حلولهم إلى دار السوأى ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ما أعد لكم على أعمالكم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ السدم على سوء العمل والإصرار على عدم العود ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ رد الواو الاسم الموصول على الرسول إكراما لهم ومدحا لحالهم ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إلى الوصول إلى دار السلام ﴿وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آية: ٩]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ حساما ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ كلاما ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ كلمهم

الكلام الأمر ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سوء الدار لهم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [آية: ١٠ - ١٣]:

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ المراد: حالهم كحالهم ولو لهم وصل رحم مع الرسول ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ إلحادا ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ لا والد سام، ولا لوط ردد الله لهما السلام ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللهِ﴾ مما أعده الله لهما على إلحادهما ﴿شَيْئًا وَقِيلَ﴾ لهما ﴿ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ ملأ والد سام، وملأ لوط.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: حالهم كحالها مع عدم رحمها إلى موسى أوصلها الله إلى أعلا العلى ولما سمع هو إسلامها لموسى عكمها، وطرح على صدرها رحى ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ مع ألمها وحالها ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ وحصل مأمولها وأراها الله محلها وسط دار السلام ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ملأه، وأهل مسلكه وأدركها حمامها، وروى راوٍ سمكها إلى السماء كالروح رسول الله ردد الله له السلام.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ الروح رسول الله إلى رسله طرح الروح وسط درعها وأوصلها الله إلى رحمها وصح الحمل وصوره رسولا لا أصل له ولا وسائط كماء ولد آدم ووالد واطئ امه ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ أحكامه ﴿وَكُتُبِهِ﴾ ما أوحاه إلى رسله ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ مع عداد أهل الطاعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الملك

ثلاثون آية، مكية

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ملك الأمور والعوالم كلها ﴿وَهُوَ عَلَى﴾ أسر ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ أراده سوى المحال ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ كل داء مؤد له لدى حلول العمر ﴿وَالْحَياةَ﴾ للورود إلى المعاد والسؤال ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أطوع إلى مولاه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المورد كل عاص موارد أعماله ﴿الْغَفُورُ﴾ لكل عائد وهائد له عما صدر مما هو سوء عمل.

﴿الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ لها ولسواها ﴿مِنْ تَفاوُتٍ﴾ عدم وأم ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعده إلى السماء ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ صدوع.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ لعدم إدراك صدع ما ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ محسوم عما رام لعدم حصوله.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن

شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٥ - ١١]:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا﴾ الهاء عائد إلى سعرها لا أصلها لدوامها محلها إلى الأمد ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ كلما حاولوا السمع ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ لهم دار السوأى ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ كما الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[1] على أعداء الله أهل الإلحاد ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ ملأ ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ الأملاك مأمورها ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ودعاكم إلى السلوك على مسلك أوامر الله وروعكم ما أعده لكل عاص.

﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ وهل مكمل لكلام أهل الإلحاد، أو كلام الأملاك لهم لما حكوا رد دعوى رسلهم.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ سماع ادراك وارعواء ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ هو ردهم دعوى رسلهم وعدم إسلامهم لهم ﴿فَسُحْقًا﴾ طردا واطراحا ﴿لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ عما هو رحم وإكرام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [آية: ١٢ - ١٤]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ مروعهم ما أوعده لكل عاص أوامره ﴿بِالْغَيْبِ﴾ سرا وإصرار صدر ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو دار السلام ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أوحاه الله لما أمر أحد أهل الإلحاد أحدهم إسرار كلامه لعدم

---

(١) قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يعني تتقطع وينفصل بعضها من بعض؛ قاله سعيد بن جبير. وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد: تتفرق. ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى. وقيل: ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ من الغليان. وأصل " تَمَيَّزُ " تتميز.. انظ الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢١٢).

سماع إله محمد له ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ كلامكم ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)﴾ [آية: ١٥ - ١٧]:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولا﴾ سهل لكم السلوك والمطور على سطحها ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أطوادها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ آلائه ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ مما هو لحود.

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ حكمه وأمره، وهو الله، أو المراد الأملاك ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ مورا وحراكا وسموكها إلى الأعلى.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ مطر حصى لإهلاككم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ حال حلوله على رؤوسكم ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أحاصل وحال أم لا.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)﴾ [آية: ١٨ - ٢١]:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأمم الأول رسلهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وحلول هلاكهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ وسط الهواء ﴿صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عما هو حدور ﴿إِلا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ محكم أموره كلها.

﴿أم من﴾ الاسم الموصول أول كلام ومحموله هو ﴿هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ﴾ ردء وعسكر مساعد ﴿لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ سواه لدى حلول هلاككم، والمراد: لا أحد مساعد لكم على رده ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْكَافِرُونَ إِلا فِي غُرُورٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الله ﴿رِزْقَهُ﴾ المراد: الأمطار ﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ﴾ سمود ﴿وَنُفُورٍ﴾ عما هو هدى.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾ [آية: ٢٢ - ٢٤]:

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ عدلا ﴿عَلَى صِرَاطٍ

﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ والمحمول داله أهدى الأول.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أسركم وصوركم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا﴾ ما وصل لا مؤدى له ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على آلاء مولاكم.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ أسركم ﴿فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للورود على موارد الأعمال.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧)﴾ [آية: ٢٥ - ٢٧]:

﴿وَيَقُولُونَ﴾ لأهل الإسلام والواو لأهل الإلحاد ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ مرادهم وعد المعاد وعصره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ حدوه.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ﴾ هو العالم عصر وروده ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ المراد: رأوا ما أعد الله لهم على سوء أعمالهم ﴿زُلْفَةً﴾ على صدد لهم ﴿سِيئَتْ﴾ أسود ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ والمكلم الأملاك ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ ادعوا عدم حصوله وروده.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [آية: ٢٨ - ٣٠]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ المراد: الإعلام ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ﴾ لورود الحمام والهلاك ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ أهل الإسلام ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ وما أحل الهلاك ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لا أحد.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ والمراد: الرسول، وأهل الإسلام أم أهل الإلحاد.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أراد: الإعلام ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ إلى محل لا وصول إلى الدلاء له ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ واصل له دلاؤكم سوى الله، والمراد: لا أحد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة ن

مكية، وآيها ثنتان وخمسون آية

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [آية: ١ - ١٦]:

﴿ن﴾ المعلوم أو اسم للسمك الله أعلم ما المراد ﴿وَالْقَلَمِ﴾ المحرر اللوح ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الأملاك.

﴿مَا أَنْتَ﴾ الكلام مع محمد رسول الله ردد الله له السلام ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وإرساله لك إلى الأمم ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما ادعوا.

﴿وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ محسوم.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ﴾ مسلك ﴿عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾.

﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ الهوس والسعر، أو المراد: الأحرى للاسم المحرر هل الرسول، وأهل الإسلام أم أهل الإلحاد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ له وأعلم كعالم ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَدُّوا لَوْ﴾ للمصدر ﴿تُدْهِنُ﴾ كحّلوا لكم لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ لك.

﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ﴾ هدرا ﴿مَهِينٍ﴾ لا سؤدد له.

﴿هَمَّازٍ﴾ أكل لحوم الأمم، ﴿مَشَّاءٍ﴾ ساع ﴿بِنَمِيمٍ﴾ على مسلك الدحس، ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ﴾ عاد ﴿أَثِيمٍ﴾.

﴿عُتُلٍّ﴾ صمل ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ ادعاه والده لا والد معلوم له لـ ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أولاد.

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما حكاه الأمم الأول مما لا أصل له.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ معطسه وحصل له صك حسام علم معطسه.

﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [آية: ١٧ - ٣٣]:

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ الهاء لأهل أم رحم محلا وطوى ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ محل لحد الصلحاء كلما ورد عصر حصاده دعا كل صعلوك وأعطاهم ما ودعه الحصاد وطرحه الأرواح، ولما هلك عول أولاده على عدم سلوكهم مسالك والدهم حرصا على الأموال كما حكى الله وهو ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ المراد: صرم حملها ﴿مُصْبِحِينَ﴾.

﴿وَلا يَسْتَثْنُونَ﴾ لما آلوا على صرمها.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ أمر أهلك الحامل والحمل ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ سوداء ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾.

﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ محصولكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ وكلكم معول على الصرم ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾.

﴿أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ صعلوك.

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ﴾ عصم إعطاء كل معدم وصعلوك ﴿قَادِرِينَ﴾ على العصم المحرر على حدسهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سوداء ومحصولها هالك ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ مسالكها ولما علموها كلموا.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ محصولها لعصم إعطاء أهل العدم.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ عمرا أو إدراكا ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا﴾ هلا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله هودا.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لعصم أهل العدم ما لهم ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ مرادهم: هلكوا إهلاكا ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ عداء لحدود الله.

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ كما حل على هؤلاء المار سردهم مما هو ألم مأمول حلوله على أهل الحرم الحرام وكل ملحد سواهم ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لا سلموا وسلكوا مسلك الأوامر.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١)﴾ [آية: ٣٤ - ٤١]:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾[1] عطاء

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ تقدم القول فيه؛ أي إن للمتقين في الآخرة جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا. وكان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها؛ فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما =

وإكراما لا.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ كما هدرا داحسا ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ مرامكم وآمالكم.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾ عهود ﴿عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ وهو حصولكم لدى المعاد لو صح وروده على إكرام وسؤدد سام على إكرام وسؤدد محمد، وأهل الإسلام معه أوحاه الله لما ادعوا ما حاصله لو صح أمر المعاد وحصل لحصلوا على إكرام أهل الإسلام ما هم محصلوه.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم المسطور ﴿زَعِيمٌ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ موامئوهم على ما ادعوا ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ أهل الوآم لهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧)﴾ [آية: ٤٢ - ٤٧]:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ المراد: عسر الأمر وهوله ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ الركوع والصلاة ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لعدم أود مطاهم.

﴿خَاشِعَةً﴾ حال الواو ﴿أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أداء الصلاه ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ وما أدوها ولا صلوا كما أمروا.

﴿فَذَرْنِي﴾ المراد: دع ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ كلام الله المكرم ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ألد لا أحد حامل له.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ على أمر الإرسال والدعاء إلى الله ﴿أَجْرًا﴾ مالا ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ

=

وعد الله المؤمنين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساوونا. فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ أي كالكفار.. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٤٦).

مُثْقَلُونَ﴾ ما هم حاملوه وعدم إسلامهم لعدم حملهم له.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ اللوح المحرر وسطه الأمور كلها ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مما حرر وسطه ما ادعوه.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٨ - ٥٢]:

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ السمك ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا مولاه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملؤ كدرا.

﴿لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ﴾ أدركه ﴿نِعْمَةٌ﴾ رحم ﴿مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ الدو ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مطرود.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ أوحى له ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المراد: ما عم الإرسال.

﴿وَإِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها مطروح ﴿يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ كلام الله المكرم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدا ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿وَمَا هُوَ﴾ كلام الله ﴿إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أهل الأحلام والإدراك الكامل لا لسواهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحاقة

مكية، وآيها اثنتان وخمسون

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿الْحَاقَّةُ﴾ المعاد والساعة.

﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ أمرها أمر مهول.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ المراد: هولها لا كما الأهوال.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ أمر المعاد وورود الأمم موارد الأعمال.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ لما صاح على رؤوسهم الملك الروح ردد الله له السلام وأهلكهم.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ لداء ما اسطاعوا ردها.

﴿سَخَّرَهَا﴾ سلطها الله ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ ولاء مكسور الواو ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾ ملأ عاد ﴿فِيهَا صَرْعَى﴾ هلكى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ هواء.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ لا، والمراد: كلهم أعدموا.

﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ

تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [آية: ٩ - ١٨]:

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ رواه راوٍ كوعده، والمراد: الأمم الأول، ورواه راوٍ كحوله مكسور الأول محرك الوسط، والمراد والأولى حوله وهم ملاؤه ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ سواد ملأ لوط، والمراد أهلها ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أعمال السوء.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ هو لوط ردد الله له السلام وسواه ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ عدا حده إلى أعلا الأطواد ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ المراد: والدوهم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ أو الألواح والدسر.

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ المراد: حصل الأمر المحرر وهو سلام أهل الإسلام، وهلاك أهل الإلحاد ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ سمعا وإدراكا، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ إلى السماء ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ صك كلاهما صكا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وحصل الأمر الموعود وهو المعاد ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ المراد: الأملاك كلهم ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الهاء عائد للسماء، والمراد أكارعها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ الهاء للأملاك ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ عدد الملك الحامل له.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ إلى الورود موارد الأعمال ﴿لا تَخْفَى﴾ وروى راوٍ أوله كما أورد للمرء ﴿مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ لاطلاع الله على سرائركم كلها.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ [آية: ١٩ - ٢٤]:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾ مدحا ﴿هَاؤُمُ﴾ اسم عامل كهاك ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ معمول للعامل أمامه، ومعمول هاؤم مطروح.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ المراد: العلم لا الحدس ﴿أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا﴾ حملها ﴿دَانِيَةٌ﴾ لكل أكل على كل حال والكلام لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ هو صالح الأعمال ﴿فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ المار عهدها مع الدار الأولى.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِئُونَ (٣٧)﴾ [آية: ٢٥ - ٣٧]:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ود ألا معاد وراء حمامه الأول ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ المراد: ما حواه أموالا ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ المراد: داله وما ملكه.

﴿خُذُوهُ﴾ الأمر لأملاك سوء الدار ﴿فَغُلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أحلوه واسلكوه ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾.

﴿إِنَّهُ﴾ معلل للحكم المار على طرح اللام ﴿كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَلا يَحُضُّ﴾ لا أمرا ولا عملا ﴿عَلَى طَعَامِ﴾ على إطعام ﴿الْمِسْكِينِ﴾.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ﴾ رحم أو واد حام له عما أعده مولاه له ﴿وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ مهل أهل سوء الدار.

﴿لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِئُونَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [آية: ٣٨ - ٥٢]:

﴿فَلا﴾ لا وصل لا مؤدى له ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾[1] المراد: كل ما هم راؤه حسا كالسماء وسواها ﴿وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾ كل عالم ما أدركه حسكم.

﴿إِنَّهُ﴾ كلام الله المكرم ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ محمد، أو الملك الروح أكمل الله لهما السلام ﴿كَرِيمٍ﴾ على الله.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كدعواكم ﴿قَلِيلا مَا﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كادعائكم ﴿قَلِيلا مَا﴾ وصل مؤكد كالأول لا مؤدى له ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع للكلام.

﴿تَنْزِيلٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح وهو هو ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ المراد: الرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾ مما لا أصل له ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ المراد: لو ادعى ما لا أصل له لعومل ألدّ ما الملوك معاملوه لكل عاص أمرهم وحاصله الإهلاك.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ الهاء عائد للإهلاك أو للمهلك، وهو الرسول صلى الله على روحه وسلم ووالى له الإكرام لو ادعى ما لا أصل له ﴿حَاجِزِينَ﴾ لا أحد راد ما أراده الله له.

﴿وَإِنَّهُ﴾ كلام الله المكرم ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ وكلهم وارد موارد عمله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾ المعنى أقسم بالأشياء كلها ما ترون منها وما لا ترون. و"لا" صلة. وقيل: هو رد لكلام سبق؛ أي ليس الأمر كما يقوله المشركون. وقال مقاتل: سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمدا ساحر. وقال أبو جهل: شاعر. وقال عقبة: كاهن؛ فقال الله عز وجل: ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ أي أقسم. وقيل: "لا" ها هنا نفي للقسم، أي لا يحتاج في هذا إلى قسم لوضوح الحق في ذلك، وعلى هذا فجوابه كجواب القسم. ﴿إِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يريد جبريل، قاله الحسن والكلبي ومقاتل. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٧٤).

﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء عائد لكلام الله ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ حال اطلاعهم ما أعده الله لأهل الإسلام وما أعده لأعدائه اللئام.

﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء عائد على ما عاد الهاء الأول وما أمه ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ما عراه وهم طار.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ المراد: طهر اسم مولاك عما هو وصم أو عار، وعامل الكسر وصل لا مؤدى له.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المعارج

مكية، وآيها أربع وأربعون

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ﴾ [آية: ١ - ١٨]:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دعا داع، وهو أحد أهل الإلحاد لما سأل إمطار الحصى على رؤوسهم ﴿بِعَذَابٍ﴾ حلول ألم وهو أمطار الحصى ﴿وَاقِعٍ﴾.

﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ راد.

﴿مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ مصاعد الأملاك أو العمل الصالح وهو السماء.

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ الملك معهم ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى محط أمر الله ﴿فِي يَوْمٍ﴾ معمول المطروح، وهو حلول الألم على رؤوسهم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ على الملحد، وهو عصر المعاد والورود موارد الأعمال.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلا﴾ لا روع معه ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ الهاء عائد إلى حلول الألم على رؤوسهم ﴿بَعِيدًا﴾ لا حلول له أصلا، ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ حاصلا وحالا لا محال وحلوله.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ ، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ طائرا مع الأرواح ﴿وَلا

يَسْأَلُ حَمِيمٌ﴾ والد أو ولد أو أم أو رحم ﴿حَمِيمًا﴾ أحد هؤلاء، وكل أحد سائل حاله وأمره لا سواه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ راء كل واحد الإحماء وما هو مكلمهم ولا هم مكلموه ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ الملحد ﴿لَوْ﴾ للمصدر ﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ رواه راوٍ مكسور الأول، وراوٍ على الأصل ﴿بِبَنِيهِ﴾ أولاده.

﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ عرسه ﴿وَأَخِيهِ﴾.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ ما ركمهم أصل واحد أعلا ﴿الَّتِي تُئْوِيهِ﴾.

﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ العدل المسطور.

﴿كَلا﴾ ردع لما وده الملحد ﴿إِنَّهَا﴾ دار السوأى ﴿لَظَى﴾ اسم لها.

﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ اسم لمسك الرؤوس ﴿تَدْعُو﴾ دعاء أمر كلهم هلم، أو المراد: دعاء إهلاك كدعاه الله اهلكه ﴿مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ عما هو الهدى.

﴿وَجَمَعَ﴾ الأموال ﴿فَأَوْعَى﴾ وسط الوعاء، وما أدى سهمه المأمور لأدائه.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [آية: ١٩ - ٣٥]:

﴿إِنَّ الإنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ كامل الحرص أو المراد.

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ السوء ﴿جَزُوعًا﴾ رائعا.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ المال ﴿مَنُوعًا﴾ ما هو معط سهم الأموال المأمور لإعطائه.

﴿إِلا الْمُصَلِّينَ﴾ أهل الإسلام ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾ هم ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ سهم الأموال أحد أساس الإسلام الإعطاء.

﴿لِلسَّائِلِ﴾ الإعطاء ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ لعدم سؤاله مع عدمه.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ المعاد.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ مروعهم ما أعده مولاهم وأعده لكل عاص أوامره.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ حلوله على كل عاص أو على الأعم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ كالإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ عدوا الحلال إلى الحرام.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ﴾ ورواه راوٍ على العدد لا الواحد ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ عهد الله أو عهد أحد سواه، والمراد: كل عهد عاهدوه ﴿رَاعُونَ﴾ كالئوه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ مؤدوها كما سمعوا.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ على أدائها وكررها لعلوها وسموها على سواها ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [آية: ٣٦ - ٤٤]:

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾ حولك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ إسراعا لورودهم إلى محلك حال.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ رهطا رهطا حولك وكلامهم لأهل الإسلام حاصله لو وصول هؤلاء إلى دار السلام أمرا حاصلا لحلوها هم أمام أهل الإسلام، وأوحى الله ردا على ما ادعوه.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ مع إلحاده وسوء مسلكه وأعماله.

﴿كَلا﴾ ردع لهم عما أملوا الوصول له ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كسواهم ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ وهو ماء ولد آدم المهال إلى الأرحام، والأصل المحرر ما هو مطعمهم إلى وصول دار السلام والمطمع إلى الوصول لها وحلولها هو الإسلام والسلوك على مسلك أوامر الله ﴿فَلا﴾ لا وصل لا مؤدى له، والمراد ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ لكل لألاء ساطع كعطارد وسواه ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾.

﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ إهلاكهم وإحلال أمم سواهم محلهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ المراد: كل ما أراده حاصل لا عائل له.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ حلول الألم.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾[1] اللحود ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المعاد وورودهم موارد أعمالهم ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ﴾ رواه راوٍ كسمع، وراوٍ كعمر، والمراد: ما سمك للركوع كالعلم ﴿يُوفِضُونَ﴾ إسراعا لها.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ﴾ أول كلام محموله هو ﴿الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ وروده وهو عصر المعاد.

---

(١) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾﴿يَوْمَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَهم﴾ الذي قبله، وقراءة العامة ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بفتح الياء وضم الراء على أنه مسمى الفاعل. وقرأ السلمي والمغيرة والأعشى عن عاصم ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول. والأجداث: القبور؛ وأحدها جدث. وقد مضى في سورة "يس". ﴿سِرَاعاً﴾ حين يسمعون الصيحة الآخرة إلى إجابة الداعي.انظ الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٩٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة نوح

مكية، وآيها تسع وعشرون

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [آية: ١ - ١٦]:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ﴾ للحل ﴿أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ﴾ حال دوامهم على إلحادهم وعدم إسلامهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حالا، وهو إهلاكهم ومآلا، وهو إحلالهم سوء الدار والكدر الدائم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ﴾ للحل، أو على طرح عامل الكسر كالأولى ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾ المراد: ما عاد لله سوى ما عاد إلى ولد آدم ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ ممهلا أمر ألمكم وحلول ما أعده لكم

﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو ورود حمامكم ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ﴾ المحدود لورود هلاككم لو عدم إسلامكم ﴿إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مراده: لو أدركوه لأسلموا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا﴾ دائما ادعوهم إلى الإسلام.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا﴾ عما هو سلوك على مسلك أوامرك.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى إسلامهم ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ سدوا مسامعهم.

﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ سمكوها إلى رؤوسهم ﴿وَأَصَرُّوا﴾ على سوء مسلكهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عما دعاهم له ﴿اسْتِكْبَارًا﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ صائحا ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ الدعاء إلى الهدى ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ الكلام والدعاء ﴿إِسْرَارًا﴾.

﴿فَقُلْتُ﴾ لهم ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عما هو إلحاد وأسلموا ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ لكل مسلم، أو عائد، وهائد إلى مولاه.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر لما عراهم المحل وعدهم حلول الأمطار ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا﴾ المراد: ما لهم ما أملوا لمولاهم مراعاه ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ طورا ماء، وطورا دما، وطورا لحما إلى إكمال الأسر.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أعلاها على أحطها.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ المراد: إحداها هو السماء الأولى ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ

دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [آية: ١٧ - ٢٨]:

﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ أسركم ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ لما أسر وصور والدكم آدم ردد الله له السلام ﴿نَبَاتًا﴾.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ لدى ورود حمامكم إلى اللحود ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ إلى المعاد والسؤال ﴿إِخْرَاجًا﴾.

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا﴾ دحاها دحوا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً﴾ مسالك ﴿فِجَاجًا﴾ واسعة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ ما أمرهم سلوكه ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾ أراد: رؤساءهم الآلاء، ورواه راوٍ: ولده على وروده لعدد الولد كأسد وأسد ﴿إِلا خَسَارًا﴾ عمى وإلحادا.

﴿وَمَكَرُوا﴾ المراد: مكر الرؤساء ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ لردهم ما ادعاه رسولهم والد سام ردد الله له السلام.

﴿وَقَالُوا﴾ أراد الرؤساء لكل مرؤوس ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ مرادهم الركوع لها ﴿وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ رواه راوٍ كحد، وراوٍ كمد ﴿وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ كل هؤلاء أسماء صور ودمى لهم.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ الواو عائد إلى رؤسائهم لا إلى الصور لأمرهم ملأهم ركوعا إلى الصور ﴿كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً﴾ دعا والد سام على أممه لما عصوا أمره.

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ ما وصل لا مؤدى له إلا وروده مؤكدا ﴿أُغْرِقُوا﴾ لما علا الماء وأهلكهم ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ المراد: ألم اللحود، وهو حاصل لهم وسط الماء وكل محل حلوه، أو المراد: ألم دار السوأى ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿أَنْصَارًا﴾ لرد ما أعد لهم مولاهم.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أحدا، وأصله لمعمر الدار وحالها ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ مراده ما مولود لهم إلا ولد أمره صائر إلى الإلحاد.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ وكلاهما مسلم ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ أراد داره أو مصلاه ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ كلهم إلى حلول الأدوار وحل الأعصار ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَارًا﴾ هلاكا وأهلكوا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجن

مكية، وآيها ثمان وعشرون آية

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ [آية: ١ - ٥]

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ الأمر للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم، والمراد: أعلم ملأك ما أوحاه الله لك وهو ﴿أَنَّهُ﴾ الهاء للحال والأمر ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا﴾[1]

(١) قال الرازي: اختلف الناس قديماً وحديثاً في ثبوت الجن ونفيه فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره وذلك لأن أبا علي بن سينا قال في رسالته في حدود الأشياء الجن حيوان هوائي متشكل بأشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح للاسم فقوله وهذا شرح للاسم يدل على أن هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج وأما جمهور أرباب الملل والمصدقين للأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجن واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات ويسمونها بالأرواح السفلية وزعموا أن الأرواح السفلية أسرع إجابة إلا أنها أضعف وأما الأرواح الفلكية فهي أبطأ إجابة إلا أنها أقوى واختلف المثبتون على قولين فمنهم من زعم أنها ليست أجساماً ولا حالة في الأجسام بل هي جواهر قائمة بأنفسها قالوا ولا يلزم من هذا أن يقال إنها تكون مساوية لذات الله لأن كونها ليست أجساماً ولا جسمانية سلوب والمشاركة في السلوب لا تقتضي المساواة في الماهية قالوا ثم إن هذه الذوات بعد اشتراكها في هذا السلب أنواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الأعراض بعد استوائها في الحاجة إلى المحل فبعضها خيرة وبعضها شريرة وبعضها كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة محبة للشرور والآفات ولا يعرف عدد أنواعهم وأصنافهم إلا الله قالوا وكونها موجودات مجردة لا يمنع من كونها عالمة بالخبريات قادرة على الأفعال فهذه الأرواح يمكنها أن تسمع وتبصر وتعلم الأحوال الخبرية وتفعل الأفعال المخصوصة ولما ذكرنا أن ماهياتها مختلفة لا جرم لم =

لملأهم لما سمعوا كلام الله وعادوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ مؤداه وسرده وكلامه.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإسلام والمسلك الموصل إلى الله ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ لسطوع الدلائل على الله.

﴿وَأَنَّهُ﴾ الهاء عائد للأمر، أو الحال كالهاء أمامه ووراءه، وروى العامل المؤكد راوٍ مكسور الأول ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ وسعه عما سواه أو علاه، وكماله عما هو وصم أو عار ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ عرسا أو أهلا ﴿وَلا وَلَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ المراد: سوى العالم ﴿عَلَى اللهِ شَطَطًا﴾ عداء لا أصل له كادعائه الأهل والولد.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ وهو ادعاؤهم للولد أو الأهل له.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [آية: ٦ - ١٠]:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ كلما وصل أحدهم إلى محل سأل الله وسع سوء عماره ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ الواو لولد آدم والهاء لولد الوسواس ﴿رَهَقًا﴾ سمودا.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ الهاء والواو عائد لولد الوسواس ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ الكلام لولد آدم، وحدسهم هو عدم العوالم والأمم إلى المعاد وورودهم موارد الأعمال كما حكى الله، وهو ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا﴾ وراء وروده مصارع حمامه.

=

يبعد أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقة عظيمة تعجز عنها قدر البشر ولا يبعد أيضاً أن يكون لكل نوع منها تعلق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم. انظر تفسير الرازي (٣٠/ ١٣١).

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ وسماعهم الأوامر ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ حراسا وهم الأملاك ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ لما أرسل رسول الله محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أولا ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ أرصد له.

﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ مرادهم لما ردعوا عما هو سمع لأمور السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وصلاح حال.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)﴾ [آية: ١١ - ١٧]:

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ أهل الإسلام لمحمد أكمل الله له السلام ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ ملأ ما هم أهل إصلاح ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أهل إسلام، وأهل إلحاد.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها الهاء مطروح ﴿لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ إلى محل أراده وأعده.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ كلام الله المكرم ﴿آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا﴾ هو حطا مما عمل صالحا ﴿وَلا رَهَقًا﴾ عدوا كرموا على عمل طالح.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أهل إلحاد ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أموا وحاولوا الهدى.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وروى راوٍ العامل المؤكد كلما ورد مكسورا إلا ما صدره الوارد أول ما هو مكمل للعامل كما أو ما ورد وراء ما أدى مؤدى حكى.

﴿وَأَنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ مسلك الإسلام، والواو عائد على أهل الحرم الحرام ملحدهم ﴿لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ المراد: حلول الأمطار لما أمحلوا أعواما.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لعلم حمدهم أو إلحادهم علم سطوع وإلا هو عالم سرائرهم

وأعمالهم كلها ما صدر وما هو صادر ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ كلامه المكرم ﴿يَسْلُكْهُ﴾ ورواه راوٍ كما لو ورد للمكلم ومعه سواه ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ المراد: ما حمله عسر والعمل الحار.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلا بَلاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤)﴾ [آية: ١٨ - ٢٤]:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ محال الركوع والصلاه ﴿لِلهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ ردع عما هو ركوع إلى سواه.

﴿وَأَنَّهُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ﴾ رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿يَدْعُوهُ﴾ أورد الدعاء وأراد الركوع والأله ﴿كَادُوا﴾ كاد أولاد الوسواس ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ركاما أحدهم على أحدهم حرصا على سماع كلام الله المكرم.

﴿قُلْ﴾ محمد صلى الله وسلم على روحه لما سأله أهل الإلحاد وداع ركوعه إلى الله، ورواه راوٍ على الأمر ﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ وحده إلها ﴿وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ عمى ﴿وَلا رَشَدًا﴾ هدى.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ﴾ المراد: مما أعده لكل عاص أوامره ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿مُلْتَحَدًا﴾ موئلا.

﴿إِلا بَلاغًا﴾ حاصل المرام لا أملك لكم هدى إلا دعائكم الله ﴿مِنَ اللهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ لا وحد الله، ولا أسلم لرسوله، ولا سلك على مسلك أوامرهما ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ راعى مؤدى الاسم الموصول وعدد حال ما عاد له وهو هاء له وراء العامل المؤكد ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ واطلاعهم على ما أوعدهم حلوله هو أما لأمر الله رسوله محمدا ردد الله له السلام الكر على أعدائه، وأما حاصل لدى المعاد وهو ألم دار السوأى ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ لدى حلوله ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أهم أم أهل الإسلام والرسول ردد الله له السلام.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [آية: ٢٥ - ٢٨]:

﴿قُلْ إِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ مدى وطولا لحلوله أوحاه الله لما سألوا مدد حلول الألم.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ﴾ ما هو مطلع ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾.

﴿إِلا مَنِ ارْتَضَى﴾ لاطلاعه ﴿مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ﴾ مع اطلاع الله على ما أراد ﴿يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ الهاء للرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أملاكا حراسا.

﴿لِيَعْلَمَ﴾ الله علم سطوع ﴿أَنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ الواو للرسلل ﴿رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ علم الله ما لدى الرسل ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ والأصل أحصى عدد كل ما سواه وأحصى عده الرمل والأمصار.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المزمل

مكية، وآيها عشرون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [آية: [آية: ١ - ١٠]:

﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ المكور وسط مروطه، وهو محمد رسول الله صلى الله على روحه وسلم كور وسط المروط لما أوحى الله وراعه ما أوحاه الله لوروده أو العهد.

﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ صل ﴿إِلا قَلِيلا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلا﴾.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا﴾[1] هو كلام الله المكرم ﴿ثَقِيلا﴾ ألد.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ المراد: أم الركوع وراء الكرى ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ وأم السمع للردع إدراكا لكلام الله، وحاصل المراد: كراك أول المساء وأمك وراءه إلى إملاء كلام الله والركوع أولى لحصوله وراء الراحة ﴿وَأَقْوَمُ قِيلا﴾ أسد وأسطع كلاما.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سنُلقي عليك قولا ثقيلا﴾، قال القشيري: (ثقيلا) أي: له خطْر، ويقال: لا يقوى عليه إلا مَن أيّد بقوة سماوية، ورُبّي في حجر التقريب. هـ. قال الورتجبي: وكيف لا يثقل قولهُ سبحانه وهو قديم، وأجدر أن تذوب تحت سطوات عزيته الأرواح والأشباح والأكوان والحدثان، بل هو بذاته يحمل صفاته لا غير، وكان عليه السلام مؤيداً بالاتصاف بالحق، فكان يحمل الحق بالحق. هـ. انظر البحر المديد (٨/٢٨٣)

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا﴾ عسر معه إملاؤك لكلام الله.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ هلله دائما ودم على حمده ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا﴾ سلم روعك وركوعك له عما سواه.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا﴾ موكولا له أمورك كلها.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ ملحدو الحرم مما هو إسماع مكروه لك ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا﴾ كل أمرهم إلى مولاك كما أمره.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾﴾ [آية: ١١ - ١٤]:

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ المراد: هو معاملهم على سوء أعمالهم ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ أهل الأموال والآلاء ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا﴾ عصرا أو إمهالا ما.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا﴾ أداهم واحدها الأدهم ﴿وَجَحِيمًا﴾.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما سوى ما سطر.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملا مركوما ﴿مَهِيلا﴾ سائلا وراء ركمه.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولا (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا (١٩)﴾ [آية: ١٥ - ١٩]:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم والحرم الحرام ﴿رَسُولا﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ لدى المعاد والورود موارد الأعمال ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا﴾ هو موسى ردد الله له السلام.

﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا﴾ ألد.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ المراد: لو داموا على إلحادهم إلى ورود حمامهم ﴿يَوْمًا﴾ المراد: ألمه ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ هو له.

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ﴾ حاصل لها صدوع ﴿بِهِ كَانَ وَعْدُهُ﴾ وعد حصوله ﴿مَفْعُولا﴾ هو

حاصل لا محال.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾ صراطا مسلما، وهو الإسلام والسلوك على ما أمر والوداع لما حرم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [آية: ٢٠]:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ ورواهما راوٍ على الكسر ردا على المعمول لعامله ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ﴾ محص ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروح ﴿لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ وعاد إلى الأمر الأسهل راحما حالكم ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ صلوا واركعوا ما سهل لكم ركوعه ﴿عَلِمَ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد، والاسم الهاء مطروح ﴿سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ﴾ سواحا ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾ الأموال أو العلوم ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ كرا على أعدائهم وأعدائه أهل الإلحاد ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ صلوا ما سهل ركوعه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ العصر وما وراءها، وما أمامها ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ السهم المحدود ﴿وَأَقْرِضُوا اللهَ﴾ كسائر الإعطاء للمحارم وكل معدم ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مع عدم الكره ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا﴾ المراد: ما أعطاه أحدكم أولى مما أوصاه ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ﴾ دائما لسوء الأعمال ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل مسلم سائله محو سوء أعماله.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المدثر

مكية، وآيها خمس وخمسون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [آية: ١ - ١٠]:

﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ المكور وسط مروطه، وهو محمد صلى الله على روحه وسلم كور وسط مروطه لما أوحى الله له وراعه ما أوحاه لوروده أول العهد.

﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ روع أهل الحرم الحرام ما أعده الله لكل عاص أوامره.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عما سواه.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عما هو راد لصالح الركوع أو عما هو طول لها.

﴿وَالرُّجْزَ﴾ الركوع إلى الصور ﴿فَاهْجُرْ﴾ المراد: دُم على وداعه أو المأمور الرسول، والمراد أمر الرسول لهم.

﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ ردع للرسول وحده صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على مر الأوامر والروادع.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ الصور، والمراد: أرسل ملكه روحه وسطه لورود العوالم إلى السؤال وراء الأولى ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ وسهل على أهل الإسلام كما دل له السرد.

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠

ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [آية: ١١ - ٣٠]:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ حال الهاء عائد الاسم الموصول، والمراد: لا أهل له ولا مال، وهو الموسوم على معطسه.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا﴾ واسعا محصولا وأموالا.

﴿وَبَنِينَ﴾ أولادا ﴿شُهُودًا﴾ معه كل أمر ومحل.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ﴾ المال والعمر والولد ﴿تَمْهِيدًا﴾.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ على ما راءه.

﴿كَلا﴾ لا رمؤ على الآلاء المحرر سردها ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿عَنِيدًا﴾.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ اسم طود وسط سوء الدر صاعده ولدى وصوله إلى أعلاه هاو إلى مالا مدى له.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ وصور وصمما لكلام الله لما سمعه ﴿وَقَدَّرَ﴾ ما صوره.

﴿فَقُتِلَ﴾ طرد أو أهلك وأولم ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ كرره رمؤا للوصم.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ إلى ملأه أو الى ما هو واصم كلام الله.

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ وكلح لما رأى لا وصول إلى وصمه كلام الله ﴿وَبَسَرَ﴾ رمأ كلحا.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عما هو إسلام ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عما هو سلوك على مسالك الرسول.

﴿فَقَالَ﴾ لما عدم الوصم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ أومأ إلى كلام الله ﴿إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾.

﴿سَأُصْلِيهِ﴾ أحله ﴿سَقَرَ﴾ اسم سوء الدار.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ أمرها أمر مهول لا كالأهوال.

﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾ لأهلها لا لحما ولا دما ولا سواه، وهو عائد إلى حاله الأولى ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكا وهم مأمورها.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا

لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [آية: ٣١]:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ عددهم المسطور ﴿إِلا فِتْنَةً﴾ ورمؤ عمى ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومحلا لسؤالهم لمد عددهم كما عد، ولا هم أعلا ولا أحط عددا مما حرر ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم الهود لوروده كما حرر وسط الكلام الموحى لرسولهم ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كولد سلام ﴿إِيمَانًا﴾ طارد الكل وهم عار ﴿وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كملأ حلوا مصر لحد الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ الأولى حلوا أم رحم والحرم الحرام ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا﴾ العدد المسطور ﴿مَثَلا﴾ سموه لما رأوه كالمحال ﴿كَذَلِكَ﴾ كعمى هؤلاء ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أملاكا وأحوالهم ﴿إِلا هُوَ وَمَا هِيَ﴾ سوء الدار ﴿إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾.

﴿كَلا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾ [آية: ٣٢ - ٣٧]:

﴿كَلا﴾ وارد مورد إلا ﴿وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ حصحص وسطع ﴿إِنَّهَا﴾ الهاء عائد لسوء الدار ﴿لإِحْدَى الْكُبَرِ﴾[1].

﴿نَذِيرًا﴾ حال وأورده كالواحد لورودها مورد الألم ﴿لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ إلى دار السلام مسلما أو إلى كل عمل صالح.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿كَلا وَالْقَمَرِ﴾ قال الفراء: "كلا" صلة للقسم، التقدير أي والقمر. وقيل: المعنى حقا والقمر؛ فلا يوقف على هذين التقديرين على "كلا" وأجاز الطبري الوقف عليها، وجعلها ردا للذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم؛ أي ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار. ثم أقسم على ذلك جل وعز بالقمر وبما بعده، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي ولى وكذلك "دبر". وقرأ نافع وحمزة وحفص "إذ أدبر" الباقون "إذا" بألف و"دبر" بغير ألف وهما لغتان بمعنى؛ يقال دبر وأدبر، وكذلك قبل الليل وأقبل. وقد قالوا: أمس الدابر والمدابر. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٤/١٩).

﴿٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ٥١ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ٥٢ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ٥٣ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ٥٦﴾ [آية: ٣٨ - ٥٦]:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ كل أحد وارد مورد عمله إلى سوء الدار ﴿إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ أهل الإسلام ما هم رأو ألمها وهم ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وكلامهم وسؤالهم ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أحلكم ﴿فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أمر المعاد والورود موارد الأعمال.

﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ الحمام ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ الأملاك والرسل والصلحاء.

﴿فَمَا﴾ اسم سؤال أول كلام محموله ﴿لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال لهم ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾.

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ اسمر الأسد ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ كما سألوها رسول الله صلى الله على روحه وسلم.

﴿كَلا﴾ ردع لهم عما أرادوه وسألوه الرسول ﴿بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾ المراد: ألمها وما أعد لهم على سوء عملهم.

﴿كَلا﴾ وارد مورد إلا ﴿إِنَّهُ﴾ كلام الله المكرم ﴿تَذْكِرَةٌ﴾.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ واسمعه وارعوى ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ ورواه راوٍ على ورود الكلام لأهل السماع ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لكل سالك على مسلك أوامره.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القيامة

مكية، وآيها أربعون آية

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ [آية: ١ - ١٢]:

﴿لا﴾ وصل مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿وَلا﴾ وصل كالأولى ﴿أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أهلها، ولو حصلوا كل الصلاح ووصلوا إلى اسمى مدارك الكمال.

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ﴾ الملحد ﴿أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ للمعاد والورود موارد العمال.

﴿بَلَى قَادِرِينَ﴾ مع ركمه ﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾.

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام وصل وعامل المصدر مطروح ﴿أَمَامَهُ﴾ ما هو حاصل أمامه، وهو أمر المعاد ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿فَإِذَا بَرِقَ﴾ مكسور الراء، والمراد: حار، ورواه راوٍ كلمح سردا ومؤدى.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أسود ومطر لألاؤه.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ كطلوعهما مما هو محل دلوكهما، أو المراد مطور لآلائهما وأسودادهما لدى المعاد ﴿يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾.

﴿كَلا﴾ ردع عما هو روم له ﴿لا وَزَرَ﴾ لا موئل لأحد ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾.

﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٣ - ١٩]:

﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ عمله الأعمال ووداعه لها.

﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ أمر دال على أعماله صالحها لأداء حواسه الأعلام على أعماله كلها.

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ كل ما أورده مردود.

﴿لا تُحَرِّكْ﴾ الردع للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِهِ﴾ الهاء لكلام الله المكرم، والمراد: أمام إكمال أداء الملك الروح لك ما أوحاه مولاك ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ وسط صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ المراد: أسمعكه الملك الروح ﴿فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾ كرره كما أسمعك الملك.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ لك وصل ما عسر.

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذِۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٢٠ - ٤٠]:

﴿كَلا﴾ وارد مورد إلا ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدار الأولى.

﴿وَتَذَرُونَ﴾ ورواهما راوٍ على وردهما لسماع الكلام ﴿الآخِرَةَ﴾ لعدم عملهم لها.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ وسماء ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لا على مسلك الحد أو الحصر، أو المراد: إلى أمره وآلائه وهو مردود.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كلحا ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ هو ما كسر المطا.

﴿كَلا﴾ ورد مورد إلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿التَّرَاقِيَ﴾ أعلى الصدر صعودا.

﴿وَقِيلَ﴾ المكلم الأولى حوله ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ له مما عراه ودهمه.

﴿وَظَنَّ﴾ المراد: علم علما حاسما لكل وهم ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ وهما كلاهما لدى الورود على مصارع الحمام ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ المراد: إلى حكمه وأمره.

﴿فَلا صَدَّقَ﴾ الهالك لا أسلم ﴿وَلا صَلَّى﴾ الهالك لا أسلم ولا صلى.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ كلام الله ورسوله ﴿وَتَوَلَّى﴾ عما هو هدى.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ المراد: لوى مطاه سمودا ﴿أَوْلَى لَكَ﴾ اللام وصل، والمراد: أولاه الله ما هو كارهه أو اللام أصل، والمراد: أولى لك الهلاك ﴿فَأَوْلَى﴾.

﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ كرره مؤكدا.

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ مهملا لا أمر ولا ردعا.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ مهالا وسط الأرحام، ورواه راوٍ على عوده إلى ولد آدم.

﴿ثُمَّ كَانَ﴾ الماء المهال إلى الرحم ﴿عَلَقَةً﴾ دما ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ عدله.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ الهاء عائد إلى الماء الصائر دما ووراء الدم لحما ﴿الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ والأصل واحد وهو الماء.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الأسر لهؤلاء ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ والأسر مما هو دم أو لحم أو ماء أسر مما هو حصحص.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الإنسان

مكية، وآيها إحدى وثلاثون آية

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾[1] [آية: ١ - ٤]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أنه سبحانه بين في أول السورة أن الإنسان وجد بعد العدم بقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الانسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان: ١) ثم بين أنه سبحانه خلقه من أمشاج، والمراد منه إما كونه مخلوقاً من العناصر الأربعة أو من الأخلاط الأربعة أو من ماء الرجل والمرأة أو من الأعضاء والأرواح أو من البدن والنفس أو من أحوال متعاقبة على ذلك الجسم مثل كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً، وعلى أي هذه الوجوه تحمل هذه الآية، فلذلك يدل على أنه لا بد من الصانع المختار جل جلاله وعظم كبرياؤه. ثم بين بعد ذلك أني ما خلقته ضائعاً عاطلا باطلا، بل خلقته لأجل الابتلاء والامتحان، وإليه الإشارة بقوله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ (الإنسان: ٢) وههنا موضع الخصومة العظيمة القائمة بين أهل الجبر والقدر، ثم ذكر تعالى أني أعطيته جميع ما يحتاج إليه عند الابتلاء والامتحان، وهو السمع والبصر والعقل، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: ٢) ولما كان العقل أشرف الأمور المحتاج إليها في هذا الباب أفرده عن السمع والبصر، فقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ (الإنسان: ٣) ثم بين أن الخلق بعد هذه الأحوال صاروا قسمين: منهم شاكر، ومنهم كفور، وهذا الانقسام باختيارهم كما هو تأويل القدرية، أو من الله على ما هو تأويل الجبرية، ثم إنه تعالى ذكر عذاب الكفار على الاختصار، ثم ذكر بعد ذلك ثواب المطيعين على الاستقصاء، وهو إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ (الإنسان: ٢٢) واعلم أن الاختصار في ذكر العقاب مع الإطناب في شرح الثواب يدل على أن جانب الرحمة أغلب وأقوى، فظهر مما بينا أن السورة من أولها إلى هذا الموضع في بيان أحوال الآخرة، ثم إنه تعالى شرع بعد ذلك في أحوال الدنيا، وقدم شرح أحوال المطيعين =

﴿هَلْ﴾ أصله أهل ﴿أَتَى عَلَى الإنْسَانِ﴾ المراد: آدم ردد الله له السلام أو كل ولده ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ لو حمل على آدم، المراد: لما صوره وهو وحل وحما لا روح له، ولو حمل على كل ولده المراد: عصر الحمل وهو ماء، أو دم وسط الرحم وحما لا روح له ولو حمل على كل ولده المراد: عصر الحمل، وهو ماء أو دم وسط الرحم ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ المراد: أسره مسوط مما هو ماء المرء وماء عرسه حال الوطء ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ طورا ماء، وطورا دما، وطورا لحما إلى سوى ما حرر ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ صراط الهدى لإرسال الرسل وسمك الدلائل ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ مسلما، ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ملحدا، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالا وَسَعِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

=

على شرح أحوال المتمردين. أما المطيعون فهم الرسول وأمته، والرسول هو الرأس والرئيس، فلهذا خص الرسول بالخطاب. واعلم أن الخطاب إما النهي وإما الأمر، ثم إنه تعالى قبل الخوض فيما يتعلق بالرسول من النهي والأمر، قدم مقدمة في تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلّم، وإزالة الغم والوحشة عن خاطره، وإنما فعل ذلك، لأن الاشتغال بالطاعة والقيام بعهدة التكليف لا يتم إلا مع فراغ القلب ثم بعد هذه المقدمة. ذكر نهيه عن بعض الأشياء، ثم بعد الفراغ عن النهي، ذكر أمره ببعض الأشياء، وإنما قدم النهي على الأمر، لأن دفع الضرر أهم من جلب النفع، وإزالة ما لا ينبغي مقدم على تحصيل ما ينبغي، ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك أحوال المتمردين والكفار على ما سيأتي تفصيل بيانه، ومن تأمل فيما ذكرناه علم أن هذه السورة، وقعت على أحسن وجوه الترتيب والنظام، فالحمد لله الذي نور عقل هذا المسكين الضعيف بهذه الأنوار، وله الشكر عليه أبد الآباد. انظر تفسير الرازي (٦٥٩/٣٠).

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [آية: ٥ - ١٤]:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ﴾ هم كل طائع وسالك مسلك الأوامر والروادع ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ المراد: راحها أورد المحل وأراد الحال ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

﴿عَيْنًا﴾ حل لما أمامه ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ هم موصلو أمواهها إلى كل محل أرادوه.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ أوامر الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ساطعا.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ مع ودادهم ووطرهم له ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا﴾ لا والد له ﴿وَأَسِيرًا﴾ ما صور الأداء مال أو سواه.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾ المراد: كلامهم للأولى أطعموهم الكلام المحرر، وكلام حالهم علمه الله وحمدهم ﴿لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ على الإطعام.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ أهله ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ كالح أهله ألد الكلح لهوله.

﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ وساما ﴿وَسُرُورًا﴾.

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ عما صادم أوامر مولاهم ﴿جَنَّةً﴾ حلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ كساهموه.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ حال هم أمامه ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ السرر ﴿لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا﴾ المراد: لا حرا ولا صرصرا، أو المراد: ولا هلالا.

﴿وَدَانِيَةً﴾ حال ﴿عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ المراد: سهل حملها لكل آكل على كل حال ﴿تَذْلِيلا﴾.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [آية: ١٥ - ١٨]:

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ كؤوس لا عرى لها ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾.

﴿قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا﴾ معطوها على ما الكارع المعطى راو ﴿تَقْدِيرًا﴾ لا رمؤ ولا حط.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ راحا أورد المحل وأراد الحال ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا﴾ المراد: ما حاكى طعمه لا هو.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا﴾ هو السلسل والسلسال، والمراد: سهل الكرع والمعاطاه.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ١٩ - ٢٦]:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لوسامهم ﴿لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ مما هو سلكه.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعا لا مدى له.

﴿عَالِيَهُمْ﴾ أعلاهم ﴿ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ﴾ مسموك ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ المراد: وأساور مما هو أحمر معا ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ لا كالراح المعهود أمرها لهم.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ المسطور كله ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ مؤكدا وحاد ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنْزِيلا﴾.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وادع الأمم إلى الله، وحكم المولى هو علو الرسول صلى الله على روحه وسلم على أهل الإلحاد ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ كل أحد وسمه كما حرر، أو هما لموسوم على معطسه وواحد معه معلوم.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ حال ركوعك ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ الركوع الأول إلى الركوع العصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ ركوعا المساء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا﴾ هو ركوع الطوع.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ

وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [آية: ٢٧ - ٣١]:

﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدار الأولى وحطامها ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ المراد: أمامهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلا﴾ هو المعاد، وورودهم موارد الأعمال، والمراد: ما أعدوا له ولا عملوا.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أوصالهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا﴾ كإهلاكهم وإحلال سواهم محلهم.

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أومأ إلى السورة ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾ صراطا مسلما، وهو السلوك على أوامر مولاه.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ ورواه راوٍ على ورود الكلام إلى السامع ﴿إلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ سلوكهم على مسلك أوامره ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ وهو على ما هو دائما ﴿حَكِيمًا﴾.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ دار السلام، وهم أهل الإسلام ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما وهم أهل الإلحاد.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المرسلات

مكية، وآيها خمسون آية

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١ - ١٥]:

﴿وَالْمُرْسَلاتِ﴾ الأملاك، أو أحكام كلامه المكرم، أو الأرواح الحوامل للأمطار ﴿عُرْفًا﴾ كما للصاهل وهو معمول على الحال ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾.

﴿وَالنَّاشِرَاتِ﴾ العلم لو حمل المرسل على الأملاك، والمراد: المطر، لو حمل على الأرواح ﴿نَشْرًا﴾.

﴿فَالْفَارِقَاتِ﴾ الحلال عما هو حرام، والمراد: أحكام كلام الله المكرم ﴿فَرْقًا﴾ مصدر مؤكد لعامله.

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ﴾ الملاك ﴿ذِكْرًا﴾ ما أوحاه الله إلى رسوله، أو الأول الرسل لا الملاك وما أدوه إلى الأمم مما هو أحكام الله.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ كلاهما مصدر الأول لمحو ما ساء وما أمه لما روع.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ الكلام لأهل ملحدهم وما أوعدوه هو أمر المعاد وورودهم على موارد أعمالهم ﴿لَوَاقِعٌ﴾ حاصل لا محال.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ لمحو لآلائها.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ وصار لها صدوع.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ وصار كل طود رملا طائرا مع الأرواح.

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ وروى راوٍ أوله الواو على الأصل، والمراد: حد لهم عصر لورودهم وإطلاعهم لدى سؤال الأمم ﴿لأيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ هوله لا كالأهوال ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أوعدهم وهددهم.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٦ - ١٩]:

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ الأمم الأول كملأ لوط، وعاد، وصالح وسواهم.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ﴾ هلاكا، وهم أهل أم رحم.

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ كل ملحد، والمراد: لو أراد إهلاكهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم كرره مؤكدا.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [آية: ٢٠ - ٢٤]:

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[١] ماء ولد آدم المهال إلى الأرحام حال الوطء.

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرحم ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ مدد الحمل.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ما حرر ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أعاده مؤكدا.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٢٥ - ٢٨]:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا﴾ مصدر وارد مورد الركم لركمها الأمم.

﴿أَحْيَاءً﴾ على مطاها وسطحها ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ وسطها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أطوادا ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ حلوا.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسل وأعاده مؤكدا.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ أي ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدم.وهذه الآية أصل لمن قال: إن خلق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحده. وقد مضى القول فيه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٥٩).

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧﴾ [آية: ٢٩ - ٣٧]:

﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ هو ألم سوء الدار ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾.

﴿لا ظَلِيلٍ﴾ كما أوهم سرده مما هو حر ﴿وَلا يُغْنِي﴾ ولا هو راد حرا ما ﴿مِنَ اللهَبِ﴾.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ لعلوه وسموه ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ﴾ رواحل ﴿صُفْرٌ﴾ هو المعلوم أو المراد سود ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٠﴾ [آية: ٣٨ - ٤٠]:

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ الأمم الأول الأولى حالهم كحالكم ردا لدعوى الرسل.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ المراد: كما كادوا أولا أهل الإسلام ﴿فَكِيدُونِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٤٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٥ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ۝٤٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ [آية: ٤١ - ٥٠]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ﴾ مما هو حر ﴿وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وسط

دار السلام.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم وكلم أهل الإلحاد أمرا.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلا﴾ طول عمركم إلى ورود حمامكم ﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ صلوا ﴿لا يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ الهاء لكلام الله المكرم الموحى لرسوله الأكرم صلى الله على روحه وسلم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ والمراد: إسلامهم أمر محال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النبأ

مكية، وآيها إحدى وأربعون آية

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [آية: ١ - ١٦]:

﴿عَمَّ﴾ معمول لعامل مطروح دل له ﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ معمول على مسلك وهم العامل المكرر ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ وهو أمر المعاد سلمه أهل الإسلام وروده أهل الإلحاد.

﴿كَلا﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ هل هو حاصل أم لا، أو ما هو حال على رؤوسهم لردهم أم المعاد.

﴿ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ﴾ كرره مؤكدا لما وعدهم وهددهم.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾[1] كالمهد لهم.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿ألم نجعل الأرضَ مِهاداً﴾ أي: بساطاً وفراشاً، فرشناها لكم حتى سكنتموها. وقُرِىء " مَهْداً " تشبيهاً لها بمهد الصبي، وهو ما يمهّد له لينام عليه، تسمية للممهود بالمصدر. ولمّا أنكروا البعث قيل لهم: ألم يَخلُق مَن أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة، فلِمَ تُنكرون قدرته على البعث؟ وما هو إلا اختراع مثل هذه الاختراعات، أو: قيل لهم: لِمَ فعل هذه الأشياء، والحكيم لا يفعل شيئاً عبثاً، وإنكارُ البعث يؤدّي إلى أنه =

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ لعدم مورها.
﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحه.
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ لسواده.
﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ لروم المصالح.
﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ محكما أعمارها ما هادمها مرور الدهور والأعصار.
﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ حارا، وهو ما محا سطوعه أسحم المساء.
﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ الركام الممطر ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ هاطلا.
﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالسمراء وكل محصول ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالكلأ ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [آية: ١٧ - ٢٠]:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ والحكم على الأمم ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ لأهل الصلاح والطلاح لورود كل على موارد أعماله.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ﴾ إلى المعاد والورود على الأعمال ﴿أَفْوَاجًا﴾ ملأ ملأ.

﴿وَفُتِحَتِ﴾ ورواه راوٍ كهدد، والمراد: صار لها صدوع ومسالك للأملاك ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ صار كل طود رملا وسط الهواء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كالعصار.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [آية: ٢١ - ٣٠]:

=

عابث في كل ما فعل؟ ومن هنا يتضح أنَّ الذي وقع عنه التساؤل هو البعث، لا القرآن أو نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل. والهمزة للتقرير. والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الإلزام والتبكيت. انظر البحر المديد (٣٣٠/٨)

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ دار رصد.

﴿لِلطَّاغِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿مَآبًا﴾ معادا لهم ومأوى.

﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ دهورا لا مدى لها ولا حد.

﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ هو الكرى ﴿وَلا شَرَابًا﴾.

﴿إِلا حَمِيمًا﴾ هو الماء الحار ﴿وَغَسَّاقًا﴾ كل سائل كالمهل والدم.

﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ وأماً لأعمالهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ما راعهم أمر السؤال وورودهم موارد الأعمال لردهم أمر المعاد.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿كِذَّابًا﴾ مصدر مطرد وروده.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ ما هو عمل ﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ المراد: كل عملهم محرر وسط اللوح ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا﴾ على ألمكم.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٣١ - ٤٠]:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ وسط دار السلام ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ واحدها الحوراء سام ملسدها ﴿أَتْرَابًا﴾ على عمر واحد.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ مملؤ راحا ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ هو كل كلام هدر ﴿وَلا كِذَّابًا﴾ الكلام لا أصل له.

﴿جَزَاءً﴾ مصدر ﴿مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ واسعا.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ ورواه والد عمرو مسموكا على المدح ﴿وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ﴾ مكسورا على ما رواه ولد عامر وعاصم وسواهما، ومسموكا على ما رواه والد عمرو أول كلام، أو محمول لأول كلام ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ لروعهم.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ الملك رسول الله إلى رسله ردد الله لهم السلام، أو هو ملك

موكل على الأرواح سوى الملك الروح ﴿وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ حال ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ كأهل الإسلام والأملاك ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الحاصل لا محال ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ معادا مسلما، وهو سلوكه على مسلك الأوامر.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ﴾ الكلام مع أهل الحرم الحرام ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ هو ألم دار السوأى.

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ كل امرء ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ مما هو عمل صالح أو طالح ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ كالهر، والحمار، والأسد، وسائرها لعدم حلولها دار الآلام والكدر السرمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النازعات

مكية، وآيها ست وأربعون آية

﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [آية: ١ - ١٤]:

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ أرواح أهل الإلحاد وهم الأملاك ﴿غَرْقًا﴾ مصدر مؤكد مؤدى[(١)].

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها، على أن القيامة حق. و"النازعات": الملائكة التي تنزع أرواح الكفار؛ قاله علي رضي الله عنه، وكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم. قال ابن مسعود: يريد أنفس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم، من تحت كل شعرة، ومن تحت الأظافير وأصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب، يغرقها، أي يرجعها في أجسادهم، ثم ينزعها فهذا عمله بالكفار. وقاله ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: نزعت أرواحهم، ثم غرقت، ثم حرقت؛ ثم قذف بها في النار. وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق. وقال السدي: و"النازعات" هي النفوس حين تغرق في الصدور. مجاهد: هي الموت ينزع النفوس. الحسن وقتادة: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق؛ أي تذهب، من قولهم: نزع إليه أي ذهب، أو من قولهم: نزعت الخيل أي جرت. ﴿غَرْقاً﴾ أي إنها تغرق وتغيب وتطلع من أفق إلى أفق آخر. وقاله أبو عبيدة وابن كيسان والأخفش. وقيل: النازعات القسي تنزع بالسهام؛ قاله عطاء وعكرمة. و﴿غَرْقاً﴾ بمعنى إغراقا؛ وإغراق النازع في القوس أن يبلغ غاية المد، حتى ينتهي إلى النصل. يقال: أغرق في القوس أي استوفى مدها، وذلك بأن تنتهي إلى العقب الذي عند النصف الملفوف عليه. والاستغراق الاستيعاب. ويقال لقشرة البيضة الداخلة: "غِرقِئ". وقيل: هم الغزاة =

﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ الأملاك لدى سلهم أرواح أهل الإسلام ﴿نَشْطًا﴾ سلا مصدر مؤكد.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ وسط السماء كالعائم وسط الماء.

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ الأملاك موصلو أرواح أهل الإسلام إلى دار السلام.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ الأملاك محدور أمر العوالم، ومكمل الواو مطروح، وهو لأمر المعاد حاصل.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ كالأطواد وسواها حال إرسال الملك مأمور الصور روحه وسطه الإرسال الأول لهدم العالم الأعلى والأحط.

﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ وراءها لورود الأمم إلى المعاد والسؤال.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ مروعها أمر المعاد وهو له.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ لهول الأمر المحرر.

﴿يَقُولُونَ﴾ الواو لهؤلاء المحرر سردهم ردا لحصول المعاد ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ الحال الأولى، والأمر الأول، والمراد: وراء الحمام.

﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ الأمم كلهم ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ على سطحها مع الأرواح وراء ما حلوا اللحود وسطها هلكى.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ١٥ - ٢٦]:

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ الكلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ هو اسم للواد المحرر آمرًا له.

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ عدا الحدود والحد.

=

الرماة. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٩١).

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾ المراد: أدعوك ﴿إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ أراد الطهر عما هو عمى وإلحاد والسلوك على مسلك لا إله إلا الله.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أدلك على الوصول إلى الصراط المسلم ﴿فَتَخْشَى﴾.

﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ لعلها العصا، والمراد: مطر موسى كما أمره مولاه ودعا عدوه إلى الإسلام وأراه الدال على الإرسال.

﴿فَكَذَّبَ﴾ عدو موسى ردد الله له السلام ﴿وَعَصَى﴾ الله.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عما هو إسلام ﴿يَسْعَى﴾ داحسا.

﴿فَحَشَرَ﴾ حاط كل ساحر وملأه ﴿فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾.

﴿فَأَخَذَهُ اللهُ﴾ أهلكه ﴿نَكَالَ الآخِرَةِ﴾ ادعاؤه هو إلههم الأعلى ﴿وَالأُولَى﴾ ادعاؤه ما علم لهم إلها سواه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ الله، وما أعده لكل عاص أوامره.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [آية: ٢٧ - ٣٣]:

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ ألد أسرا ﴿بَنَاهَا﴾.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ علوها، أو المراد: أطلسها ﴿فَسَوَّاهَا﴾ عدلها.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ سوده ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ لآلأها.

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ مهدها.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ الكلأ وسواه.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أركدها وأهداها.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ رواحلكم وسواها.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ

مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [آية: ٣٤ - ٤٦]:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ وورد الأمم إلى المعاد.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ما عمله صالحا أو طالحا.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ لكل راء.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ألحد.

﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ سالكا مسالك هواه.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (ال) وارد مورد الهاء، والمراد مأواه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمارة ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ وعلم إرداءه.

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه لا مأوى له سواها.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ إرساؤها وركودها، والسائل أهل الحرم الحرام وأم رحم.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ المراد: ما لدى الرسول أكمل الله له السلام علمها ولا هو مطلع على عصر ورودها.

﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ ما عالم عصر ورودها إلا الله لا سواه.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ كل أحد روعه أمرها.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ وسط لحودهم ﴿إِلاعَشِيَّةً﴾ المراد: إحدى مددها ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ إحدى المدد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة عبس

مكية، وآيها ثنتان وأربعون آية

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿عَبَسَ﴾[1] رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿وَتَوَلَّى﴾.

﴿أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ وحول الرسول أكمل الله له السلام رؤساء الحرم، وهو حرص على إسلامهم، وسأله الأعمى ما حاصله أورد مما علمك الله على العمى وعلمه وكره رسول الله دعاءه، وهو على حاله المار سردها ولما عاد الرسول إلى داره أوحى الله له الحكم المسطور، وصار كلما ورد الأعمى المسطور على الرسول أهله ودله رداءه.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ﴾ الهاء للعمى ﴿يَزَّكَّى﴾ المراد: وما أدراك لعل الأعمى مطهر مما هو سوء عمل لسماعه كلامك ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ وهم رؤساء الحرم ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ ورواه راوٍ محلا ما كأوله مع الصاد ومكرها.

---

(١) قال الرازي: أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى، هو الرسول عليه الصلاة والسلام، وأجمعوا (على) أن الأعمى هو ابن أم مكتوم، وقرىء عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في، أن جاءه منصوب بتولى أو بعبس على اختلاف المذهبين في إعمال الأقرب أو الأبعد ومعناه عبس، لأن جاءه الأعمى، وأعرض لذلك، وقرىء أن جاءه بهمزتين، وبألف بينهما وقف على ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ثم ابتدأ على معنى الآن جاءه الأعمى، والمراد منه الإنكار عليه، واعلم أن في الأخبار عما فرط من رسول الله ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جانياً جنى عليه، ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهاً بالتوبيخ وإلزام الحجة. انظر تفسير الرازي (٥٤/٣١).

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى﴾ المراد: إسلام الرؤساء المار سردهم وعدمه على السواء لعود صالح أعمالهم لهم.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [آية: ٨ - ١٦]:

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ حال ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ الله، والمراد: الأعمى، وهو ما أمه حال ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ مطروح ما كأوله ﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ وعى ما أوحاه وسلك مسالكه.

﴿فِي صُحُفٍ﴾ محمول العامل المؤكد أم المحمول الأول ﴿مُكَرَّمَةٍ﴾.

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ سؤددا ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ عما هو مس الوسواس وملأه.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هم الأملاك.

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ كلهم طائع مولاه وسالك مسلك أوامره.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [آية: ١٧ - ٣٢]:

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ﴾ طرد الملحد ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما حمله على الإلحاد؛ ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم الحال الأرحام لدى الوطء ﴿خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ دما ولحما وولدا إلى سوى ما حرر.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾ صراط الولاده ﴿يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ رمسه ولحده.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ للمعاد.

﴿كَلا﴾ ردع لكل أحد عما هو سالكه ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ مولاه؛ ﴿فَلْيَنْظُرِ

الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ المطر مما هو ركام ﴿صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالعدس والسمراء وكل محصود.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ هو الكلد ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ كالكروم وسواها.

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ هو كل مرعى على العموم ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آية: ٣٣ - ٤٢]:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ الطامة للورود إلى المعاد ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ﴾ أهله وعرسه ﴿وَبَنِيهِ﴾.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ المراد: لكل امرء حال أمرها حال أهمه عما سواه.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ كلألأ الهلال.

﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ سرورا ومرحا، وهم أهل لا إله إلا الله.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ كدر وكلوح أو عصار ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ سواد ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ الأولى حووهما معا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التكوير

مكية، وآيها تسع وعشرون آية

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [آية: ١ - ١٤]:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[1] المراد: محا الله لألأها وعاد سوادا.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ حدور أو إمعاطا.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ صار كلها رملا وعصارا وسط الهواء.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ الرواحل الحوامل لا ما صر لدرها ﴿عُطِّلَتْ﴾ أو لإرعاء لها، أو المراد: الركام لا مطر له.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿إذا الشمسُ كُوِّرتْ﴾ أي: ذُهب بضوئها، من كوَّرت العمامة: إذا لففتها، أي: يُلفّ ضوؤها لفًّا، فيذهب انبساطه وانتشاره، أو: ألقيت عن فلكها، كما وصفت النجوم بالانكدار، من: طعنَة فكوّره: إذا ألقاه على الأرض. وعن أبي صالح: كُوِّرت: نُكّست، وعن ابن عباس رضي الله عنه: تكويرها: إدخالها في العرش. ﴿وإذا النجومُ انكَدرَتْ﴾ أي: انقضّت وتساقطت، فلا يبقى يومئذٍ نجمٌ إلا سقط على الأرض. قال ابن عباس رضي الله عنه: النجوم قناديل معلّقة بسلاسل من نور بين السماء والأرض، بأيدي ملائكة من نور، فإذا مات مَن في السموات ومَن في الأرض قطعت من أيديهم، وقيل: انكدارها: انطماس نورها، ويُروى: أن الشمس والنجوم تُطرح في جهنم، ليراها مَن عبدها، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] انظر البحر المديد (٣٦٧/٨).

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ للمعاد.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ورواه والد عمرو، وروح كسُحر سحرًا، والمراد: صار ماؤها واحدا.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ مع أعمالها أو الأرواح مع وعائها، أو أهل الإسلام مع الحور.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ﴾ رمسا ولحدا لروع عارا وطوى ﴿سُئِلَتْ﴾ سؤالا دالا على سوء حال وأدها ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ طروس الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ رواه راوٍ كأمر، وراوٍ كهدر.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ كالمسك.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ ورواه راوٍ كأسر.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ صددا لحلول أهلها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ عملا صالحا أو طالحا.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٥ - ٢٩]:

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ لا وصل لا مؤدى له ﴿بِالْخُنَّسِ﴾ كعطارد حال عوده إلى مسراه.

﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ حال عودها إلى محل دلوكها.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ سعسع وولى أو ورد.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ سطع لألاؤه.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء لكلام الله ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على مولاه، وهو الملك الروح ردد الله له السلام وأورد المصد له لحلوله معه.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ لدى الله ﴿مَكِينٍ﴾.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ لدى السماء والطائع له الأملاك ﴿أَمِينٍ﴾ على ما أوحاه الله إلى الرسول معه.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ رسولكم محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كدعواكم.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى رسول الله الملك الروح رسول الرسل على أصل ما صوره مولاه ردد الله لهما أكمل السلام ﴿بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ المطلع الأعلى.

﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما أوحاه الله له ﴿بِضَنِينٍ﴾ محل لسوء الحدس، ورواه عاصم، وولد عامر على ما مهمله الصاد المهمل، والمراد: الممسك.

﴿وَمَا هُوَ﴾ كلام الله المكرم ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ رائم لسمع السماء.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ مع ردكم أحكام كلام الله وعدم إسلامكم له.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ولد آدم وسواهم.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ سلوكا على مسالك الهدى.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ مسالك العدل ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سلوككم ودوامكم على مسالك الهدى.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الانفطار

مكية، وآيها تسع عشرة آية

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥ ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[1] وصار لها صدوع، ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ وصار ماؤها واحدا.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أركس حصحصها وأعاد الله أهلها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ﴾ مما هو عمل صالح ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ وهو سوء الأعمال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿إذا السماءُ انفطرتْ﴾ أي: انشقت لنزول الملائكة، كقوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾ [النبأ: ١٩]، ﴿وإذا الكواكبُ انتثرتْ﴾ أي: تساقطت متفرقة، ﴿وإذا البحار فُجِّرتْ﴾؛ فُتح بعضها إلى بعض، فاختلط العذب بالأجاج، وزال ما بينها من البرزخ والحاجز، وصارت البحار بحراً واحداً. رُوي: أنَّ الأرض تنشق، فتغور تلك البحار، وتسقط في جهنم، فتصير نيراناً، وهو معنى التسجير المتقدم عند الحسن. ﴿وإذا القبورُ بُعْثِرتْ﴾ أي: قُلب ترابها، وأُخرج موتاها، يقال: بعثرت الحوض وبحثرته: إذا جعلت أسفله أعلاه، وجواب " إذا ": ﴿عَلِمَتْ نفسٌ ما قدَّمتْ وأَخَّرَتْ﴾ أي: إذا كانت هذه الأشياء قرأ كلُّ إنسان كتابه، وجُوزي بعمله، لأنَّ المراد بها زمان واحد، مبدأه: النفخة الأولى، ومنتهاه: الفصل بين الخلائق ونشر الصُحف، لا أزمنة متعددة حسب تعددها، وإنما كررت لتهويل ما في حيّزها من الدواهي، ومعنى " ما قَدَّم وأخَّر ": ما سلف مِن عملٍ؛ خير أو شر، من سَنّ سُنة حسنة أو سيئة يُعمل بها بعده، قاله ابن عباس وابن مسعود. وعن ابن عباس أيضاً: ما قدّم من معصية وأخّر من طاعة، وقيل: ما قدَّم من أمواله لنفسه، وما أخَّر لورثته، وقيل: ما قدَّم من فرض، وأخّر منه عن وقته، وقيل: ما قدمتْ من الأسقاط والأفراط، وأخّرت من الأولاد. والله تعالى أعلم. انظر البحر المديد (٣٨٦/٨).

فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [آية: ٦ - ١٢]:

﴿يَأَيُّهَا الإِنْسَانُ﴾ المراد: الملحد ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ما حملك على السلوك مسالك سوء الأعمال.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ سالم الحواس ﴿فَعَدَلَكَ﴾ أورد عواملك وصورها على طول واحد، وروى راوٍ مصدره عدلا.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا﴾ وصل مؤكد ﴿شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.

﴿كَلا﴾ ردع لكل أحد أطمعه كرم مولاه ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ الكلام لأهل أم رحم ﴿بِالدِّينِ﴾ ورودكم موارد الأعمال والمعاد.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ لأعمالكم وهم الأملاك.

﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَاتِبِينَ﴾ لكل عمل.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ كله.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آية: ١٣ - ١٩]:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ﴾ الكمل ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ دار السلام.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ أهل الإلحاد ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ سوء الدار.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ المعاد، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ما أعلمك ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ كرره لهوله، والمراد: هوله لا كالأهوال.

﴿يَوْمَ﴾ ورواه راوٍ محمولا لأول كلام مطروح هو هو ﴿لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ﴾ وأورد الأمر لله وحده مع وروده كل عصر له لعدم الوسائط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المطففين

مختلف فيها، وآيها ست وثلاثون آية

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١ - ٦]:

﴿وَيْلٌ﴾ ألم أو هو اسم واد وسط دار السوأى ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ كل كائل واكس كما حله الاسم الموصول وما أمه[1].

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ الأولى كالوا لهم ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ ما كالوه لهم.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ لهم ووردهم مورد الطرح والوصول كالأول، وهو كالوهم، وأصله: كالوا لهم طرح عامل الكسر وهو اللام ووصل الهاء معموله مع كالوا كحكم ما وراءه ﴿يُخْسِرُونَ﴾ وكسا لما كالوه ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ مما هو لحودهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأمره وسؤاله وما أعده لكل طائع وعاص.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، وهي كلها أحكام تامة تضمنها خبره تعالى. أو إخبار عن وقوع ما يتربصونه عليهم. قال البيضاوي: الدوائر في الأصل: مصدر أضيف إليه السوء؛ للمبالغة، كقولك: رَجلُ صدق. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: "السُّوء " هنا، وفي الفتح بضم السين. هـ. ﴿والله سميعٌ﴾ لما يقولونه عند الإنفاق ﴿عليم﴾ بما يضمرونه من الرياء وغيره. انظر البحر المديد (٣/١٥٤).

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [آية: ٧ - ١٧]:

﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ طرس أعمال أهل الإلحاد ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ اسم لطومار حاوٍ لأعمال كل ملحد ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾.

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ مسطور ومحرر ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ ورود الأمم على موارد أعمالهم وهو المعاد.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ عاد الحدود ﴿أَثِيمٍ﴾.

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما حكوه، ورووه مما لا أصل له عددا سطوره.

﴿كَلا﴾ رد وردع لما ادعوه ﴿بَلْ رَانَ﴾ عال ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ كل عمل سوء.

﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ما هم راؤه كأهل الإسلام، وكل سالك مسلك لا إله إلا الله.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ حالوها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ومكلمهم الأملاك مأمورو دار السوأى.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [آية: ١٨ - ٢١]:

﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ﴾ طومار أعمال أهل الإسلام ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ اسم لطرس أعمال كل صالح على الأعم ملكا، أو سواه، أو هم اسم محل وراء سادس سماء.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ هو.

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ مسطور ومحرر.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الأملاك.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ

ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [آية: ٢٢ - ٢٨]:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ دار السلام.

﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ السرر ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ما أعطاهم مولاهم وأولادهم.

﴿تعرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ وسامه.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ راح ﴿مَخْتُومٍ﴾ على وعائها ما أحد حاله سواهم.

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ محل الوحل، أو المراد: روائحه روائح مسك، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ علم ماء معلوم وسط دار السلام كما مدحه الله.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ المراد: وحدها لا راح معها، ولا ماء، وأما سواهم وهم أهل دار السلام مع الراح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آية: ٢٩ - ٣٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجرَمُوا﴾ رؤساء أهل الحرم الحرام كعم الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كعمار وسواه لعدمهم ﴿يَضْحَكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ الواو لأهل الإلحاد وواو مروا الأولى لأهل الإسلام.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ عاد أهل الإلحاد ﴿إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ المراد: رأوا أهل الإسلام ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ﴾ لإسلامهم لمحمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ﴾ وما أرسل أهل الإلحاد على أهل الإسلام ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم أو لأعمالهم ردا إلى صالحهم.

﴿فَالْيَوْمَ﴾ لدى المعاد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ وسط دار السلام ﴿يَنْظُرُونَ﴾ أحوال أهل الإلحاد.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المراد: هل عومل أهل الإلحاد على سوء أعمالهم أو لا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الانشقاق

مكية، وآيها خمس وعشرون آية

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[1] حصل لها صدوع.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ المراد: سماعها لأمره سماع المطواع ﴿وَحُقَّتْ﴾ وسماعها أولى لها وأحرى.

﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ مدا كمد المسك لا عمار على سطحها ولا طود ولا آكام.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أموالا وهلكى على مطاها وسطحها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عما هو وسطها.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ومكمل العامل أمام السماء هو ورد كل أحد موارد أعماله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴾ [آية: ٦ - ٩]:

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ أي انصدعت، وتفطرت بالغمام، والغمام مثل السحاب الأبيض. وكذا روى أبو صالح عن ابن عباس. وروي عن علي عليه السلام قال: تشق من المجرة وقال: المجرة باب السماء. وهذا من أشراط الساعة وعلامتها. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي سمعت، وحق لها أن تسمع، روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن" أي ما استمع الله لشيء. انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٦٩/١٩).

﴿يَأَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ عامل وساع وهام ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى الورود على أمره وما أراده لك وهو الحمام ﴿كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ الهاء لما سعاه، وهو عمله صالحا أو طالحا.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ طومار عمله ﴿بِيَمِينِهِ﴾ وهم أهل الإسلام.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلا.

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾ أهل الإسلام وسط دار السلام ﴿مَسْرُورًا﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [آية: ١٠ - ١٥]:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ وهو كل ملحد ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ هلاكا لدى اطلاعه على ما حواه طاموره.

﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ سوء الدار.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ سالكا مسالك هواه.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد والاسم الهاء مطروح ﴿لَنْ يَحُورَ﴾ حار كعاد عودا، والمراد: إلى المعاد.

﴿بَلَى﴾ هو حائر وعائد ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عالما حوره وعوده له.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [آية: ١٦ - ٢٥]:

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ لا وصل لا مؤدى له ﴿بِالشَّفَقِ﴾ الاحمرار وراء الدلوك.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ حواه أو طرده إلى محاله.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ كمل لألاؤه.

﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ الكلام للأمم ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالا وراء حال، والمراد: الحمام والمعاد وأهواله.

﴿فَمَا لَهُمْ﴾ الهاء لأهل الإلحاد ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ مع سطوع الدلائل.

﴿وَ﴾ ما لهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لا يَسْجُدُونَ﴾ لمدا لمؤداه.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ أمر المعاد وورودهم موارد أعمالهم.

﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ما حووه وأوعوه وسط صدورهم أو وسط طروس أعمالهم.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المراد: إلا الأولى عادوا وهادوا إلى الله وسلكه مسالك الهدى ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ما هو محسوم أو موكوس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة البروج

مكية، وآيها ثنتان وعشرون آية

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾ [آية: ١ - ١١]:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾(١) كالحمل، والأسد، والدلو، وسواها.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ المعاد.

﴿وَشَاهِدٍ﴾ هو سادس الأحد ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ هو صعود الأوام لحرم الله على الطود المعلوم.

﴿قُتِلَ﴾ طرد ﴿أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ الصدع هو محل صدد الحرم الحرام أهله كلهم هود دعاهم واحد أسلم للرسول الروح، وسلكوا كلهم على ما دعاهم وأسلموا له،

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: قول الحق جلّ جلاله: ﴿والسماءِ ذات البروج﴾ الأثني عشر، وهي الحَمَل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. شُبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارة، وتكون فيها الثوابت ومنازل القمر، أو: عُظْم الكواكب، سُميت بروجاً لظهورها، من: التبرُّج، أي الظهور، أو: أبواب السماء، فإنَّ النوازل تخرج منها. انظر البحر المديد (٨/٤٢٠)

وحال سماع ملك الهود سلوكهم على مسلك الرسول الروح وعدلهم عما هو مسلك موسى ردد الله لهما للسلام ورد مع عسكره إلى محلهم، وصدع لهم الصدع المحرر ورمى وسطه الأعواد وسعرها وسألهم إما العود إلى مسلك موسى، أو طرحهم إلى ما سعره، ولما رأى عدم عدولهم إلى مسلك موسى له السلام طرحهم إلى الصدع المسطور.

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ حولها على كراس لهم ﴿قُعُودٌ﴾.

﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ كطرحهم لهم وسطها لعدم عودهم إلى الإلحاد ﴿شُهُودٌ﴾ وكلهم مطلع على الأمر الحاصل.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ آكد المدح ما هو محاك للوصم.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع ومعامل كل أحد على عمله صالحه وطالحه ومعد لكل ما هو أهله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ لوعا لهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ لإلحادهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ كلوعهم أهل الإسلام حالا، أو المراد مآلا لدى معادهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ لا الدار الأولى وحطامها.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [آية: ١٢ - ٢٢]:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ على أهل الإلحاد.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ﴾ المراد: مصور الأمم وسط الأرحام ومهلكهم لدى ورود حمامهم ﴿وَيُعِيدُ﴾ العوالم إلى المعاد، والورود موارد الأعمال.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لأهل الإسلام أهل لا إله إلا الله ﴿الْوَدُودُ﴾ لهم إكراما.

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ آسره ومالكه وسواه أولى ﴿الْمَجِيدُ﴾ أهل لكل كمال وسمو؛

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ السؤال لرسوله محمد ردد الله له السلام والإكرام ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ لما ردوا دعوى الرسل وأهلكهم الله، والمراد: وهؤلاء أهل للهلاك كأولئك.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ لك ولكلام الله.

﴿وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ لا عاصم لهم مما أراده.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ﴾ حاوٍ لكل كمال وعلا سردا ومؤدى.

﴿فِي لَوْحٍ﴾ هو در أحور وسط هواء أعلا السماء إلى أعلاها ﴿مَحْفُوظٍ﴾ عما هو أركاس أو رمؤ أو سواهما وكالئه هو الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الطارق

مكية، وآيها سبع عشرة آية

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أصله لكل سالك الوارد والمساء حالك وعدوه إلى ما هو كعطارد والسها لطلوعه والمساء حالك، وهو المراد.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ما أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ أول كلام ومحموله هو.

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ على الأعم ﴿إِنْ﴾ ما أو أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروح.

﴿كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا﴾ كالا على الأول، ورواه راوٍ كسما وما وصل لا مؤدى له ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ لأعمالها وهم الأملاك.

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ إلى الأرحام ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للواطئ ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ أوصال الصدر للمرأه.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء لله ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ عود ولد آدم إلى المعاد ﴿لَقَادِرٌ﴾.

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًۢا ۝١٧﴾ [آية: ٩ - ١٧]:

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ ما أسره وحواه صدر كل أحد وروعه.

﴿فَمَا لَهُ﴾ ما لراد أمر المعاد ﴿مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ عاصم مما أعده الله له.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المطر لعوده كل عصر.

﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ عما هو كلأ ومحصود وسواه.

﴿إِنَّهُ﴾ الهاء لكلام الله المكرم ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ الهدر والدر.

﴿إِنَّهُمْ﴾ أهل الإلحاد ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أصروا على عمل المكائد للرسول ردد الله له السلام ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أعاملهم على سوء عملهم ﴿فَمَهِّلِ﴾ الأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم ومهل وأمهل واحد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ مؤكد ﴿رُوَيْدًا﴾ إمهالا ما لا طول له.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعلى

مكية، وآيها تسع عشرة آية

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [آية: ١ - ١٣]:

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ المراد: طهر مولاك عما هو وصم وعار، والاسم وصل كما هو مسلكهم ﴿الأَعْلَى﴾.

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ ولد آدم وسواه ﴿فَسَوَّى﴾ حواسه وعوامله على طول واحد.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما أراده ﴿فَهَدَى﴾ أهل السوء للسوء، وأهل الصلاح للصلاح على ما حكم وأراد.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أطرَّ الكلأ.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً﴾ عساء ﴿أَحْوَى﴾ أسود.

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ الكلام المكرم ﴿فَلا تَنْسَى﴾ أصلا وأمدا.

﴿إِلا مَا شَاءَ اللهُ﴾ محو سرده وحكمه ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ كلاما أو عملا ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ مما سطر.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ مسلك الإسلام وما سلكه رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ الله وما أعده لكل عاص أوامره.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ المراد: ما حاد عما هو ادكار حواه كلام الله المكرم إلا كل ملحد حال دار السوأى.

﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾ المراد: مع سرور ومرح.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٤ - ١٩]:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وأسلم.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ كلاما وصدرا ﴿فَصَلَّى﴾.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ ورواه راوٍ على وروده لسوى السامع للكلام ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ روما لحطامها وسلوكا على مسالك الهدى.

﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ لدوام آلائها وسرورها وآلاء الأولى دوام لها ومداها هو الحمام.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أوماء إلى حصوله المطهر على دوام الآلاء والسرور ﴿لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ أوحاها الله إلى الرسل.

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ ردد الله لهما أكمل السلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الغاشية

مكية، وآيها ست وعشرون آية

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ الصماء.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أورد الورد وأراد الكل ﴿خَاشِعَةٌ﴾.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ كلها العمل كحمل السلاسل وإلا داهم.

﴿تَصْلَى﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ ماؤها حار.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو الأسل ﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [آية: ٨ - ١٦]:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ وساما ﴿لِسَعْيِهَا﴾ وأعمالها ﴿رَاضِيَةٌ﴾ حال اطلاعها على ما أعد لها مولاها على صالح أعمالها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ حسا ومؤدى.

﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ الكلام الهدر لا أصل له.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ ملؤها، والمراد: العدد.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ محلها سام عال.

﴿وَأَكْوَابٌ﴾ الكؤوس لا عرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على كوارعها.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ الوسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ كالحلس وسواه للدار ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مدا.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [آية: ١٧ - ٢٦]:

﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ﴾ الواو لأهل أم رحم ﴿إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ولا عمد لها.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ولا مور لها.

﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ كالمهاد لدى المرأى، ولا دال على ورودها سطحا لا كره.

﴿فَذَكِّرْ﴾ هم آلاء الله ودلائله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ مسلط، ورواه راوٍ وراء أوله صادا والحكم المسطور محا حكمه أمر المعارك ﴿إِلا مَنْ تَوَلَّى﴾ عما هو إسلام ﴿وَكَفَرَ﴾ راد الأحكام كلام الله المكرم ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾ ألم دار السوأى وراء الأسر والإهلاك.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ عودهم وراء الحمام ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ لدى المعاد والورود ومورد الأعمال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفجر

مكية، وآيها ثلاثون آية

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [آية: ١ - ١٤]:

﴿وَالْفَجْرِ﴾ المعلوم أو ركوعه.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ المراد: ما أكمل موعد موسى رد الله له السلام.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ سائر ما أسر الله الآحاد وعكسها، وروى راوٍ مكسورا.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ وأراد وما طرأ.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ حلم، والمراد: لأهل الأحلام والإدراك.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الكلام لمحمد صلى الله على روحه وسلم، والمراد: العلم ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

﴿إِرَمَ﴾ المراد: عاد الأولى، وإرم اسم محلهم، والمراد أهله ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ لطول عمارهم أو طول أو أدمهم ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾.

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾ حسموا وصرموا ﴿الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ وعملوها دورا لهم.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾ إلا وداد لعكم كل أحد أراد ألمه وإهلاكه ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ سمدوا ﴿فِي الْبِلادِ﴾.

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ إهلاكا وسواه ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ لرصد أعمال الأمم، وهو معاملهم على أعمالهم صالحها وطالحها.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [آية: ١٥ - ٢٠]:

﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ﴾ الملحد ﴿إِذَا مَا﴾ وصل لا مؤدى له ﴿ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ كما لو أعطاه الأموال والأولاد وسواها ﴿وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ﴾ حصر ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ لسوء مرآه وعدم إدراكه.

﴿كَلاَّ﴾ لحصول الوسع للإكرام والحصر بعكسه ﴿بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ كإعطائه مما أعطاهم مولاهم.

﴿وَلا تَحَاضُّونَ﴾ أمرا لأهلهم أو سواهم ﴿عَلَى طَعَامِ﴾ إطعام ﴿الْمِسْكِينِ﴾.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ أموال الهالك كوالد وأم وسواهما ﴿أَكْلا لَمًّا﴾ لا ما للحلال والحرام لعدم إعطائهم الحرم أموال والدهم أو أمهم أو ما حكمه كحكمهما، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [آية: ٢١ - ٣٠]:

﴿كَلاَّ﴾ ردع لهم عما هم سالكوه ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا﴾ وهدم كل عمار على سطحها ﴿دَكًّا﴾.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ المراد: أمره ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ حال كلاهما.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾ معمول كدك وما أمامها على وهم العامل المكرر كورد عم محمد أحمد ﴿يَتَذَكَّرُ الإنْسَانُ﴾ المراد: الملحد ما عمل ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ لا ادكار له لمرور عصره.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ صالح العمل ﴿لِحَيَاتِي﴾ وسط دار لا حد لعمره.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ﴾ رواه راوٍ على وروده للمعلوم، وراوٍ لعكسه ﴿عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾.

﴿وَلا يُوثِقُ﴾ هو كالأول، رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾.

﴿يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ المراد: روح أهل لا إله إلا الله ﴿ارْجِعِي﴾ لدى الحمام ﴿إِلَى رَبِّكِ﴾ إلى أمره وموعده وما أراده لك ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ لدى الله.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أهل الصلاح ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البلد

مكية، وآيها عشرون آية

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ ﴾ [آية: ١ - ١٠]:

﴿لا﴾ وصل لا مؤدى له ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أم رحم.

﴿وَأَنْتَ﴾ الكلام لرسوله محمد ردد الله له السلام ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ المراد: لدى حل الكر على أعدائك وسط الحرم الحرام وأعمال الحسام على رؤوسهم أو إسلامهم.

﴿وَوَالِدٍ﴾ هو آدم له السلام ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أولاده وورود ما لأهل الأحلام.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ ولد آدم ﴿فِي كَبَدٍ﴾ كد وكلال لوروده دائما موارد الآلام والآمال.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ الإنسان واحد معلوم أو الأعم ﴿أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد والاسم الهاء مطروحا ﴿لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عمل المكروه لمحمد لو حمل على الأول ﴿مَالا لُبَدًا﴾ مالا مركوما.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ واله عالم ما أهلكه على عمله السوء.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ هما مسلكا الهدى

والعمى.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾ [آية: ١١ - ٢٠]:

﴿فَلاَ﴾ وارد مورد هلا ﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ حرارها، ورواه راوٍ كمرَّ.

﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ ورواه راو واطع ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ طوى.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ رحم.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ معد ما لا مآل له أصلا.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى واحد واحدا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على أوامر الله وعما ردع ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ إلى الورى ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدلائل على الله، والمراد: كلامه المكرم ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ سددها، ورواها راوٍ على الواو على الأصل، وهو أوصد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشمس

مكية، وآيها خمس عشر آية

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ [آية: ١ - ٢]:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ لألائها.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ لها طالما لدى دلوكها ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ لسواده ودهمائه.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ دحاها وطحاها واحد.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ وما للمصدر كالأول أو اسم موصول.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾ مسلك عماها ﴿وَتَقْوَاهَا﴾ ومهد لها مسلك هداها.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ۝١٥﴾ [آية: ٩ - ١٥]:

﴿قَدْ﴾ طرح اللام لطول الكلام ﴿أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ طهرها عما صادم أوامر مولاها.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ وعصى الله وأصله دسسها.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولها صالحا ﴿بِطَغْوَاهَا﴾.

﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ أسرع ﴿أَشْقَاهَا﴾ إلى إهلاك العلطوس.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ﴾ صالح دعوا ﴿نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾ لكم ورد ولها ورد.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أهلكوها ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ المراد: ألمه وما أعده لهم وأحاط كالسور ﴿فَسَوَّاهَا﴾ عممها والهاء عائد لمصدر دمدم.

﴿وَلَا يَخَافُ﴾ الله ﴿عُقْبَاهَا﴾ الهاء عائد لما عاد له هاء سواها، والمراد: مآل أمر إهلاكهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الليل

مكية، وآيها إحدى وعشرون آية

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾ [آية: ١ - ٢١]:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ الهواء دلسه وسواده.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ سطع ولمع لألاؤه ومحا دلس الدهماء.

﴿وَمَا﴾ اسم موصول وللمصدر ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنْثَى﴾ آدم وحواء، أو المراد: كل امرء أو امرأه.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ عملكم ﴿لَشَتَّى﴾ عامل إلى دار السوأى.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ أدى أوامر الله ﴿وَاتَّقَى﴾ مولاه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ لا إله إلا الله.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ دار السلام ومأوى أهل الإسلام.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ أمسك عما أمر الله ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ عما أعده لكل طائع.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ لا إله إلا الله.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ سوء الدار.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ وهوى على أم رأسه إلى دار الدرك.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ إلى مسلك العدل السالم سالكوه.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ﴾ دار المعاد ﴿وَالأُولَى﴾ دار الحطام.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ الكلام لأهل أم رحم والحرم الحرام ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ طرح ما كأوله ﴿لا يَصْلاهَا﴾ حلولا على الأمد ﴿إِلا الأَشْقَى﴾ الملحد.

﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ الرسل ﴿وَتَوَلَّى﴾ عما هو الهدى.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ كل ورع.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ المراد: كل أحد سلك المسلك المحرر، أو المراد: الإمام الأول، ومولى عهد أهل الإسلام، وراء ورود حمام الرسول ردد الله له السلام.

﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أراد: ما عمل العمل المسطور.

﴿إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ وروما لكل ما أعده لكل طائع أوامره لا لأمر سواه.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ حال اطلاعه على ما أعده له مولاه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الضحى

مكية، وآيها إحدى عشرة آية

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [آية: ١ - ١١]:

﴿وَالضُّحَى﴾ أوله الطلوع ومداه الدلوك.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ ركد سواه وهدأ، أو ورد وعمم الهواء.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ هو عكس الوداد، أوحاه الله لما ادعى أهل الإلحاد ما حاصله إله محمد ودعه وصد عما هو وداد له، ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى﴾.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وعد مسلم لأهل الإسلام عما هو حلول وسط سوء الدار على الدوام لكرهه صلى الله على روحه وسلم حلول أحد أهل الإسلام وسطها كما أورد رسول الله مصرحًا.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ الكلام للرسول الأكرم ﴿يَتِيمًا﴾ لإدراك والده الحمام وهو صلى الله على روحه وسلم حمل أو وراء مولده ﴿فَآوَى﴾ المراد: آواك إلى عمك.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالا﴾ عما هو مسلك الإسلام ﴿فَهَدَى﴾ هداك له وأوحى لك أحكامه ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلا﴾ لا مال لك ﴿فَأَغْنَى﴾.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ عائلا على أمواله أو سواه.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ كاسرًا روعه.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ كإرسالك رسولا أو على الأعم ﴿فَحَدِّثْ﴾ ادع الأمم إلى أحكام على الأول أو احك لهم ما أولاك مولاك مع حمل الآلاء على الأعم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشرح

مكية، وآيها ثماني آيات

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ المراد: وسع الله صدر رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم لما أودعه سرائر الأحكام، وأسرار الحكم وأهله، وصار موردا ومحطا لكلامه وإرساله، ومصدرا مطهرا لدعاء العوالم، ولهم على الوارد السالك مسالكه والموصل إلى دار السلام.

﴿وَوَضَعْنَا﴾ المراد: الحط ﴿عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ هو كعمله صلى الله على روحه وسلم عملا سوى الأولى، وإلا الرسل كلهم عصمهم الله عما هو سلوك على مسلك صادم أمره ورسول الله أكملهم.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ أكل حمله ﴿ظَهْرَكَ﴾ والمراد: ما عسر حمله على مطاك، وهو عدم ارعواء الأمم أو إصرارهم على المكروه لك.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ هو لا إله إلا الله محمد رسول الله سرد اسمه صلى الله على روحه وسلم مع اسم مولاه.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الكلال وحصر الصدر المار أمرهما ﴿يُسْرًا﴾ كالحسر للصدر والحط للحمل.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كرره مؤكدا للحكم الأول.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مما هو ركوع أو دعاؤك الأمم إلى الإسلام ﴿فَانْصَبْ﴾ لدعائك وراء الركوع أو حامدا مولاك على ما أولاك.

﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ سائلا مولاك مهامك وأمورك كلها لا سائلا أحد سواه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التين

مختلف فيها، وآيها ثماني آيات

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿وَالتِّينِ﴾[١] المأكول المعلوم وسرده لوروده دواء محللا مطهر الكلى ممطرا سدد الطحال، أو المراد: مصلى ما مهمله سام أو مصرها ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ المأكول وسرده مع الأول سوى سائر المأكول لوروده إداما ودواء، أو المراد: المصلى المطهر أو مصره.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الطور مصعد موسى، ومحل سماعه كلام الله.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ أم رحم مكه.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ كله ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ مسوى، معدلا، حساسا، دراكا، عالما عوامله على طول واحد إلى سوى ما حرر.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي: هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت؛ قال الله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾. وقال أبو ذر: أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل تين؛ فقال: "كلوا" وأكل منه. ثم قال: "لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس". وعن معاذ: أنه استاك بقضيب زيتون، وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة، يطيب الفم، ويذهب بالحفر، وهي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي". انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١١٠).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ المراد: دار السوأى، أو أراد الهرم وعوده هما ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حكم إلا موصول لو حمل رده له على حلوله دار السوأى مع الدوام ومحسوم لو حمل على وروده موارد الهرم ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ما هو محسوم.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ الكلام لكل ملحد ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ المعاد، والمراد: ما هو الأمر الحامل لك على ردك أمر المعاد وراء سطوع دلائله ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ واحكم كل حاكم المصور العوالم أولا وأصلهم العدم أسرهم إلى المعاد مع أصل ما وهو العصعص والحصحص، وهو أسهل لدى الأمم لما صار عودا مع أصل وأول أسر مع عدم الأصل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العلق

مكية، وآيها تسع عشرة آية

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١ - ١٩]:

﴿اقْرَأْ﴾ كلام الله المكرم والأمر للرسول الأكرم ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العوالم كلها.

﴿خَلَقَ الإنْسَانَ﴾ لما عمم أولا وحد أهل العلاء وهم سوط ولد آدم ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ الدماء لا سائلها.

﴿اقْرَأْ﴾ أعاده مؤكد اللامر الأول ﴿وَرَبُّكَ الأكْرَمُ﴾ ما عادل كرمه كرم.

﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الرسم ﴿بِالْقَلَمِ﴾ المصطر.

﴿عَلَّمَ الإنْسَانَ﴾ المراد: سوط ولد آدم ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ كسائر العلوم وأعلاها علم الوصول إلى الدلائل.

﴿كَلا﴾ ردع لكل ملحد عما هو سلوك على سوى صراط الهدى ﴿إِنَّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى﴾.

﴿أَنْ رَآهُ﴾[1] الهاء عائد على ما حلاه الـ ﴿اسْتَغْنَى﴾ مالا ووسعا ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ مصدر، والمراد: العود والورود موارد الأعمال ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾.

﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ أوحاه الله لما حكى عم الرسول ما حاصله لو رأى محمدا راكعا لوطء كرده.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ الرسول ردد الله له السلام ﴿عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ عم الرسول الرسول ﴿وَتَوَلَّى﴾ عما هو إسلام له.

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ عمله وكلامه وهو معامله.

﴿كَلَّا﴾ ردع له عما هو عود لسوء عمله المسطور ﴿لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿لَمْ يَنْتَهِ﴾ عما هو سالكه ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ حاصل المراد طره إلى سوء الدار وأورد ورده وهو الرأس وأراد الكل.

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ سردها وأراد حاملها.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ المراد: أهل محل كلامه ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ الأملاك لطره وإهلاكه، وحكى الرسول صلى الله على روحه وسلم مصححا لو دعا عمه ملأه لطره الأملاك ورآه كل احد.

﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ على وداعك الركوع ﴿وَاسْجُدْ﴾ صل لله أو دم على ركوعك ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ صددا إلى مولاك.

---

(١) قولُه تَعالى: ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾. فِيهِ أربعُ قراءات: قَرَأَ حمزةُ، والكِسَائِيّ، وأبو بكرٍ، عنْ عاصمٍ، وابنُ عامرٍ برواية ابْن ذكوان بالخلف " أنْ رِآهُ استَغْنَى " بكسر الراء. وقرأَ أَبُو عَمْرو برواية الدُّوري بفتح الراء وكسر الهمزة. وقرأَ الباقون: "أَنْ رَآهُ " بالفتح، والأصل: رأيه عَلَى وزن رعيه، فصارت الياء التي هِيَ لام الفعل ألفًا؛ لانفتاح ما قبلها، فصارت " أن رآهُ استَغْنى " عَلَى وزن رعاه. والقراءةُ الرابعةُ: قراءةُ ابنِ كثيرٍ فِيْ روايةِ قُنبل: "أَنْ رَّأه " عَلَى وزن رَعَهُ. قَالَ ابنُ مجاهدٍ: هُوَ غلطٌ؛ لأنَّه حذف لام الفعل التي كانت ألفًا مبدلةً من الياء، ويجوز أن الَّذِي سَمِعَ ابْنُ كَثِير يقرأ هَذَا الحرف لم يضبط عَنْهُ، ولا ترجم عَنْهُ باستواء، وكانت قراءته: "أَنْ رَاءَهُ استَغْنَى " بتقديم الألِف عَلَى الهَمْزَةِ ثُمَّ يخفف الهمزة ويحذفها لالتقاء الساكنين. وهذه لغةٌ مشهورةٌ، تَقُولُ العرب: راءني وشاءني.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القدر

مختلف فيها، وآيها خمس آيات

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾[1] [آية: ١ - ٥]:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ الهاء لكلام الله المكرم كله مما هو اللوح إلى السماء الأولى ﴿فِي

(١) قال أبو العباس الفاسي: يقول الحق جلّ جلاله: ﴿إِنَّا أنزلناه في ليلة القدر﴾، نوّه بشأن القرآن، حيث أسند إنزاله إليه بإسناده إلى نون العظمة، المنبىء عن كمال العناية به، وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للإيذان بغاية ظهوره، كأنه حاضر في جميع الأذهان، وقيل: يعود على المقروء المأمور به في قوله: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١] فتتصل السورة بما قبلها. وعظّم الوقت الذي أنزله فيه بقوله: ﴿وما أدراك ما ليلةُ القَدْر﴾ لِما فيه من الدلالة على أنَّ علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق، لا يدريها إلا علام الغيوب، كما يُشعر به قوله تعالى: ﴿ليلةُ القدر خيرٌ من ألف شهرٍ﴾ أي: ليس فيها ليلة القدر، فإنه بيان إجمالي لشأنها إثر تشويقه صلى الله عليه وسلم إلى درايتها، فإنَّ ذلك مُعْرِب عن الوعد بإدرائها على ما تقدّم. وفي إظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى. والمراد بإنزاله: إمّا إنزاله كله إلى سماء الدنيا، كما رُوي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجوماً في ثلاثٍ وعشرين سنة، وإمّا ابتداء نزوله، وهو الأظهر. وسُميت ليلة القدر لتقدير الأمور فيها، وإبراز ما قضى تلك السنة، لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)﴾ [الدخان: ٤]، فالقَدْر بمعنى التقدير، أو لشرفها على سائر الليالي، فالقَدْر بمعنى الشرف، وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان على المشهور. لما رُوي أنَّ أُبي بن كعب كان يحلف أنها ليلة السابع والعشرين، وقيل غير ذلك ومظان التماسها في الأوتار من العشر الأواخر. ولعل السر في إخفائها تعرض مَن يريدها للثواب الكثير بإحياء الليالي في طلبها، وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى، واسمه الأعظم، وساعة الجمعة، ورضاه في الطاعات، وغضبه في المعاصي، وولايته في خلقه ليحسن الظن بالجميع. انظر البحر المديد (٨/٥٠٥).

﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ العلاء.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ما أعلمك ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ما حووها.

﴿تَنَزَّلُ﴾ مطروح ما كأوله ﴿الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ الملك رسول الرسل ردد الله له ولهم السلام معهم ﴿فِيهَا بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أراد حصوله إلى كمال العام.

﴿سَلامٌ هِيَ﴾ أمرها كله سلام وسواها حوى السلام واللأواء ﴿حَتَّى مَطْلَعِ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام ﴿الْفَجْرِ﴾ المراد: كل أمورها سلام إلى طلوعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البينة

مختلف فيها، وآيها ثماني آيات

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلحادا ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الهود، وأمم الروح ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أهل الركوع إلى الصور ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ محمول العامل وراء لم، والمراد: عما هو سالكوه ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الرسول، أو كلام الله المكرم، أو دلائل الإرسال[1].

﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ﴾ هو محمد ردد الله له السلام ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ عما هو هدر.

﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أحكام ﴿قَيِّمَةٌ﴾ عدل.

---

(١) قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ في موضع جر عطفا على ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾. قال ابن عباس ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: اليهود الذين كانوا بيثرب، وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع. والمشركون: الذين كانوا بمكة وحولها، والمدينة والذين حولها؛ وهم مشركو قريش. ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ أي منتهين عن كفرهم، مائلين عنه. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي أتتهم البينة؛ أي محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: الانتهاء بلوغ الغاية أي لم يكونوا ليبلغوا نهاية أعمارهم فيموتوا، حتى تأتيهم البينة. فالانفكاك على هذا بمعنى الانتهاء. وقيل: ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ زائلين؛ أي لم تكن مدتهم لتزول حتى يأتيهم رسول. والعرب تقول: ما انفككت أفعل كذا: أي ما زلت. وما انفك فلان قائما. أي ما زال قائما. وأصل الفك: الفتح؛ ومنه فك الكتاب، وفك الخلخال. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤٠/٢٠).

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إسلاما لمحمد ردد الله له السلام، أو ردا لما ادعاه، أو المراد: عما هو سلكوه ﴿إلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ رسول الله، أو كلام الله، أو دلائل إرسال الرسول مع إصرارهم أمام إرساله على الإسلام له صلى الله على روحه وسلم، ولما أرسله الله لهم ردوا ما ادعاه ملأ حسدا، وملأ سمودا ومراء.

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ وسط الكلام الموحى إلى رسلهم ﴿إلا لِيَعْبُدُوا اللهَ﴾ على طرح محصل المصدر وراء اللام ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كعدم ادعائهم إلها معه ﴿حُنَفَاءَ﴾ المراد: كلهم مائل إلى مسلك والد الرسل ردد الله له ولهم السلام ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وما حصل سلوكهم على ما أمروا ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ الصراط العدل السوي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [آية: ٦ - ٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم أمم موسى والروح ردد الله لهما أكمل السلام ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ لادعائهم مع الله سواه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال، والمراد: أراد الله حلولهم على الدوام ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ الورى كلهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ الورى كلهم.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ المراد: أمواهها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ سهل لهم السلوك على أوامره ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لما وصلوا إلى ما أملوه مما أعده لهم دار السلام وسواها ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ روعه ما أعده لكل عاص.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزلزلة

مختلف فيها، وآيها ثماني آيات

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ المراد: صار لها وهل وحرك ﴿زِلْزَالَهَا﴾[١].

﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أموالها وهلكاها طرحا على سطحها ومطاها.

﴿وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ لما هو داهمهم ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ المراد: حالها معلم لم رهلها وحراكها وهو ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أمرها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ وراء صدور السؤال وورود كل أحد واطلاعه على عمله ﴿أَشْتَاتًا﴾ ملأ إلى دار السلام، وملأ إلى دار السوأى ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ المراد: ما أعد لهم على أعمالهم.

---

(١) زِلْزَالَهَا: يوم القِيَامة من شدَّة صوت إسرافيل فيضطربون حَتَّى ينكسر كلُّ شيء من شدَّة الزَّلزلة. فقرأ: "زِلْزَالَهَا " لأنَّه مصدر فعلل وكلّ فعلٍ رُباعي نحو هملج، وقرطس، وسرهف، ووسوس، ودحرج مصدره عَلَى وجعهين فَعْلَلَة، وفِعْلالٌ لا ينكسر. وتقول: "إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضِ زَلْزَالْهَا".

وقرأ بذلك عاصمٌ الجَحْدَرِي بفتح الزَّاي جعله اسمًا لا مصدرًا، وليس فِي كلام العرب فِعلال إِلا مُضَاعف نحو الزّلزالُ، وهي البلاءُ والبِلبالُ والكِلْكَالُ، وهو المصدر إلا قولهم: ناقة بها خِزْعَالٌ أي: ضَلْعٌ وغَمْزٌ فِي رجلها [إعراب القراءات: ٢/٥١٦].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ما صعد وسط الهواء كالعصار ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ وهو معامل ومكرم.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وهو مسؤول ومساء.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العاديات

مختلف فيها، وآيها إحدى عشرة آية

﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ [آية: ١ - ١١]:

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ الكراع الصواهل ﴿ضَبْحًا﴾ هو حس أمعائها لدى عدوها.

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ حال إسراعها.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ على الأعداء وأهلها على مطاها ﴿صُبْحًا﴾.

﴿فَأَثَرْنَ﴾ إصعادا ﴿بِهِ﴾ الهاء لمحل عدوها وإسراعها ﴿نَقْعًا﴾ عصارا.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ الهاء للعصار ﴿جَمْعًا﴾ والمراد: صار الصواهل مع عصارها وسط ملم الأعداء.

﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ الملحد ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ لآلاء مولاه، أو المراد لعاص، ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ لصامر وممسك.

﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾[1] هو كما لو طرح راؤه ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ هلكها.

---

(١) قال الحوفي: إذا ظرف مضاف إلى بعثر والعامل فيه يعلم. انتهى، وليس بمتضح لأن المعنى: أفلا يعلم الآن؟ وقرأ الجمهور: بعثر بالعين مبنياً للمفعول. وقرأ عبد الله: بالحاء. وقرأ الأسود بن زيد: بحث. وقرأ نضر بن عاصم: بحثر على بنائه للفاعل. وقرأ ابن يعمر ونصر بن عاصم ومحمد بن أبي سعدان: وحصل مبنياً للفاعل؛ والجمهور: مبنياً للمفعول. وقرأ ابن يعمر أيضاً =

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ما حواه صدر كل أحد إلحادا أو إسلاما ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ عالم السرائر وعكسها، ومعامل كل أحد على عمله.

=

ونصر بن عاصم أيضاً: وحصل مبنياً للفاعل خفيف الصاد، والمعنى جمع ما في المصحف، أي أظهر محصلا مجموعاً. وقيل: ميز وكشف ليقع الجزاء عليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القارعة

مكية، وآيها إحدى عشرة آية

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [آية: ١ - ١١]:

﴿الْقَارِعَةُ﴾ الطامة.

﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ المراد: أمرها أمر مهول.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ كرره مؤكدا هولها.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ﴾ العراد لأمر عددهم ﴿الْمَبْثُوثِ﴾.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ لصعودها وسط الهواء كالعصار.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ عال صالح أعماله على طالحها ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ والمراد: أهلها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ وعال عمله السوء على عمله الصالح ﴿فَأُمُّهُ﴾ مأواه ومحله ﴿هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[1] حرها ألد.

---

(١) قولُه تَعَالى: ﴿وَمَا أَدْراك ما هِيَهْ﴾. قَرَأَ حمزةُ وحده: ﴿ما هِيَ﴾ بحذف الهاء إِذَا أدرج وبإثباتها إِذَا وقَفَ؛ لأنّ هَذِهِ الهاء هاء سكتٍ، ولا يلحقها إعرابٌ، وَقَدْ أنبأت عنْ علة ذَلِكَ فيما سلف، وإنما أعدتُ ذكره؛ لأن ابْنُ مُجاهد أخبرني، قَالَ: قَالَ نصر بْن عاصم: سَمِعْتُ أبا عَمْرو، يَقُولُ: ﴿ما هيه﴾ يقف عندها، وكل هاء للتأنيث تصير فِي الدَّرج تاءً إلا هَذِهِ. فأمَّا قولُ الشَّاعِرِ:

حــاملــةً دَلْــوُكِ لا مَحْمُــوْلَهْ   مَــلأى مِــنَ المَــاءِ كَعَـيْنِ المُـوْلَهْ

فإنَّ الشَّاعِرَ بناه عنْ الوَقْف، وهي هاءُ التأنيث، ولو بناء عَلَى الإدراج، لقال: محمولةً، والمولِة: العنكبوت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التكاثر

مختلف فيها، وآيها ثماني آيات

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ [آية: ١ - ٨]:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أموالا وأولادا.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ صار أهم أموركم لمكم الأموال، وأهم مهامكم حطام لا دوام له، ومطر عمركم سدى إلى ورود الحمام، أو المراد: وصل مراوءكم أموالا وأولاد إلى حد عدد الهلكى أهل اللحود.

﴿كَلا﴾ ردع عماهم سالكوه ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء مآل مرائكم لدى اطلاعكم على ما وراءكم.

﴿ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كرره مؤكدا الحكم الأول.

﴿كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لما ألهاكم لمكم الأموال والأهل أو عددكم لهم.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (١) مكمل لِوَالله أو ما حكمه كحكمه مطروح.

---

(١) قولُه تَعَالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيْمَ﴾. قَرَأَ القراء: "لَتَرَوُنَّ " بفتح التاء إلا الكِسَائِيّ، وابن عامر فإنهما ضما التاء، وأجمعوا عَلَى ضم الواو من غير همزٍ لالتقاء الساكنين، إلا ما روى الْعَبَّاس عنْ أَبِي عَمْرو " لَتَرَؤُنَّ " بالهمز، وهو جائز عند الكِسَائِيّ، خطأ عند الْمَازِنِي والبصريين؛ لأن كلَّ حركة كانت غير لازمة لم يجز همزها، وإنما يجوز قلب الواو همزة إذَا كانت الضمة والكسرة عليها لازمتين نحو " أُقِّتَتْ " " ووُقِّتَتْ " وإعا ووعا، والأصل فِيْ " لَتَرَوُنَّ الجَحِيْمَ " لترئيون عَلَى وزن لتفعلون، فنقلوا فتحة الهمزة إلى الراء، وحذفوا الهمزة تحفيفًا، ثُمَّ استثقلوا الضمة عَلَى الياء فحذفوها، فالتقى ساكنان الواو والياء، فأسقطوا الياء لالتقاء السَّاكنين، ثُمَّ التقى ساكنان الواو =

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ الهاء لدار السوأى وكرره مؤكدا ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مصدر لوروده كرأى مؤدى كرمى طرحا.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ كل ما حلى لولد آدم وألهاه عما أمره الله، أو المراد: سواء الهاه أولا ولو مأكلا ومطعما، أو السؤال حاصل لكل ملحد لا لأهل الإسلام.

=

والنون الشديدة فحركوا الواو بالضمة لالتقاء الساكنين، ومثله: "اشتَرُواْ الضَّلالةَ " ونحوه كَثِير [إعراب القراءات: ٥٦٢/٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العصر

مكية، وآيها ثلاث آيات

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿وَالْعَصْرِ﴾ الركوع المعلوم، وهو الركوع الأوسط، أو المراد: عصر إرسال الرسول ردد الله له أكمل السلام، أو المراد: الدهر.

﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ المراد: سوط ولد آدم ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾[1] لمطور أعمارهم سدى.

﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى واحد واحدا ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على مر الأوامر وعما ردعهم مولاهم.

---

(١) هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على أن هذا المخبر عنه أنه في خسر إنسان واحد بدليل إفراد لفظة الإنسان، واستثناؤه من ذلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات يقتضي أنه ليس إنسانا واحدا. والجواب عن هذا هو أن لفظ الإنسان وإن كان واحدا فالألف واللام للاستغراق يصير المفرد بسببهما ما صيغة عموم، وعليه فمعنى أن الإنسان أي أن كل إنسان لدلالة (ال) الاستغراقية على ذلك، والعلم عند الله تعالى. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/٩٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الهمزة

مكية، وآيها تسع آيات

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [آية: ١ - ٩]:

﴿وَيْلٌ﴾ اسم واد وسط دار السوأى ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[1] واهص آكل لحوم أهل الإسلام.

﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ رواه راوٍ كدمع، ووراوٍ كهدّد ﴿مَالا وَعَدَّدَهُ﴾ أحصاه وأعده لدوائر الدهر.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ وعصمه الورود موارد الحمام.

﴿كَلا﴾ ردع ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ طرحا ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ سماها كما سماها لحطمها كل ما

---

(١) اختلفوا في الهمزة واللمزة هل هما بمعنى واحد أم مختلفان على قولين أحدهما أنهما مختلفان ثم فيهما سبعة أقوال:

أحدها أن الهمزة المغتاب واللمزة العياب قاله ابن عباس والثاني أن الهمزة الذي يهمز الإنسان في وجهه واللمزة يلمزه إذا أدبر عنه قاله الحسن وعطاء وأبو العالية والثالث أن الهمزة الطعان في الناس واللمزة الطعان في أنساب الناس قاله مجاهد الرابع أن الهمزة بالعين واللمزة باللسان قاله قتادة والخامس أن الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه قاله ابن زيد والسادس أن الهمزة الذي يهمز بلسانه واللمزة الذي يلمز بعينه قاله سفيان الثوري والسابع أن الهمزة المغتاب واللمزة الطاعن على الإنسان في وجهه قاله مقاتل والقول الثاني أن الهمزة العياب الطعان واللمزة مثله وأصل الهمز واللمز الدفع قاله ابن قتيبة وكذلك قال الزجاج الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويغضهم. انظر زاد المسير (٩/٢٢٧).

طرح وسطها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ما أعلمك ﴿مَا الْحُطَمَةُ﴾.

﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسعره ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ الروع والصدر لورودها محل الإلحاد ومأوى سوء الإصرار.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ مصكوك سددها وأوصد السدد وصكها واحد.

﴿فِي عَمَدٍ﴾ رواه راوٍ كصمد، وراوٍ كعمر ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾ والمراد: حل وسط العمد الحطمة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفيل

مكية، وآيها خمس آيات

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[1] واسمه محمود كما رووه وحاصله هو أحد الملوك عمر مصلى، وأراد ورود الأمم له كورودهم إلى الحرم، وسمع أهل الحرم مراده وأسرع أحدهم وسلح وسط ما عمره وطلى حائطه ولما وصله الأمر آلى على هدم أم رحم وورد ومعه عساكره، ومحمود أمامهم، وصار كلما أراد إرسال محمود إلى كارع الحرم ركع وهوى، وكلما دار رأسه كارع سوى الحرم أسرع وهرول وهم على الأمر المسطور أرسل الله الطائر حاملا حلكه وعوامله الحصى محررا على كل واحد اسم المعد له، وهو لا كالعدس ولا كالحمص وسط، وصار كلما رمى طائر على رأس واحدهم الحصى وصل إلى سرمه صاردا، وأهلكهم الله كلهم إلا واحد وهو إرهاص لرسول الله لحصوله على مولده صلى الله على روحه وسلم.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ الله ﴿كَيْدَهُمْ﴾ لما أصروا على الهدم المحرر ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ وآل

---

(١) هل هو فيل واحد أم فيلة؟ أكثر أهل العلم على أنها مجموعة من الأفيال، ولم تكن فيلا واحداً، ولكن أفرد الفيل وأريد به أعظم هذه الأفيال وهو الفيل الذي جندوه لسحب وتدمير الكعبة، ومن العلماء من قال: إنه اسم جنس. انظر سلسلة التفسير لمصطفى العدوي (١٠٢/٤).

الأمر إلى هلاكهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ حال مطهو ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾ كل كلأ أو محصود ﴿مَأْكُولٍ﴾ المراد: حصل له الإكال، وهو أكل الدود له، وحاصل الأمر إهلاكهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة قريش

مكية، وآيها أربع آيات

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾[1] [آية: ١ - ٤]:

﴿لإيلافِ﴾ عامل الكاسر والمكسور هو ما حله لام الأمر ﴿قُرَيْشٍ﴾.

﴿إيلافِهِمْ﴾ مصدر مؤكد للمصدر الأول المعمول للام الكسر ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ لرومهم المطعم وسواه ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ طواهم المحرر أو المحل عراهم وأكلوا الحمر الهلكى وسواها ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ لما أم الملك المحرر هدم الحرم الحرام وسلمهم الله وأهلكه مع عساكره.

---

(١) لم يترك الحق سبحانه وتعالى وسيلة إقناعية أو تربوية أو ترغيبية أو تهديدية إلا أقامها وأداها لقبيلة قريش في صدر الإسلام، من أجل حملهم على الانضمام لراية الإسلام، وإعلان عقيدة توحيد الله تعالى، وترك الشرك والوثنية وعادات الجاهلية القبيحة، ومن هذه الوسائل تذكيرهم بما أنعم الله تعالى عليهم، من تيسير الحصول على مكاسبهم وأرزاقهم وتجاراتهم الرابحة، لقطري الشام واليمن، في قوافلهم الشتوية والصيفية، وذلك في سورة قريش المكية بلا خلاف. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٣/٢٩٣٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الماعون

مختلف فيها، وآيها سبع آيات

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [آية: ١ - ٧]:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ هو أمر المعاد وورد الأمم موارد أعمالهم.

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[1] دسعه دسعا، أو حمل له العصا وصكه لما سأله اللحم، وهو العاص ولد وائل، أو هو عم الرسول ردد الله له السلام أو سواهما.

﴿وَلا يَحُضُّ﴾ أهله وسواهم ﴿عَلَى طَعَامِ﴾ إطعام ﴿الْمِسْكِينِ﴾.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ المراد: ما هو مؤدوها أصلا.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ الأمم أعمالهم لحمدهم لهم لا عملا لله ولرسوله ركوعا وسواه.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالرحى، وكل وعاء، أو المراد: سهم أموالهم.

---

(١) إن هذا الذي يكذّب بالدين من أوصافِه السيّئة أنه بخيلٌ شرِس الأخلاق. لذلك فإنه يؤذي اليتيم، ويدفعُه بجَفوة وغلظة، ولا يُعطيه حقَّه. ومن بُخله الشديد أنّه لا يحثّ على مساعَدة المساكين، ولا يُعطيهم من مالِه شيئا. وذلك كلُّه لأنه لا يؤمن بأنه سيُبعث يومَ القيامة ويحاسَب حساباً عسيرا. ثم ذكَر الفريقَ الآخر المرائي الّذي يعمل من أجلِ ان يَظهر أمام الناس وهو كاذبٌ مخادِع. انظر تفسير القطان (٣/٤٥٣).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الكوثر

مكية، وآيها ثلاث آيات

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ [آية: ١ - ٣][1]:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ المعطى له هو رسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿الْكَوْثَرَ﴾ هو آل الرسول وأولاده، أو علماء الإسلام، أو كلام الله المكرم، أو اسم ماء وسط دار السلام أحور حلو كالعسل.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ دم على الركوع له، والأمر له، ولأهل الإسلام ﴿وَانْحَرْ﴾ واعط اللحم لكل عائل وسائل.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ وهو العاص ولد وائل ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾ لا ولد له.

---

(١) نعم الله على نبيه سور الضحى والانشراح والكوثر فيها تعداد النعم الإلهية على النبي صلّى الله عليه وسلّم وهي نعم كثيرة، في قمتها في الدنيا: النبوة والرسالة، وفي الآخرة: الكوثر وهو الخير الكثير، ولقد تضمنت سورة الكوثر المكية الخبر بما أعطى الله نبيه وهو الكوثر، وبما طالبه به من الصلاة والصدقة شكرا لله على ما أنعم، وتبشيرا بالنصر، وخذلانا لأعدائه، وانقطاع أثرهم وذكرهم، وهي أقصر سورة في القرآن الكريم. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٣٩٤٣/٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكافرون

مكية، وآيها ست آيات

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [آية: ١ - ٦]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ردد الله أكمل السلام ﴿يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[(١)] هم ملأ علم الله عدم إسلامهم ودوامهم على إلحادهم ﴿لا أَعْبُدُ﴾ حالا ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ه وهو الصور والدمى.

﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ حالا ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله وحده.

﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ﴾ مآلا أمدا ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾.

---

(١) أي: قل - أيها الرسول الكريم - لهؤلاء المشركين الذين جاؤوك ليساوموك على أن تعبد آلهتهم مدة، وهم يعبدون إلهك مدة أخرى.. قل لهم على سبيل الحزم والتأكيد " لا أعبد " أنا الذي تعبدونه من آلهة باطلة، ولا أنتم عابدون الإله الحق الذي أعبده، لجهلكم وجحودكم. وعكوفكم على ما كان عليه آباؤكم من ضلال. وافتتحت السورة الكريمة بفعل الأمر " قل " للاهتمام لما سيأتي بعده من كلام المقصود منه إبلاغه إليهم، وتكليفهم بالعمل به. ونودوا بوصف الكافرين، لأنهم كانوا كذلك، ولأن في هذا النداء تحقيرا واستخفافا بهم. و" ما " هنا موصولة بمعنى الذي، وأوثرت على " مَن " لأنهم ما كانوا يشكون في ذات الآلهة التي يعبدونها، ولا في ذات الإلهة الحق الذي يبعده النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كانوا يشكون في أوصافه - تعالى - ، من زعمهم أن هذه الأصنام ما يعبدونها إلا من أجل التقرب إليه. ويقولون: ﴿هؤلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله﴾ مع أن الله - تعالى - منزه عن ذلك، فالمقصود من " ما " هنا: الصفة، وليس الذات، فكأنه قال: لا أعبد الباطل الذي تعبدونه، وأنتم لجهلكم لا تعبدون الإله الحق الذي أعبده. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١٢/٤٢٠).

﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ طول عمركم ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وأورد ما الاسم الموصول على الله للمحاكاه.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ وهو الإلحاد ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ وهو مسلك الإسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النصر

مدنية، وآيها ثلاث آيات

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ﴾[1] رسوله محمدا صلى الله على روحه وسلم على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ﴾ لأم رحم مكه.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ﴾ مسلك الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ ملأ وراء ورودهم إلى الإسلام واحدا واحدا.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حامدا له على آلائه ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ لكل هائد وعائد إلى مولا سائله محو عمله.

---

(١) هذه السورة بشارة بالنصر للنبي صلّى الله عليه وسلّم على العرب قاطبة، ونعي أجله والاستعداد للانتقال إلى الرفيق الأعلى بمداومة التسبيح والتحميد والاستغفار. إذا تحقق لك أيها النبي نصر الله، وعونه، وتأييده على من عاداك، وهم قريش وبقية العرب، وفتحت لك مكة، وتحققت لك الغلبة، وإظهار دينك وانتشاره، فنزه الله تعالى، حامدا له نعمه وأفضاله عليك، واسأل المغفرة لك ولمن اتبعك، إن الله كثير القبول لتوبة عباده، حتى لا ييأسوا ويرجعوا بعد الخطأ. و(النصر) الذي رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هو غلبته لقريش وهوازن وغير ذلك. و(الفتح) هو فتح مكة والطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن. قال ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب: لم يمت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفي العرب رجل كافر، بل دخل الكل في الإسلام، بعد حنين والطائف، منهم من قدم، ومنهم من قدم وافده، ثم كان بعده صلّى الله عليه وسلّم من الردة ما كان، ورجعوا كلهم إلى الدين. والمراد بذلك: العرب وعبدة الأوثان. وفائدة قوله: نصر الله مع أن النصر لا يكون إلا من عند الله: هو أنه نصر لا يليق إلا بالله، ولا يليق أن يفعله إلا الله، أو لا يليق إلا بحكمته، والمراد: تعظيم هذا النصر. وقوله: جاءَ نَصْرُ اللهِ: مجاز، أي وقع نصر الله. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٣/٢٩٥٠).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المسد

مكية، وآيها خمس آيات

﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥ ﴾ [آية: ١ - ٥]:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[1] هو عم الرسول صلى الله على روحه وسلم والحكم دعاء، والمراد هلك ﴿وَتَبَّ﴾ دعاء وراء دعاء، والمراد: هلك وهلك؛ إعلام لحصول هلاكه على كل حال.

﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ لدى حلول هلاكه ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ ما للمصدر، والمراد: عمله أو ولده، وأهلكه أسد وهو سائح.

﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ حمراء سعراً.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ﴾ رواه راوٍ مسموكا، وراوٍ على وروده معمولا لعكس امدح ﴿الْحَطَبِ﴾ الأسل والحسك لطرحه على مسلك الرسول صلى الله على

(١) أي: خسرت وخابت يدا أبي لهب، وقد نزل هذا الهلاك والخسران به، بسبب عداوته الشديدة للحق، الذي جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من عند ربه - سبحانه - . والمراد باليدين هنا: ذاته ونفسه، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما في قوله - تعالى - : ﴿ذلك بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ ويجوز أن يكون المراد باليدين حقيقتهما، وذلك لأنه كان يقول: يعدني محمد صلى الله عليه وسلم بأشياء، لا أدري أنها كائنة، يزعم أنها بعد الموت، فلم يضع في يدي شيء من ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبا لكما ما أرى فيكما شيئا. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١٢/٤٢٥).

روحه وسلم.

﴿فِي جِيدِهَا﴾ كردها ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ ممسود عكس المحلول، وأول الكلام مع محموله حال لها.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإخلاص

مختلف فيها، وآيها أربع آيات

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [آية: ١ - ٤]:

﴿قُلْ﴾ الأمر للرسول محمد صلى الله على روحه وسلم لما سألوه ما الله أوحى له الحكم المسطور ﴿هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ محمول هو.

﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ أول كلام، ومحموله: والصمد هو الموئل لكل وطر على الدوام.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ رد على كل مدع الولد له ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لا والد له ولا أم ولا له مصدر، وهو أسر المصادر والأصول كلها.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾[1] معادلا محمول أمام الاسم وهو ﴿أَحَدٌ﴾ لا إله إلا هو وحده.

(١) ذُكر أن المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسب ربّ العزّة، فأنزل الله هذه السورة جوابا لهم. وقال بعضهم: بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فأُنزلت جوابا لهم. انظر تفسير الطبري (٢٤/٦٨٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفلق

مختلف فيها، وآيها خمس آيات

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾[1] [آية: ١ - ٥]:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ما ورط كل أمر مما سواه، والمراد: اللألاء لدى محوه سواد المساء ودهمائه أوحاه الله لرسوله لما سحره أحد الهود وأعلمه مولا السحر ومحله.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عم كل سوء السحر والسم وسواهما.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ سواد المساء حال وروده، أو المراد الطوس حال دلوكه.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ للسلك لدى رومها سحر أحد.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وأراد السلوك على ما أصره لمحسوده، وعمل المكروه له.

---

(١) نزلت هذه السورة - كما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها - في قصة سحر لبيد بن الأعصم اليهودي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. والنفاثات: بناته اللواتي كن ساحرات، فسحرن النبي صلّى الله عليه وسلّم، وعقدن له إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله تعالى إحدى عشرة آية بعدد العقد، هي المعوذتان، فشفي النبي صلّى الله عليه وسلّم. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٢٩٦٢/٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الناس

مختلف فيها، وآيها ست آيات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [آية: ١ - ٦]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد أكمل الله له السلام ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مالكهم وآسرهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ معمول على مسلك، وهم العامل المكرر.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ الإله كالملك محلا.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾[1] الموسوس لهم، وهو المطرود عدو آدم ردد الله له السلام ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الحائد لدى سرد المرء اسم الله علا حمده.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ لدى دلههم عما هو سرد لأسماء مولاهم أو حمده.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾ هم ملأ الوسواس المطرود ﴿وَالنَّاسِ﴾ رده الواو إما على الوسواس، أو على ما هو أمامه، وهم ملأ الوسواس، ورد لعدم وصول وسواس ولد آدم إلى الصدور ووسواسهم كلام واصل إلى الأسماع، والأصح ردد الواو له على ما هو أمامه

---

(١) لا يخفى ما بين هذين الوصفين اللذين وصف الله بهما هذا اللعين الخبيث من التنافي لأن الوسواس كثير الوسوسة ليضل بها الناس والخناس كثير التأخر والرجوع عن إضلال الناس. والجواب: أن لكل مقام مقالا؛ فهو وسواس عند غفلة العبد عن ذكر ربه خناس عند ذكر العبد ربه تعالى كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٩٩/١).

ولو وسواسهم كلاما أولاً المسامع ومآله وراءها إلى الروع والصدر، والله أعلم كمل سواد ما حاوله محرره مما هو مهمل الكلام لحل مؤدى كلام الله الملك العلام ورد، ولله الحمد سهل المرام حلو الكلام، حوى أسرار الوارد والمأول، وعلى دوح معلومه ومؤداه حام طائر المعلول، اللهم لو سالمه حسد حاسد مسدد لسهم عوارئه أو راعاه لوم لائم سال لصمصام مرائه ومأمول راسم كلمه لدى إطلاع كل ماهر على أسطر طوماره لمحه له لمح الكرام والعلماء الأعلام، سادا محال عواره كما هو مسلك أهل الهمم والكمال، والحمد لله على الإكمال وسائر الأحوال، وصلى الله وسلم على أكمل رسله محمد والآل كمل مداده وسواده لعام ١٢٧٤.

الحمد لله المحمود على كل حال، الممدوح على سائر ما أولى لا محال، وصلى الله وسلم على رسوله الكامل، محمد أكرم ولد آدم ولدى المعاد هو الأول والمعول، وعلى آله الأطهار الكرام، والأصهار الصلحاء الأعلام، وكل مسلم مسلم لأموره لمولاه، موحد كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله، سهل الله كمال در الأسرار، مؤدى كلام الله الواحد مالك الأمصار، محررا، ولله الحمد على أصل مسوده ومحرره، وحامل لواء معامله ومسطره، صدر العلماء ومولاهم، وإمامهم وأولاهم، واحد الدهر ومحط الآمال، وطاهر الأصل وصالح الأعمال، العالم العلامة محمود ولد محمد رسول الله الأكرم، صلى الله على روحه وأرواح أصوله الرسل وسلم.

فهرس المحتويات